العقيدة الإسلامية

للعلامة محمد المكي بن مصطفى بن عزوز
ولد سنة ١٢٧٠ - وتوفي سنة ١٣٣٤
رحمه الله تعالى

شرح

مجد بن أحمد مكي





الطّبْعَة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار نور المكتبات

السّعوديّة - جدّة - حيّ السّلامة - بجوار جامع الشعيبي

هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

دار البشائر الإسلاميّة

للطّباعة والنّشر والتّوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥

e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

العقيدة الإسلامية

للعلامة محمد المكي بن مصطفى بن عزوز

ولد سنة ١٢٧٠ - وتوفي سنة ١٣٣٤

رحمه الله تعالى

شرح

مجد بن أحمد مكي





الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار نور المكتبات
السعودية - جدة - حي السلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريدي: ٢١٤٩٩

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، وأزكى الصَّلاةِ ، وأتمُّ التسليمِ على المبعوث رحمةً للعالمين ، وحجَّتِهِ على النَّاس أجمعين ، نبيِّنا وإمامنا ، وأسوتنا وحبيبنا، سيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ، ومن سَارَ على دربه ، واهتدى بهديه إلى يومِ الدين ؛ أما بعد :

فهذا كتاب " **العقيدة الإسلامية** " للعلاَّمة الشيخ محمد المكي بن مصطفى بن عزُّوز المتوفى سنة ١٣٣٤ رحمه الله تعالى . الَّذِي ألَّفه ليكون رسالةً مختصرةً لحفظِ عقائد طلبة المكاتب وغيرهم ، كما ذكر ذَلِكَ في عنوان رسالته . وقد طُبِعَت هذه الرسالة في حياة مؤلِّفها في الآستانة سنة ١٣٢٨ أي منذ أكثر من تسعين عاماً .

وتعودُ صِلَتِي بالمؤلِّف إلى زمنٍ بعيد ، عندما كنتُ أقرأ مؤلَّفات العلامة محمد الخضِر حسين[1] رحمه الله تعالى التي عرَّفني بِهَا ، وحثَّني على قراءتها أستاذنا العلاَّمة الكبير الشيخ عبدالرحمن زين العابدين الشافعي الأنطاكي ثم الحلبي ، المولود بأنطاكية سنة ١٣٣٠ ، والمتوفى بحلب سنة

---

(١) أشرف على جمعها وطباعتها والعناية بِهَا ، ابن أخيه الأستاذ الفاضل المحامي علي الرضا بن زين العابدين الحسيني الدمشقي جزاه الله خيراً .

١٤١٠ رحمه الله تعالى . فكنتُ أجد في خاتمة كلِّ كتابٍ قائمة بأسماء مؤلَّفات خال الشيخ محمد الخضر حسين : العلاّمة الشيخ محمد المكي بن عزُّوز، فأُعجبُ بكثرتها ، وتنوُّع موضوعاتها ، وأتمنّى الاطلاعَ عليها .

وتعودُ صِلَتي بهذه الرسالة ، عندما بدأتُ الكتابة في مناهج العقيدة الإسلامية لتدريسها في بعض المعاهد الشرعية ، والحلقاتِ العلمية[1] ، فأخذت أبحث عمَّن كتب من المؤلِّفين في هذا الموضوع ، وَوقفْتُ على عدَّة كتب منهجيَّة دراسيَّة ، ومن أبرز ما اطَّلعتُ عليه هذه الرسالة التي صَغُر حجمُها وكبرت فائدتها ، وقد وقفت عليها مطبوعة في مكتبة الشيخ عبدالقادر الشَّلبي الطرابلسي المدني رحمه الله تعالى ضمن مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة ، فصوَّرتُها وقرأتُها واستحسنتُها ، وَعَزمتُ على خدمتها وشرحها ، وقد وفَّق الله سبحانه وتعالى وأعان ، فله الحمدُ، وله الشُّكر ، وله الثناءُ الحَسَن الجميل .

---

(١) وقد وفقني الله عزَّ وجل لإصدار ثلاثة كتب أولها :" البيان في أركان الإيمان" و" الجمان في أصول الإيمان " ، و شرح " تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول" ، ورابعها هذا الكتاب الَّذِي بين يديك ، وتتلوه أعمال أخرى ، أسأل الله سبحانه بمنّه وكرمه أن يوفّقني لإتمامها .

وهذه الرسالة التي أقدِّم لها طُبعت في إحدى وعشرين صفحة فقط، وَعَرَضَها المؤلِّف بطريقة السؤال والجواب ، وبلغ عدد أسئلتها واحداً وأربعين سؤالاً .

ألَّف ابن عزُّوز هذه الرسالة عندما كان مدرِّساً بدار الفنون في الآستانة ، وأشار في مقدمة رسالته إلى تاريخ تأليفها ، وَمَقْصده منها .

أما تاريخ تأليفها : فهو في أوائل عهد الاتحاديين ، ولذلك قال : " لمَّا منَّ الله تعالى على البلاد العثمانية بالإطلاق من قَيْد الاستبداد ، وتضييق العلوم والمعارف تنفَّسَتْ صدور الأمة ، واتَّحدوا في سبيل الترقي بعلوِّ الهمَّة" . ويبدو جلياً من ثنايا هذه الكلمة الموجَزة التي استهلَّ ابن عزُّوز بِهَا رسالته أنَّه قد أحسنَ الظنَّ بحركة الاتحاديين في بدوِّ أمرها ، وأمَّل فيها خيراً ، ولم يكن ابنُ عزُّوز الوحيد الَّذِي أحسن الظنَّ بتلك الحركة ، فقد شاركه في ذَلِكَ معظمُ رجال الفكر والأدب والسياسة ، غير أنَّ هذه الحركة تكشَّفت عن أَسْوأ كارثةٍ حاقَتْ بالعالم الإسلامي : هدم الخلافة ، وترسيخ الحياة العلمانية [1] .

---

(١) وانظر تتبعاً جيداً لهذا الموضوع في كتاب " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " ٢: ٤٤-٤٥ للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله تعالى .

وأمَّا مَقْصده من هذه الرسالة : فهو حاجةُ طلاب المدارس إلى رسالةٍ تحفظ عقائدهم ، خاصة وأنَّ " الحظ الوافر من الدروس لعلوم الطبيعيات، ولا يستغني عنها الطلبة في باب ما يؤول للصناعات" . كما يقول المؤلف.

وشعر المؤلف في مَطْلَعِ ذَلِكَ العصر بتأثُّر الناشئين بالحضارة الغربية، وانبهارهم بمكتشفاتها العلمية ، فأراد أن يبيِّن تظاهر النقل مع العقل ، وأنَّه لا اختلاف بينهما ولا تباين ، " ولانزاع بين التفنُّن وعلم الدين لمن استكملهما ، وإنَّما يقع الخطأ ممن لم يستكمل علوم الدنيا ولا علوم الدين " ، و " لخفاء تطبيق العقل على النقل " .

فقام المؤلف -رحمه الله تعالى - بتأليف هذه الرسالة الصغيرة ، لحفظ عقيدة الإسلام في نفوس الطلبة ، ملاحظاً في معظمها " سدَّ الثغور المتوقَّع صدور الضرر منها " . وأراد من وراء ذَلِكَ أن يجمع الطلبة بين الفضيلتين : " فضيلة الدراية ، وفضيلة التمسُّك بالإسلام " .

ابتدأ المؤلف رسالته بتقرير بعض أسماء الله وصفاته ، وأنه سبحانه:" جلَّ أن يلحقَهُ تصوُّرٌ ، أو يشخِّصَهُ فكر ، فكلُّ مايخطر ببالك ، فربُّنا مخالفٌ لذلك " .

وأنَّ أفعاله وأحكامه سبحانه كُلّهَا لحكمة ، لم يخلق شيئاً عبثاً .

ثم تكلم عن عالم الملائكة والجنِّ ، ووظيفة الجـنِّ والإنـس ، وبيَّـن معنى الإيمان ، وعدَّ أركانه ، ومعنى الإيمان بـالقدر ، وأثبـت أنَّ للإنسـان اختياراً في أفعاله .

ثم تكلَّم عن وظيفة العقل ، وأنَّه : " تابع للشرع وخادم له ، وأنه مخلوق لا يعرف من صفات خالقه إلاَّ ما عرَّفه خالقه ، فالعقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلهيَّة - أي معظم الصفات الإلهيَّة - نفيـاً أو إثباتـاً إلاَّ بتلقي علمها من إفادات النبوة ، وكذلك الأمور الأخرويَّة ، وما أخـبر به الشرع مما غاب عن العَيان " .

ويؤكِّد علـى أنَّ " التبليغـات النبويَّـة بـالقرآن والحديـث الصحيـح كُلّهَا مطابقةٌ للعقل ، وأنَّ كلَّ حكمٍ خرج عن هذه القاعدة فهـو مظنـونٌ أو موهـوم مـن قائلـه ، بنـاءً علـى قياسـات لـن تطَّـرد ، فـلا يقـين فيــه ، ولايجوز اعتقاده " .

ويعدُّ هذه المسألة : وهي معرفة وظيفـة العقـل في هـذا العلـم هـي إحدى النقطتين اللتـين همـا منبـع السـعادة والشـقاوة ، والنقطـة الثانيـة : اعتقاد قدرة الله وإرادته ، وأنه سبحانه بقدرته تنخـرق نواميـس الطبيعـة ، كما أنَّ جريانها في سبيلها المعتاد هو بفضله وحكمه سـبحانه . ويُصحِّـح الخطأ في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْديلاً** ﴾ بأنَّ المراد

بالسُّنَّة هنا : نصره لأنبيائه ، وليس المراد بالسُّنَّة : القانون الطبيعي في حوادث الكون كما توَهَّمَه بعضهم .

ويدعو المؤلف إلى المحافظة على هاتين النقطتين : معرفة وظيفة العقل ، واعتقاد قدرة الله وإرادته ؛ لأنهما جناحا المسلم اللذان يتخلّص بهما من الفتن .

ثم عَقَدَ فصلاً يتعلّق بالسموات والأرض ، بيَّن فيه أنَّ السمواتِ طباقٌ بعضها فوق بعض ، وأنَّ من نَفَى وجودَ السَّموات المفسَّر بلسان الشَّرع فقد جاهر بتكذيب القرآن . وذكر فيه أيضاً أنَّ السموات والأرض خُلِقَتَا في ستة أيام ، وأنَّ مقدار هذه الأيام كأيام الدنيا المعروفة ، وأنَّ الأرض كرة و مسطَّحَةٌ معاً ، ولا ينافي تسطيحُها كرويَّتَها .

ثمَّ عقد فصلاً يتعلّق بالأنبياء عليهم السلام ، وصفاتهم ، وما الَّذِي يجوز في حقّهم ، وبعض خصائص نبيِّنا محمد ﷺ ، وأنَّ أكبر معجزاته ﷺ القرآن . ثمَّ تكلم عن القرآن الكريم ، وأنَّه كلام الله نفسه، تكفَّل الله بصيانته من التبديل والتغيير ...وانتقل بعد ذَلِكَ إلى الكلام عن الكتب السماوية غير القرآن ، واستطرد بعد ذَلِكَ للحديث عن الشَّرع المحمَّديِّ ، وأنَّه مُصَدِّق للشرائع قبله ، ورافعٌ لحكمها ، فلا شريعة بعد بعثته ﷺ إلاَّ شريعته ، وأنَّ شريعة الإسلام هي أجمع الشرائع وأيْسرها.

وأكّد على أهمية الحديث النّبوي الصحيح ، وأنّه له حكم القـرآن في الطاعة والإيمان ، وأنّه محفوظ عند أهله ، لا يُزاد فيه ولا يُنْقَص .

وانتقل بعد ذَلِكَ للإجابة عن سبب الاختلاف بـين أئمـة المذاهـب مع أنَّ شريعتهم واحدة ؟ فأجاب عن هـذه الشُّبهة ، وبيَّـن أنَّ اختلافهـم لايقدح في الشريعة ولا فيهم ...

وحذّر بعد ذَلِكَ مـن تفسـير القـرآن بمـا يخـالف الثـابت مـن علـم الكتاب والسنة ، بمُقْتضى القواعد التي انتهى إليها تفنُّن أهل العصـر ، وردَّ على زعم داروين ومن تبعه في أنَّ أصل البشـر : النشـوء والارتقـاء ؛ لأنَّ اعتقاد ذَلِكَ مجاهرةٌ بردِّ كلام الله ورسله .

ثمَّ تكلّم عن أصلٍ عام من ضروريـات الإيمـان واليقـين : وهـو أنَّ مشيئة الله وقدرتَه تنقض حكمَ الطبيعة ، ومن ذَلِكَ : آيات الأنبيـاء ، وردَّ على مَنْ زَعَمَ أنَّ تلك المعجزات وقعت بوجهٍ طبيعي غير معروف لا بخرق العادة ، وبيَّن أنَّ مُؤَدَّى هذا القول : نسبة العجز للقـدرة الإلهيـة ، وعـزلُ الخالق عن التصرُّف في مخلوقاته .

ثم ذكـر بعـض مظـاهرِ قـدرة الله سـبحانه ، وأنّـه سـبحانه خـالق الأسباب والمسبَّبات .

ثمَّ عَقَدَ فصلاً في البدع المتعلّقة بالعقيدة ، وأنّه لايجوز أن يوصــف

الله تعالى بما لم يثبت في الشرع ، وأنَّ أسماءه وصفاته توقيفيَّة ، وتحدَّث عن الكرامات ، وأنَّها فَرع المعجزات ، وأنَّ شرط الكرامة أن لاتخرق حكماً شرعياً .

وانتقل في الفصل الأخير لذكر الآخرة وعوالمها ، ابتداءً بالموت بالأجل المحدود ، ونعيم القبر وعذابه ، وسؤال المَلَكَيْن ، والبرزخ ، وبيَّن أنَّ العوالم الأخروية لا تُدرك بالقواعد والقياسات والتنظير بما نراه من المكتشفات .

وأما علامات الساعة فلم يتكلم عنها ، وفوَّض بيانها إلى المعلمين، واكتفى بالإشارة إلى سدِّ ذي القرنين ، لارتباطه بشرط من أشراط السَّاعة كما قال تعالى :﴿ **حتَّى إذا فُتِحَت يَأْجُوجُ ومَأجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلونَ واقْتَرَبَ الوَعدُ الحقُّ** ﴾[الأنبياء :٩٦-٩٧].

فحدَّد مكانه ، وردَّ على مَنْ أنكر وجوده ، بدعوى عدم العثور عليه مع كثرة السِّياحات ؟!!

ثمَّ تابع الحديث عن البعث ، والحشر ، والشفاعة الكبرى المحمَّديَّة، ثم الحساب ، والميزان ، وتطاير الصحف المحتوية على الحسنات والسَّيِّئَات ، والحوض المحمدي ، والصِّراط والأعراف ، والجنَّة والنَّار وأنَّهما مخلوقتان ، والنَّعيم والعذاب محسوسان حقيقة لا مجازاً .

وأعلى نعيم الجنَّة : رؤية العبد ربَّه بالبصر ، ثمَّ بيَّن حكم المؤمن العاصي إذا مات بلا توبة .

وختَمَ كتابَه بالإجابة عن السؤال الأخير في نفع الدعاء ، وأهمية الاستعاذة بالله وأسمائه وصفاته ، والأخذ بأسباب المنافع وتجنُّب أسباب المضار ، وتحقيق التوكل على الله عزَّ وجل ، وبهذا تمَّت هذه الرسالة النافعة الماتعة الموجزة المفيدة .

وهذا الاستعراض السَّريع لموضوعاتها لا يُغني عن قراءتها وإنعام النظر فيها .

وممَّا تتميَّز به هذه الرسالة مع إلمامها بجوانب العقيدة الإسلامية بشمولٍ واختصار ، أنَّها امتازَت بكثرة الاستدلال بآيات القرآن الكريم ، ولاشكَّ أنَّ أفضل المناهج لدراسة العقيدة إنَّما هو منهج القرآن الكريم ، وبيانه : السنَّة النبويَّة المطهَّرة .

يقول العلامة الشيخ حسين والي [1] رحمه الله تعالى في كتاب "التوحيد " ص٧٧ :" في القرآن غنىً للعاقل ، فإن شاء احتجَّ به عقلياً ؛

---

(١) الأستاذ بالأزهر الشريف ومدرسة القضاء الشرعي ، وعضو مجمع اللغة العربية ، وعضو هيئة كبار العلماء ، ورئيس لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ، توفي لست خلون من ذي الحجة سنة ١٣٥٤=١٩٣٦رحمه الله تعالى .

لأنَّهُ موافقٌ للعقل ، وإن شاء احتجَّ به شرعياً ، وإن شاء احتجَّ به عقلياً وشرعياً معاً .

جاء اليهود إلى النبيِّ ﷺ فقالوا : انْسُبْ لنا ربَّك ، فَقَرأَ عليهم سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾[1] ولم يقم دليلاً عقلياً غير شرعي .

دراسة القرآن أَوْلَى من دراسة كتب الكلام الآن ، إنَّ في القرآن دلائل عقليَّةٍ مؤثِّرة تأثيراً كبيراً في النفوس . ولا كذلك الدلائل العقلية التي يذكرونها في كتب الكلام .

علم الكلام حادثٌ في الملَّة الإسلامية ، ومشى فيه النَّاسُ صَدْراً بعد صَدْرٍ ، وكلٌّ منهم يقدِّر صحة العقائد ، ويستنهضُ الحجج والأدلة ، وما فعلوا ذَلِكَ إلاَّ لوجود خصومٍ من المبتدعة وغيرهم ، فكانوا معذورين فيما كتبوا.

أمَّا الآن فقد ذهبت تلك الخصوم ، وجاءت خصوم آخرون ، فلا يليق فرضُ الذاهبِ حاضراً ، وتركُ الحاضر الَّذِي لايردُّه إلاَّ كتابُ الله إذا بيَّنه الرادُّ على وجهه ، وكان له عقل .

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥:١٣٣-١٣٤ ، والترمذي في " جامعه " (٣٣٦٤) ، والحاكم في " المستدرك " ٢:٥٤٠ من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه .

أَمِنَ العقل و الحزم أن يتوجَّه الإنسان إلى مباراة خَصْم موهوم ، وترك الخصم الموجود الَّذِي ضيَّق عليه المسالك ، وأوشك أن يُميته موتاً ؟ إنَّ هذا لهو البلاء المبين .

أَمِن الحزم الردُّ على فرقة من فرق المسلمين ليس لها اسم إِلاَّ في الكتب ، وترك الرد على طاعن في الدين الآن ؟!!

أَمِن الحزم أن يضيِّع الإنسان عمره في الانشغال بخصوم موهومة ، ربما كانوا ناجين ؛ لأنهم غير كافرين ؟! .

مضى زمن الفتح بالسَّيف (كذا!!)، وأتى زمن الفتح بالعلم ، ولا علم إِلاَّ علم الكتاب والسنَّة ، فإنَّ دلائله أقوى الدلائل وأوثقها . والخاضع لها أصحُّ إيماناً من الخاضع للسَّيف، فيجب الاشتغال بالكتاب والسنَّة ،فإنَّ فيهما الهداية إلى العلوم النافعة ،وفي مقدمتها العقائد الإيمانية".

وَمِمَّا امتازت به هذه العقيدة أيضاً : إضافة إلى ما حَفَلَت به من الاستدلال بالآيات القرآنية : جزالة لفظها ، وروعة أسلوبها ، ولا غرابة في ذَلِكَ فكاتبها شاعرٌ وأديب ، ومن روائع تلك الألفاظ ، قوله :" ونتائج الأفكار لا تقاوم وحي الجبار " ، وقوله في حفظ القرآن من التبديل والتغيير : " فمن سَعَى في تحريفه لفظاً أو معنىً يفتضح ، وعجزُه يتَّضح ".

وقوله في الكرامات بأنَّها :" فَرع المعجزات ، نالوها باتِّباع

الأنبياء، وسرِّ الاقتداء ..وشرط الكرامة : ألا تخرق حكماً شرعياً " وهو في هذا الكلام الموجز البليغ ذكر قيداً علمياً مهماً ، أغفلته كثير من كتب العقائد عند الكلام عن الكرامات ، وهو أن لا تخرق الكرامة حكماً شرعياً .

ومع هذه المزايا الكثيرة التي دعتني إلى شرح هذه العقيدة ، فهناك بعض الملاحظات اليسيرة ، التي لا يخلو منها عملٌ بشريٌّ ، فمن ذَلِكَ : عدم الترابط في بعض مباحث الرسالة ، وتفرُّقها في عدة مواضع ، فهو بعدما بَدَأ حديثه عن أسماء الله عزَّ وجل وصفاته في أوَّل الرسالة عاد للكلام عن هذا الجانب في آخر الرسالة في السؤال ٢٨و٢٩ : بدعة العقيدة في هذا العلم ، وأنَّ صفاتِهِ وأسماءَه تعالى توقيفيَّة ، وموقعها يتعلَّق بأسماء الله وصفاته في أوَّل رسالته . وتكلَّم بعدها في السؤال ٣١ عن كرامات الأولياء ، ومكانها الألْيَق بعد المعجزات .

وَمِمَّا يلاحظ أيضاً على هذه الرسالة النافعة ذكره بعض المسائل التي لاصلة لها بالعقيدة ، كالقول بكرويَّة الأرض ، وإن كانت الدلائل تؤيِّد قوله ، ولكن هذه المسألة لا تتصل بالعقيدة .

وكذلك ذكره سبب الاختلاف بين أئمة المذاهب ، وخصائص الشَّريعة ومزاياها ، وتوسُّعه في ذكر معجزات الأنبياء ، وعدُّه من ذَلِكَ :

قصَّة أصحاب الكهف ، وخلق آدم بلا أبوين ..فهي لا تدخل في تعريف المعجزة ، وقد نبَّهت في تعليقاتي إلى أن تسميتها بالآيات أَوْلَى.

وكذلك استطراده إلى تحديد موقع سدِّ ذي القرنين في جهة القُطْب الشمالي . نعم الإيمان بوجود السدِّ كما قال المؤلف : " ثابت ، وإنكاره ردٌّ للقرآن" ، أما تحديد جهته فهو أمرٌ اجتهادي لا يتّصل بالعقيدة .

على أنَّ هذه الملاحظات والاستطرادات كانت سبباً في إغناء مباحث هذه الرسالة والتوسُّع في التعليق عليها ، وزيادة النفع بِهَا ، فجزى الله مؤلِّفها خير الجزاء .

وبعد : فهذه الرسالة – أيُّها القارئ المستفيد– بين يديك أقدِّمها إليك ، مضبوطةً مُصَحَّحةً مشروحةً ، وقد اسْتَضَفْتُ في هذه الرسالة طائفة من كبار أعلام الإسلام من المفسِّرين والمحدِّثين و اللغويين ، واعتمدتُ على كتب أئمة الإسلام الثقات ، وسينتقل القارئ أمام هذه المأدبة بين أطايب الكلام ، وروائع الفكر ، وبدائع الفوائد ، وقلائد الفرائد .

وقد أسهبتُ في بعض التعليقات حتى أصبحت مباحث مستقلة ، وغدا الشَّرحُ كتاباً جديداً ، وأبقَيْت هذه التعليقات موصولةً بتلك

الرسالة، إحياءً لذكر مؤلِّفها ، وإتماماً لِما بدأه وشيَّده ، فخيرٌ للأحفاد أن يُكملوا عمل الأجداد ، وأن يحافظوا على ما خلَّفوا من تراث علميٍ ، ويوثِّقوا صلةَ الأجيال اللاحقة به .

وقد حرصت في تلك التعليقات على إعانة المدرِّس في أداء مهمته التعليمية ، بتزويده بالمعلومات الوفيرة التي يجدها في متناول يديه ، وفيها تدريبٌ لطلاب العلم للتعرُّف على كثير من المباحث والمصادر وتوثيق صلتهم بِهَا .

وقد بذلتُ في هذا الشَّرح وسعي ، ووضعت فيه عصارة بحثي، وما كتبتُ هذا الشَّرح إلاَّ لطلاب العلم المستفيدين المخلصين ، ولم أكتبه لأنالَ مرتبةً علميَّةً ، أو ترقيةً دنيوية ، وإنَّما قَصدت الخيرَ والنَّفعَ والنُّصحَ.

وحسبي أن أكونَ قد أحْيَيْتُ أثراً علمياً مَنْسيّاً ، وأخرجت شرحاً جديداً ، وقدَّمت علماً نافعاً مفيداً ، أسأل الله سبحانه أن يكتبه لي في صحائف حسناتي ، وأن يتقبلَّه مني بالقَبول الحَسن ، وأن ينفع بما كتبت ويدَّخِّره لي ليوم الدين ﴿ **يومَ لاينفعُ مَالٌ ولا بَنونَ إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بقَلْبٍ سَليمٍ** ﴾ . وصلى الله وسلَّم على سيِّد المرسلين وآله وصحبه أجمعين .

جُدَّة - الخميس / غُرَّة ربيع الآخر ١٤٢٠هـ

وكتبه

محمد مكي

العلاَّمة محمد المكّي بن عَزُّوز[1]

هوالعلاَّمَة المحدِّث المفسِّر ، المُقْرِئ ، الفقيه ، الفرَضي ، الفلكي ، القاضي المفتي ، الأديب الشاعر ، الرحَّالة المسنِد ، السيد محمد المكي بن

(١) مصادر ترجمته: في مقدمة رسالته "السيف الرباني" المطبوعة بالمطبعة الرسمية بتونس عام ١٣١٠هـ ، وفي مقدمة رسالته "عقيدة الإسلام" المطبوعة في تونس عام ١٣٦٦=١٩٤٧ ، كتبَها تلميذه الأستاذ مُحْسِن زكريا ، و"شجرة النور الزكية في طبقاتِ المالكية" لابن مخلوف ص٤٢٣ ، و "عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب " للشيخ محمد النيفر ، وتذييل واستدراك ابن المؤلف الشيخ علي النيفر ٢: ١١٢٧-١١٣٥ ، و"تراجم الأعلام" للفاضل بن عاشور ١٨٧-١٩٣ ، و "تراجم المؤلفين التونسيين" ، للأستاذ محمد محفوظ ٣: ٢٨٢-٣٩٠ ، و "فهرس الفهارس" ٢: ٨٥٦ للشيخ محمد عبدالحي الكتاني ، و "الأعلام" للزركلي ١٠٩:٧ ، "ومعجم المؤلفين" ٤٩:١٢-٥٠ . وقد جَمَعَ بعض هذه التراجم الأستاذ علي الرضا الحسيني التونسي في مقدمة "رسائل ابن عَزُّوز" ، و في كتاب "محمد المكي ابن عَزُّوز حياته وآثاره" ، وللأستاذ الفاضل المحامي السيد علي الرضا ابن زين العابدين الحسيني التونسِي الدمشقي جهدٌ مشكورٌ في جمعِ آثارِ أسرته العلمية والعنايةِ بنشرها جزاه الله خيراً، والمكّيُّ ابن عَزُّوز خال والده العلاَّمة السيد زين العابدين التونسِي المتوفَّى بدمشق سنة ١٣٩٧ رحمهم الله تعالى.

مصطفى بن محمد بن عزُّوز [1] البُرْجِي النفطي الحَسَني الإدْريسي المالكي التونسي.

ولادته:

ولد في ١٥ رمضان ١٢٧٠ في مدينة (نفطة) بأرض الجريد في الجنوب التونسي.

نشأتُهُ وطلبه للعلم:

نشأ ابن عزُّوز في بيئةٍ صالحةٍ عِلمِيَّةٍ ، وتولّى والده العالم الصالح التَّقِيُّ تربيتَهُ وتوجيهَهُ ، وتعلَّمَ فِي زاويةِ والده الشهيرة الَّتِي تُعرف حَتَّى اليوم باسم (زاوية سيدي مصطفى) ، وحفظ القرآن في تلك الزاوية وهو في سِنِّ الحاديةَ عشرة من عمره ، واعتنى بحفظِ المتون ، واجتهد في مزاولةِ مبادئِ العلوم .

شيوخه وقراءاته في نفطة:

كانت توزر ونفطة في عهده آهلتَيْن بالعلم ، زاخرتَيْن بالأدب ، ناشطتَيْن في حركة التأليف والتدريس حتى اشتهرتا باسم الكوفة والبصرة.

---

(١) عزُّوز : صيغة تمليح وتدليل لِكُلِّ اسم من مادة (عزَّ) نحو : عز ، وعزيز ، وعزت ، وعبدالعزيز ، وغيرهم . كما في " معجم أسماء العرب " ٢:١١٦١.

قرأ على الشيخ قاسم الخيراني "شرح الشيخ خالد الأزهري على الآجُرُّوميَّة" ، و "شرح ميَّارة على ابنِ عاشر" في الفقه ، وقرأ "الرَّحْبِيَّة" و"الدرَّة البيضاء" في علم الفرائض ، و "مبادئ علم الفلك" على ابن عمِّه الشيخ محمد بن عبدالرحمن التارزي ، وقرأ "ألفيَّةَ ابن مالك" بشروحها ، و "مختصر خليل" بشروحه على الشيخ النُّوري بن أبي القاسم الزيدي النفطي ، وقرأ "الترمذِيَّ" على عمِّه الشيخ محمد المدني بن عزُّوز.

شيوخه في جامع الزيتونة:

انتقل من نفطة إلى مدينة تونس ، وهو في الثانيةِ والعشرين من عمره، سنة ١٢٩٢ للتلقي على كبار الشيوخ من علماء جامع الزيتونة ، فَأَخَذَ القراءات السبع على الشيخ محمد البشير التواتي (ت ١٣١١) ، وقرأ على العلامة عمر بن الشيخ [١] (ت١٣٢٩) : "المحلِّي على جمع الجوامع"

---

(١) ومن شعر الشيخ مكي بن عزُّوز في أستاذه عمر بن الشيخ حين ختم كتاب "المواقف" :

إذا عُمَرُ بنُ الشيخ وافى درسه ... تعال التقطْ درًّا بملء جفان

وقال فيه لما تولى الفتوى :

بكَ جامعُ الزيتونة السَّامي غدا ... في العدِّ لايرضى بغير الخنصر =

في الأصول ، و "الموطأ" ، و "مختصر السَّعد" وغيرها ، وقرأ "مقامات الحريري" على الشيخ محمد النجار (ت ١٣٣١) .

ومن أساتذته في جامع الزيتونة: الشيخ مصطفى بن علي رضوان (ت١٣٢٢) ، والشيخ محمد الشاذلي بن صالح(١٢٢٥-١٣٠٨) ، والشيخ أحمد بن الخوجة(١٢٤٥-١٣١٣) ، والشيخ سالم بو حاجب(١٢٤٤-١٣٤٢) أخذ عنهم مختلف العلوم والفنون.

وشيوخ المترجَم ومجيزوه يقربُ عددهم من الثمانين ، وهذه الكثرة نادرةٌ في المتأخّرين[1].

تولّيه الفتوى والقضاء:

وَمِمَّا يدلُّ على تفوُّقه العلمي ونبوغه المبكر ، تولّيهِ المناصبَ العلمية الرفيعة ، وهو في مقتبل الشباب.

فقد أُسند إليه منصب الفتوى في مدينة نفطة سنة ١٢٩٧ ، وهو في السابعة والعشرين من عمره ، وتولى القضاء بمدينة نفطة سنة ١٣٠٥هـ.

= يريد أن أصبع الخنصر أول الأصابع في العدِّ والحساب ، نقلاً من كتاب "دراسات في الشريعة " لمحمد الخضر حسين ، مقال " الأدباء العلماء " ص١٦٧-١٦٨.

(١) فهرس الفهارس ٢: ٨٥٩-٨٦٠ .

رحلته إلى الجزائر:

قَصَدَ بلاد الجزائر في سنة ١٣٠٧ ، واتَّصَلَ بالشيخ محمد بن أبي القاسم الشريف الحسني صاحب زاوية "بوسعادة" من سلسلة جبال الزاب، المعروفة بزاوية الهامل ، وألَّفَ كتاباً في ترجمته سمَّاه: "بروق المباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم".

كما اتَّصَلَ بالإمام المعمَّر المحدِّث الشيخ علي ابن الخفَّاف مفتي المالكية في مدينة الجزائر.

ثُمَّ رَحَلَ لمصر والحجاز والشام ، واجتمع بكثيرٍ من الأعْلام ، واستجاز وأجاز ، وأفاد واستفاد.

انتقاله إلى تونس:

انتقلت عائلة الشيخ محمد المكي بن عزُّوز من نفطة إلى مدينة تونس العاصمة سنة ١٣٠٩ ، وسكن فيها ، وانصرف إلى التدريس ، وَأَقْرَأَ بجامع الزيتونة "شرح الدردير على خليل" ، و "صحيح البخاري" و "الجامع الصغير" ، فكان في دروسه مَنْهَلاً عذْباً مورو داً ، امتازَت دُرُوسُهُ بغَزَارةِ المادة ، وفَصَاحَةِ القول ، وعلوِّ الأسلوب ، وكثرةِ الإقبال ، فكان المتردِّدون على دروسه من عامَّةِ المستفيدين غير الطلبة لا يقلُّون أحياناً عن

عدد الطلبة الكثير المتزايد ، ومن أشهر تلامذته: ابن أخته[1] العلامة محمد الخَضِر الحسين شيخ الأزهر[2] المتوفى سنة ١٣٧٧، والزعيم السياسي

---

(١) السيدة حليمة السعديَّة بنت مصطفى عَزُّوز ولدت بتونس سنة ١٢٧٠ وتوفيت بدمشق سنة ١٣٣٥ ، من الشهيرات المشهود لها بالصلاح والتقوى والعلم ، وقد أَخَذَ عنها أولادُها مبادئ العلوم الشرعية واللغوية.
قال ابنها محمد الخضر في رثائها في ديوانه " خواطر الحياة " ص٢٢٤ :

بنت عـزُّوز لقد لقَّنتنا خشية الله وأن نرعى الذِّماما
ودَرَيْنا منك أن لا نشتري بمعالينا من الدنيا حطاما
ودرَيْنا منك أنَّ الله لا يخذُل العبدَ إذا العبدُ استقاما
ودرَيْنا كيف لا نعنو لمن حارب الحقَّ وإن سلَّ الحُسَاما

(٢) قال العلامة محمد الخضر الحسين في مجلة "السعادة العظمى" عن خاله ابن عَزُّوز ص٢٠٧: "أستاذي الَّذِي شبت في طوقِ تعليمه فكرَتي ، وتغذَّيتُ بلبان معارفه من أَوَّلِ نشأتي ، العلامة الهمام القدوة خالي الشيخ سيدي محمد المكي بن عَزُّوز"
وقال في "خلاصة الرحلة الشرقية" المنشورة ضمن كتابه "الرحلات"ص٩٤: "كان خالي العلامة القدوة الأستاذ الشيخ سيدي محمد المكي بن عَزُّوز قد كتبَ لي كتاباً من الآسِتانة بثَّ في مَطْوِيِّهِ الشوق إلى اللقاء ، وقد مضى لنا في مدة فراق فضيلته خمس عَشْرة سنة ، فانتفض الفؤاد اشتياقاً إلى زيارته المؤكدة بواجب القُرْبَى ، وحق الدروس الَّتِي كَانَ قد ملأ أسماعَنا =

الكاتب الخطيب المؤرِّخ الشيخ عبدالعزيز الثعالِبي المتوفَّى سنة ١٣٦٣ رحمهما الله تعالى[1] .

مناهضته للاحتلال الفرنسي:

وكان يبعث في نفوس تلاميذه الذين يتلقون دروسَهُ روحَ التضحية ومقاومة المحتل ، كما كان تحت المراقبة المستمرة من قبل الدولة الفرنسية المحتلة ، وشملت مراقبتها له : الجزائر وتونس ومصر وتركيا وَأَوْلَت اهتماماً كبيراً لاتصالاته الدينية . كما تشير إلى ذَلِكَ تقارير أجهزة الأمن الفرنسي.

= بجواهِرِها الثمينة.. وعند أول اجتماعنا بالسيد حسن ظافر بالآستانة قال له حضرة الأستاذ على وجه التواضع والتنازل: هذا ابن أختي قرأ عليَّ ، ولكنه صار الآن أرقى رتبة ، فقال له السيد حسن: نحن لا يمكننا أن نعتقد أن يبلغ شَأْوَكَ أحدٌ ، فضلاً أن يفوقك" انتهى من كتاب "الرحلات" ص٩٤ و١٠٩.

(١) قال الأستاذ محمد الصادق بسيس في تعليقه على كتاب "النازلة التونسية" للشيخ محمد بن عثمان السنوسي عن العلامة ابن عَزُّوز: "أنَّ الشيخ عبدالعزيز الثعالبي يعدُّه من شيوخه بالزيتونة الَّذِينَ تَأَثَّرَ بفكرتهم الحرَّة ، ونزعتهم الإصلاحية ، وغيرتهم الوطنية".من كتاب " محمد المكي بن عزُّوز: حياته وآثاره " ص١٥٦.

ومن أعماله وجهوده في ميدان العمل الإسلامي تأسيسه لجمعية سماها : (**جمعية الشرفاء**)كان لها فروع في تونس والجزائر وغيرها [١] .

وأثناء زيارته للجزائر دعا إلى مقاطعةِ فرنسا اقتصادياً ، فطاردته سلطاتُ الاحتلال في كلٍّ من الجزائر وتونس ، فرحل إلى اسطنبول.

هجرته إلى دارِ الخلافة:

رَحَلَ العلامة ابن عزُّوز إلى اسطنبول سنة ١٣١٦ ، وكان مَحَلَّ تعظيمٍ وإِجْلالٍ من السلطان عبدالحميد ، واعتَنَى بدراسة اللغة التركية حَتَّى أتقنها وَبَرَعَ فيها ، وعُيِّنَ مدرِّساً للحديث الشريف في الكُلِّيَّة الإسلامية الكبرى (دار الخير) الَّتِي عُرِفَتْ فيما بعد بـ "دار الفنون" ، وإثرَ وفاةِ الشيخ إسماعيل حقّي[٢] (ت١٣٣١) أستاذ التفسير في الكلية ، أُسنِدَ هذا المنصب إلى الشيخ محمد المكي بالإضافة إلى تدريسِهِ علم الحديث.

---

(١) "محمد المكي بن عزّوز" ، للأستاذ علي الرضا الحسيني التونسي ص١٩ ، وذكر بعض تلك الوثائق التي اطّلع عليها من الملفِّ الخاص في (مركز الوثائق القومية) بتونس .

(٢) حفيد صاحب التفسير "روح البيان" العلامة المفسِّر الأصولي الواعظ الشيخ إسماعيل حقي المتوفّى سنة ١١٣٧ رحمه الله تعالى .

وعندما أنشأت الحكومة العثمانية كُلِّيةً أخرى بِاسْمِ "مدرسة الواعِظين" عُيِّنَ فيها مدرِّساً ، وكان يلقي دروسه في المدرستين باللغتين العربيةِ والتركية.

مكتبته الخاصة:

كَانَ يَمْلِكُ مكتبةً من أنْدَرِ وأعزِّ ما عُرِفَ من الخزائنِ الخاصَّة في العالم الإسلامي ، وقد ضَمَّت النفائس الَّتِي آلَتْ إليه من كتبِ جدِّهِ ووالده ، ثُمَّ اقتنى هو من الفرائد الَّتِي كانت تصل إلى يده بالجزائر أو بالجنوب التونسي ، ولما استَقَرَّ بدارِ الخلافة نقل معه خزانة كتبه كلها مُتَكَلِّفاً في ذَلِكَ المشاق ، وهناك تمكَّنَ من توسيعِ مكتبتهِ الخاصَّة حَتَّى بلغَتْ مبلغاً من الشُّهْرَة.

أهمُّ مؤلفاته وآثاره المطبوعة والمخطوطة :

تَرَكَ الشيخ مكي بن عزوز كثيراً من الكتب والرسائل في مختلف الفنون ، كالتوحيد والحديث والتفسير والفقه والأصول والتجويد والقراءات والأَدَبِ والتاريخ ، شاهدةً على سَعَةِ عِلْمِهِ ، وسُمُوِّ مداركه[1] ، ومن تلك المؤلفات:

---

(١) قال العلامة محمد الخضر حسين في كتاب: "الرحلات" ص١١٣: "ولفضيلة الأستاذ الشيخ سيدي محمد المكي بن عزُّوز تآليف في مواضيع=

١- الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية - نظم[1] .

٢- الاحتواء في جواب من سأل عن الاستواء[2] .

٣- اختصار الشِّفا ، للقاضي عِياض - لم يتم -.

٤- إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان - في القراءات.

= متعددة أطْلعَني على بعضها ، ومن أنفسِها رسالة في العمل بالحديث ، وأنه حجةٌ في تقْرير الأحكام" انتهى.

وقال الأستاذ محمد محفوظ في " تراجم المؤلفين التونسيين " ٣:٣٨٤ : "وهو من أكثر المؤلفين التونسيين تأليفاً في القديم والحديث ، ولا يقاربه في كثرة الإنتاج من المعاصرين إلاّ الشيخ محمد المرزوقي ، وتآليفه استقصاها البغدادي في " ايضاح المكنون " وعليه المعوَّل في حصرها " انتهى . وذكر له الأستاذ محمد محفوظ ٨٦ مؤلفاً .

(١) طُبعت في القاهرة سنة ١٣٢٢هـ ، وعندي نسخةٌ منها ، وهي أجوبةٌ عن الأسئلةِ التي رفعها إليه العلاّمة الشيخ عبدالحفيظ بن عثمان القاري من الطائف ، وقد اطّلعتُ على مكتبته النادِرة النفيسة التي أوقفت على مسجد عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بالطائف ، ثُمَّ نشرت هذه الأجوبة ضمن (رسائل ابن عَزُّوز) الّتِي جمعها الأستاذ علي رضا الحسيني ، وصَدَرَتْ الطبعةُ الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) وهي رسالة أجابَ بها الشيخ إسماعيل الصَّفَايْحي قاضي حاضرة تونس (ت١٣٣٦)، حينما استَشْكَل مسألة الاستواء في العقيدة الإسلامية.

٥- إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان.

٦- أصول الحديث[1] .

٧- إقناع العاتب في آفات المكاتب.

٨- إنارةُ الحَوالِك في أنَّ الرفع في الصلاةِ مذهبُ الإمامِ مالك.

٩- الإنصاف في تحريم الصور ، ولو مأخوذة بالفوتوغراف.

١٠- بروق المباسم في ترجمة الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم.

١١- تذكِرةُ المنصِفين في أَنَّ المكتشَفات الجديدة لا تكذِّبُ الدين.

١٢- التفريح بحل الإشكال في صلاةِ التراويح.

١٣- التقرار المهذَّب في حلِّ تراجم الجوهر المرتَّب[2] .

١٤- تلخيص الأسانيد - وهو الثبت المختصر.

١٥- التنزيه عن التعطيل والتشبيه.

١٦- تنظيف الوعا من سوء الفهم في آيةِ :﴿**وأنْ لَيْسَ للإنْسَانِ إلاَّ ما سَعَى**﴾.

١٧- تهذيب التفاسير القرآنية.

١٨- حزمُ اليقظان في أَنَّ الصلاح والفساد يسْرِيان من الخِلاَّن.

---

(١) طبعت في استانبول سنة ١٣٣٢، ونُشرت ضمن (رسائل ابن عَزُّوز).

(٢) طبع في المطبعة التونسية الرسمية سنة ١٣٠٢، وهو ضمن (رسائل ابن عَزُّوز).

١٩- الحقُّ الصريح في المناسك على القول الصحيح ، في مناسك الحج.

٢٠- حقيقةُ الأمر في تحريم البيرة والتداوي بِمَا فيه الخمر.

٢١- الدراية فيما ليس برأس آية[١] .

٢٢- ديوان ابن عزُّوز (شعاع الأدب) وهو حافلٌ من الشعر الرقيق ، جَمَعَ فيه الغالب من فنون الشعر.

٢٣- الذخيرة المكية في الخزانة المدنية - في الهيئة[٢] .

٢٤- رائد النجعة فيمن تعجب من قولنا السَّدْل بدعة.

٢٥- الرحلة الجزائرية الهاملية.

٢٦- رَدُّ الذاهب فيما يقلَّد وَمَا لا يقلَّد من مسائل المذاهب.

٢٧- رَفْعُ النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الاتِّباع.

٢٨- الرياض البواسم في رواية حفصٍ عن عاصم - في القراءات.

٢٩- الزُّلَف في ترجيح تفويض السلف على تأويل الخَلَف.

٣٠- السَّلوى والمن في مواضع حسن الظن وسوء الظن.

---

(١) طبعت في مطبعة الدولة التونسية سنة ١٢٩٥هـ ، ثُمَّ طبعت ضمن (رسائل ابن عزُّوز) ، وهو نظم من البحر الطويل يحتوي على اثنين وأربعين بيتاً .

(٢) نقلت عن مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس ، ونشرت في كتاب (رسائل ابن عَزُّوز).

٣١- السيف الربَّاني في عُنُقِ المعترض على ....الجيلاني[١] .

٣٢- شرح حديث كُمَيْل بن زياد في الردِّ على الطبيعيين.

٣٣- الصَّفْح السعيد في اختصار الأسانيد ، وهو منظوم.

٣٤- طبقات المحدثين ، وهو نظم أيضاً .

٣٥- طريق السلامة في هيئاتِ الناس يوم القيامة.

٣٦- طريق الجنة في تحليةِ المؤمنات بالفقة والسنة[٢] .

٣٧- طي المسافة إلى دار الأمن من المخافة .

٣٨- عقيدةُ الإسلام -وهو هذا الكتاب الَّذِي بين يديك-.

٣٩- عُمْدةُ الأثْبات في الاتصال بالفَهَارس والأثْبات[٣] ، وقد ذَكَرَ فيه أَنَّ الَّذِينَ أجازوا له عَامَّةً ينوفُ عددُهم عن الثمانين شيخاً ،

---

(١) طبع في المطبعة الرسمية في تونس سنة ١٣١٠ ، ثُمَّ أعاد طباعته الأستاذ علي الرضا الحسيني في كتاب "رسائل ابن عَزُّوز" ص ١٣٧-٣٤٠.

(٢) كتاب تعرَّض فيه لِما يختصُّ بالنساء في أحكام العبادات.

(٣) قال السيد محمد عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس" ٢: ٨٦٠ : هي أَفْيَد وأوسع ما كُتب في هذه الصناعة ، أَلَّفَها باسمِنا عام ١٣٣٠ بالآستانة ، ولعلها آخر ما أُلِّف.وقال أيضاً ٢: ٨٧٩ :"وبوقوفك على "العُمْدة" المذكورة تعلم وتتحقّق أَنَّ الأستاذ ابن عَزُّوز كَانَ قد فذَّ عصرَهُ في سَعَةِ الرواية والاعتناء ، وعلوِّ الاهتمام والهمَّة ، وَأَنَّ الصِّقْع التونُسي ما أَنْجب مثله في هذا الباب منذ أحقاب ، ولكنه مِمَّن ضَيَّعه قومُه ، و للهِ الأمرُ من قبلُ ومن بعد".

منهم نحو اثني عشر بالمراسَلة ، والباقي شفاهاً ، وذَكَرَ أسانيد الأثبات بعد ترتيبهم على حروف المعجم ، وعددهم نحو ١٤٨ ثَبتاً.

٤٠- عمدةُ الشيوخ في الناسخ والمنسوخ -لم يتم -

٤١- الفائدةُ في تفسير سورةِ المائدة -لم يتم -

٤٢- فتحُ الخَلاّق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق.

٤٣- فتحُ السَّلام في نجاةِ مَنْ لم تبلغهم دعوةُ الإسلام.

٤٤- فتحُ القيُّوم في وجوب الفاتحة على المأموم.

٤٥- القولُ القيِّم في حال ابن تيمية وابن القيم.

٤٦- كشفُ الباس في كلماتٍ يقولها كثيرٌ من الناس.

٤٧- مجموع الأسانيد - وهو الثَّبَتُ الكبير.

٤٨- مروي الظِّماء في قوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾

٤٩- مزيل الإشكال في آية : ﴿ **وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ** ﴾ في سورة الأنفال .

٥٠- المسألة المهمَّةُ في سَبَبِ اختلاف الأئمة.

٥١- المِسْكُ الأَزْفر في بيان الحج الأكبر.

٥٢- مغانِمُ السَّعادة في فَضْل الإفادة على العبادة.

٥٣- المقالاتُ العزُّوزية في الأدب.

٥٤- المنبِّهات لحكم ذبائح القبور والمزارات.

٥٥- مورد المحِبين في أسماء سيد المرسلين ﷺ [(١)].

٥٦- النَّجْدة في زَجْر من تهاونَ بأحكام العِدَّة .

٥٧- النصيحة في الصلاة المفروضة الصَّحيحة.

٥٨- نظم جمع الجوامع.

٥٩- النَّفْح المِسْكي في قراءة ابن كثيرٍ المكي.

٦٠- النَّسْمة الحجازية في المذاكرة البنغازية[(٢)].

٦١- الهلال في بيان حركة الإقبال[(٣)] .

---

(١) طبع ضمن كتاب "محمدالمكي بن عَزُّوز - حياته وآثاره" ، ص٩٥-١٠٠ للأستاذ علي الرضا الحسيني.

(٢) توجد منه نسخة في ١٥ ورقة ، اطلعت عليها بمكتبة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، وعندي صورة منها ، وهي أجوبة عن أسئلة في العقيدة من الديار البنغازية، وصاحب الأسئلة هو الفاضل الشيخ بدر الدين البنغازي وتشتمل على أربع مسائل: الأولى تتعلق بالقضاء والقدر ، والثانية : بالكسب ، والثالثة : بالإرادة، والرابعة : بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، وجاء في آخر النسخة : تمَّ تحريره غرَّة شهر المولد النبوي سنة ١٣٠٤ أربع وثلاثمائة وألف على يد مؤلفه الحقير ، أخذ الله بيده، وختم له بخير وللمسلمين أجمعين ، والإذن التام لمن وجد فيه من المحققين بعد إمعان النظر خللاً أن يصلحه إعانة على الحق ، والثواب على الله بفضله ، والحمد لله رب العالمين .

(٣) توجد منه نسخة بخط المؤلف في خمس ورقات في مكتبة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، انتهى من كتابتها في أواخر قعدة الحرام سنة ١٣٠١ بتونس .

٦٢- هيئةُ الناسك في أَنَّ القبضَ في الصلاةِ هو مذهبُ الإمام مالك[1].

وكذلك كانت له عِدَّةُ مقالاتٍ في عدد من الجرائد والمجلات كالحاضرة، والزهرة، وثمرات الفنون، والمقطَّم، والأهرام، والمؤيَّد، والهلال، وغيرها .. لو جُمِعَتْ لكانت سِفْراً جامِعاً للأدب والأخلاق والتاريخ.

---

(١) طبعت بمطبعة روشن باسطنبول عام ١٣٢٧هـ، وطبعت للمرةِ الثانية ضمن كتاب: "مرشد الحائض في صلاةِ العادل والقابض" بمصر عام ١٣٨٢هـ، وضمن مجموع "رسائل ابن عَزُّوز" بدمشق عام ١٤٠٤هـ، وقد ردَّ على هذه الرسالة الشيخ محمد بن يوسف الكافي (١٢٧٨-١٣٨٠) رحمه الله تعالى في رسالته "نُصْرة السالك على من أنكر مشهورية السَّدْل في مذهب مالك". ثُمَّ طبعت رسالة ابن عزُّوز: "هيئة الناسك" محقَّقة، وصدرت عن دار طَيْبةَ في الرياض سنة ١٤١٧هـ، وترجم المحقِّق لمؤلفها ترجمةً مختصرةً جداً، واقْتصر على ذِكرِ ستّة من مؤلفاته، وأفرد فصلاً في الكلام على عقيدته ص٢٠، واكتفى بنسبته إلى التصوف، دون أن يكلِّفَ نفسه الرجوعَ إلى مؤلفاته في العقيدة -وبِخاصةٍ هذه الرسالة التي قمتُ بخدمتها- والتي تشهد باعتداله وإنصافه واتِّباعه لمنهج السلف الصالح، فنسأل الله سبحانه القصْدَ والإنْصاف، والتثبُّتَ ومُجانبةَ الاعتساف. وانظر ما يأتي في بيان منهجه العلمي ص٣٥-٤٤.

وكانت بينه وبين السيد محمد عبدالحي الكتاني مراسلات ، قال الكتاني في "فهرس الفهارس"[1]: "وطالت مكاتبتي ومراسلتي معه واتِّصالي بهِ إلى أن مات ، بحيث لو جُمعت المكاتبات الَّتِي جَرَتْ بيني وبينه لخرجَتْ في مجلدةٍ متوسطةٍ ، وكلَّما تذكَّرْتُ موته أظلمَتِ الدنيا في عيني .. رحمه الله رحمةَ الأبرار" انتهى.

منهجه العلمي:

يتَّسِمُ منهجُ ابن عزُّوز العلمي بالتَّحَرِّي والدِّقَّـةِ ، وسَعَةِ الاطِّلاع ، وتنوُّعِ المعارف ، مع التحَلِّي بالإنصاف والاعتدال .

قال العلامة المسند محمد عبد الحي الكتاني في "فهرس الفهارس"[2]: "وأعجب ما كان فيه الهيامُ بالأثر ، والدعاء إلى السُّنّة ، مع كونه كان شيخ طريقة ، ومن المطَّلِعين على الأفكار العَصْرية ، وهذه نادرةٌ من النوادر في زماننا هذا الَّذِي كَثُرَ فيه الإفراط والتفريط ، وقَلَّ مَن يَسْلُكُ فيه طريقَ الوسط ، والأخذ من كُلِّ شيءٍ بأحسنه ، عاملاً على قوله تعالى: ﴿**وأمُرْ قوْمَكَ يأخُذُوا بأَحْسَنِها**﴾ [3] .

وقال العلامة محمد الخضر حسين : " وكان خالُنا وأستاذنا الشيخ المكي بن عزُّوز قد سافر إلى الآستانة ، وتولى دراسة الحديث بدار الفنون.

---

(١) ٢: ٨٦١

(٢) ٢: ٨٥٦

(٣) سورة الأعراف ، من الآية :١٤٥ .

وأُذيع عنه في تونس بأنه صار يقول بفتح باب الاجتهاد ، ولما لقيته بالآستانة ذكر بعض الحاضرين له هذه المسألة ، فقال:"إني مالكي المسائل الاجتهادية ، أما إذا ورد حديث صحيح فَأَعمَلُ به ولو خالف المذهب".[1]

ويقول ابن عزُّوز في قصيدةٍ أرسلها إلى المؤرِّخ عبدالعزيز الرشيد (١٣٠٥-١٣٥٧) مصوِّراً حالَ العلماء بين الإفراطِ والتفريط[2] :

ترى الفضلاءَ عن بدعٍ صُمُوتا	ترى العلماء أشتاتاً عِزينا
فمنهم تاركٌ لسبيل طَهَ	كأن لم يُبْصِرِ الهادي أمينا
ومنهج صالحي السَّلفِ المعلَّى	رَأَوْهُ ضَلالةً نهجاً خؤونا
ومنهم مُفرطٌ يبغي دليلاً	فيعدلُ عن سبيل الراشِدينا
يُحَرِّفُ آيةَ القرآن قصْداً	لفكر راقَهُ ماذا لقينا

(١) دراسات في الشريعة الإسلامية ، مقال :" كيف تستنبط القواعد من الكتاب والسُّنَّة " ص١٧ .

(٢) مجلة الكويت ، المجلد الأول ، الجزء السابع ، عام ١٣٤٦ ، ص ٣١٣ ، وقد كان تعرُّفُ المؤرِّخ عبدالعزيز أحمد الرشيد البداح الكويتي بالسيد مكي بن عَزُّوز عن طريق شيخه العلاَّمة محمود شُكري الآلوسي رحمه الله ، فقد طَلَبَ منه بعد طباعةِ رسالته "تحذير المسلمين من اتباع غير سبيلِ المؤمنين" التي طبعت في بغداد ١٣٢٩هـ أن يهديها إلى جملةٍ من أهل الفضل والعلم ، ومن بينهم الأستاذ المكي بن عَزُّوز ، فأرسل له تقريظاً نشره في مجلة "الكويت".

فأين توسُّطٌ أين اعتدالٌ   إلهُ الخلق من حيْفٍ يَقينا

ويقول رحمهُ الله تعالى في رسالته السابقة: "إنَّ قلبي مُوجَعٌ من غربةِ الدين وأهله وقلَّةِ أنصاره.. وأعني بالعلم والدين: علمَ السُّنَّةِ، وما الدينُ إلاَّ اتباعُهَا وإيثارها على عُصاراتِ الآراء، وهجوماتِ المتفقهة، وما التوحيدُ إلاَّ توحيدُ السلفِ الصالح، وأما غيره فأشبه بالضلالات، وزَلَقات الهفوات" [1].

ثُمَّ يقول في رسالته واصِفاً علماءَ عصره، ومُقَسِّماً لهم إلى ثلاثةِ أقسام: "إننا نجد فقيهاً تَقِيّاً مُحِبّاً للسنَّة، ومبغِضاً للبدعةِ متعففّاً عن تناولِ الحرام، واقِفاً موقفَ النصح والإرشادِ للخَلْقِ، حسنَ النِّيَّةِ، لكنه جاهلٌ بعباداتِ النبي ﷺ، وما كان عليه في شؤونه كلِّها، وقد يكون عارِفاً بِهَا أو ببعضها، ويترك المتابعةَ النبويَّةَ عمداً لأنها خالَفَتْ قولَ فقهائه، ولو تخبره بإصلاحِ عبادةٍ أو تحريرِ حكمٍ شرعِيٍّ بنصٍّ نبَويٍّ ينفرُ منك نُفْرَتَه من العدو، وراءاكَ مخادِعاً لك، ولَرُبَّما اتَّخَذَكَ عَدُوّاً مبيناً بعد المحبةِ والصحبةِ، ويحكم بضلالِك.

كُلُّ ذَلِكَ لِغُلُوِّهِ في التقليد، ولا يخفى أَنَّ أولئكَ لا يُقالُ لهم علماءَ إلاَّ مجازاً، لا خلافَ في ذَلِكَ كما قاله ابن عبد البر وغيره.

---

(١) الكويت، المجلد الأول، الجزء السابع، ص ٤٥٥.

وتجد آخر متَفَنّناً بعـدَّةِ علـومٍ ، وربَّمـا يكـونُ مطّلِعـاً علـى دواويـن الحديث ، نبيهاً ، له هِمَّةٌ تنبُو به عن التقليد ، يُبالِغُ في تتبُّعِ الأدِلَّةِ فينقلـبُ عن الدينِ وغيرتِهِ ، في اعتقادِ تأثيرِ الطبيعةِ حتى ينكرَ معجـزاتِ الأنبيـاء ، وينكرَ كونَها خارقةً للعادةِ ونحو ذَلِكَ من القول بنفي حشـرِ الأجسـادِ في الآخرةِ ، ونفي تناسُلِ البشرِ من آدمَ وحوَّاء .. الخ[1] .

وبعـضُ هـؤلاءِ أيضـاً لهـم حسـنُ نِيَّـةٍ في تعدِّيهـم الحـدود ، فهـذان الفريقان اللذان هما على طرَفَيْ نقيض: أحدهُما مُفْرِطٌ ، والآخر مفرِّطٌ ، كلاهُما يعدُّهما المغفَّلون من علماء الدين ، ولكلٍّ منهمـا أتبـاعٌ وأنصـار. (انعق بما شئتَ تجد أتباعاً).

والقِسـمُ الثـالث: وهُـم هُـم الأوسَطون الَّذِيـنَ تفقَّهـوا فقـه الأئمـةِ رضـوان الله عليهـم ، واعتَنَـوا بـالحديثِ الشـريف مـع تفنُّـنٍ في الأصـول والعلومِ العربية ، ودقَّقوا مسائلهم الدينية ، فما كان مـن الفقـه سـالماً مـن مصادمة سُنَّةٍ بقوا عليه ، وما صادَمَهَا نبذُوه ، وعَـذَرُوا قائلـهُ بعـدمِ بلـوغ الخبر له.

هذا فيما يتعلـق بـالعلم العملـي ، وأمَّـا الاعتقـادِيّ فهـو معـذورٌ في الابتداء بكتُبِ المتكلّمـين ، ثُـمَّ يـترقَّى إلى التعـرُّف بطريقـةِ السـلف ، ولا تُؤخَذ حقيقتُها إلاَّ من كتبِ شيخِ الإسلام ابن تيمية ، وصاحِبِهِ الَّـذِي هـو

---

(١) وهُمُ الَّذِينَ يعنيهم في عدةِ مباحث من رسالته في "العقيدةِ الإسلامية".

نسخةٌ صحيحةٌ منه لا تحريفَ فيها ، الشمسُ ابنُ القيِّم ، فيعتقدُ ما هناكَ بأدلةٍ متينةٍ وإيمانٍ راسخ ، فيصبح من الفرقةِ الناجيةِ التي عرَّفَها النبيُّ ﷺ بأنهم على ما كان عليه المصطفى ﷺ وأصحابه.

وهذا القسم الثالث الَّذِي هو الصِّراطُ المستقيم المدعوُّ بالهداية إليه في الفاتحةِ بكلِّ ركعةٍ قليلٌ في الوجودِ مع الأسف.

قَالَ تَعَالَى: ﴿**وقَليلٌ من عِبادِيَ الشَّكور**﴾ [1] فأنا أنظر شرقاً وغرباً فأرَى كما قيل[2] :

ما أكثر النَّاس لا بل ما أقلَّهُمُ	اللهُ يعلمُ أنِّي لم أقُلْ فَنَدا
إني لأفتحُ عيني حينَ أفتحُها	على كثير ولكن لا أرى أحدا

ربما أجد في مليون من الخلق واحداً ، فأنا أشدُّ فرحاً به من ولادةِ ولدٍ ذكرٍ لابن السِّتِّين الفاقدِ البنين.

بقي سؤالٌ هنا: يقول قائل: حيث إنَّ الفريقين المشار إليهما في قسمَي الإفراط والتفريط يرونَ أنهم على صوابٍ ، ولم يتعمَّدوا الضلالةَ فلِمَ لا يعذرون ، وإنما الأعمال بالنِّيات؟

---

(١) من سورة سبأ ، الآية ١٣.

(٢) البيتان مشهوران لدعبل بن علي الخزاعي .

فنقول: ذَلِكَ لا يدفع عنهم المسؤولية ولا قُبحَ الضلالة كما صرَّحَ به قوله تعالى: ﴿**فريقاً هَدَى وفريقاً حَقَّ عليهم الضَّلالة إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أوْلياءَ من دون الله وَيَحْسَبونَ أنَّهم مُهْتَدُون**﴾[1] فحُسْبَانُهم أنهم على هُدى لا يفيدهم شيئاً ، قاله ابن جريرٍ الطَّبَرِيّ في "تفسيره"[2] ، ومثله آية: ﴿**قُلْ هَلْ نُنبِّئُكُمْ بالأخْسَرين**﴾ إلى قوله: ﴿**وهُمْ يَحْسَبونَ أنَّهم يُحسِنُونَ صُنْعا**﴾[3] .

ثُمَّ يقولُ رحمه الله متحدِّثاً عن نشأته العلمية وأثر الرِّحلة في تكوينه العلمي ، وسَعَةِ اطِّلاعه ومعارفه ، وتحلِّيه بالإنصاف: "فأنا قد رُبِّيتُ في

---

(١) من سورة الأعراف ، الآية ٣٠.

(٢) قال الإمام الطبري في "جامع البيان" ١٢: ٣٨٨ "يقول تعالى ذِكره : إنَّ الفريق الَّذِي حقَّ عليهم الضلالة ، إنَّما ضلُّوا عن سبيل الله وجاروا عن قَصْد المحجَّة ، باتِّخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله ، وظُهراء ، جهلاً منهم بخطأ ما هم عليه من ذَلِكَ ، بل فعلوا ذَلِكَ وهم يظنُّون أنَّهم على هدى وحق، وأنَّ الصواب ما أتوه وركبوا . وهذا من أبْيَن الدلالة على خطأ قول من زعم أنَّ الله لايعذِّب أحداً على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها ، إلاَّ أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عناداً منه لربه فيها ، لأنَّ ذَلِكَ لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الَّذِي ضلَّ وهو يحسب أنَّه هادٍ ، وفريق الهدى فرقٌ . وقد فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية " انتهى .

(٣) من سورة الكهف ، الآية ١٠٤ .

معهدِ العلمِ من صِغَري ، وقد وسَّعَ الله علينا من رزقه ما سهَّلَ به القـراءةَ زمانَ التعلُّـم والإقْـراء علـى شـيوخٍ عديـدة ، علـى اختـلافِ مشـاربهم ، وتفاوت درجاتهم تفنُّناً وأخلاقاً ، وارتحلْتُ إلى بلدان عديـدة ، فجمعـتُ بعض ما كان متفرِّقاً من العلوم والحمد لله ، ولكنَّ لَهْوَ الشباب حالَ بيني وبين الاستكمال في العلم والتهذيب ، وأيضاً لانعرف في بلادِنا المغربية إلاَّ التقليدَ الأعمى ، فقد كُنَّا نعدُّ الفتوى بحديثِ البخـاري ومسـلم ضـلالاً ، وكما شدَّدَ علينا شيوخُنا في ذَلِكَ شدَّدْنا على تلاميذِنـا هنـاك ، فالتـاجرُ كما اشترى يبيعُ ويزيدُ المكْسَب.

فمِنْ ذَلِكَ أنِّي عند سفَري إلى المشرق استعارَ مِنِّي ابن أُخْتِي السيد الخضر ابن الحسين الَّذِي لقيتموه في المدينة[1] "نَيْلَ الأوطار" للشَّوكاني . فماتركتُه حتى أقْسَمَ لي با لله أنه لا يتِّبعهُ فيما يقول.

---

(١) قال الأستاذ المؤرِّخ عبدالعزيز الرشيد في مجلة "الكويت" في الجزء السابع من المجلد الأول ، سنة ١٣٤٦ ، ص ٣٤٣ عـن العلاَّمـة محمـد الخضر حسـين: "انعقدتْ أواصر المحبَّةِ بيني وبين هـذا الأسـتاذ المحقِّـق في المدينـة المنـوَّرة عـام مجاورَتي فيها ، فكنتُ أعتَدُّ التَّعَرُّفَ بفضيلته من نِعَمِ الأسـفار الـتي لا زلـتُ أقتطفُ ثِمارَها.

والحق أقول:إنِّني لو لم أركب ثَبَجَ البحر في تلـك السَّـفْرَةِ إلاَّ للاجتمـاعِ بـه وبأمثاله لكانت الصفقةُ الرابحةُ ، فلقد شهدتُ منـه الفكـرَ النـاضج ، والعلـمَ الواسع النزيه ، والتحقيقَ المـدهش البديع الَّذِي يحسُّ به جـليسُهُ في كُـلِّ =

ومن ذلك: أنِّي وجدتُ في عام ١٣٠٠ كتاب "الروضة النديَّة" للسيد صِدِّيق حسن خان ، يُباع عند كُتُبيٍّ في مَسْكرة ، اسمه الشيخ الأخضر السنوسي العُقْبي فَنَهَرْتُهُ وزجَرْتُهُ ، وقلت له: حرام عليك تبيع "الروضة النديَّة" ، فصار يعتذر بِمَسْكنةٍ كأنه فعل خيانة.

أمَّا تصانيفُ ابن تيمية وابن القيِّم ، فوا لله ما نظرتُ فيهما سطراً لِنُفْرةِ قلوبنا منهما ، ومَنْ جهِلَ شيئاً عاداه ، لكن في العاجز رائحةُ استعدادٍ وشوقٍ للدليل.

فلمَّا ارتحلتُ إلى المشرق سنة ١٣١٦ واطَّلَعْتُ على كتبِ أهلِ الشأنِ باستغراقِ الوقت لا واشي ولا رقيب ، وأمْعَنْتُ النظر بدونِ تعصُّبٍ فتحَ الله على القلب بقَبولِ الحقيقة ، وعرفتُ سوءَ الغشاوةِ التي

= مجلسٍ من مجلسه ، وشهدتُ فوق هذا لفضيلته مجلساً عَقَدَهُ في الحرم النَّبَويِّ على ساكنه أفضل الصلاة والسلام باقتراحِ بعض أهل الفضل هناك ، ليفسِّرَ قوله تعالى: ﴿**إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لهم مِنَّا الحُسْنَى أولئك عنها مُبْعَدُون**﴾ [الأنبياء:١٠٢] فكانَ مجلساً تُشَدُّ إليه الرحال لفوائده وطرائفه ، استغرق ما يزيدُ على الساعة ، وفضيلَتُهُ ينتقِلُ فيه من بحثٍ إلى آخر ، ويُطْرِفُ الأسماعَ بمقولاتٍ مهمةٍ عن مختلفِ العلماء بأسلوبٍ عذْبٍ وكلامٍ قويٍّ بليغ ، كل هذا و لم يكن بين الاقتراح وسفره من المدينة إلاّ برهةً وجيزةً لا تمكِّنُهُ من اشتغاله بأُهْبَةِ السفر من مراجعةِ هاتيك الدُّرَرِ من مظانِّها ، وهذا برهانٌ على رسوخِ قدَمِهِ في متنوِّعِ العلوم".انتهى

كانت على بصَري ، وتدرَّجْتُ في هذا الأمر حتى صارت كتبَ الشوكاني وصدِّيق خان ، وشروح "بلوغ المرام" وما والاها أراها من أعزِّ ما يُطالَع.

أمَّا كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم فمن لم يشبع ولم يُرْوَ بِهَا فهو لا يعرف العلم ، ويلحق بِهَا كتب السَّفَّاريني [1] ، و"جلاء العينين" للسيد نعمان الآلوسي [2] ، وآثار إبراهيم الوزير [3] ونحوهم ، ومنذ عرفتُ الحقائق استرذلتُ الحكم بلا دليل ، والحمد لله.

ومن اللطائف أَنَّ في الشهر الأول والثاني من انفتاح البصيرةِ أُلقي إليَّ في مُبَشِّرةٍ مناميَّةٍ قوله تعالى: ﴿**سَيقولُ السُّفَهاءُ من النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ**

---

(١) محمد بن أحمد بن سالم السفَّاريني الأثري الحنبلي ، ولد في(سفارين) من قرى نابلس ، سنة ١١١٤، وتوفي فيها سنة ١١٨٨ ، من أشهر كتبه : "لوامع الأنوار البهية "شرح منظومته " الدرة المضيَّة في عَقْد أهل الفرقة المرضية" ، و" لوائح الأنوار السنية " شرح قصيدة ابن أبي داود، و"غذاء الألباب شرح منظومة الآداب" .

(٢) نعمان بن محمد الآلوسي ، من أعلام الأسرة الآلوسية ، ولد ببغداد سنة ١٢٥٢ وتوفي سنة ١٣١٧ ، من أشهر كتبه : " جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن " ابن تيمية وابن حجر الهيتمي رحمهما الله تعالى .

(٣) محمد بن إبراهيم الوزير ، من أعيان علماء اليمن ، ولد سنة ٧٧٥ ، وتوفي سنة ٨٤٠رحمه الله تعالى ، ومن أشهركتبه : " العواصم و القواصم "، ومختصره "الروض الباسم ".

عَن قِبْلَتِهِمُ التي كَانُوا عَلَيها قُلْ للهِ المَشْرِقُ والمغرِبُ يهدِي مَنْ يشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتقيمٍ﴾ (١) .

ثناءُ العلماء عليه:

أثنَى عليه مفتي الشافعية بمكة المكرمة الشهاب أحمد زيني دحلان (المتوفَّى سنة ١٣١٤) رحمه الله تعالى في إجازته له بقوله: "قد اشتهر في الأقطار بلا شكٍّ ولا مَيْن، ولاسيما في الحرمين الشريفين بالعلم والحلم، نخبةُ العلماءِ والأعيان، وخلاصةُ الأعيان من ذوي العرفان، سراج إفريقيَّة، بل بدر تلك الأصقاع الغربية، الأستاذ الكامل، جامع ما تفرَّق من الفضائل والفواضل" (٢) .

وقال فيه عالم الطائف العلامة عبدالحفيظ القاري في مَطْلع سؤالٍ قدَّمه له: "فقدَّمتُ هذا السؤال المنظوم، إلى علاَّمة العرب والروم، الأستاذ الكامل، جامع الفضائل، ومقدَّم العلماء الأفاضل، السيد محمد مكّي بن عزُّوز التونسي سلَّمه الله، ثُمَّ قال:

مَنْ نرتجي للدين يكشف غُمَّةً عَمَّتْ على الإسلام بالإغْماء

---

(١) سورة البقرة آية :١٤٢ .

(٢) فهرس الفهارس ٢: ٨٥٧، وقال الكتاني:"وهذه الحَلاَة نادرةٌ من مثل الشيخ دحلان، يعلم ذَلِكَ من تتبع حلاه في إجازته لأهل المشرق والمغرب وهي كثيرة".

غـير ابـن عـزُّوز إمامـاً للهُـدى　　بـالحق يفـتي لا بـأخذِ رشـاء
من مغربٍ في مشـرقٍ يُبـدي السَّنا　　في المَطْلِعَـين لـه ضِيـاً كَذُكَـاء
إنْ كـان فينـا قـائمٌ فهـو الَّـذِي　　بـالعلمِ يرقـى ذِرْوَةَ الجَـوْزاء[1]

وقال السيِّد محمد عبدالحي الكتاني: "هذا الرجلُ كان مسندَ إفريقيَّة ونادرتها ، لم نرَ ولم نسمع فيها بأكثر اعتناءً منه بالرواية والإسناد والإتقان والمعرفة ومزيد تبحُّرٍ في بقيةِ العلوم ، والاطِّلاع على الخبايا والغرائب من الفنون والكتب ، والرحلة الواسعة ، وكثرة الشيوخ"[2] .

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس في الثاني من شهر صفر سنة ١٣٣٣ ، عن أربعةٍ وستين سنة ، ودُفِنَ في مقبرةِ (يحيى أفندي) في اسطنبول .

رثاؤه :

ورثاه جماعةٌ من أدَباء تونس والجزائر ، ومن تلك المراثي مرثيَّتا ابن أخته العلامة محمد الخضر حسين ، ومرثِيَّة العلامة المجاهد الطيب العُقْبِي رحمهما الله تعالى.

---

(١) الأجوبة المكيَّة عن الأسئلة الحجازية ، ص١٠٤.

(٢) فهرس الفهارس ٢: ٨٥٦.

وأُوردُ بعض الأبيات من قصيدة الشيخ محمد الخضر حسين في رثـاءِ خاله العلاّمة محمد المكي بن عزوز ، بعنوان :"ها هنا شمـس علـوم " ، ثـمّ أُتبعها بأبيات مختارة للشيخ الطيِّب العُقْبي في رثاء العلاّمة ابن عزُّوز .

هاهنا شمسُ علوم[1]

رُبَّ شَـمْس طَلَعَـتْ في مغـربٍ ... وتـوارى في ثـرى الشـرق سَـناها

هَهُنَـا شَـمْسُ علـوم غربـت ... بَعْدَ أن أبلت (بترشيش) ضُحاهـا[2]

بفـؤادي لوعـةٌ مـن فقدِهـا ... كلّمـا أذكـرهُ اشـتدَّ لظاهـا

فقِفـا لمحـةَ طَـرْفٍ نقْتَـني ... عِـبَراً مـن سـيرةٍ طـابَ شـذاها

أيُّهـا الراحـلُ قـد روَّعتَنـا ... بفـراقٍ حـرَمَ العـينَ كَراهـا

لَـكَ نفـسٌ سَـرَحَتْ همَّتُهـا ... في مراعـي العلـم مـن عهـدِ صِباهـا

أينمَـا كنـتَ تداعَـتْ أمَـمٌ ... تَتَملَّـى روضـةً يحلُـو جَنَاهـا

وتفـاءلْتَ فـأزْمعتَ النَّـوى ... و (بإستانبول) ألقيـتَ عصاهـا[3]

---

(١) عادَ الأستاذ محمد الخضر حسين مـن ألمانيـة سنة ١٣٣٤هـ إلى الآستانة ، وكان خاله العلامة الشيخ محمد المكي بن عَـزُّوز قـد توفِّـيَ بهـا قبـل قـدوم صـاحب الديـوان بنحـو شـهرين ، فـزارَ قـبره ، وبهـذه المناسـبة قـال هـذه القصيدة وهي في ديوانه: "خواطر الحياة" ، ص ٢٥٨.

(٢) ترشيش اسم قديم من أسماء تونس.

(٣) ألقى عصاه: بلغ موضعه وأقامَ واطمأنَّ ، وترك الأسفار ، وكانت رحلته إلى الآستانة سنة ١٣١٦هـ.

لَـــمْ تعِـــشْ فيهـــا غريبـــاً فقَـــرَا   بَــةُ أهــل النُّبْــل أحكَمْــتَ عُراهــا

عـــرَّجَ النّـــاعي علـــى أنديـــةٍ   كنــتَ إن وافيتَهــا قُطْــبَ رحاهــا[٤]

طِـبْ مُقامـاً (يـا ابـنَ عـزُّوز) فقــد   كُنـتَ تعطــي دعــوةَ الحــقِّ مُناهــا



(٤) قُطْب الرَّحى: سيد القوم الَّذِي يدور عليه أمرهم.

وهذه بعضُ أبياتٍ مختارة من رثاء العلامة المجاهدالشاعرالطيِّب العُقْبي[1] رحمه الله تعالى:

هي الدارُ في أحداثِها تتجرَّمُ[2] سرورٌ فأحزانٌ فعرسٌ فمأتَمُ
حَنَانَيْكَ إنّا لِلْمَنِيَّةِ عُرْضَةٌ وكلُّ ابن أنثى فهو للموتِ مُسْلَمُ
وَكُلُّ بليغ مِصْقَع[3] فهو عندها إذا طَرَقَتْ يوماً من الدَّهْر مُفْحَمُ
وَمَا المكثُ في دار الغرور لعالِم حقيقتها إلاَّ زعافٌ وعلقَمُ[4]
عجبتُ لِذِي لُبٍّ يُغَرُّ بسِلْمِها وَمَا سِلمُها إلاَّ خسارٌ ومَغرَمُ
أماتَ ابنُ عزوز وأودت علومُهُ أم الرُّكنُ ركنُ الدين أمسى يُهَدَّمُ؟

---

(١) العالم المجاهد الشيخ الطيِّب بن محمد بن إبراهيم العُقبي المولود ببلدة سيدي عقبة بالجزائر في شهر شوال سنة ١٣٠٧ ، هاجر مع عائلته إلى المدينة المنورة وهو ابن خمس أو ست سنوات ، وتلقّى تعليمه بالحرم النبوي الشريف حتى أصبح معلّماً فيه ، ونفاه الأتراك من المدينة ، ثمَّ عيَّنه الشريف حسين بعد عودته من المنفى مديراً لتحرير جريدة القبلة ، عاد إلى الجزائر سنة ١٣٣٧(١٩٢٠) ليعمل في مجال الإصلاح الديني بالخطابة والكتابة ، وكان من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأصدر صحيفة " الإصلاح " سنة ١٣٤٦ في الجزائر . (نهضة الجزائر الحديثة ، لمحمد علي دبوز ٢:١٠٥) .

(٢) تتجرَّم : يقال تجرمَ الليل : أي تمَّ وانقضى .

(٣) المصقع : البليغ يتفنّن بمذاهب القول.

(٤) العلقم : سمٌّ زعافٌ يقتل سريعاً.

بلى إنها الأقدارُ وافتْ برزئِهِ ... وما كان ظنّي أن يُدكَّ يَلَمْلَمُ[1]
أتاني نَعِيُّ الحَبْر في جُنْح ليلةٍ ... ويا ليتها في الدهر لم تكُ تُعْلَمُ
(محمدُ) يا (المكّيُّ) مالكَ راحلٌ ... أزُهداً بنا أم في سبيلك مغْنَمُ
إلى الله أشكو ما لفقدِكَ مَسَّني ... من البؤس والضَّرَّاء والقلبُ يُكلَمُ
فقد كنتَ لي رُكناً شديداً فخانني ... زماني وأمرُ اللهِ في الخلق مُبرَمُ
تكنّفَني جيشٌ من الحزن عارمٌ ... فولَّتْ له جيشانُ صبري تُهْزَمُ
ونادَتْ بيَ الأحلام: حسبُكَ فاتّئِدْ ... فأجرُكَ في (الأستاذ) بالصبر أعظَمُ
سأبكيكَ محمودَ المقاصدِ ما بكت ... مُطوَّقَةٌ في أَيْكِها تَتَرنَّمُ
وتسكبُ عيني عبرةً بعدَ عبرَةٍ ... تؤازرُها أخرى فُرادى وتوأمُ
عليكَ سَلامُ اللهِ حَيّاً وميِّتاً ... فآخِرُ عهدي أنّني بكَ مُغرَمُ[2]

* * *

---

(١) يَلَمْلَم : اسم جبل من جبال اليمن .

(٣) قصيدة العلامة المجاهد الطيِّب العُقْبي رحمه الله تعالى ، نُشِرَتْ في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" ، الجزء الأول ، ص ١٣٨-١٤٢ ، طبعة تونس سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٣٦ للأستاذ محمد الهادي السنوسي الزاهري.

وقد قدَّمَ الشاعر قصيدته بقوله: (وهذه قصيدة قلتُها بالمدينة المنورة أرثي بِهَا العلامة الشيخ محمد المكّي بن عَزُّوز دفين دار السعادة ، لَمَّا بَلَغَني خبرُ وفاته ، وكان مما يعزُّ عليَّ كثيراً لِما بيني وبينه من المؤانسةِ وعظيمِ الوداد ، ولَمْ أرثِ أحداً قبله ، فهي أولُ مرثيَّةٍ لي). من كتاب "محمد المكي بن عزُّوز" ص ١٧٧-١٨١ .

تحية شعرية

أهداني العالِم الفاضل مجد مكِّي كتاباً شرح فيه العقيدة الإسلامية للعلاَّمة محمد المكِّي ابن عزُّوز، فبعثت له بهذه التحيّة:

وافَتْ (خِزَانةُ عِلْمٍ) في رَوائعها — وازْدانَ مَجْدُكَ مِنْ لألائِهَا مَجْدَا

قرأتُ مِن صفحاتِ الحقِّ أَسْطُرَها — إذ خَطَّها مؤمنٌ قد طَوَّع الجُهْدَا

وَرُحْتُ أَرْشُفُ مِن نَعْمَائِهَا عَسَلاً — حُلوَ المذاقِ وأَجْني الزَّهْرَ والوَرْدَا

كَأَنِّي في رِيَاضِ الخُلْدِ مُنْطَلِقٌ — وَمَوْكِبُ النُّورِ حَوْلي يَطلُبُ الوِرْدَا

لَمَّا شَرَحتَ مِن الإسلام صَفْوَ هُدى — صُدُورُنا انشَرَحت مُذْ طَالَتِ السَّعْدَا

بُورِكتَ مِن عالِمٍ فَذٍّ له صِلَةٌ — بِربِّه صِلَةٌ شَدَّت لك الزِّنْدَا

سُبحانه وتعالى في تفضُّلِهِ — حَبَاكَ من قلمٍ لا يعرفُ الغمْدَا

أَوْفَيْتَ بالعهدِ والأيَّامُ شَاهِدة — كذا العقيدةُ توفي العهدَ والوعْدَا

لا شكَّ أنَّ رِضاءَ الله مَطْلَبُكُم — فمدَّكُم بجنودٍ فَاقَتِ العَدَّا

بُشْراكَ بُشْرَاكَ في دنيا وآخرة — لك المثوبةُ لا تدري لها حَدَّا

مَنْ ذا يُرافِقُ في تِجْواله عَلَماً — مِن (آلِ عَزُّوزَ) إلاَّ رَافَقَ الأُسْدَا

كِلاكُما نسبة المكِّيِّ تُشْهِرُه — نِعْمَ المُسمَّى إذا ما صَادَفَ النِّدَّا

إني لأحسَبُ أنَّ الشيخَ ناظِرُنَا — يُومي إليكَ ويُهدي وَجْهَه الودَّا

الحمدُ للَّهِ أنَّا مُسلمونَ لَهُ — ونرفعُ الشُّكرَ للمنَّانِ والحَمْدَا

علي الرضا الحسيني

دمشق ٢ ذو الحجة ١٤٢٠هـ

شرح

العقيدة الإسلامية

بقلم

محمد بن أحمد مكي



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

-مَقْصِدُ هذه الرسالة-

لَمَّا مَنَّ الله تعالى على البلادِ العثمانيَّة بالإطْلاق من قَيْد الاستبداد، وتضييق العلوم والمعارف، تَنَفَّسَت صُدورُ الأُمَّةِ، واتَّحَدوا في سبيل التَّرَقِّي بعُلوِّ الهمَّةِ، وأخذَ كُلٌّ منهم بعَضُدِ أخيه لِيُميطَ عنه جَهَالة، أو يُرشِدَهُ إلى الخروج من ضَلالة، أو يرفعَهُ من حضيضِ كَسَلٍ إلى أَوْجِ عِرفانٍ أو عمل.

ولا يَنْجَحُ قومٌ إلاَّ باتِّحاد، ونشرِ كلٍّ منهم ما عنده من علمٍ أو سَدَاد، والطاعةِ للناصحين، وتنظيف القلوبِ من الحقدِ الكَمين.

وقد أشْرَقَتْ مبادئُ النَّجاح كما يُشْرِقُ أولُ الفجر مؤْذِناً بالصَّباح، وتصدَّى كلٌّ مُتْقِنِ صِناعةٍ إلى إبْرازِها للمَيْدان، لينتفعَ الجميعُ من الجميع حكمةً من الجليل الديَّان.

وكان تعلُّمُ الطلبة في المكاتب أول لازمٍ في برنامج إصلاح المملكة، لِيُحسِنَ كُلٌّ خدمةَ الدولة والمِلَّة، ويعقل ما فعله وما تركه.

وحيثُ إنَّ الحظَّ الوافر من الدروس لعلوم الطبيعيات، ولا يستغني عنها الطَّلَبةُ في باب ما يؤول للصناعات، ولا نزاعَ بين التَّفنُّنِ وعلم الدين

لمن استكملها ، ولكن لِخَفَاءِ تطبيقِ العقل على النقل يقع الخطأ ، وقد يَزِلُّ الاعتقاد الديني ولا يُشعر بِهِ .

فأردنا بهذه الرسالة حفظَ عقيدة الإسلام للطلبة باللّسانين الجَلِيلَيْن: العربيِّ لسانِ الدين ، والتركيِّ لسانِ الدولة ، ملاحِظين في معظمها سدَّ الثغور المظنون صدور الضَّرر منها في العقيدة الإسلامية ، حَتَّى لا تفوتهم إحدى الفضيلتين: فضيلة الدِّراية فيما يزاولونه ، وفضيلةِ التَّمَسُّكِ بالعُرْوَةِ الوُثقَى من الإسلام الضامنة لسعادةِ الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى: **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾**(١).

وسَلامٌ على المُرْسَلين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين .

مُحَمَّد المَكِّيّ بن عَزُّوز

(١) من سورةِ آلِ عمران، الآية: ٨٥.





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللهُ لا إلهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نوم﴾[1] .

لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير ، قديمٌ[2] لا أوَّلَ لوجوده ، باقٍ لا نهاية لبقائه ، جلَّ أن

---

(١) سورةُ البقرة، من الآية: ٢٥٤ ، وآيةُ الكرسي أعظم آية في القرآن كما ثبت في صحيح مسلم (٨١٠) ، وقوله عَزَّ وجَلّ: ﴿اللهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ﴾ نفيُ الإلهيَّةِ عن كُلِّ ما سِواه ، وإثباتُ الإلهيَّة له سبحانه ، ﴿ الحي ﴾ يعني : الباقي على الأبد ، الدائم بلا زوال ، ﴿ القيوم ﴾ القائم بتدبير خلقِهِ في إيجادهم وأرزاقهم وجميع ما يحتاجون إليه ﴿ لا تأخذه سِنَةٌ ولانوم ﴾ السِّنَةُ: ما يتقدَّمُ النوم من الفُتور الَّذِي يُسمَّى نُعاساً وهو النوم الخفيف ، والنوم هو الثقيل المزيل للعقل والقوة ، والمعنى : لاتأخذه سِنَةٌ فضلاً عن أنْ يأخذه النوم ؛ لأنَّ النوم والسهو والغفلة محالٌ على الله تعالى ؛ لأن هذه الأشياء عبارة عن عدم العلم ، وذلك نقصٌ وآفة ، والله تعالى منزَّهٌ عن النقصِ والآفات ، وَأَنَّ ذَلِكَ تغيُّرٌ ، والله تعالى منزَّهٌ عن التغيُّر (تفسير الخازن ١ : ١٧٩) .

(٢) لفظ (القديم) في وصف الله عز وجل ، شاع ذكره في كثير من المؤلَّفات في العقائد قديماً وحديثاً . وهذا اللفظ ليس من الأسماء الحسنى لله تعالى ، وإنما هو من تعبير العلماء لإيضاح المقام ، وتقريب المعنى لاسم (الأول) ، فإنَّ (القديم) في لغة العرب : المتقدِّم على غيره ، فيقولون: هذا قديم، =

يَلْحَقَهُ تصوُّرٌ ، أو يُشَخِّصَهُ فكرٌ ، فكلُّ ما يخطُرُ ببالِكَ فربُّنا مُخَالِفٌ لذلك ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1] ،

= للعتيق ، وهذا حديث ، للجديد ، و لم يستعملوا القديم إلاّ في المتقدِّم على غيره ،لا فيما لايَسْبِقْه عدم (شرح الطحاوية ١ :٧٧) .

وقد أنكر جماعة من العلماء إطلاق (القديم) على الله تعالى ؛ لأنَّهُ ليس من الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة ، والذي ورد في الكتاب والسنة هو لفظ (الأول) ، ففي سورة الحديد قوله تعالى :﴿ **هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهرُ والبَاطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ**﴾ . وفي صحيح مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة ﷺ قول النبي ﷺ : " **اللهمَّ أنت الأوَّل فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء** ..." وانظر ما يأتي ص٢٦٦.

(١) سورة الشورى، الآية:١١.وفي معنى هذه الآية عقد القاضي عياض فصلاً في كتابه " الشفا " ٣٣٧-٣٤٠ فقال ما ملخصه : " هو أن تعتقد أنَّ الله تعالى جلَّ اسمُهُ في عظمته وكبريائه وملكوته ، وحُسْنى أسمائه ، وعليِّ صفاته ، لا يُشْبِهُ شيئاً من مخلوقاته ، ولا يُشبَّهُ به ، وأنَّ ما جاء مِمَّا أطلقه الشَّرْع على الخالق وعلى المخلوق ، فلا تشابُهَ بينهما في المعنى الحقيقي ؛ إذْ صفاتُ القديم بخلاف صفاتِ المخلوق ، فكما أنَّ ذاته لا تُشْبِهُ الذوات ، كذلك صفاتُه لاتُشْبِهُ صفات المخلوقين ؛ إذ صفاتهم لاتنفكُّ عن الأعراض والأغراض ، وهو تعالى منزَّهٌ عن ذَلِكَ ، بل لم يزل بصفاته وأسمائه ، =

= وكفى في هذا قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ و لله درُّ من قال من العلماء العارفين المحقّقين :" التوحيد إثبات ذات غير مُشْبهَةٍ للذوات ، ولا معطّلةٍ عن الصفات " . وزاد هذه النكتة الواسِطيُّ (ت ٤٢٠) رحمه الله بياناً ، وهي مقصودنا ، فقال :" ليس كذاتِهِ ذاتٌ ، ولا كاسْمِهِ اسمٌ ، ولا كفعلِهِ فعلٌ ، ولا كصفتِهِ صفةٌ ، إلاَّ من جهةِ موافقةِ اللفظِ اللفظَ ، وجلّت الذّاتُ القديمة أن تكون لها صفةٌ حديثةٌ ، كما استحال أن تكون للذّات المُحدَثةِ صفةٌ قديمة " . وهذا كلُّه مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم .

وقال آخر من مشايخنا : ماتوهّمتموه بأوهامكم ، أو أدركتموه بعقولكم فهو مُحْدَثٌ مثلكم .

وما أحسنَ قولَ ذي النُّون المصري : وما تصوَّر في وهمِكَ فالله بخلافه . وهذا تفسير لقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، ثبّتنا الله وإيَّاك على التوحيد والإثباتِ والتنزيهِ ، وجنّبنا طَرَفي الضَّلالة والغَوايةِ من التعطيلِ والتشبيهِ بمنّه ورحمته " انتهى .

وأما الحكمة في ذكر حرف الكاف من قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ فللمُفسِّرين كلامٌ طويلٌ ، ومن أحسن من أوضح الحكمة مِن ذِكْر (حرف الكاف) العلامة المفسِّر الدكتور محمد عبدالله دراز في كتابه " النبأ العظيم " ص ١٣٣-١٣٦ وبيَّن ذَلِكَ من طريقين فقال : " **الطريق الأول** : هو أدنى الطريقين إلى فهم الجمهور ، أنه لو قيل : (ليس مثله شيء) لكان ذَلِكَ نفياً للمثل المكافئ ، وهو المثل التام المماثلة فحسب..فكان وضع =

= هذا الحرف في الكلام إقْصاءً للعالم عن المُمَاثَلة وعمَّا يشبه المماثَلة وما يَدْنـو منها ، كأنه قيل : ليس هناك شيء يشبه أن يكون مِثْلاً لله ، فَضْـلاً عـن أن يكون مِثلاً له على الحقيقة ، وهذا باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى .

والطريق الثاني : وهو أدقهما مَسْلكاً ، أن المقصود الأوَّلي من هذه الجملة، وهو نفي الشبيه ، وإن كان يكفي لأدائه أن يقال : " ليس كالله شيء " أو " ليس مثله شيء " لكن هذا القدر ليس هو كلّ ما ترمي إليه الآية الكريمة ، بل إنها كما تريد أن تعطيك هذا الحكم تريد في الوقت نفسه أن تلفتك إلى وجهِ حجته وطريق برهانه العقلي .

ألا ترى أنك إذا أردت أن تنفي عن امرئٍ نقيصةً في خُلُقه فقلت : " فلان لايكذب ولايبخل " أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجرَّدة عن دليلها، فإذا زدت كلمة فقلت :"مثل فلان لايكذب ولايبخل" لم تكن بذلك مشيراً إلى شخص آخر يماثله مبرأ من تلك النقائص ، بل كان هذا تبرئة له هو ببرهان كُلِّيٍّ ، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشِيَمِهِ الكريمة لا يكون كذلك، لوجود التنافي بين طبيعة هذه الصفات وبين ذَلِكَ النقص الموهوم .

على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الحكيمة قائلة :" مثله تعالى لا يكون له مثل " . تعني أن من كانت له تلك الصفات الحُسْنى ، وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه ، ولا يتّسع الوجود لاثنين من جنسهِ . فلا جَرَم جيء بلفظين كلٌّ واحد منهما يؤدِّي معنى المماثلة ، ليقوم أحدهما ركناً في الدعوى ، والآخر دعامة لها وبرهاناً . فالتشبيه المدلول عليه بـ" الكاف " =

= لَّما تصوَّب إليه النفي تأدَّى به أصل التوحيد المطلوب ، ولفظ "المثل" المصرَّح به في مقام لفظ الجلالة أو ضميره نبَّه به على برهان ذَلِكَ المطلوب .
واعلم أنَّ البرهان الَّذِي ترشد إليه الآية على هذا الوجه برهانٌ طريفٌ في إثبات وحدة الصانع لا نعلم أحداً من علماء الكلام حَامَ حَوْله ، فكلُّ براهينهم في الوحدانية قائمة على إبطال التعدُّد بإبطال لوازمه وآثاره حسبما أرشد إليه قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لفَسَدَتا** ﴾ [الأنبياء:٢٢] .
أما آية الشورى المذكورة ، فإنها ناظرةٌ إلى معنى وراء ذَلِكَ ينقض فرض التعدُّد من أساسه ، ويقرِّرُ استحالته الذاتيَّة في نفسه بقطع النظر عن تلك الآثار . فكأننا بِهَا تقول لنا : إنَّ حقيقة الإله ليست من تلك الحقائق التي تقبل التعدُّد والاشتراك والتماثل في مفهومها ، كلا ، فإنَّ الَّذِي يقبل ذَلِكَ إنَّما هو الكمال الإضافي الناقص ، أما الكمال التام المُطْلَق الَّذِي هو قوام معنى الإلهيَّة فإنَّ حقيقته تأبى على العقل أن يقبل فيها المشابهة والإثْنَيْنيَّة ؛ لأنَّك مهما حقَّقت معنى الإلهيَّة حقَّقت تقدُّماً على كلِّ شيء ، وإنشاءً لِكُلِّ شيء : ﴿ **فَاطِرِ السَّمَواتِ والأرض** ﴾ ، وحقَّقت سلطاناً على كلِّ شيء ، وعلواً فوق كلِّ شيء : ﴿ **لَهُ مَقَاليدُ السَّمَواتِ وَالأرْض** ﴾ .
فلو ذهبت تفترض اثنين يشتركان في هذه الصفات لتناقضتَ ؛ إذ تجعل كل واحد منهما سابقاً مسبوقاً ، ومُنشِئاً مُنْشَئاً ، ومُستعلياً مُسْتعلىً عليه ، أو لأَحلتَ الكمال المُطْلق إلى كمال مقيّد فيهما ؛ إذ تجعل كل واحد منهما بالإضافة إلى صاحبه ليس سابقاً ولا مستعلياً . فأنَّى يكون كلٌّ منهما إلهاً =

وَهُوَ العزيزُ الحكيمُ[1] ، العَفُوُّ الغفور[2] ،

= وللإله المثل الأعلى ؟ أرأيتَ كم أفدنا من هذه "الكاف" وجوهاً من المعاني كُلّهَا شافٍ كافٍ ؟ " انتهى كلامه رحمه الله تعالى ، وانظر فيما يتعلّق بهذه الآية الكريمة كتاب " كمال العناية بتوجيه ما في ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ من الكناية " ، للعلامة المفسِّر المحدِّث الشيخ أحمد رافع الطهطاوي رحمه الله تعالى .

(١) **العزيز** : هو الغالب القوي الّذِي لايُغلَب . والعزَّةُ في الأصل : القوة والشدَّة والغلبة (النهاية ٣:٢٢٨) .

والحكيم : فعيل بمعنى فاعل ، أي الحَكَم ، أو بمعنى مُفْعِل ، أي : هو الّذِي يُحكم الأشياء ويتقنها . وقيل : الحكيم ذو الحكمة (النهاية ١:٤١٩) . وقد تكرَّر ذكر الاسمين الكريمين: ﴿ **العزيزُ الحكيم** ﴾ معاً في القرآن الكريم في سبعة وأربعين موضعاً .

قال ابن القيم في " الداء والدواء " ص١٥٢ :" العزَّة كمالُ القدرة ، والحكمة كمال العلم ، وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى ما شاء ، ويأمرُ وينهى ، ويثيبُ ويُعاقبُ ، فهاتان الصفتان مَصْدر الخلق والأمر " .

(٢) **العَفُوُّ** : فعولٌ من العَفْو ، وهو التجاوز عن الذنب ، وتركُ العقاب عليه ، وأصله : المحو والطَّمْسُ ، وهو من أبنية المبالغة (النهاية ٣:٢٦٥) . =

الرَّؤوفُ الرَّحيمُ[1] ،

= **الغفور** : السَّاتر لذنوب عباده وعيوبهم ، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم ، وأصل الغَفْر : التغطية ، والمغفرة : إلباس ا لله تعالى العفوَ للمذنبين (النهاية ٣:٣٧٣) .وقد تكرَّر ذكر هذين الاسمين الكريمين : ﴿**العفوُّ الغفورُ**﴾ معاً في القرآن الكريم في أربعة مواضع .

(١) **الرؤوف** : هو الرحيمُ بعباده ، العطوفُ عليهم بألطافه ، والرأفة أرقُّ الرحمة، ولاتكاد تقع في الكراهة ، والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة(النهاية ٢:١٧٦).

الرحيم : فعيل من رَحِم ، وهو الَّذِي كَثُرت رحمته ، وفي (الرحمن) من المبالغة ماليس في (الرحيم) ؛ لأنَّ في (الرحيم) زيادة واحدة ، وفي (الرحمن) زيادتين ، وزيادة اللفظ تدلُّ على زيادة المعنى ، ولذا جاء في الدعاء : "**يارحمنَ الدنيا** " ؛ لأَنَّهُ يعمُّ المؤمنَ والكافر " **ورحيمَ الآخرة** " ؛ لأَنَّهُ يخصُّ المؤمن . (تفسير النسفي ١:١٥) .

وقد تكرر ذكر هذين الاسمين الكريمين ﴿ **الرؤوفُ الرحيم** ﴾ معاً في القرآن الكريم في ثمانية مواضع ، وأما الموضع التاسع فهو في صفة النبيِّ ﷺ، قال تعالى :﴿ **لَقَدْ جَاءَكُم رَسُولٌ مِن أنْفُسِكُم عَزيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالْمُؤمنينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة :١٢٨] .

شديدُ العقاب [1] .

كان العالَمُ[2] -وهو جميعُ ما سِوى الله- في العَـدَم[3] ، والله هـو الَّذِي أَوْجَدَهُ بمشيئتِهِ من غـير احْتيـاجٍ إليـهِ ، ولا تفكُّـرٍ في إيجاده ، فكلُّـهُ

---

(١) **شديد العقاب** : هو الَّذِي يُشَدِّدُ العقاب على من شاء ، وقـد تكـرَّر ذكـر هذه الصفة : ﴿ **شديد العقاب** ﴾ في كتاب الله في أربعة عشر موضعـاً ، و ﴿ **شديد العذاب** ﴾ في موضع واحد في قوله سبحانه : ﴿... **أَنَّ القُـوَّةَ لله جَمِيعاً وأنَّ اللهَ شَدِيدُ العَذَابِ** ﴾ [البقرة :١٦٥] ، و ﴿ **شديد المِحَـال** ﴾ في موضع واحد في قولـه عـزَّ وجـل : ﴿ **وَهُـوَ شَـدِيدُ المِحَـال** ﴾ [الرعـد :١٣] أي : الوصول في خُفْيةٍ إلى ما فيه حكمةٌ .

(٢) **العالَم** :اسمٌ لِكُـلِّ موجـود سـوى الله تعـالى ، فيدخـل فيـه جميـع الخلـق ، واشتقاق العالَم من العَلَم ، وقيل: من العلامة ، وهـو في الأصـل : اسـمٌ لمـا يُعلم به ؛ كالطابَع والخاتَم لما يُطبَع به ويُختَم به ، وإنَّما سمـيَّ بذلـك ؛ لأنَّـهُ دالٌّ على الخالق سـبحانه وتعـالى ، ولهـذا أحالنـا الله تعـالى عليـه في معرفـة وحدانيَّتـه فقـال عـزَّ وجـل : ﴿ **أَوَ لَـم يَنْظُـرُوا في مَلَكُـوتِ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الأعراف:١٨٥] .

(٣) روى البخـاري في صحيحـه في كتـاب التوحيـد (٧٤١٨) عـن عِمْرَان بـن حُصَين رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ : "**كـانَ اللهُ ولم يكـن شـيءٌ قبلَـه ، وكان عرشُهُ على الماء** " . قال الحافظ في " الفتح" ١٣: ٤١٠ :" قوله : =

مُلْكُهُ يتصرَّفُ فيه وحدَهُ كما يشاء، فلا يُنْسَبُ إليه جَوْرٌ[1] فيما أَوْجَد أو أَعْدم، أو منعَ أو أعطى، إنْ أَنْعَمَ فبفضْلِهِ،

= " **كان الله ولم يكن شيءٌ قبله** " تقدَّم في بَدْء الخلق بلفظ : " **ولم يكن شيء غيره**"، وفي رواية أبي معاوية -الضرير - :" **كان الله قبل كلِّ شيء**" وهو بمعنى :" **كان الله ولاشيء معه** " ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٤:٤٣١ بلفظ: "**كان الله تعالى قبل كُلِّ شيءٍ ، وكان عرشه على الماء**" .

(١) أي : ظلم ، والظلم : وضع الشيء في غير موضعه ، وقد نزَّه الله سبحانه نفسه عن الظلم فقال : ﴿ **وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمَاً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران:١٠٨] ﴿**وأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [آل عمران :١٨٢، والحج :١٠] ، ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظلاَّم للعَبِيد** ﴾ [فصلت :٤٦] ، ﴿ **وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [ق:٢٩] ، ﴿ **إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ [النساء :٤٠] ، ﴿ **إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً** ﴾ [يونس :٤٤] .ومن أسمائه الحسنى : العدلُ ، الَّذِي كل أفعاله وأحكامه سدَادٌ وصوابٌ وحقٌّ .

قال الإمام أبو عبدالله القرطبي رحمه الله تعالى في " الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى "١:٤٤١ :" ومن أسمائه الحسنى : **العدل** . قال تعالى :﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّك صِدْقَاً وَعَدْلاً** ﴾ [الأنعام :١١٥] :" وإذا كانت كلماته العدل، فهو العدل ، لأنَّ كلماته هي كلامه ، وكلُّ فعلٍ من أفعاله إنَّما يقع بكلامه ، فكلامه صدق . والعدل خلاف الجَوْر ، وهو في صفة =

= ا لله تعالى يكون وصفاً ذاتيًّا له ، بمعنى سلب الجور عنه ، فيرجع إلى حكمه الأزلي في عباده . وقد يجوز في وضع اللسان أن يكون العدل بمعنى ذو العدل ، فيكون من صفات الأفعال .

فا لله سبحانه هو العدل المطلق الَّذِي قوله حقٌّ ، وفعله حقٌّ وقضاؤه الفصل وحكمه العدل ، يقبض ويبسط ، ويعطي ويمنع ، ويعزُّ ويذلُّ ، ويرفع ويخفض ، ويقدِّم ويؤخِّر ، ويضرُّ وينفع ... " انتهى .

وقال ابن القيم في "الفوائد" ص ٣٦٠-٣٦١ :" فا لله سبحانه هو الَّذِي أصلح الفاسدين ، وتاب على المذنبين ، وهدى الضَّالِّين ، وأنقذ الهالكين ، وعلَّم الجاهلين ، وبصَّر المتحيِّرين ، وذكَّر الغافلين ، وآوى الشَّاردين ، وإذا أوقع عقاباً أوقعه بعد شدَّة التمرُّد والعتوِّ عليه ، ودعوة العبد إلى الرجوع إليه ، والإقرار بربوبيَّته ووحدانيَّته ، حتى إذا أيس من استجابته والإقرار بربوبيَّته ووحدانيَّته أَخَذَهُ ببعض كفرهِ وعتوِّهِ وتمرُّدِهِ ؛ بحيث يُعذرُ العبد من نفسه ، ويعترف بأنه سبحانه لم يظلمه ، وهو الظالم لنفسه ، كما قال تعالى عن أهل النار:﴿**فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِم فَسُحْقَاً لأَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك : ١١] ، وقال عمَّن أهلكهم في الدنيا : إنَّهم لما رأوا آياته ، وأحسُّوا بعذابه ، قالوا : ﴿ **يَاوَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُم حَتَّى جَعَلْنَاهُم حَصِيدَاً خَامِدِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٤-١٥] ، وقال الحسن : لقد دخلوا النار، وإنَّ حمده لفي قلوبهم ، ما وجدوا عليه حجةً ولا سبيلاً . =

وإنْ مَنَعَ فبعدْلِه[1] ، ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَل﴾[2]،

= ولهذا قال تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَقِيلَ : الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥].

(١) وما أصدقَ قولَ الشاعر الحكيم:

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ كلا ولا سعيٌ لـديه ضائعُ

إنْ عُذِّبوا فَبِعَدْلِهِ أو نُعِّمُوا فَبِفَضْلِهِ وهو الكريمُ الواسعُ

وقال ابن القيِّم في كتابه " الفوائد " ص٩٥ :" طوبى لمن أنصف ربَّه ؛ فأقرَّ بالجهل في علمه ، والآفاتِ في عمله ، والعيوبِ في نفسه ، والتفريطِ في حقِّه ..فإنْ آخذه بذنوبه ؛ رأى عدلَه ، وإن لم يؤاخذه بهَا ؛ رأى فضله .. ونكتة المسألة وسرُّها : أنه لايرى ربَّه إلاَّ محسناً ، ولا يرى نفسه إلاَّ مسيئاً أو مُفرِّطاً أو مُقصِّراً ، فيرى كلَّ ما يَسُرُّه من فضل ربِّه عليه وإحسانه إليه ، وكلَّ ما يسوؤه من ذنوبه وعدل الله فيه " .

وقال أيضاً ص٧٦ :" وقضاؤه كلُّه عدل ..وثوابه لمن يستحقُّ الثواب بفضله ورحمته ، وعقابه لمن يستحقُّ العقاب بعدله وحكمته " .

(٢) سورةُ الأنبياء، من الآية: ٢٣. قال ابن كثير في تفسيره ٥:٢٣١٢: " أي : هو الحاكم الَّذِي لامُعقِّب لحكمهِ ، ولايعترض عليه أحدٌ ، لعظمته وجلاله وكبريائِه وعلمه وحُكمه وعدله ولطفه ﴿ وَهُمْ يُسْئَلونَ ﴾ أي : وهو سائلٌ خَلْقَه عمَّا يعملون ، كقولهِ تعالى :﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أَجْمَعِين =

= ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [الحجر :٩٢-٩٣] . وهـذا كقوله تعـالى :﴿وَهُـوَ يُجِيرُ وَلاَيُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنـون :٨٨] انتهـى . أي : هـو السـيِّد العظيـم الَّذِي لاأعظم منه ، الَّذِي له الخلق والأمـر ، ولا مُعَقِّب لحكمـه ، الَّـذِي لا يُمَانَع ولايُخَالَف ، وماشاء ا لله كان ، وما لم يشأ لم يكن " انتهى .

وقال الشيخ يوسف الدجوي رحمه ا لله تعالى في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ : "إنَّ المراد تقرير كونه تعالى حكيماً بـالغ الحكمـة فـلا يُسْأَلُ عمَّا يَفعل ثقـةً بحكمتـه . أو المـراد : تقريـر العظمـة الإلهيَّـة ، والقيـام بآداب العبودية ، ويُراد به تعليمُنا حُسْن الأدب مع ا لله ، فنطمئنُّ في كلِّ ما يأمر ، ونذعـنُ لِكُـلِّ مـايريد، وليـس يغيـب عنـك سبب الخـذلان الأبـدي لإبليس ، باتِّهامه لحكمة الحكيم ، وجراءته علـى ربِّـه العظيـم ورجوعـه إلى استحسانه لا إلى إيمانه وإيقانه ، وتعويله على قياسه الفاسد ونظره الكاسد .

ولا بأسَ أن نلفتَ نظرك بعد ذَلِكَ إلى أمرٍ بديع : وهو أنَّ الحكمة أن تنظـر في حال السائل الَّذِي يطلـب منـك الجـواب قبـل أنْ تُجيبَـهُ حتـى إذا كـان يناسبُه الجواب ولا يعلو عن استعداده أقررته على السؤال ، وشَفَيْت عِلَّتَهُ بما يريد من الجواب ، وإذا كان لايمكنه أن يفهمه ، وكان من علوم أخرى غير طبقته كان ذكره عبثاً ، وربما كان ضرراً كبيراً عليه .

ومن المعلوم : أنَّ فعل كل أحد يصدرُ منه على مقْدار علمه ، فإذا كان فعله سبحانه على قدر علمه ، وعلمُه على قدر ذاته ، وذاته لا تحيط بها العقول، فكذلك علمه ، فكذلك فعله ، فنحن في حجاب عن الكل . =

﴿كُلَّ يومٍ هُوَ في شَأن﴾ [1].

= ونزيدك ههنا أنَّ الوجودَ كله سلسلة واحدة ، تتجاذب أجزاؤها ، وترتبط حِكَمُها على وجهٍ لا يحيط به ، إلاّ الله سبحانه الّذِي لا تتناهى كمالاته ، ولا تنْحصر معلوماته ، ولا تُفهم أسراره في مخلوقاته ؛ لأنَّها مترابطة غير متناهية ، ، فلا يمكن إدراكها على التحقيق إلاَّ له سبحانه .

والخلاصة : أنَّ الآية مَسُوقةٌ لبيان عظمة الإلهيَّة في سَعَة علمها ، وأنَّ ذَلِكَ يعلو عن حد الإدْراك ، ويرتفع عن متناول الطاقة البشرية ، فإنَّ للإلهيَّة شأناً آخر لا تُدركه العقول ، ولا تصل إليه الأفهام ، فإنَّها مقصورة على إدراك شؤون الحوادث التي تماثلها ، ولا تتعدَّاها إلى شؤون الربوبيَّة ، فذلك يتوقف على تناسبٍ في الصفات وتماثل في الكمالات ، وأنَّ نسبة علمك إلى علمه ، كنسبة قدرتك إلى قدرته ، ونسبة ذاتك إلى ذاته ، ، هذا مع العلم بأنَّ الفعل في حجابٍ عن العقول كالذات والصفة ، فكما لا تعرف كنه ذاته ، لا يمكن أن تعرف كنه صفاته ، ولا كنه أفعاله ، وهي لوازم مرتَّبة .

ولك أن تجعل الآية واردة في خصوص سرِّ القضاء والقدر ، فهو لا يُسأل عمَّا يفعل لرحمته بك كي تقف عند حدِّك حيث لم تكن مستعداً لفهم الجواب ، والوصول إلى ما تتوق إليه نفسك التي تريد أن تتجاوز درجتها، وتتعدى غايتها " انتهى . (مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي ٢:١٦-٢٧ باختصار) .

(١) سورةُ الرحمن، الآية: ٢٩ ، ومعنى قوله سُبْحَانَهُ : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي:من شأنه أنه يحيي ويميت ، ويرزقُ ويعِزُّ قوماً ، ويُفقِرُ ويُذِّلُّ قوماً ،=

غنيٌّ عن كُلِّ ما سواه ، وجميعُ ما عَدَاه مفتقِرٌ إليه[1] .

يَهْدِي من يشاءُ، ويضلُّ من يشاءُ[2] .

= ويشفي مريضاً ، ويمرضُ صحيحاً ، ويفرِّجُ عن مكـروب ، ويجيـبُ داعِيـاً ، ويُعطي سائلاً ، ويغفر ذنباً ، إلى ما لا يُحْصَى من أفعالـه في خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى.

(١) قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُـمُ الفُقَـرَاءُ إلى اللهِ وَاللهُ هُـوَ الغَنِـيُّ الحَمِيـد**﴾ [فـاطر: ١٥] . وقـال سُبْحَانَهُ : ﴿**يَسْـأَلُهُ مَـــنْ في السَّـــمَوَاتِ وَالأَرْض**﴾ [الرحمن: ٢٩] ، فكلُّ المخلوقات من الملائكةِ والإنس والجن مُفْتَقِرَةٌ إلى ا للهِ تعالى ، عاجزةٌ عن تحصيلِ ما تحتاجُ إليه ، فهو الغنيُّ بنفسه عن كلِّ ماسواه، وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه . ومتى شهد العبد غنى ربِّه ، وفَقْرَ المخلوقاتِ إليه ، وشدَّة حاجتهم إليه من كل وجه ، وأنه لا غنى عنه طرفة عين ، صار فقـره إلى ربِّه وصفاً لازماً له ، فلا يفتقر إلى العباد ، ولا يعلِّق أملَهُ ورجاءه بهـم ، فتتحقَّق عبوديَّتُه وتوكلُّه على ا لله عز وجل .

وفي الحديـث القدسـي الَّـذِي رواه مسـلم ٤:١٩٩٤ (٥٥) : "**يـا عبـادي: كلُّكُمْ جَائعٌ إلاَّ مَن أطْعَمْتُه ، فاسْتَطْعِموني أُطْعِمُكم ، ياعبادي كلُّكم عارٍ إلاَّ مَن كسوتُه ، فاسْتكسوني أَكْسُكُمْ**" . فينبغي للعبد أن يعلم أنه في غايـةِ الفقرِ إلى ا لله ، وعليه أن يَسْتَشْعِرَ أنه عبدٌ لله ، محتاجٌ إليه.

(٢) قال ا لله تعالى : ﴿ **يُضِـلُّ مـن يشَـاء ويهـدي مَـن يشـاء** ﴾ [النحـل:٩٣] و[فاطر :٨] . وقال عزَّ وجل : ﴿ **مَنْ يَشَـأِ اللهُ يُضْلِلْـهُ وَمَـنْ يَشَـأْ يَجْعَلْـهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** ﴾ [الأنعام :٣٩] ، وقال سبحانه :﴿ **وَاللهُ يَهْدِي**=

= مَنْ يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيم ﴾ [البقرة : ٢١٣] و [النور :٤٦] . والمراد بالهدى هنا : التوفيق والإلهام ، وهذه الهداية هي المستلزمة للاهتداء . والمراد بالضلال : الخذلان . فالله تعالى إذا شاء هداية عبده يهتدي ، وإذا أراد ضلالَه وهلاكَهُ يعتدي .

قال ابن القيم في "الفوائد" ص٢٣٣ :" وقد أجمع العارفون على أنَّ كلَّ خير، فأصله بتوفيق الله للعبد ، وكلَّ شرٍّ ، فأصله : خذلانهُ لعبده . وأجمعوا أنَّ التوفيق أن لا يكِلك الله إلى نفسك ، وأنَّ الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك ..فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين ، يضعُ التوفيق في مواضعه اللائقة به ، والخذلان في مواضعه اللائقة به ، وهو العليم الحكيم " انتهى .

وأنواع الهداية المذكورة في كتاب الله أربعة : أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق قال تعالى : ﴿ **الَّذِي أعطَى كُلَّ شيء خَلْقَهُ ثُمَّ هدى** ﴾ [طه:٥٠] . **والنوع الثاني** : هداية البيان والدلالة على كلِّ خير ، والتحذير من كل شر. قال تعالى : ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾ [البلد:١٠] أي : بيَّنا له الطريقين الواضحين : طريق الخير وطريق الشر . وهذه الهداية أوجبها الله على نفسه رحمة بعباده ، قال تعالى : ﴿ **إنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى** ﴾ [الليل:١٢] . وبهذه الهداية يظهر اختيار العاقل المكلَّف : فإمَّا أن يختار ويستحبَّ الإيمان ، وإما أن يختار ويستحب العمَى على الهُدى . قال تعالى : ﴿ **وأمَّا ثَمودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى** ﴾[فصلت :١٧] =

= أي : بيَّنا لهم وأرشدناهم ودَلَلْناهم . وقال تعالى:﴿ **إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبيلَ إمَّا شَاكِرَاً وإمَّا كَفُوراً** ﴾ [الإنسان : ٣] .

والنوع الثالث : هداية التوفيق والإلهام المستلزمة للاهتداء التي ذكرتُها آنفاً، والتي وردت فيها أكثر آياتِ الهداية ، وهي المقْصودة في قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُم أَجْمَعِين** ﴾ [الأنعام :١٤٩] ، وفي قوله سبحانه : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نفسٍ هُداهَا** ﴾ [السجدة :١٣] . وهذه الهداية هي المعنيَّةُ في قوله تعالى : ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم** ﴾ ، ولا يملك هذه الهداية ولا يقدر عليها إلاَّ الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ **مَنْ يَهْدِ الله فهوَ المهتدِ وَمَنْ يُضْلِل فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً** ﴾ [الكهف :١٧] . وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَالَهُ مِنْ هَاد** ﴾ [الرعد :٣٣] و [الزمر :٢٣] و [غافر : ٣٣] .

النوع الرابع : غاية هذه الهداية ، وهي الهداية إلى الجنَّة ، قال تعالى :﴿ **إنَّ الَّذِينَ آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَات يَهْدِيهِم ربُّهم بإيْمَانِهِم تَجْرِي من تَحْتِهِمُ الأنْهَار فِي جَنَّاتِ النَّعيم** ﴾ [يونس :٩] . وقال أهل الجنة فيها :﴿ **الحمدُلله الَّذِي هَدانا لِهَذا** ﴾ [الأعراف :٤٣] . (لوامع الأنوار للسفَّاريني ١:٣٣٤-٣٣٥ بتصرف واختصار) .

أفعالُه وأحكامُه كلُّها الحكمة[1] ،

---

(١) ومن أسمائه سُبْحَانَهُ :الحكيم أي : المتقن لخلق الأشياء بحسن التدبير وبديع التقدير ، بحيث يخضع العقل لرفعته ، ويشهد بإتقان صنعته ، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كلَّ شيءٍ خَلَقَه** ﴾ [السجدة :٧] وقال : ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** ﴾ [الفرقان :٢] ، وقد تكرَّر ذِكرُ هذا الاسم الكريم (الحكيم) في (٨١) موضعاً في القرآن ، والحكمة: وضع الأشياء في مواضعها ، وإيجادها على غاية الإحكام ، فقد وَضَعَ الحكيم العليم سُبْحَانَهُ كُلَّ شيءٍ في الموضع الَّذِي لا يصلح إلاَّ له ، ولا يليق إلاَّ به.

قال ابن القيم في " الفوائد " ص٢٢٤-٢٢٥ :" فأحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ، وأعلم العالمين ، الَّذِي هو أرحم بعباده منهم بأنفسهم ومن آبائهم وأمهاتهم ، إذا أنزل بهم ما يكرهون ، كان خيراً لهم من أن لا ينزله بهم ، نظراً منه لهم ، وإحساناً إليهم ، ولطفاً بهم ، ولو مكّنوا من الاختيار لأنفسهم ، لعَجَزوا عن القيام بمصالحهم علماً وإرادة وعملاً ، لكنه سبحانه تولّى تدبير أمورهم بموجب علمه وحكمته ورحمته ، أحبُّوا أم كرهوا ، فعرف ذَلِكَ الموقنون بأسمائه وصفاته يتّهموه في شيء من أحكامه ، وخفيَ ذَلِكَ على الجُهَّال بأسمائِهِ وصفاته ، فنازعوا تدبيرَهُ ، وقدحوا في حكمته ، ولم ينقادوا لحُكْمِهِ ، وعارضوا حكمه بعقولهم الفاسدة ، وآرائهم الباطلة،وسياساتهم الجائرة ، فلا لربِّهم عرفوا ، ولا لمصالحهم حصَّلوا ، والله الموفق" انتهى .

لم يخلُق شيئاً عبثاً[1] ، أحاطَ بِكُلِّ شيءٍ علماً[2] ،

---

(١) قالَ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] . وقال سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدَى﴾ [القيامة :٣٦] ، وقال عزَّ وجلّ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٦] ، وفي سورةِ الدخان: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَواتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما لاعِبِينَ﴾ [٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [ص :٢٧] . وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحقِّ ﴾ [الحجر:٨٥] ، وقال سبحانه بعد ذكْرِ آياته ، أوَّل سورة يونس : ﴿ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بالحقِّ ﴾ [يونس : ٥] ، فالله سبحانه خلق السموات والأرض وما بينهما ، والجنَّ والإنس لمعرفته وطاعته ، وتنزَّه سبحانه وتعالى عن العبث والباطل . قال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْمَاً ﴾ [الطلاق : ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٩٧] .

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللهَ قَد أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢] ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلونَ مُحيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠] ، وقال عز وجل : ﴿ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُون مُحِيْطَاً ﴾ [النساء :١٠٨] أي : عالم بجميع أعمال عباده ، حافظٌ لها ، لايعزب عنه شيء منها .

وأحْصَى كُلَّ شيءٍ عَدَداً[1] .

لا يَتَجَدَّدُ له علمٌ بتجدُّدِ الأشياء، هُوَ الَّذِي يُنْشِئُها على وَفْق ما في عِلْمِه[2] .

فعَّالٌ لِما يُريد[3]، لا مُعَقِّبَ لحكمِهِ[4] ، ولا رَادَّ لقضائِهِ ، مُقَلِّبُ القلوب، يحولُ بينَ المرءِ وقلبه[5] .

---

(١) قال تعالى: ﴿وأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِم وَأَحْصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَداً﴾ [الجن: ٢٨] ، أي : حصَّله وأحاط به ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُم وعدَّهُمْ عدًّا﴾ [مريم: ٩٤] .

(٢) لأنَّ الله سُبْحَانَهُ قد سَبَقَ عِلْمُهُ بالكائنات ، وقدَّرَ مقاديرَها قبل خلقِها ، فإنَّ حصولَ المخلوقاتِ على ما فيها من بدائعِ الصُّنع وغرائب الحِكَمِ لا يُتصوَّر إيجادها إلاَّ من عالمٍ قد سَبَقَ علمه على إيجادها.

(٣) قال الله تعالى :﴿ إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيْد ﴾ [سورة هود :١٠٧] . وقال سبحانه: ﴿ ذُو العَرْشِ المَجيد ۞ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ﴾ [البروج :١٥-١٦]

(٤) أي لايؤخِّر حكمه مؤخِّر ، قال الله تعالى: ﴿والله يحكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١] أي : لا رادَّ ولا مُبْطِلَ له.

(٥) قال الله سُبْحَانَهُ : ﴿واعلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المرءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤] ، من الحوْلِ بين الشَّيءِ والشَّيء ، بمعنى الحَجْز والفصْل بينهما ، أي: يحولُ بين المرءِ وخواطر قلبه ، فيمنعه من حصول ما لم يُرِدْهُ منه لحكمة تقتضي ذَلِكَ ، فلا يقْدر الإنسان أن يُدرِكَ شيئاً من =

هو رازقُ [1] منْ أَرَادَ ، متى أَرَادَ ، أين أَرَادَ ، كما أَرَادَ ، بِمَا أَرَادَ من المال أو الجاهِ أو العلوم أو الأخلاق أو غيرها [2] .

= إيمانٍ أو كفرٍ إلاَّ بمشيئته تعالى ، فا لله سُبْحَانَهُ هو المتصرِّف في القلوب كيف يشاء .

روى مسلمٌ (٢٦٥٤) عن عبدا لله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ رسول ا لله ﷺ يقول: "**إنَّ قلوبَ بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ، يصرِّفُهُ حيث شاء**" ، ثُمَّ قال رسول ا لله ﷺ: "اللهمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّف قلوبَنا على طاعتك".

(١) قال الراغب في "المفردات" ص٣٥١-٣٥٢ :" الرِّزقُ يُقَال لِلعَطَاءِ الجَاري دنيوياً كان أمْ أُخرَوياً . والرَّازِق يُقال لِخَالِق الرَّزق ، ومُعْطِيهِ ، والمُسبِّب لَهُ، وَهُوَ ا لله تعالى ، ويُقَال ذَلِكَ للإنْسان الَّذِي يَصِير سَبباً في وصول الرَّزق. والرزَّاق لايقال إلاَّ لله تعالى ". وفي "القاموس": الرِّزق -بالكسر- ماينتفع به كل مرتزق والجمع أرزاق ، وبالفتح : المصدر .

(٢) قال ابن الأثير في " النهاية " ٢١٩:٢ :" في أسماء ا لله تعالى (الرزَّاق) ، وهو الَّذِي خَلَق الأرزاق ، وأعطى الخلائق أرزاقها وأوْصَلها إليهم . وفعَّال : من أبنية المبالغة. والأرزاق نوعان : ظاهرةٌ للأبْدان كالأقْوات ، وباطنةٌ للقلوبِ والنفوس كالمعارف والعلوم ".

وقال العلاَّمة الشيخ محمد الحَنيفي الحلبي المتوفى بجدة سنة ١٣٤٢ رحمه ا لله تعالى في "المنهاج السَّديد" ص ١١٩-١٢٠ :" الرزق عند أهل السنَّة:=

قال تعالى: **﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُـهُ وَمَا نُنَزِّلُـهُ إِلاَّ بِقَـدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾**(١).

= ماسَاقَهُ الله إلى مخلوقاته فانتفع به بالفعل ، فدخل رزْقُ الإنسان وسائر الدوابِّ وغيرها ، وشمل المأكول وغيره .

وإذا كان الرِّزق ما انتفع به ، فكلُّ ما انتفع به الإنسان أو غيره فقد رَزَقَهُ الله إيَّاه ، فالله يرزق الحلالَ والمكروهَ والمحرَّم . والمُعتزلة خَصُّوا الرِّزق بالمملوك شرعاً . وقالوا : إنَّما يرزق الله الحلال فقط ، ولايرزقُ المحرَّم والمكروه ، وهذه المسألة من فروع عقيدتهم الفاسدة :"الحُسْن والقبح العَقْليين" . ويلزم عليه : أنَّ مَنْ أكلَ الحرام طول عمره لم يرزقه الله أصلاً، وهو خلافُ النصوص فهو مردود " انتهى باختصار.

(١) من سورة الحجر ، الآية:٢١ ، ومعنى الآية: وَمَا مِن شيءٍ إلاَّ عند الله في حكمه وتصرُّفه وأمره وتدبيره ، **﴿خَزَائِنُه﴾** جمع خزانة ، وهي اسمٌ للمكان الَّذي تُخزَنُ فيه نفائسُ الأموال للحفظ ، والكلام تمثيلٌ لإفادةِ أَنَّ مقدوراته التي لا تُحصَى في كونِها محجوبةً عن الخلق ، مَصونةً عن الوصول إليها مع وفور رغبتهم فيها ، وفي كونِها متهيِّئةً للإيجاد والتكوين ، بحيثُ متى تعلَّقَت إرادته تعالى بوجودها وُجدت بلا إبْطاء ، شبيهة بنفائسِ الأموال المخزونةِ للحفظ المعدَّة للتصرُّف فيها بإرادةِ مالكِها **﴿وما نُنَزِّلُهُ إلاَّ بقَدَرٍ مَعْلُوم﴾** وما توجد شيئاً من تلك المقدورات إلاَّ بمقدارٍ معيَّن تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه المشيئة . (صفوةُ البيان ، ص ٣٣٦). =

خَلَقَ العرشَ(١)

= قـال ابـن القيـم في " الفوائـد " ص٤٣٧ : " قـول الله تعـالى : ﴿ **وَإِنْ مِـنْ شَيءٍ إلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ** ﴾ [الحجر : ٢١] مُتَضمِّنٌ لكنزٍ مِنَ الكنوز ، وهو أنَّ كلَّ شيءٍ لا يُطْلَبُ إلاَّ مِمَّن عنده خزائنه ، ومفاتيح تلك الخزائـن بيديـه ، وأنَّ طلبهُ من غيره طَلَبٌ مِمَّن ليس عنده ، ولا يقدر عليه " انتهى .

(١) قال البيهقي في " الأسماء والصفـات" ص٣٩٢ : " اتفقـت أقـاويل أهـل التفسـير على أنَّ العرش هو السَّرير ، وأنَّه جسمٌ خلقه الله تعالى ، وأمر ملائكتـه بحملـه ، وتعبَّدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به ، واستقباله في الصلاة ، وفي الآيـات والأحـاديث والآثـار دلالـة علـى صِحَّـة ماذهبوا إليه " انتهى .

وقد ذَكَرَ سُبْحَانَهُ (العرش) في كتابه في إحدى وعشرين آيـة ، وبيَّـنَ عظمتَـهُ ، وكرامتَهُ ، ورِفْعَتَهُ ، وسَعَتَهُ ، وحَمَلَتَهُ ، قال تعالى: ﴿**لا إِلَـهَ إلاَّ هُـوَ رَبُّ العَـرْشِ الكَرِيـمِ**﴾ [المؤمنـون: ١١٦] ، ﴿**الله لا إِلَـهَ إلاَّ هُـــوَ ربُّ العَـرْشِ العَظِيـم**﴾ [النمل: ٢٦] ، وقال تعالى: ﴿**رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ**﴾ [غافر: ١٥] .

وفي صحيحِ البخـاري (٧٤٢٣) عـن رسـول الله ﷺ أنـه قـال: "**إذا سـألتم الله فسَلوهُ الفردوسَ ، فإنَّه أوْسَطُ الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن**".

كما ذَكَرَ سُـبْحَانَهُ حَمَلَـةَ العـرش وَمَدَحَهُـمْ وبيَّـنَ وظـائفهم ، فقـال سُبْحَانَهُ : ﴿**الَّذِيـنَ يَحْمِلُـونَ العَـرْشَ وَمَـنْ حَوْلَـهُ يُسَـبِّحونَ بِحَمْـدِ رَبِّهِـمْ وَيُؤْمِنُـونَ بِـهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا..**﴾ [غافر: ٧] . =

والكُرسيَّ[1] ، وخلق اللوحَ والقلم[2]، وخلقَ الملائكةَ والجنَّ والإنسَ وَسَائِرَ الحيوانات ، وهو مُغذِّيها برّاً وبحراً ، ليلاً ونهاراً .

= والعرشُ العظيم مُحيطٌ بجميع العوالم ، وهو مَصْدر البيانات والبَلاَغات الإلهيَّة؛ فتبلُّغُ أولاً للذين يحملون العرش ومَنْ حَوْلَهُ .

وقد بيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ التدابيرَ الإلهيَّة ، والأوامرَ الربَّانيةَ تتنزَّلُ من عالم العرش ، فما تكادُ تمرُّ بآيةٍ يُخبرُ فيها سُبْحَانَهُ أنه استوى على العرش إلاَّ وجاءَ بعدها ما يدلُّ على التدبير ، أوالتسخير ، أو التصرُّف في المخلوقات.

(١) قَالَ تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وأصل الكرسي في اللغة: من تركُّب الشيء بعضه على بعض ، ومنه: الكُرَّاسة لِتَرَكُّبِ بعضِ أوراقِها على بعض ، واختلفوا في المراد بالكرسِيِّ على عِدَّةِ أقوال: أحدها: أَنَّ الكرسِيَّ هو العرش ، والقولُ الثاني: أَنَّ الكرسيَّ غيرُ العرش ، وهو أمامه ، وهو فوق السموات السبع ودون العرش .

قال الحافظ في "الفتح" ١٣:٤١١: "وفي حديثِ أبي ذر الطويل الَّذِي صححه ابن حبان ٢:٧٦(٣٦١) أَنَّ رسول الله ﷺ قال: " **يا أبا ذر ما السَّموات السَّبعُ معَ الكُرسيِّ إلاَّ كحلقةٍ مُلْقَاةٍ بأرضِ فلاةٍ ، وفضلُ العرش على الكرسي كفضل الفلاةِ على الحلقة**" . فعالَم الكرسيِّ وَمَا حواه من سَمَواتٍ وأرضين بالنسبة لعالم العرش كحلقةٍ في فلاة.

وينظر تفسير الطبري ٥:٤٠١-٤٠٢وَمَا رجَّحه من قول ابن عباس رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا .

(٢) سيأتي الكلام عن اللوح والقلم في مباحث القدَر ص١٣٤-١٣٦.

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الـبَرِّ وَالبَحْـرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْـبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [1] .

---

(١) من سورة الأنعام ، الآية: ٥٩ ، ومعنى الآية الكريمة: **﴿مفاتِحُ الغَيْب﴾** مفاتح جمع مِفْتح -بكسر الميم- : المفتاح الَّذِي يُفتَح به المِغْلاق ، أي: عنده سبحانه مفاتيح الغيب ؛ لأَنَّهُ سبحانه عالم بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب ، أو المراد بالمفاتح جمع مَفتَح -بفتح الميم- : الخزانة ، أي عنده خزائن الغيب .

والمراد بمفاتح الغيب ما رواه البخاري في صحيحه (٩٩٢) في كتاب الاستسقاء عن عبدالله بن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **مَفاتحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلاَّ الله تعالى: لا يعلم أحدٌ ما يكونُ في غدٍ ، ولا يعلمُ أحدٌ ما يكونُ في الأرحام ، ولا تعلم نفسٌ ماذا تكسِبُ غداً ، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت ، ولا يدري أحدٌ متى يجيئُ المطر** " .

وقال ابن عباس : إنّها خَزائنُ غيب السَّموات والأرض من الأقْدار والأرزاق .

ولما قال الله تعالى: **﴿وَعَنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ﴾** على سبيل الإجْمال ، ذَكَرَ من بَعْد ذَلِكَ الإجمالِ ما يدلُّ على التفصيل : **﴿ويعلمُ ما في البرِّ والبحر﴾** من عجائب مصنوعاته وغرائب مُبْتَدَعَاتِهِ ، وَمَا فيهما من أصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن إدراكِها ، مِمَّا يَدُلُّ على عظيم قدرته وسَعَةِ علمه **﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُها﴾** أي: يعلمُ عددها وأحوالها قبل السقوط =

= وبعده ﴿ولا رَطْبٍ ولا يَابس﴾ قال ابن عباس : الرَّطْب : الماء ، واليابس : البادية ، وقيل : المراد بالرَّطْب: الحي ، واليابس: الميت ، وقيل: هو عبارة عن كل شيءٍ ؛ لأن جميعَ الأشياء إما رطبة وإما يابسة . وَذَكَر الله تعالى هذه الأشياء المحسوسة ليدلَّ بهَا على غيرها ، فقدَّم ذكر البرِّ والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة مافيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن إدراكها ، ثمَّ ذكر بعد ذَلِكَ ما هو أقلُّ من ذَلِكَ ، وهو مُشَاهَدٌ لكلِّ أحد ؛ لأنَّ الورقة الساقطة والثابتة يراها كلُّ أحد ، لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها إلاَّ الله تعالى ، ثمَّ ذكر بعد ذَلِكَ ما هو أصغر من الورقة وهي الحبَّة ، ثمَّ ذكر بعد ذَلِكَ مثالاً يجمع الكُلَّ ، وهو الرَّطْب واليابس ، فذكر هذه الأشياء ، وأنَّه لايخرج شيءٌ عن علمه سبحانه ، فصارت هذه الأمثال مُنبِّهةً على عَظَمةٍ عظيمة ، وقدرةٍ عالية ، وعلم واسع، فسبحان العليم الخبير .

﴿ إلاَّ في كتابٍ مُبين ﴾ فيه قولان : أحدهما أنَّ الكتاب المبين هو علمُ الله الَّذي لايُغيَّر ولا يبدَّل ، والثاني : أنَّ المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ؛ لأنَّ الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفائدة إحصاء الأشياء كُلّهَا في هذا الكتاب لتقف الملائكة على إنفاذ علمه .

ونبَّه بذلك على على تعظيم الحساب ، وأعلم عباده بأنَّه لا يفوته شيءٌ مما يصنعونه، لأنَّ من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتابٍ ، فهو إلى =

= إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع " انتهى من " تفسير الخازن" ٢:٢١ ، وانظر : في شرح حديث ابن عمر المتقدِّم : " **مفاتح الغيب خمس .....**" كتاب "فتح الباري" للحافظ ابن رجب الحنبلي ٩:٢٦٧-٢٧٢ .

وقال الحافظ ابن كثير في " تفسيره" ٤:١٧٥٨ :" فأخبرا لله تعالى أنّه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات ، وكذلك الدوابُّ السَّارحة ، في قوله :﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْضِ إلاَّ على ا للهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها ومُسْتَوْدعَها كُلٌّ في كِتَابٍ مُبين**﴾ [هود :٦] .

وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء ، فكيف بعلمه بحركات المُكلَّفين المأمورين بالعبادة ، كما قال تعالى:﴿ **وَمَاتَكُونُ في شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآن إلاَّ كُنَّا عَلَيْكُم شُهُوداً إذْ تُفِيضُونَ فيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إلاَّ في كِتَابٍ مُبين**﴾ [يونس :٦١] فهو سبحانه يعلمُ جميعَ أحوالِ نبيِّه ﷺ وأحوال أمَّته ، وجميع الخلائق في كلِّ ساعةٍ وآنٍ ولحظة ، وأنّه لايعْزُب عن علمه وبصره مثقال ذرَّةٍ في حقارتها وصغرها في السَّموات ولا في الأرض ، ولاأصغر من ذَلِكَ ولا أكبر إلاَّ في كتاب مبين "انتهى.

س١- هل يُقال: الله كائنٌ في كلِّ مكان؟

لا يقال ؛ لأنه صورة القولِ بالحلول والاتحاد ، وهو كفرٌ ، فالله مُسْتَوٍ على عرشِهِ[1] ،بَائِنٌ من خَلْقِه[2]، قريبٌ لَهُمْ بعلمِهِ

---

(١) قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ على العَرْش اسْتَوى﴾ [طه : ٥] ، وقال سُبْحَانَهُ : ﴿ ثمَّ اسْتَوى على العَرْش ﴾ وورد النصُّ القرآنِيُّ الكريم بهذا اللفظ في ستةِ مواضع من كتابِ الله العزيز ، وذلك في سورةِ الأعراف الآية ٥٤ ، وفي سورةِ يونس الآية ٣، وفي سورةِ الرعد الآية ٢ ، وفي سورةِ الفرقان الآية ٥٩ ، وفي سورةِ السجدة الآية ٤ ، وفي سورةِ الحديد الآية ٤ .

(٢) بمعنى أنه غير مُمَازِجٍ للخَلْق ، يقال : بانَ منه وعنه : بعُدَ وانفصل .

قال الشيخ العارف مَعْمَرْ بن أحمد الأصفهاني (ت ٤١٨) أحد شيوخ الصوفية في أواخر المائة الرابعة :" وإنه عزَّ وجل مُسْتوٍ على عرشه ، بائنٌ من خلقه ، والخلق منه بائنون بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ؛ لأَنَّهُ الفرد البائن من الخلق ، الواحد الغني عن الخلق .." (القاعدة المراكشية ٥:١٩١ ، والصواعق المرسلة ٤:١٢٩٠) .

وقال الشيخ ابن تيمية في " التوسُّل والوسيلة " :" وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه ، بائنٌ من خلقه ، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته ، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته ، وهو سبحانه غنيٌّ عن العرش وعن سائر المخلوقات " (الفتاوى الكبرى ١:٣٦٧) .

وملائكتِهِ[1].

---

(١) قال تعالى :﴿ **وَإذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الـدَّاعِ إذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة :١٨٦] . وقال عَزَّ وَجَلّ: ﴿**ولَقَدْ خَلَقْنا الإنْسَانَ وَنعلـمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ونحنُ أقْرَبُ إليهِ مِـنْ حَبْلِ الوَرِيـدِ**﴾ [ق: ١٦] أي: ونحن بعلمِنا به وبأحواله أقربُ إليه من أقربِ شيءٍ إليه ، وهو عـرقُ الوريـد الّـذِي في بـاطن عنقـه ، فـالمراد : القـربُ بـالعلمِ لا القـرب في المكـان ؛ لاستحالته عليه تعالى .

قال ابن القيم في " الفوائد " ص٥٠ :" أخبر سبحانه عن إحاطة علمـه بـه ، حتى علِم وساوس نفسه ، ثم أخبر عـن قربـه إليـه بـالعلم والإحاطـة ، وأنَّ ذَلِكَ أدنى إليه من العرق الّذِي هو داخل بدنه ، فهو أقرب إليه بالقدرة عليه والعلم به من ذَلِكَ العرق . وقال شيخنا – أي ابـن تيميـة – : المـراد بقولـه ﴿**نَحْنُ** ﴾ ؛ أي : ملائكتنـا ؛ كمـا قـال : ﴿ **فَإذَا قَرَأْنَـاهُ فَـاتَّبِعْ قُرْآنَـهُ** ﴾ [القيامة : ١٨] ؛ أي : إذا قرأه عليك رسولنا جبريل . قـال : ويـدلُّ عليـه قولـه :﴿ **إذْ يَتَلَقَّـى المُتَلَقّيَـان** ﴾ [ق:١٧] ؛ فقيَّـد القـربَ المذكـور بتلقـي المَلَكَيْن ، ولو كان المرادُ به قُربَ الـذات ، لم يتقيَّـد بوقـت تلقِّي المَلَكَيْـن " انتهى .

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿**وَنَحْنُ أقْرَبُ إليـهِ مِنْكُـمْ وَلَكِـنْ لاَ تُبْصِـرُونَ**﴾ [الواقعـة: ٨٥] أي : ونحـن أقـربُ إلى المحتَضَـرِ منكـم بعلمِنـا وقدرَتِنـا أو ملائكتِنَـا ورسلِنَا، ولكنّكم لاتَرَوْنَهُم . =

= قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في " فتح الباري " ٣:١١١-١١٧ :" وقد أخبر الله تعالى بقربه ممَّن دعاه وإجابته له تعالى ، فقال : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيب..** ﴾ وقد رُوي في سبب نزولها : أنَّ أعرابياً قال : يارسول الله ! أقريبٌ ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿**وإذا سَأَلكَ عِبَادي عَنِّي فَإنِّي قَرِيب**﴾ خرجه ابن جرير وابن أبي حاتم.
وروى عبدالرزَّاق عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن الحسن قال : سأل أصحاب رسول الله ﷺ : أين ربُّنا ؟ فأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ **وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ .
وقد خرج البخاري في الدعوات (٦٦١٠) : " **إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنَّكم تدعون سميعاً قريباً** " وفي المسند ٤:٤٠٢: " **إنَّه أقربُ إليكم من أعناقِ رَوَاحِلِكم** " .
ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غيرَ المعنى الصحيح المراد بهَا ، فيستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وإجلاله ، واطِّلاعه على عباده ، وإحاطته بهم ، وقربه من عابديه ، وإجابته لدعائهم ، فيزدادون خشيةً لله وتعظيما، وإجلالاً ومهابةً ، ومراقبةً واستحياءً ، ويعبدونه كأنَّهم يرونه .
ثم حدث بعدهم من قلَّ ورعه ، وساء فهمه وقصْده ، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره ، وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر، فزعم أنَّ هذه النصوص تدلُّ على أنَّ الله بذاته في كلِّ مكان . =

= كما يُحكى ذَلِكَ عن طوائف من الجهميَّة والمعتزلة ومَنْ وافقهم . تعالى ا لله عمَّا يقولون عُلوّ اً كبيراً . وهذا شيء ما خَطَر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي ا لله عنهم . وهؤلاء ممَّن يتبع ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويله ، وقد حذَّر النبيُّ ﷺ أمَّته منهم في حديث عائشة رضي ا لله عنها الصحيح المتفق عليه -البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) -

وتعلَّقوا -أيضاً- بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد ، بآياتٍ في كتاب ا لله تعالى ، مثل قوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُم أيْنَمَا كُنتُم** ﴾ [الحديد:٤] ، وقوله : ﴿ **مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَة إلاَّ هُوَ رابعُهُم** ﴾ [المجادلة :٧] . فقال من قال من علماء السلف حينئذٍ : إنما أراد أنَّه معهم بعلمه ، وقصدوا بذلك إبطال ما قاله أولئك مما لم يكن أحدٌ قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن .

وحكى ابن عبد البر وغيره إجماعَ العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنْتُم** ﴾ [الحديد :٤] أنَّ المراد علمه .

وكلُّ هذا قصدوا به ردَّ قول من قال : إنَّه تعالى بذاته في كلِّ مكان .

وزعم بعض من تَحَذْلَق أنَّ ما قاله هؤلاء الأئمة خطأ ؛ لأنَّ علم ا لله صفة لا تفارق ذاته .

وهذا سوء ظنٍّ منه بأئمة الإسلام ؛ فإنَّهم لم يريدوا ما ظنَّه بهم ، وإنَّما أرادوا أنَّ علم ا لله متعلِّقٌ بما في الأمكنة كلِّها ، ففيها معلوماته لا صفةُ ذاته كما وقعت الإشارة في القرآن إلى ذَلِكَ بقوله : ﴿ **وسِعَ كلَّ شيء علماً** ﴾ [طه : ٩٨] . وقوله : ﴿ **ربَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيء رَحْمَةً وَعِلْمَاً** ﴾ =

واستواؤه تعالى على العرش يجبُ الإيمان بهِ دونَ تعرُّضٍ لِكَيْفِيَّتِهِ[1] ، كالسَّمْعِ والبصَر ، وسائرِ صفاتِهِ تعالى الثابتةِ بلسانِ

= [غافر:٧] ، وقوله : ﴿ **ثمَّ استَوى عَلى العَرشِ يَعلَمُ مَا يَلِجُ في الأرضِ وَمَا يَخرُجُ منْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنْتُم**﴾ [الحديد : ٤] .

ثمَّ قال : " وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ قربَ الله من خلقه شاملٌ لهم ..وليس هذا القرب كقُرب الخلق المعهود منهم ، كما ظنَّه مَنْ ظنَّه من أهل الضلال، وإنَّما هو قربٌ ليس يشبه قرب المخلوقين ، كما أنَّ الموصوف به ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيء وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير** ﴾ [الشورى :١١] " انتهى .

وقال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ٨:٤٠٢ :" قلت : إنَّ الجهميَّة يقولون: إنَّ الباري تعالى في كلِّ مكان ، والسَّلف يقولون : إنَّ علم الباري في كلِّ مكان . ويحتجُّون بقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنْتُم** ﴾ [الحديد:٤] يعني : بالعلم ، ويقولون : إنَّه على عرشه استوى ، كما نطق به القرآن والسنَّة " انتهى .

(١) قال الإمام أبو عمرو الداني المتوفى سنة (٤٤٤) رحمه الله تعالى في " الرسالة الوافية" ص٥٢:" واستواؤه جلَّ جلاله : علوُّه بغير كيفيَّةٍ ، و لا تحديد ، ولا مجاورة ، و لا مماسَّة " انتهى . و قال الإمام جمال الدين الغزنوي الحنفي المتوفَّى سنة (٥٩٣) رحمه الله تعالى في كتابه "أصول الدين" ص ٧٥: "استواؤه على العرش حقٌّ وصِدْقٌ ، ونحن نؤمنُ ونعتقد على الوجه الَّذِي أراده ، ولا نشتغل بكيفيته" انتهى. =

الشَّرع[1] .

= وقال الإمام الحافظ البيهقي في " الأسماء والصفات " ص٣٩٦ :" وليس قولنا: إنَّ الله استوى على العرش، أي مماسٌّ له ، أو متمكِّنٌ فيه ، أو متحيِّزٌ في جهةٍ من جهاته ، لكنه بائنٌ من جميع خلقه ، بل هو خبرٌ جاء به التوقيف فقلنا به ، وَنَفَيْنَا عنه التكييف ، إذ ليس كمثلِهِ شيءٌ ، وبالله التوفيق" انتهى، ونقله الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١٣:١٣ ٤ .

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٣٨:٣ عند تفسير قوله تعالى :﴿ **ثُمَّ اسْتوى عَلى العَرْش** ﴾ [الأعراف :٥٤] : " فللنَّاس في هذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جداً ، ليس هذا موضعَ بسطها ، وإنَّما يُسْلَكُ في هذا المقام مذهبُ السَّلف الصالح : مالكٍ ، والأَوْزاعي ، والثَّوري ، واللَّيْثِ بن سعد ، والشافعي، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهُويه ، وغيرهم من أئمَّة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمْرارُها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادَرُ إلى أذهان المُشبِّهين منفيٌّ عن الله، فإنَّ الله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ ، بل الأمر كما قال الأئمة – منهم : نُعيم بن حمَّاد الخزاعي شيخ البخاري– : "من شبَّه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جَحَد ما وصَف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيه " . =

هَذَا الَّذِي اتَّفق عليه الأئمةُ الأربعة وغيرُهم من أسَاطين

= فمن أثبتَ لله تعالى ما وردت به الآيات الصَّريحة والأخبار الصَّحيحة ، على الوجْهِ الَّذِي يليق بجلال الله تعـالى ، ونفـى عـن اللهِ تعـالى النقـائص ، فقـد سَلَك سَبيل الهُدى " انتهى .

وَقال الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١٠ : ٦١٠ - ٦١١ في ترجمة نُعيـم بـن حمَّاد (ت٢٢٩) : بعد أن ساق بسنده إليه قوله :" من شـبَّه الله بخلقـه فقـد كفر ..." . قلت : هذا الكلام حق ، نعوذ با لله من التشـبيه ، ومـن إنكـار أحاديث الصفات ، فما ينكر الثابت منها مَنْ فَقِهَ ، وإنَّمـا بعـد الإيمـان بهَـا هنا مقامان مذمومان : **تأويلُها وصرفُها عن موضوع الخطاب** ، فمـا أوَّلهـا السَّلف ولا حرَّفوا ألفاظَها عن مواضِعِها ، بـل آمنُـوا بِهَـا ، وأمَرُّوهـا كمـا جاءت .

المقام الثاني : المبَالَغةُ في إثباتها ، وتصوُّرهـا مـن جنـس صفـاتِ البشـر ، وتشكُّلها في الذِّهن ، فهذا جهلٌ وضلال ، وإنَّما الصفةُ تابعةٌ للموصـوف ، فإذا كان الموصوف عزَّ وجل لم نَرَه ، ولا أخبرنا أحدٌ أنَّه عاينـه ، مـع قولـه لنا في تنزيله : ﴿ **لَيْـسَ كمثِلِـه شَـيءٌ** ﴾ ، فكيـف يبقـى لأذهاننـا مجـالٌ في إثبات كيفيَّة الباري ، تعالى الله عن ذَلِكَ ، فكذلكَ صفاتُـهُ المقدَّسـة ، نُقِـرُّ بِهَا ونعتقد أنَّها حقٌّ ، ولا نمثِّلُها أصْلاً ولا نشكِّلها " انتهى .

السُّنّةِ[1]، وهو المعقول.

---

(١) روى أبو القاسم اللالكائي في كتاب " السنة " ٣:٤٣٢(٧٤٠) عن محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى قال : " اتّفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بِهَا الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الربِّ عزَّ وجل من غير تفسير ولا وصْف ولا تشبيه " . وقال الترمذي تعقيباً على حديث أبي هريرة في كتاب صفة الجنة ٤:٥٩٧ (٢٥٥٧) :" والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل : سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عُيينة ، ووكيع وغيرهم ، أنّهم رَوَوْا هذه الأشياء ، ثم قالوا : تُرْوَى هذه الأحاديث ويؤمَنُ بِهَا ، ولا يُقال : كيف ؟ وهذا الّذِي اختاره أهل الحديث : أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت ويؤمَن بِهَا ، ولا تفسَّر ، ولا تُتَوَهَّمُ ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الّذِي اختاروه وذهبوا إليه " انتهى .
وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى:"الاستواءُ معلومٌ ، والكَيْفُ غير معقول ، والإيمانُ بِهِ واجبٌ ، والسُّؤالُ عنه بدعة" ، وقد اشتهرت هذه المقولة عن الإمام مالك ، وعن غيره من السَّلف ، وأخرجها عنه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٤٠٨-٤٠٩ ، وجوَّدَ إسنادَها الحافظُ ابن حجر في "الفتح" ١٣ : ٤٠٦-٤٠٧.
وفي " الانتقاء " لابن عبدالبر ص ٧٣ :" قال الوليد بن مسلم : سألت الأَوْزاعيَّ وسفيانَ الثوري ومالكَ بن أنس والليثَ بن سعد عن هذه =

ولا يجوزُ التفكُّرُ في ذات ا لله تعالى [1] .

= الأحاديث التي فيها ذكر الرُّؤية ، فقالوا : أمِرُّوها كما جاءت ، بلا كيف .
وكان مالكٌ كثيراً ما يتمثّل بقول الشاعر :

وخير أمور الدين ماكان سنّةً وشرُّ الأمور المُحْدثات البدائع

(١) ومن أين للمخلوقِ أن يتفكَّرَ في ذاتِ خالقه؟ ومن أين للعاجز أن يتفكَّرَ في القادر ؟ ومن أين للجاهل أن يتفكّر في العالم؟ ومن أين للمحدودِ أن يتفكَّرَ في الواسع؟ فالعقلُ الإنسانيُّ أعْجَزُ من أن يحيط بحقيقةِ الذاتِ الإلهية .

قال العلامة المفسِّر المحدِّث أحمد رافع الطهطاوي في " كمال العناية" ص٧٢-٧٣ :" إنَّ ا لله سبحانه خلق العقول وأعطاها قوة الفكر ، وجعل لها حدَّاً تقف عنده ، فإذا تفكّرت فيما هو في طَوْرها وحدِّها ووفّت النظرحقّه أصابَتْ بإذن ا لله تعالى ، وإذا تفكّرت فيما هو خارج عن طَوْرها ووراء حدِّها ركبت مَتْن عمياء ، وخَبَطَت خَبْطَ عشواء ، فلم يثبت لها قَدَم، ولم تركز على أمر تطمئن إليه " انتهى .

وإذا ثَبَتَ عجزُ الإنسانِ عن معرفة كُنْهِ كثيرٍ من الأشياء من حولهِ ، بل لم يعرف حقيقةَ نفسه ، وكيف يعمل عقله ، فكيف يطمعُ أن يدرك كنهَ ربِّهِ سُبْحَانَهُ؟ وا لله جلَّ وعلا يقول: **﴿يعلمُ مَا بَيْنَ أيديهمْ وَمَا خلفَهُمْ ولا يُحيطُونَ به عِلْما﴾** [طه: ١١٠] ، **﴿لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللطيفُ الخبير﴾** [الأنعام: ١٠٣]. =

= وفي الحديث: "**تفكّروا في آلاءِ الله ولا تفكّروا في الله فتهلِكوا**" ، رواه أبو نُعيمٍ في "الحلية" عن ابنِ عباسٍ ﷺ ، وفي رواية: "**تفكّروا في خلقِ الله ولا تتفكروا في الله**" رواه أبو الشيخ في العظمة ١:٢١٠(١) والطبراني في "الأوسط" ٦:٢٥٠(٦٣١٩)عن ابن عمر مرفوعاً بأسانيدَ ضعيفة ، والحديث حَسَنٌ بمجموعِ طرُقِهِ.

وناجَى رسولُ الله ﷺ ربَّهُ فقال:"**لا أُحصي ثناءً عَلَيك أنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِك**" رواه مسلم (٤٨٦).

ورُوِيَ عن أبي بكرٍ الصدِّيق ﷺ: "العجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراك".

قال الطهطاوي في " كمال العناية " ص٧٣ :" يعني : أنَّ عجز العقول عن الوصول إلى هذه المعرفة التي هي نهاية الإدراك ناشئٌ من كمال الإدراك . ويحتمل : أنَّ المراد أنَّ هذا العجز إدراك لما هو مطلوب شرعاً من الوقف ، وأنَّ إدراك هذا العجز إدراك عظيم .

ومقالة الصديق هذه مِصْرَاعٌ موزون بلا قصد وقد ضمَّنها بعضهم ، فقال :

لايعرف الله إلاَّ الله فاتَّئِدُوا والدينُ دينان إيمانٌ وإشْراك

وللعقول حدودٌ لا تجاوزها والعجز عن دَرَك الإدراك إدْراك "

ويقولُ الإمام أبو القاسم الجنيد (ت٢٩٧) رحمه الله تعالى : "لا يعرف الله إلاَّ الله".

ولذلك يجبُ على الإنسانِ أن يوفِّر جهده العقليَّ ، ولا يضيِّعه فيما لا قُدْرةَ عليه ، ولا سبيلَ إلى معرفتِهِ ، وأن يبتعدَ عن هذه السَّاحةِ ، لأنها سَتُدخِلُهُ في متاهةٍ لا يصل فيها إلى قرار. =

س٢- هل يُفَسَّر استَوى باسْتولى في آيـة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾؟

= يقول الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦) رحمه الله تعالى:

العلمُ للرَّحمنِ جلَّ جلالُهُ   وسِوَاه في جَهَلاته يَتَغَمْغَمُ
مَا للتُراب وللعلوم وإنَّما   يســعَى ليعلم أنه لا يعلم

وقال السيوطي في رسالته " القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربَّه " كما في " الحاوي " ٢٤٠:٢ :

قـل لمـن يَفْهَـمُ عنِّـي مـا أقـول   قَصِّـر القـولَ فـذا شـَرحٌ يطُـول
هـو سـرٌّ غـامض مِـنْ دُونِـهِ   ضُربـت وا للهِ أعنـاقُ الفحـول
أنـتَ لا تَعْـرفُ إيَّـاك وَلا   تَـدْر مَـنْ أَنْـتَ وَلا كَيْـفَ الوُصُـول
لا ولا تَـدْر صِفَـاتٍ رُكِّبَـتْ   فيـك حَـارَتْ في خَفَايَاهَـا العُقُـول
أيـنَ منـك الـرُّوح في جوهرهـا   هـل تراهـا فـترى كيـف تجـول ؟
هـذه الأنفـاسُ هـل تحصرهـا   لاولاتـدري متـى عنـك تـزول
أيـن منـك العقـل والفهـم إذا   غَلَـبَ النـومُ فقـل لي يـاجهول
أنـت أكـلُ الخـبز لاتعرفـه   كيـف يجري منـك أم كيـف تبـول
فـإذا كـانت طوايـاكَ الـتي   بـين جَنْبيـك كـذا فيهـا ضلـول
كيف تدري مَنْ على العرش استوى؟   لاتقل كيف استوى كيف النزول؟
كيف يحكي الرب أم كيف يُرى ؟   فَلَعَمْـري ليـس ذا إلاَّ الفضـول
جـلَّ ذاتاً وصـفاتاً وسَـمَا   وتَعَالى قَـدْرُه عَـمَّا تقول

لا يجوزُ تفسيره باستولى ولا بغيرها [1] . وأيضاً: لا يستقيم ؛ لأن استواء الاستيلاء يكونُ بعد المنازعة والمغالبة ، تعالى الله عن ذلك ،

---

(١) قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء "١٠:٥٠٥-٥٠٦:" قلت : قد فسَّر علماء السَّلف المهم من الألفاظ وغير المهم ، وما أبقوا ممكناً ، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرَّضوا لتأويلها أصلاً ، وهي أهمُّ الدين ، فلو كان تأويلُها سائغاً أو حتماً ، لبادروا إليه ، فعُلِمَ قطعاً أنَّ قراءتها وإمْرارها على ما جاءت هو الحقُّ ، ولا تفسير لها غير ذَلِكَ . فنؤمن بذلك ونسكت اقتداءً بالسلف ، معتقدين أنَّها صفاتٌ لله تعالى ، استأثر الله بعلم حقائقها ، وأنَّها لا تشبه صفات المخلوقين ، كما أنَّ ذاته المقدَّسة لا تُماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنَّة نطق بهِا ،والرسولُ ﷺ بلَّغ ،وما تعرَّض لتأويل، مع كون الباري قال :﴿ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم**﴾[النحل:٤٤]. فعلينا : الإيمان والتسليم للنصوص ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " .

وقال أيضاً ١٢:٢٢١ :" إنَّ كل نصٍ ألقاه ﷺ إلى أمَّته ، ولم يزدهم فيه تفسيراً ، ولا هم سألوه ، ولا فسَّروه لمن بعدهم ، فإنَّ قراءته تفسيره ، فلا يُزاد عليه ، ولا يُبْحث فيه ، ولا سيما إذا كان في أسماء الله وصفاته المقدَّسة" انتهى .

وقال الحافظ ابن رجب في"فضل علم السَّلف على علم الخلف" ص٥٤:"والصَّواب ما عليه السَّلف من إمرار آياتِ الصفات وأحاديثها =

= كما جاءت من غير تفسيرٍ لها ولا تكييف ولا تمثيل ، ولا يصحُّ عن أحدٍ منهم خلاف ذَلِكَ ألبتة ، خصوصاً الإمام أحمد ، ولا خوضٍ في معانيها ، ولاضرب مثل من الأمثال لها " .

وقال أيضاً في " اخْتِيَار الأَوْلى" ص٤٠-٤١ :" وأمَّا وصفُ النَّبي ﷺ لربِّه عزَّ وجل بما وصف به ، فكلُّ ما وصف النبيُّ ﷺ به ربَّه عزَّ وجل ، فهو حقٌّ وصدقٌ يجب الإيمان والتصديق به كما وصف ا لله عزَّ وجل به نفسه مع نفي التمثيل عنه ، ومن أشكل عليه فهمُ شيء من ذَلِكَ واشتَبَهَ عليه فليقل كما مدح ا لله تعالى الراسخين في العلم وأخبر عنهم أنَّهم يقولون عند المتشابه : ﴿ **آمنَّا بِهِ كلٌّ مِنْ عندِ ربِّنا** ﴾ [آل عمران :٧] ، وكما قال النبي ﷺ في القرآن :" **وما جهلتم منه فكِلُوهُ إلى عالِمِهِ** " أخرجه الإمام أحمد والنسائي وغيرهما ، ولا يتكلَّف ما لاعلم له به ، فإنَّه يُخشَى عليه من ذَلِكَ الهَلَكَةُ " انتهى .

وقال ابن رجب في " فتح الباري" ١١٧:٣ :" فلهذا اتَّفق السَّلف الصالح على إمرار هذه النصوص كما جاءت من غير زيادة ولا نقص ، وما أشكل فهمه منها ، وقَصُرَ العقل عن إدراكه وُكِلَ إلى عالِمِهِ " انتهى .

وقال أيضاً في "فتح الباري" ٢٣٤:٧ :" كل ما أثبَتَهُ ا للهُ لنفسه أو أثبَتَهُ له رسولُه ، فإنَّه حقٌّ وصدقٌ يجب اعتقاد ثبوته مع نفي التمثيل عنه . فكما أنَّ ا لله ليس كمثله شيء في ذاته فكذلك في صفاته ، وما أشكل فهمُه من ذَلِكَ، فإنَّه يقال فيه ما مدح ا لله الراسخين من أهل العلم أنَّهم يقولون =

كبيتِ استواءِ بِشْرٍ على العراق الَّذِي استدلَّ بِهِ المعتزلة[1].

ومنهم سَرَى إِلى بعض المتأخِّرِينَ من أهلِ السُّنَّةِ ، فهو قولُ المعتزلة ، وقد ردَّ عليهم أبو الحسن الأشعري في ذلك رداً

= عند المتشابهات : ﴿ آمنَّا به كلٌّ مِنْ عندِ ربِّنا ﴾ [آل عمران :٧] ، وما أمر به رسول الله ﷺ في مُتشابه الكتاب أنَّه يُردُّ إلى عالِمِهِ ، والله يقول الحقَّ ويهدي السبيل " .

ثمَّ قال ٧: ٢٤٠ :" وأمَّا السَّلف وأئمة أهل الحديث فعلى الطَّريقة الأولى، وهي الإيمان بجميع ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو صحَّ عن رسول الله ﷺ أنَّه أثبته له ، مع نفيِ التمثيلِ والكيفيَّة عنه ، كما قاله ربيعة ومالك وغيرهما من أئمة الهدى في الاستواء ، وروي عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين . وقال مثل ذَلِكَ غيرهم من العلماء في النزول ، وكذلك القول في سائر الصفات ، والله سبحانه وتعالى الموفِّق " انتهى.

(١) وهو: قد استوى بِشْرٌ على العراقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

أورده الجوهريُّ المتوفى سنة (٣٩٣)في "الصحاح" مادة (سوا) ٦: ٢٣٨٥ ، وعند ابن منظور في "اللسان" مادة (سوا) ١٤: ٤١٤ ، ولم ينسباه لأحدٍ ، ونسبه ابن كثير في "البداية والنهاية "٩:٧ و الزَّبيدي في "التاج" ١٠: ١٨٩ للأخطل.

بليغاً[1] ، وابن عبدالبر[2] وغيرُهما من المحققين فَلْيَسْتَفِدْها مـن لم يَسبْق له العلمُ بها.

۞۞۞

(١) انظر: "الإبانـة" ص ١١٩-١٢٧، و "الرسـالة إلى أهـل الثغـر " ص ٢٣٣-٢٣٤ لأبي الحسن الأشعري .

(٢) انظر: "التمهيد" لابن عبدالبر ٧: ١٢٨ وَمَا بعدها.

س٣- مَن همُ الملائكة وما وظيفتهم؟

عبادٌ لله مطيعونَ عابدون معصومون ، وهم أجْرامٌ من نورٍ(١)، لا إناثَ ولا ذكور (٢) ، وقد يَتَشكَّلونَ بشكلِ الآدَمِيٍّ عند الحاجة (٣) .

---

(١) والدليل على أنَّهم أجرامٌ من نور ، مارواه مسلم في صحيحه (٥٣١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : " **خُلقت الملائكة من نور ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار ، وخُلق آدم مما وُصف لكم** " . وقد أنكر قومٌ من الزائِغينَ كون الملائكة أجساماً من نور ، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنةِ في المخلوقات ، وهذا تكذيبٌ لكتابِ الله تعالى ، وسنةِ رسوله ﷺ، وإجماعِ المسلمين.

(٢) قال تعالى رداً على المشركين الَّذِينَ حكموا على الملائكة بالأنوثة :﴿**وجَعلُوا الملائكةَ الَّذِينَ هُمْ عبادُ الرَّحمن إناثاً ، أَشَهِدُوا خَلْقَهُم ؟ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهم ويُسْألونَ** ﴾ [الزخرف :١٩] . ومن ثمَّ نصَّ العلماء في كتب العقائد على كفر من قال بأنوثة الملائكة لمعارضة صريحِ النَّصِّ القرآني ، كما نصُّوا على التبْديع المفسِّق لمن قال بذكورتهم .

(٣) وذلك حسب المناسبات التي تقتضيها الحالات التي يتشَكَّلون فيها . قال الله تعالى مُخبراً عن مريم عليها السلام :﴿ **فأرسَلْنا إليها رُوحَنا فَتَمثَّلَ لها بَشراً سَوِيَّاً** ﴾ [مريم :١٧] أي : سويَّ الخَلْق ، كامل البنية ، ومن تمثُّلات =

منهم الأربعة: جِبْريل ، وميكائيل ، وإسْرافيل[1] ،

= الملائكة حسب المناسبة ، ما ذكره الله تعالى عنهم في قصة ضيف إبراهيم ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ... ﴾ [الذاريات :٢٤] .

وتمثُّلات الملائكة تكون على مقتضى الحالات التي يأتون بِهَا كما أمرهم الله تعالى. ومن ذَلِكَ تمثُّل المَلَك بصورة أبرص ، ثمَّ بصورة أقرع ، ثمَّ بصورة أعمى ، كما في الصحيحين : البخاري (٣٤٦٤) ومسلم (٢٩٦٤) .

ومن تمثُّلات الملائكة عليهم السلام ما ثَبَتَ في الصحاح أنَّ جبريل عليه السلام كان يأتي النَّبيَّ ﷺ بصورةِ رجلٍ أعرابيٍ ، حَسن المنظر ، وكثيراً ما كان يتمثَّل بصورة دحية بن خليفة ؛ لأنَّهُ كان جميل الصُّورة حسَن الهيئة .

(١) قال ابن القيم في "إغاثة اللهفان" ٢: ١٢٢: "ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة: جبريل، وميكائيل ، وإسرافيل ؛ فجبريل : موكَّلٌ بالوحي الَّذِي به حياةُ القلوب والأرواح ؛ وميكائيل : موكَّلٌ بالقَطْرِ الَّذِي به حياةُ الأرض والنبات والحيوان ؛ وإسرافيل : موكَّلٌ بالنفخ في الصُّور الَّذِي به حياةُ الخلق بعد مماتهم" انتهى . ومثله في "زاد المعاد" ١:٤٣ .

روى الطبراني ١١:٣٧٩ (١٢٠٦١) والبيهقي في " شُعَب الإيمان " ١:١٧٧من حديث ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: **"على أيِّ شيءٍ أنت؟ قال: على الريح والجنود. قال: وعلى أيِّ شيءٍ ميكائيل؟ قال: على النبات والقَطْر ،قال: وعلى أيِّ شيءٍ مَلَكُ المَوْت؟** =

وَعِزرائيل[1].

ومنهم: ملائكةٌ مُوَكَّلونَ بكُلِّ إنْسانٍ يتعاقَبونَ لَيليِّين وَنَهاريِّين[2]، يكتبونَ كُلَّ ما يقولُ أو يفعلُ من الحَسَناتِ

= قال: **على قَبْض الأرواح**". قال الحافظ في الفتح ٦: ٣٠٧ :"وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، وقد ضُعِّفَ لسوءِ حفظه ولم يُتْرك".

(١) عِزْرائيل ملك الموت. قال السيوطي في "زَهْر الرُّبى" ٤: ١٢٠: "لم يرد تسميته في حديث مرفوع، وورد عن وهب بن منبِّه: اسمه عزرائيل، رواه أبو الشيخ ٣:٨٩٩ (٤٣٩) في "العظمة". انتهى. كما رواه أبو الشيخ عن أشعث بن أسلم البصري (٤٤٣) .وقال السيوطي أيضاً في "الديباج" ٥: ٣٥٨: "ورد في أثرٍ عن وهب اسمه عزرائيل، ومعناه: عبدالجبَّار".وانظر مزيد تفصيل عند قول المؤلف ص٢٩٢ :" وعزرائيل هو ملك الموت قابض الأرواح بإذن الله ".

(٢) روى البخاري في مواضع من صحيحه منها: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٥)، وكتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣٢٢٣)، ومسلم في كتاب المساجد ١: ٤٣٩ (٦٣٢) من حديث أبي هريرةَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "**يتعاقبونَ فيكم ملائكةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعونَ في صلاةِ الفجر وصلاةِ العصر، ثُمَّ يعرُجُ الذين باتوا -أو كانوا- فيكم، فيسألُهُم -وهو أعلم بهم-: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصَلُّونَ، وأتيناهم وهُمْ يُصَلُّون**". =

والسيِّئات إلى أن يموتَ [1] .

= والتعاقب : التناوب والتداول . والمعنى : أنَّ كلَّ ملائكة تأتي تَعْقِبُ الأخرى .
وهؤلاء الملائكة: هم الحَفَظَةُ في قولِ أكثرِ أهلِ العلم ، وقيل: إنَّما هم موكَّلون برفعِ أعمال اليوم والليلة.

(١) فالملائكةُ الحفَظَةُ الموكَّلونَ بالعبادِ على صنفين:

الصنف الأول: الَّذينَ يَحفظون الإنسان من المكاره والشَّدائد ، وموكلون بتسيير مداركه وجسمه ، قال تعالى: **﴿له مُعَقِّبَاتٌ من بينِ يديهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾** [الرعد: ١١] فهُمْ يحفظونه من أجلِ أَنَّ الله أمرَهُمْ بذلك .

قال الحافظ في "الفتح" ٨:٣٧٢ :" وروى الطبراني -بإسناد حسن- عن ابن عباس في قوله تعالى :**﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ و مِنْ خَلْفِهِ ﴾** قال: ملائكةٌ يحفظونه من بين يديه ومن خلفِهِ ، فإذا جاء قدره خَلَّوْا عنه ".
وقال تعالى: **﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾** [الأنعام: ٦١] .

والصنف الثاني: الملائكةُ الذين يحفظون على الإنسان أقوالَهُ وأعمالَهُ الحِسِّية والقلْبِيَّة ، ويكتبونَها.

قال تعالى: **﴿وإنَّ عَلَيْكُم لَحافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾** [الانفطار:١٠-١٢] . =

ومنهم: المَلَكان اللذانِ يَسْألانِ الميِّتَ في قبره عن دينِه [(١)] .

ومنهم: خَزَنَةُ الجنَّة [(٢)] ، وخزنَةُ النَّار [(٣)] .

= وقال سُبْحَانَهُ : ﴿إذْ يتلَقَّى المتلقّيانِ عَنِ اليمينِ وعنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ من قَوْلٍ إلاَّ لَدَيهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨] . وقد جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال ، يكتُبانِ الأعمال: صاحب اليمين يكتب الحسناتِ ، وصاحبُ الشمال يكتبُ السيِّئات ، ومَلَكان آخَران يحفظانِهِ ويحرُسانِهِ ، واحدٌ من ورائه ، وواحدٌ أمامَهُ.

(١) انظر ما يأتي في الفصل السابع ص٢٩٦ عند قول المؤلِّف رحمه الله تعالى:"وسُؤالُ الملكَيْن حقٌّ ..."

(٢) **الخَزَنَةُ** : جمع خازن ، وهو المؤْتَمَنُ على الشيء قد استحفظه ، فعلى كلِّ بابٍ من أبواب الجنَّة الثمانية خَزَنَةٌ وكِّلوا بذلك ، يستقبلون المؤمنين حين دخولهم ، ويرحِّبون بقدومهم ، ويكرمونهم بالتحيَّات . قال تعالى:﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا ربَّهُم إلى الجنَّةِ زُمَراً حتَّى إذَا جَاؤُوهَا وفُتِحَتْ أبْوابُهَا وقَالَ لَهُمْ خزَنَتُهَا : سَلامٌ عَلَيْكُم طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر :٧٣] ، ورئيسُ أولئك الخزنة هو (رضوان) ، واسْمُه مشتَقٌّ من الرضا ؛ لأنَّ أهل الجنة رضي الله عنهم ، ورضوا عنه.

(٣) وهم الزَّبانية الغِلاظُ الشِّداد الموكَّلون بتعذيب من يدخلها ، وقد وصفهم الله سبحانه بقوله : ﴿ **عَليهَا مَلائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُم ويَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم :٦] . =

ومنهم غيرُ ذلك : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاَّ هُو ﴾ (1) .

= ويسمَّى رئيس خزنة النار (مالكاً) . قال تعالى : ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَينا ربُّك** ﴾ [الزخرف:٧٧] .

ويقال لخزَنة النَّار : (الزَّبانية) ، قال تعالى : ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ**﴾ [العلق :١٧-١٨] وسمي ملائكة العذاب بذلك لدفعهم بقوة .

وخزنة النَّار الموكَّلون عليها المتولون أمرها تسعة عشر مَلَكاً ، وإليهم مرجع زبانيتها وسائر خزنتها . قال تعالى : ﴿ **عَلَيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إلاَّ فِتْنَةً للَّذينَ كَفَرُوا** ﴾ [المدثر : ٣٠-٣١]. وليس هذا العدد حاصراً لجميع الملائكة الموكَّلين بجهنَّم وتعذيب داخِلِها من الكفَّار والعصاة ، فقد روى مسلم (٢٨٤٢) والترمذي (٢٥٧٦) عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **يؤتَى بالنَّار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملَك يجرُّونها**".

وذهب كثير من العلماء إلى أنَّ تمييز العدد (تسعة عشر) المحذوف هو : صنفٌ ، أو صفٌّ ، أو ألف . وأنَّ التقدير : عليها تسعة عشر صفَّاً من الملائكة ، أو صنفاً ، أو ألفاً . . (الإيمان بالملائكة عليهم السلام ، للشيخ عبدا لله سراج الدين ، ص١٢٣-١٢٧) .

(١) من سورة المدثر ، الآية: ٣١.

س٤- مَن هم الجنُّ؟

هُم جِنسٌ(١) يرَوْنَنا ولا نراهم(٢) ،

---

(١) عالم الجن من العوالم الكونيَّةِ ، كعالم الملائكةِ ، وقد أخبر الله تعالى أنه خلقه من مارجٍ من نارٍ ، وأنه قادرٌ على الأعمالِ الشَّاقَّةِ ، ولم يختلف أهلُ المِلَل في وجودهم ، بل اعترفوا به كالمسلمين ، وإن اختلفوا في حقيقتهم ، ولا تلازُمَ بين الوجودِ والعلم بالحقائق ، ولا بينه وبين الرؤيةِ بالحواس ، فكثيرٌ من الأشياءِ الموجودةِ لا تزالُ حقائقُها مجهولةً ، وأسرارُها محجبةً ، وكثيرٌ منها لا يرى بالحواس ، ألا ترى الروح -وهي مما لا شكَّ في وجودِها في الإنسان والحيوان- لم يدرك كُنْهَهَا أحدٌ ولم يرَها أحدٌ ، وغايةُ ما علمَ الإنسانُ من أمرِها بعض صفاتها وآثارِها ، وكم في العوالم من أسرارٍ ، وفي الكونِ من حُجُبٍ وأسْتارٍ ، أحاط بهَا خالق الكون ومُبْدعه ، ومنها ما استأثر بعلمه ، ولم يطْلع عليها أحداً من خلقه . "صفوةُ البيان" ص ٧٥٢ .

(٢) أي : بصورتهم الجبليَّة ، وإن كانوا يُرَوْن حين يتشكَّلون بأشكال أخرى قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف :٢٧] ، وقبيلُهُ : جنوده من الجنِّ أو نسلُهُ ، فهُم يَرَوْنَ الإنْسَ كما يرى بعضُهم بعضاً دون اختلاف ، أمَّا الجنُّ فهُم أخفياء عن الإنس ، فَإِنَّ كلمةَ (جن) تدلُّ على الخَفاء ، ومنه الجَنين في بطن أمه ، فإنه لا يُرى ، ومنه المِجَنُّ يُلبَسُ في الحُروب.

قال السُّبكي في " طبقات الشَّافعية " ١٤٨:٣ : "وفي "مناقب الشافعي " للآبريِّ : أنَّ حرملة قال : سمعتُ الشَّافعي ﷺ يقول : من زَعَمَ مِنْ أهل=

مكلّفون بتوحيدِ الله وعبادته مثل الإنس[1] ،

= العدَالة أنّه يَرى الجنَّ أبْطَلْنَا شهادته ، لقوله تعالى :﴿ **إنَّهُ يَرَاكُم هُوَ وَقَبِيلَهُ من حَيْثُ لاتَرَوْنَهُم** ﴾ إلاَّ أنْ يَكُونَ الزَّاعِمُ نَبِيًّا " .

واختار الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٦:٤٥٩ : أنّه يمكن رؤية الجنّي في حالة تصوُّره بغير صورتهِ ، وأمَّا رؤيته على صورته التي خُلِق عليها فَلاَ ، وأنّ ذَلِكَ هو مقصود الآية . ورجَّح الحافظُ هذا القول في "الفتح" ٤:٤٨٩ ويمكن حمل كلام الشافعي الّذِي سبق نقله على هذا المعنى ، والله أعلم .

(١) قَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿**يا مَعْشَرَ الجنِّ والإنْسِ أَلَمْ يأتِكُمْ رُسُلٌ منكُمْ يقصُّونَ عليكم آياتي ويُنذِرونَكُمْ لقاءَ يومِكُمْ هذا قَالُوا : شَهِدْنَا عَلَى أَنفسِنا**﴾.[الأنعام:١٣٠] أي : اعترفوا بأنهم بلغتهم رسالاتُ ربِّهم ، وأنذروهم لقاء يومهم هذا .

فالجنُّ مكلَّفون مثلُنا ، وفي سورة الرَّحمن وجَّهَ الخطابَ إليهم مع الإنْس مُقْترنين في الإنذار بالنَّار وعذابِها ، والبِشَارَة بالجنَّة ونعيمِهَا .

قال القرطبي في "الجامع" ١٧:١٦٩ في تفسير سورة الرَّحمن :" هذه السورة والأحقاف ، وقُلْ أُوحيَ -الجن- دليلٌ على أنَّ الجنَّ مُخَاطبون مأمورون منهيُّون مُثابون مُعاقَبون كالإنسِ سواء ، مؤمنهم كمؤمنِهم ، وكافرهُم ككافِرِهم ، لافرق بيننا وبينهم في شيئ من ذَلِكَ " انتهى .

وَمِمَّا يدلُّ على أنَّ الجنَّ مُكلَّفون ولهم جزاء في الآخرة ما نقله السُّبكي في "الطبقات" ٢:٦٩ عن محمد بن عبدا لله بن عبدالحكم أنَّه سُئِل عن الجنِّ : =

= هل لهم في الآخرة جزاءٌ على أعمالهم ؟ فقال : نعم . والقرآن يدلُّ على ذَلِكَ .
قال تعالى :﴿ **ولِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأنعام : ١٣٢] .
قال القرطبي في "الجامع"٧:٨٧ في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ومَارَبُّك بغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُون** ﴾ :" أي : من الجنِّ والإنس ، كما في آية أخرى : ﴿ **أُوْلَئكَ الَّذِينَ حقَّ عَلَيْهِم القَوْلُ في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُم كانُوا خَاسِرين** ﴾ [الأحقاف :١٨]، ثمّ قال : ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّاعَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُم أَعْمَالَهم وهم لايُظْلَمُون** ﴾ [الأحقاف :١٩] .
وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ المطيعَ من الجنِّ في الجنَّةِ ، والعاصي منهم في النَّار ، كالإنْس سَواءٌ ، وهو أصحُّ ماقيل في ذَلِكَ فاعلمه" انتهى .
وقال الإمام ابن القيِّم في " طريق الهجرتين" ص٥٧٨ :" الَّذي عليه جمهور أهل الإسلام أنَّهم مأمورون منهيُّون مكلَّفون بالشريعة الإسلامية ، وأدلَّة القرآن والسنَّة على ذَلِكَ أكثر من أن تُحصَر . قال الله تعالى : ﴿ **أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِم القَوْلُ في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنْس** ﴾ [الأحقاف :١٨] ثمَّ قال بعد ذَلِكَ : ﴿ **وَلِكلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾ أي في الخير والشر ، وهذا ظاهر جدًّا في ثوابهم وعقابهم ، وأنَّ مُسيئهم كما يستحقُّ العذاب بإساءته ، فمُحْسنُهم يستحقُّ الدرجات بإحسانه ، فدلَّ ذَلِكَ لا محالة أنَّهم كانوا مأمورين بالشرائع ، متعبَّدين بِهَا في الدنيا ، ولذلك استحقُّوا الدرجات بأعمالهم في الآخرة في الخير والشر " . ثمَّ ساق أدِلَّة أخرى كثيرة في تكليف الجنّ في كتابه "طريق الهجرتين" فانظرها -إن شئت-فيه : ص٥٧٨-٥٩٠. =

منهم الصَّالِحون ، ومنهم دونَ ذلك[1] .

= وقال ابن القيم في " عِدَةِ الصَّابرين " ص٤٧ :" فإن قيل : فهل هم مكلَّفون على الوجه الَّذِي كُلِّفنا نحن به أم على وجهٍ آخر ؟ قيل : ما كان من لوازم النفوس ؛ كالحبِّ والبغضِ ، والإيمانِ والتصديق ، والموالاةِ والمعاداةِ ، فنحن وهم مستوون فيه ، وما كان من لوازم الأبدان ؛ كغُسل الجنابة ، وغَسْلِ الأعضاء في الوضوء ، والاستنجاء ، والختان ، وغُسْل الحيض ونحو ذَلِكَ ، فلا تجب مساواتهم لنا في تكلُّفه ، وإن تعلَّق ذَلِكَ بهم على وجهٍ يناسب خِلقَتَهم وحياتهم " انتهى .

(١) قال الإمام ابن القيِّم في "طريق الهجرتين" ص٥٧٢ :" وقد اتَّفق المسلمون على أنَّ منهم المؤمن والكافر ، والبَرُّ والفاجر ...قال تعالى إخباراً عنهم : ﴿**وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طرائقَ قِدَدا**﴾ [سورةالجن:١١] أي : أصنافاً مختلفة ومذاهب متفرِّقة ، والقِدَدجمع قِدة ، كقطعة وقطع وزناً ومعنى . وهي من القدِّ ، وهو القطع .

وقال تعالى إخباراً عنهم : ﴿ **وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُون ومِنَّا القَاسِطُون** ﴾ [الجن:١٤] فالمسلمون الَّذِينَ آمنوا بالله ورسولهِ منهم ، والقاسطون : الجائرون العادلون عن الحق ، يقال : أَقْسَطَ الرجل إذا عَدَلَ فهو مُقْسط ، ومنه : ﴿ **وَأَقْسِطوا إنَّ ا لله يُحِبُّ المُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات :٩] . ، وَقَسَطَ إذا جار فهو قاسط ﴿**وأمَّا القاسِطُونَ فكانوا لِجَهنَّم حَطَباً**﴾ [الجن:١٥].وقد تضمَّنت هذه الآيات انقسامهم إلى ثلاث طبقات : صالحين ، ودون الصالحين، وكفار . وهذه الطبقات بإزاء طبقات بني آدم فإنَّها ثلاثة : أبرار، ومقتصدون ، وكفار . =

ومنهم إبليسُ اللعين وذرِّيَّتُهُ الخُبَثاءُ المضِلُّون (١) .

ثُـمَّ إنَّ جميـعَ الجـنِّ داخِلـون تحـت الـــمسؤولية (٢) بالرِّسـالة المحمديَّة ، وقد بَلَّغَهُمُ النـبيُّ ﷺ ؛ فـآمنَ منهـم مَـنْ سَـبَقَتْ لـه السَّعادة(٣).

= فالصالحون بـإزاء الأبـرار ، ومَـنْ دونهـم بـإزاء المُقْتصديـن ، والقاسـطون بـإزاء الكفار .

ولَمَّا كان الإنس أكمل من الجنِّ وأتمَّ عقـولاً ازدادوا عليهـم بثلاثـة أصنـاف أُخـر ليس شيءٌ منها في الجن ، وهم : الرُّسل ، والأنبياء ، والمقرَّبون . فليس في الجـنِّ صنفٌ من هؤلاء " انتهى .

(١) قال الحافظ ابن رجب في "فتـح البـاري" ٧:٦٢ :" وقـد اختلـف في الجـنِّ والشياطين: هل هم جنسٌ واحـد أَوْ لا ؟ فقـال طائفـة : الجـنُّ كلُّهـم ولـد إبليس كما أنَّ الإنس كلَّهم ولدُ آدم . روي هذا عن ابـن عبـاس مـن وجـه فيه نظر ، وروي أيضاً عن الحسن وأنَّه قال : مؤمنهم وليُّ الله لـه الثـواب ، ومشركهم شيطان له العقاب . وقال طائفـة : بـل الشـياطين ولـد إبليـس ، وهم كفار ، ولايموتون إلاَّ مع إبليس ، والجنُّ ليسوا شياطين ، وهم يموتـون وفيهم المؤمن والكافر "انتهى .

(٢) الأولى أن يقول : " مكلفون بالإيمان بالرسالة المحمَّديَّة " .

(٣) وقد أخبرَنا الله تعالى أَنَّ الجنَّ بلغتهم دعوةُ سيِّدِنا محمـد ﷺ ، كمـا بلغتهـم دعوةُ موسى عليه السلام من قبل ، وأنَّهم جاؤوا يستمعونَ القرآن كما =

س٥- لأيِّ شيءٍ خُلِقَ الجنُّ والإنس؟

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

= قال سُبْحَانَهُ : ﴿وإذْ صرَفْنا إليكَ نفراً مِنَ الجنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآن فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتوا فلمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِم مُنذِرِين قَالوا يَاقَوْمَنا إنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنزِلَ من بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَديه يَهْدِي إلى الحَقِّ وإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيم يَاقومَنا أَجِيبُوا دَاعيَ اللهِ وآمِنوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِنْ ذُنوبِكُمْ ويُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم﴾ [الأحقاف:٢٩] .

وقال سُبْحَانَهُ : ﴿قُلْ أُوحِيَ إليَّ أنَّهُ استَمَعَ نَفرٌ مِنَ الجنِّ فَقَالُوا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إلى الرُّشْدِ فَآمنَّا بِهِ ولَنْ نُشْرِكَ بِربِّنا أَحَداً..﴾ [سورةالجن:١-٢]

(١) من سورة الذاريات ، الآية: ٥٦.أي: وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ مُمْتحَنين في هذه الحياةِ الدنيا إلاَّ لأطلبَ منهم في رحلةِ امتحانهم أن يعبدوني. فاللام في قوله تعالى: ﴿لِيَعْبُدون﴾ ليست تعليلية لبيان الغايةِ من الخلق ، بل هي لبيان المطلوب في رحلةِ امتحانِ المخلوقين. ولو كانت هذه اللام للتعليل، ولبيان الغاية من الخلق، ما استطاع أحدٌ من الجنِّ والإنس أن يعصيَ اللهَ في شيءٍ ، لأنَّ مرادَ الله لا يَتخلَّف.

فالغايةُ من خلق الجن والإنس: الابتلاء. قال تعالى:﴿الَّذي خَلَقَ المَوْتَ والحَيَاةَ لِيَبْلُوكُم أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾[الملك:٢].وقال سبحانه:﴿إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زينةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ =

= عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧] . وقال عزَّ وجل: ﴿إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيه﴾ [الإنسان ٢] . ومطلوبُ الربِّ سبحانه من عباده في رحلةِ امتحانهم هو عبادتهم له . (ابتلاء الإرادة ، لعبدالرحمن حبنكة الميداني ص٥٠-٥١)

وقال العلاَّمة المفسِّر نجم الدين الطُّوفي الحنبلي في " التعيين في شرح الأربعين" ص ٣٢٩ :" ولا شكَّ أنَّ الإنسان إنَّما أوجد لِيُمْتَحَن بالطاعة والمعصية ؛ ليكونَ من أهل الثواب أو العقاب ، أو من أصحاب اليمين أو الشمال ، بدليل قوله عز وجل : ﴿ إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف : ٨] ، وقوله عز وجل : ﴿ الَّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك :٢] . انتهى .

قال عليٌّ بن أبي طالب ﷺ : ﴿إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي : إلاَّ لآمُرَهم أن يعبدوني وأَدعُوَهم إلى عبادَتي . "تفسير الخازن" ٤ : ١٨٥.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : " خلق الله الخَلْقَ لعبادته ، يعني: ما شاء مِنْ عباده ، أو ليأمر من شاء منهم بعبادته ، ويهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيم " . (سنن البيهقي الكبرى ٩: ٣) .

وقال الإمام أبوعمرو الداني في "الرسالة الوافية" ص ٦٧: "ومعنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الخصوص ، يريد بعضهم ، وهم الَّذِينَ علم أنَّهم يعبدونه ؛ لأَنَّهُ قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَلَقَد ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنِّ والإنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وَمَنْ ذَرَأَه لجهنَّم لم يخلقه =

والأعمالُ الدُّنيَوِيّة المباحة كالعِمْرانِ والتَّمَتُّعِ إذا كان القَصْدُ حَسَناً فهي من العبادة(1).

= لعبادته . وقال مجاهد: معنى: ﴿لِيَعْبُدونِ﴾ ليعرفون. أي: ليعرفوا أنَّ لهم خالِقاً رازِقاً" انتهى.

وقال العلامة الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله تعالى في تفسيره "صفوة البيان"ص٦٦٩ في تفسير هذه الآية:" أي: لم أخلق الثقَلَين إلاَّ مهيَّئين لعبادَتي بما ركِّبتُ فيهم من العقولِ والحواسِّ والقُوى ، فهم على حالةٍ صالحةٍ للعبادةِ مستعدَّةٍ لها ، فذكِّرهم بوجودي وتوحيدي وعبادتي ، فَمَنْ جَرَى على مُوجبِ استعدادِهِ وفطرتِهِ آمَنَ بي وعبدَني وحدي ، ومَنْ عَانَدَ استعدادَهُ وفطرتَهُ واتَّبعَ هواه ، سَلَكَ غيرَ سبيل المؤمنين " .

(1) قال الإمام العزُّ بن عبدالسلام في " شجرة المعارف والأحوال"ص١٩١:"ولو قصدنا أن نتقرَّب إليه بجميع أعمالنا لَقَبِلَ ذَلِكَ منَّا ، وأثابَنَا عليه ، فلو أَكَلْنا أو شربنا أو رقَدْنا أو قعدنا أو لبسنا ، بنيَّة أن نتقوَّى بذلك على طاعته ، لقرَّبنا بذلك إليه وأثابَنَا عليه . بل لو قضى أحدنا وَطَرَهُ من أهله بنيَّة إعفافهنَّ ، وغضِّ أبصارهنَّ ، وسعياً في إيلادهنَّ ولداً يوحِّد الله ويعبُدُه ويشكره ويحمَدُه لأُجرنا على ذَلِكَ من وجوهٍ شتّى على قدر نيَّاتنا ، وقد جعل رسول الله ﷺ ذَلِكَ صدقة فقال :" **وفي بُضْع أحدكم صدقة** " - رواه مسلم (١٠٠٦) في الزكاة - ، وحكم بأنَّ اللقمة التي تأكلها الزوجة صدقة - روى البخاري (٢٧٤٢) ومسلم (١٦٢٨) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً ، وفيه :" ..**وإنَّك مهما أنفقت من نفقة فهي** =

= **صدقة ، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك** " - ؛ لأنها إن كانت من النفقة الواجبة فهي من الإحسان الواجب ، وإن كانت زائدة عمَّا يجب من النفقة فهي من الإحسان المندوب . فَسُبْحان من كثَّر الطُّرقَ إلى ثوابه لِيَكُون عبادُه في كلِّ حالٍ سائرينَ إليه، ومُقْبلينَ عليه ؛ لِيَجزيَهُم بالحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف أو يزيد ، ولن يَهْلِك على الله سبحانه مع هذا الفَضْل واللطف العميم إلاّ هالك " .

وقال أيضاً ص٤٥٨-٤٥٩ :" وكذلك قد يُثاب الإنسان على أكله ونومه، إذا قصد بهما التقوِّي على الطاعة ، وعلى بعض المزاح إذا قَصَد به جَبْرَ المزوح معه . وعلى ذَلِكَ يُحمل مُزاح الأنبياء عليهم السلام . فكم من راقدٍ على فراشه وهو سائرٌ إلى الله ، وكم من آكلٍ وشاربٍ ومازحٍ وملاعبٍ مُقْترِبٌ إلى الله بمقصده " انتهى .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه " الفوائد " ص٣٤١ :" فمن أحبَّ اللّذّة ودوامها ، والعيشَ الطيِّب ، فليجعل لذّة الدنيا موصلاً له إلى لذّة الآخرة بأن يستعينَ بِهَا على فراغ قلبه لله وإرادته وعبادته ، فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه ، لابحكم مجرَّد الشهوة والهوى .. فطيِّباتُ الدنيا ولذّاتها ، نِعْمَ العونُ لمن صحَّ طلبه لله وللدار الآخرة ، وكانت همَّته لما هناك " انتهى .

فالأعمال الدنيوية المباحة المشروعة تعدُّ من العبادة: إذا صحبتها النيَّة الصَّالحة، كما تقدَّم نقله ، ويضاف إلى ذَلِكَ أيضاً أن يؤدَّى العملُ بإتقانٍ وإحسان ، كما في الحديث الَّذِي رواه مسلم (١٩٥٥) :"**إنَّ الله كَتَبَ** =

خَلَقَهم فأرسل إليهم أنبياءَ اختارهم من خلقه(١) .

= **الإحسانَ على كُـلِّ شيء"** . "**إنَّ الله يُحبُّ إذا عَمِل أحدُكُم عملاً أن يتقِنَهُ**" . رواه البيهقي في "شعب الإيمان" عن عائشة ، وألاَّ يشغله عملُه الدنيويُّ عن واجباته الدينية. فإذا راعى المسلم هذه الأمور كان في سائر أعماله الدنيوية عابداً لله سبحانه وتعالى .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إلى صِرَاطٍ مُستَقيم**﴾ [الأنعام: ٨٧] أي: اصْطَفَيْنَاهُم للنبوَّةِ . وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤] .وقال عَزَّ وَجَلّ: ﴿**الله يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ**﴾ [الحج: ٧٥] . وقال سبحانه : ﴿**وإنَّهُم عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار**﴾ [ص: ٤٧] .

قال الإمام ابن القيِّم في " زاد المعاد " ١:٣٩ :" إنَّ الله سبحانه هو المنفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات ، قال تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَيَخْتارُ** ﴾ [القصص :٦٨] . والمرادُ بالاختيار هنا : الاجْتبَاء والاصْطِفَاء ، فهو اختيارٌ بعدَ الخلق ، وقوله سبحانه : ﴿ **مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ** ﴾ نفيٌ ؛ أي: ليس هذا الاختيار إليهم ، بل هو إلى الخالق وحدَهُ ، فكما أنَّه المنفرد بالخلق ، فهو المنفرد بالاختيار منه ، فليس لأحدٍ أن يخلق سواه ، ولا أن يختار سواه ، فإنَّه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ، ومحالِّ رضاه ، وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له ، وغيره لا يشاركه في ذَلِكَ بوجه " .

ثم يقول ١:٤٣ :" وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، على مافي حديث =

= أبي ذر ﷺ الَّذي رواه أحمد (٥:١٧٨-١٧٩) ، وابن حبان في صحيحه ٧٦:٢ (٣٦١) . واختياره أولي العزم منهم ، وهم خمسة المذكورون في سورة الأحزاب (٧)، والشورى (١٣) " انتهى .

وقال ابن القيِّم أيضاً في " طريق الهجرتين" ص١٧٦ :" فالله سبحانه أعلم حيثُ يجعل رسالته أصلاً وميراثاً ، فهو أعلمُ بمن يصلحُ لتحمُّل رسالته ، فيؤدِّيها إلى عباده بالأمانة والنَّصيحة ، وتعظيم المُرسِل ، والقيام بحقِّه ، والصَّبر على أوامره ، والشكر لنعمه ، والتقرُّب إليه ، ومن لا يصلح لذلك".

ثمَّ قال ص ٥٠٣-٥٠٥ :" فأكرمُ الخلق على الله ، وأخصُّهم بالزُّلفى لديه رسله، وهم المصْطفَون من عباده الَّذينَ سلَّم عليهم في العالمين ، كما قال تعالى :﴿ **وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [الصافات :١٨١] ، وقال تعالى :﴿ **قُلِ الحَمْدُ لله وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى** ﴾ [النمل :٥٩] .. وقد أخبر سبحانه أنَّه أخلصهم : ﴿ **بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار ۞ وإنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَينَ الأخْيَارِ** ﴾ [ص:٤٦] ، ويكفي في فضلهم وشرفهم أنَّ الله سبحانه اختَصَّهم بوحيهِ ، وجَعَلَهم أمناءَ على رسالته ، وواسطةً بينه وبين عباده ، وخصَّهم بأنواعِ كراماتِهِ : فمنهم من اتَّخَذَهُ خليلاً ، ومنهم من كلَّمه تكليماً ، ومنهم من رَفَعَهُ مكاناً عَلَيّاً على سائرهم درجات .

ولم يجعل لعبادِهِ وُصولاً إليه إلاَّ من طريقِهِم ، ولادخولاً إلى جنَّته إلاَّ خلفهم، ولم يُكرم أحداً منهم بكرامة إلاَّ على أيديهم ؛ فهم أقْرَبُ الخلق إليه وسيلة ، وأرفعهم عنده درجة ، وأحبُّهم إليه وأكرمهم عليه . =

وَأَوْحَى إليهم الشَّرائع[1] ،

= وبالجملة : فخير الدنيا والآخرة إنَّما ناله العبادُ على أيديهم ، وبهم عُرِف الله ، وبهم عُبِد وأُطيع ، وبهم حَصَلت محابُّه في الأرض .
وأعلاهم منزلة أولو العزم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً والَّذي أَوْحَيْنا إلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبْرَاهِيمَ ومُوسى وَعيسَى ﴾ [الشورى :١٣] .
وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق ، وعليهم تدُورُ الشَّفاعة حتَّى يردُّوها إلى خاتمهم وأفضلهم ﷺ " انتهى.

(١) الشريعة في اللغة : الطريقُ الموصِلُ إلى المَقْصِد ، وفي الاصطلاح : كلُّ ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام ، فكلُّ ما في الدين من عقائد وأحكام ، يسمَّى شريعة ، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذي أَوْحَيْنا إلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إبراهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفرَّقوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] .

قال الإمام أبو منصور الأزهري في "الزاهر" ص٥٥٢ :" والأصل في قوله عزَّ وجل : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّين ﴾ أي : بيَّن وأَوْضَحَ ونهج . قال الله عزَّ وجل :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة : ٤٨] ، أي : طريقاً واضحاً أمرنا بالاستقامة عليه . فالشَّرعُ هو : الإبانة ، والله تعالى هو الشارع لعباده الدين ، وليس لأحدٍ أن يشرع فيه ماليس منه إلاَّ أن يشرِّع نبيٌّ بأمر الله تعالى ؛ فإنَّ شرع النَّبي هو شرعُ الله عزَّ وجل ؛لأنَّه =

وَجَعَلَ الملائكــةَ سُفَراءَ بينـه وبينهـم[1] ، وألـزمَ جميـعَ الأمـم التَّوحيدَ وتصديقَ الرُّسُلِ .

= قـال : ﴿ وَمَـا آتَـاكُمُ الرَّسُـولُ فَخُـذُوهُ وَمَـا نَهَـاكُم عَنْــهُ فَـا نْتَهُـوا ﴾ [الحشر:٧] .

يقال : شَرَعَت الإبلُ الشريعة : إذا وَرَدَته فَكَرَعَــتْ فيـه . قـال بعـض أهـل اللغة في قـول ا لله عـزَّ وجـل : ﴿ لِكُـلٍّ جَعَلنَـا مِنْكُـمْ شِـرْعَةً وَمِنْهَاجَاً ﴾ [المائدة :٤٨] فالشِّرعة : ابتداء الطريق ، والمنهاج : معظمُه " انتهى .

وقال سبحانه: ﴿ثمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الجاثيـة: ١٨] أي: على طريقةٍ ومنهاجٍ واضحٍ مـن أَمْرِنـا الَّـذي أَمَرْنـا بـه مَـنْ قبلَـكَ مـن رُسُلِنا، والشَّريعةُ في الأصل: ما يَـرِدُهُ النـاسُ مـن الميـاه والأنهـار ، وجمعهـا شرائع ، واستعيرت للدين ؛ لأنَّ العباد بأخذِهم بها تحيا نفوسهم ، كما يحيا العِطَاشُ بالماء (صفوة البيان ، ص ٦٣٥) .

(١) قال تعالى في وصـفِ الملائكـةِ الكـرام الكـاتبين: ﴿بِـأَيْدِي سَـفَرَةٍ ۞ كِـرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٥-١٦] ،والسَّفَرَةُ: جمعُ سافرٍ ، ككاتبٍ وكَتَبَة ، والسَّـفير: الرسول بين القوم يكشف ويزيلُ ما بينهم من الوَحْشَــة ، فهـو فعيـلٌ بمعنـى فاعل ، والسِّفارة: الرسالة ، فالرسول والملائكةُ والكتبةُ مشـتركةٌ في كونهـا سافرةً عن القوم ما اسْتُبْهِمَ عليهم"(المفردات، ص ٤١٢-٤١٣). =

وسخّر لعبادِهِ العوالِمَ العُلْويَّة والسُّفليَّة [1] ؛

= وسمَّى الله سبحانه ملائكةَ الوحي : روحاً ، قال تعالى: ﴿يُنزِّلُ الملائِكةَ بالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢] والرُّوح: الوحي ، كما في قوله تعالى: ﴿يُلقِي الرُّوحَ من أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥] ، وإطْلاقُ الروح عليه ، لأنَّه بالوحي تحيَا القلوب الميتة بداءِ الجهل والضلال ، كما أنَّ بالروح حياة الأبدان. والمراد بالملائكة: جبريل عليه السلام رسولُ الوحي ، وَمَنْ معه من حفظةِ الوحي. وقيل: جبريل خاصة. والواحد يُسمَّى باسم الجميع إذا كان رئيساً عظيماً . (صفوة البيان ، ص٣٤٢).

وفي ذَلِكَ تنويهٌ إلى عِظَم الرسالة والنُّبوة ، ورِفْعَةِ منزلة الشرائع الإلهيَّة ، وشرفِ العلوم الربانيَّة الموحَاة إلى الأنبياء والمرسلين ، وأنَّ شرائع الله تعالى مجيدةٌ علياء ، كريمة غرَّاء ؛ لأنَّ الَّذي شرعها هو الحكيم العليم ، أحكم لها أحكامها ، ووضع لها نظامها على وجهٍ يضمن مصالح العباد وسعادتهم وعزَّتهم وكرامتهم ، فإنَّه سبحانه هو أعلم بهم وبما يصلح شأنهم . فحُقَّ للشرائع الإلهيَّة أن تتنزَّل بِهَا أشراف الملائكة وساداتها على أشراف الخليقة الإنسانيَّة وساداتها ، صلوات الله وسلامه عليهم.(الإيمان بالملائكة،ص٩) .

(١) ومن تلك العوالم العلوية المسخَّرة للإنسان : الشمس والقمر والنجوم ، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دائِبَيْن ﴾ [إبراهيم : ٣٣] ، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ و النَّهارَ والشَّمْسَ والقَمَرَ والنَّجومُ مُسَخَّراتٌ =

لِيَتَمَتَّعُوا ويشكروه(1).

= **بأمرِهِ، إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يعقِلونَ﴾** [النحل :١٢] ، ومن تلك العوالم السُّفْلِيَّة ما سَخَّره الله تعالى للإنسان من الحيواناتِ والنباتاتِ والبحار والأنهار ، وكل ما في الأرض لمنفعتنا ، وذلك من أعظم مظاهر تكريم الله سبحانه للإنسان .

"وإذا كانت مظاهرُ الكون المختلفة مُسَخَّرةً لخدمةِ الإنسان ، ومُسَيَّرةً لتحقيق مصالحِهِ ، تكريماً من الله له ونعمةً عليه ، فيجبُ على الإنسان أن يُعمِلَ عقلَه بالتأمُّلِ والفكر إلى معرفة الكثير من حقائق الكون المختلفةِ من حوله ، كاجْتياز طبقات الجو واكتشاف الكواكب القريبة أو البعيدة ، وإلا لم تكن كلمة التسخير جاريةً على حقيقتها ، ولا متضمِّنةً كاملَ معناها ، والمؤمنُ مَدْعوٌّ بدافعِ الإيمان إلى اسْتِطْلاع هذا الكون ، وإدْراك حقائقِهِ من أجل تسخير ما يُمكن تسخيره في سبيل تحقيق مزيدٍ من مُقَوِّمات السعادة الإنسانية العامة في ظلِّ العبودية التامَّة للخالق عزَّ وجل" (كُبرى اليقينيَّات ، ص ٢٩٧-٢٩٨).

(١) قال سبحانه مذكِّراً عباده بما سَخَّر لهم من نعم ، وما أخرج لهم من الأرض من ثمرات ليتمتَّعوا بها ويشكروا : **﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الأرضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُون ۞ وَجَعَلْنَا فِيْهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُون ۞ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِم أَفَلا يَشْكُرُون﴾** [يس :٣٣-٣٥] . وفي تسخير الحيوانات وما ينتج عنها =

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَومٍ يَتفكَّرُونَ﴾ (١).

= من لحوم وألبان وجلود وأصواف ؛ ليتمتعوا ويشكروا أيضاً :﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيْنَا أَنْعَامَاً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُم وَمِنهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُم فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ﴾ [يس :٧١-٧٣] وفي تسخير البحار يقول سبحانه :﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ البَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمَاً طَرِيَّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل:١٤] .

وقد وردت هذه الكلمة : ﴿ لَعَلَّكُم تَشْكُرُون ﴾ في القرآن الكريم أربع عشرة مرة ، وهي في الغالب تَرِدُ مَسْبوقةً بذكر نعم الله وما سَخّره لعباده من العوالم العلويَّة والسفليَّة ، وكلمة (لعل) هنا ليست للترجّي والتوقُّع ، كما هو شَأْنُهَا في كلام الناس ؛ لأنَّ التَرجِّي والتوقُّع لا يقع من الله تعالى ؛ إذْ هو عالِم الغيب والشهادة ، ولكنّها بيانُ عِلّيَّة خلق تلك النِّعم العظيمة وتسخيرها للإنسان ، وبيان أنَّ الله تعالى لم يخلقها لهم إلاَّ ليتمتّعوا بِهَا ويشكروا الله سبحانه على نعمِهِ وأفضالِهِ الكثيرة .

(١) سورة الجاثية ، الآية :١٣ . والتسخير : سياقة إلى الغرض المختصّ به قهراً. كما في " المفردات " ص٤٠٢ للراغب . وقد تكرَّرت كلمة ﴿سَخَّر﴾، و ﴿ مُسَخَّرات ﴾ في كتاب الله تعالى ، في أكثر من عشرين آية ، =

ومِن لطفه جلَّ جلاله:أنْ شَرَعَ من العبادات وأحكامِ المعاملات لكلِّ قومٍ[1] ما يليقُ بهم زمانـاً وإقليمـاً ، وأنْ جَعَـلَ هـذه الشَّـريعةَ المحمَّديَّةَ سمحاءَ[2] ، ثابتةَ الأصل لا تَتَزَعْزَع ، باسقةَ الأغصـــان ،

= وانظـر إن شئـت مرادفـات هـذه الكلمـة ﴿ **جَعَـلَ لَكُـم** ﴾ ﴿ **خَلَـقَ لَكُـم**﴾، وغيرهـا مـن معـاني التسـخير للكائنـات في " المعجـم المفهـرس لمعـاني القـرآن العظيم"١:٦٩٥-٦٩٦ .

(١) المراد الأقوام التي أرسلت إليهم الرسل قبل خاتمهم محمد ﷺ

(٢) كما قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيـدُ بِكُـمُ الْعُسْـرَ**﴾ [البقـرة: ١٨٥] ، وقال تعالى: ﴿**ما يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ**﴾ [المـائدة:٦] وعن ابن عباسٍ ﷺ قيل لرسول الله ﷺ: "أيُّ الأديان أحبُّ إلى الله؟ قـال: "**الحنيفيَّةُ السَّمْحَة**" رواه أحمد في "المسند" ١: ٢٣٦ (٢١٠٧) ، والبخاري في "الأدب المفرد" (٢٨٧) .

وعن أبي أُمامة الباهلي ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: "**إنـي لم أُبْعَـث باليَهوديَّـة ولا بالنصرانيّـة ، ولكـن بُعِثْـتُ بالحنيفيَّـة السَّـمْحَة** " رواه أحمـد في"المسـند" ٥: ٢٦٦(٢٢٦٤٧) .

قال الحافظ ابن رجب في "المحجَّة" ص٥٧: "مَا أُعْطِيَتْ أُمَّـةٌ مَـا أُعْطِيَـت هـذه الأمة ببركة متابعة نبيِّها ﷺ حيثُ كان أفضلَ الخلق ، وهديهُ أكمل الهدي مـع ما يسَّرَ الله على يديه من دينه ، وَوَضَع به من الآصـار والأغـلال عـن أمَّتـه.." انتهى. =

صالحةً لكلِّ قومٍ وكلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ [1] ، ختَمَ بها الشَّرائع[2]، وَأَدْخَلَ في حدودها [3] كلَّ مكلَّفٍ إلى يومِ القيامة[4] ،

= وقال العلامة نجم الدين الطوفي في " التعيين " ص١٣ :" ولا يُعلم في الأديان أسمح من دينه ﷺ ، يَعرف ذَلِكَ من استقرأ الأديان . ويكفي من ذَلِكَ قوله عز وجل :﴿ **وَيَضَعُ عَنْهُم إصْرَهُم وَالأغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم**﴾ [الأعراف :١٥٧] . قيل : كانت بنو إسرائيل يقْرضون مَحَلَّ البَوْل من جلودهم إذا أصابهم ، ولا يُجْزئهم غسله ، وإذا أتى أحدهم ذنباً أصبح مكتوباً على باب داره ، وكانت توبتهم بقتل أنفسهم ، وكان موجب القتل عندهم القصاص عيناً ولا يقبل الدية " انتهى .

(١) وقد دلَّت على ذَلِكَ البراهين القاطعة من الوحي والتاريخ والواقع ، وانظر تفصيل ذَلِكَ في كتاب " شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كلِّ زمانٍ ومكان " للدكتور يوسف القَرَضاوي حفظه الله ونفع به .

(٢) فهي شريعةٌ باقية مستمرةٌ إلى أن يرثَ الله الأرض ومَنْ عليها ؛ لأنَّها آخر الشرائع الإلهيَّة وخاتمتها ، والنبيُّ ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين ، وخاتمهم ، انظر ص١٨٠ .

(٣) الأصحُّ عبارةً أن يقول : وفَرَض الإيمان والتعبُّدَ بِهَا على كلِّ بالغٍ عاقل .

(٤) قال ابن القيم في " إعلام الموقعين " ٣٣٢:١ :" إنَّ هذا الشرع محيطٌ بأفعال المكلَّفين أمراً ونهياً ، وَإِذْناً وعفواً ، فقد بيَّن الله سبحانه بكلامه =

فلا يُعبدُ إلاَّ بِهَا[1] ،

= وكلام رسوله جميعَ ما أمر به ، وجميع مانهى عنه ، وجميع ما أحلَّه الله ، وجميع ماحرَّمه ، وجميع ماعفا ، وبهذا يكون دينه كاملاً ".

وقال أيضاً ١:٣٥٠ :" يتبيَّن للمنصف مقدار هذه الشريعة وجلالَها ، وهيمنتها ، وسَعَتَها ، وفضلَها ، وشرفَها على جميع الشرائع . وأنَّ النبيَّ ﷺ كما هو عامُّ الرسالة إلى كلِّ مكلَّف ، فرسالتُه عامَّةٌ في كلِّ شيء من الدين: أصوله وفروعه ، ودقيقه وجليله ، فكما لايخرج أحدٌ عن رسالته ، فكذلك لايخرج حكمٌ تحتاج إليه الأمة عنها ، وعن بيانه لها " انتهى .

(١) لأنَّ الله سبحانه نَسَخَ العمل بالشرائع السماوية السابقة ، وتعبَّد الناسَ وكلَّفهم بعد بعثة سيدنا محمد ﷺ بالشريعة الإسلامية . قال تعالى :﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيْعَةٍ مِنَ الأمْرِ فَاتَّبِعْهَا** ﴾ [الجاثية :١٨] . والآياتُ في هذا المعنى كثيرة وصريحة ، منها قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسلام** ﴾ [آل عمران :١٩] . وقوله سبحانه :﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيْنَاً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرين** ﴾ [آل عمران :٨٥] .

وأمَّا قوله سبحانه :﴿ **وَلْيَحْكُم أَهْلُ الإنْجيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون** ﴾ [المائدة :٤٧] فالمراد : ما أنزل الله فيه من تكليف أهل الإنجيل باتِّبَاع النَّبي ﷺ إن أدركوا زمنه ، =

وَشَرَطَ في قَبُول عبادتِهِ الإيمان[1] .

۞۞۞

= والعمل بشريعة القرآن الكريم . وقد ورد في التوراة والإنجيل ذِكر النبيِّ ﷺ وصفاته والبشارة به في مواضع كثيرة .

(١) فالله عَزَّ وَجَلَّ لا يقبل عملاً مهما كان صَالحاً ما لم يكن صاحب العمل مؤمناً بربِّهِ إيماناً كاملاً صحيحاً ، ومؤمِناً بكلِّ ما جاء عنه ، وبما أرسل من رسولٍ ، ومؤمِناً بخاتَمِ النَّبيِّينَ محمدٍ ﷺ ، وبما جاء به عن ربِّه عَزَّ وَجَلّ. فالإيمانُ أساسُ قبولِ العبادةِ ، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ من ذكَرٍ أو أنثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فأولئكَ يدْخُلون الجنَّة**﴾ [النساء: ١٢٤] . وقال سُبْحَانَهُ: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤمِنٌ فَلاَ كُفْرانَ لِسَعْيِه**﴾ [الأنبياء: ٩٤] .وقد قال تعالى في أعمال الكافرين :﴿ **وَالَّذينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَاب** ﴾ [النور:٣٩] . وقال سبحانه :﴿ **وَقَدِمنَا إلى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً** ﴾ [الفرقان : ٢٣] ، فَشَرْطُ قَبول العمل : الإيمان والإخلاص والاقتداء . قال ابن القيم في " الفوائد" ص١٢٤ : " العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جِرَابَهُ رمْلاً يُثْقِلُهُ ولا ينفعُهُ " انتهى .

س٦- ما معنى الإيمان؟

الإيمانُ الكاملُ هو مَجْموعُ ثلاثةِ أُمور: تصديقٌ بالجَنَانِ[1] ،

---

(١) أي : بالقلب ، وسُمِّيَ القلبُ جَناناً لكَونِهِ مستوراً عن الحاسَّة -كما في "مفردات" الراغب- فالإيمانُ أصْلُه في القلب. قال الله تعالى: ﴿**ولَمَّا يَدْخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكُم**﴾ [الحجرات:١٤] ، وقال تعالى: ﴿**ولكنَّ الله حبَّبَ إليكُمُ الإيمانَ وزيَّنَهُ في قُلوبِكُم**﴾ [الحجرات:٧] ، وقال سبحانه: ﴿**كَتَبَ في قُلوبِهِم الإيمانَ**﴾ [المجادلة:٢٢] .

وروى أحمد ٤: ٤٢٠ ، وأبو داود (٤٨٨) والترمذي (٢٠٣٢) قال ﷺ: "**يا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسانِهِ ، ولم يدخل الإيمانُ إلى قلبه**" .

إلى غير ذَلِكَ من الأدلةِ الصريحة إلى أَنَّ إيمانَ القلب أصلُ الإيمان ، ولا يصحُّ الإيمان بدونِهِ ، وإذا وُجِدَ سَرَى إلى الجوارح.

قال الحافظ ابن رجب في "لطائف المعارف"ص٤٠١-٤٠٢:" فالإيمان القائمُ بالقلوب أصلُ كلِّ خير ، وهو خير ما أوتيه العبد في الدنيا والآخرة ، وبه يحصل له سعادةُ الدنيا والآخرة ، والنجاةُ من شقاوة الدنيا والآخرة . ومتى رَسَخَ الإيمانُ في القلب انبعثت الجوارحُ كُلُّهَا بالأعمال الصالحة ، واللسان بالكلام الطيِّب ؛ كما قال النبيُّ ﷺ :"**ألا وإنَّ في الجَسَد مُضْغَةً ، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فَسَدتْ فَسَدَ الجَسَدُ كلُّهُ ألاَ وهيَ القلب** "رواه البخاري (٥٢) و (٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩).ولا صلاح للقلب بدون الإيمان با لله ، وما يدخل في مُسمَّاه من معرفة ا لله ،وتوحيده ، وخشيته ، ومحبته ، ورجائه ، والإنابة إليه والتوكل عليه . =

وَإِقْرارٌ باللسان[1] .

= قال الحسن : " ليس الإيمان بالتمنّي ولا بالتَّحلّي ، ولكنّه بما وَقَرَ في الصُّدور، وصدَّقته الأعمال " .

فإذا ذاق العبدُ حلاوة الإيمان ، وَوَجَدَ طعمه وحلاوته ، ظهرت ثمرَةُ ذَلِكَ على لسانه وجوارحه ، فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه ، وأسرعت الجوارح إلى طاعة الله ، فحينئذٍ يدخلُ حُبُّ الإيمان في القلب كما يدخل حُبُّ الماء البارد والشديد بردُهُ في اليوم الشديد حرُّه للظمْآن الشديد عطشه، ويصير الخروج من الإيمان أكره إلى القلوب من الإلقاء في النّار ، وأمرَّ عليها من الصبر ....فالإيمان با للهِ ورسوله وظيفةُ القلب واللسان ، ثمَّ يتبعهما عمل الجوارح " انتهى .

(١) فالإقْرارُ باللسان يدخل في مُسمَّى الإيمان. قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بالله وَمَا أُنزلَ إلينا وَمَا أُنْزلَ إلى إبْرَاهيمَ وَإسْمَاعيلَ وَإسْحَاقَ وَيَعقوبَ والأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسى وعِيسَى وَمَا أُوتيَ النَّبِيُّونَ من ربِّهِم لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم وَنحنُ لَهُ مُسْلِمُون**﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

وروى البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) قوله ﷺ : "**أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حتى يقولوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، فإذا قَالُوها عَصَموا مِنّي دِمَاءَهُم وأموالَهُم إلاَّ بحقِّها**". =

وعملٌ صالحٌ بالجوارحِ[1] ،

= قال الإمام النووي في "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" ١: ٢١٢: "وفيه أَنَّ الإيمان شرطه الإقرار بالشهادَتين مع اعتقادهما ، واعتقاد جميع ما أَتَى به النبي ﷺ" .

وقال أيضاً ١: ١٤٩: "واتفق أهلُ السنَّةِ من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أَنَّ المؤمن الَّذِي يحكم بأنه من أهل القِبْلة ، ولا يخلد في النار ، لا يكون إلاَّ من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ، ونطق بالشهادَتين ، فإن اقْتصر على إحداهما لم يكن من أهلِ القِبلةِ أصلاً..." والمقصود بالنطق بالشهادتين: التصديق بمعانيهما ، والخضوع والانقياد والإخلاص كما جاء ذَلِكَ في النصوص الأخرى.

وقال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١٤: ٣٠٦ بعدما ساق بسنده إلى عثمان بن عفّان ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **من علم أن لا إله إلاَّ الله دخل الجنَّة** " :" ولا يعلم العبد أن لا إله إلاَّ الله حتى يَبْرأَ من كلِّ دين غير الإسلام ، وحتّى يتلفّظ بلا إله إلاَّ الله مُوقِناً بِهَا ، فلو عَلم وأبى أن يتلفَّظ مع القُدرة يُعدُّ كافراً " انتهى .

(١) فأعمالُ الجوارحِ دَاخلةٌ في الإيمان ، يدلُّ على ذَلِكَ قولُه سبحانه: ﴿**وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانَكُم**﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صَلاَتكم إلى بيتِ المقدس ، نزلت فيمن مات قبل أن تُحوَّلَ القِبْلة ، قال ابن عبدالبر في " الانتقاء" =

= ص٧١ : " قال مالك : أقام الناس يصلُّون نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم أُمِرُوا بالبيت الحرام ، فقال الله تعالى : ﴿ **وَ مَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُم** ﴾ أي : صلاتكم إلى بيت المقدس " انتهى . وقال رحمه الله في ترجمة الشافعي ص١٣٥ :" قال الشافعي : الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقادٌ بالقلب ، ألا ترى قول الله عز وجل : ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيْمَانَكُم** ﴾ يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، فسمَّى الصلاة إيماناً ، وهي قولٌ وعملٌ وعقدٌ " انتهى .

ومن الأدلةِ على ذَلِكَ :حديث وفد عبد القيس ، وفيه قوله ﷺ: "**آمُركُم بالإيمان بالله وحده** " ، وقال: "**هل تَدْرُون ما الإيمانُ بالله وحدَه؟**" قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "**شهادة أن لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، وإقامُ الصلاة ، وإيتاءُ الزكاة ، وأن تُعطوا من الغنائمِ الخمس..**" رواه البخاري ١: ٢٩ (٥٣) ومسلم كلاهما في الإيمان ١: ٤٨ (٢٣) . ويدلُّ على ذَلِكَ أيضاً حديث شعَب الإيمان: "**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة ، فأفضلُها قول: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق ، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**" رواه مسلمٌ في الإيمان (٥٧) ، وأبو داود (٤٦٤٣) ، والترمذي (٢٦١٤) والنسائي (٥٠٠٥).

قال ابن القيم في " عِدَة الصَّابرين " ص١٧٧ :" الإيمان قولٌ وعملٌ ، والقول : قول القلب واللسان ، والعمل : عمل القلب والجوارح . وبيان ذَلِكَ : أنَّ من عرف الله بقلبه ، و لم يُقرَّ بلسانه لم يكن مؤمناً ؛ كما قال =

= تعالى عن قوم فرعون : ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم** ﴾ [النمل:١٤] ، وقال موسى لفرعون : ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض بَصَائِرِ** ﴾ [الإسراء : ١٠٢] . فهؤلاء حصل لهم قولُ القلب ، وهو : المعرفة والعلم ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين ، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه ، لم يكن بذلك مؤمناً ، بل كان من المنافقين، وكذلك من عرف بقلبه وأقرَّ بلسانه لم يكن بمجرَّد ذَلِكَ مؤمناً حتى يأتي بعمل القلب من الحبِّ والبُغض ، والموالاة والمعاداة ، فَيُحِبُّ اللهَ ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويُعادي أعداءه ، ويَستسلِم بقلبه لله وحده ، وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته ، والتزام شريعته ظاهراً وباطناً ، وإذا فعل ذَلِكَ لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أُمِر به ، فهذه الأركان الأربعة (قول القلب ، واللسان ، وعمل القلب ، والجوارح) هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه " انتهى .

وقال في "الفوائد" ص٢١٠ : " الإيمان له ظاهرٌ وباطن : فظاهره : قول اللسان ، وعمل الجوارح ، وباطنه : تصديق القلب ، وانقياده ومحبته . فلا ينفع ظاهرٌ لا باطن له ، وإنْ حُقِنَ به الدِّماء ، وعُصِمَ به المالُ والذُّرِّيَّة . ولا يُجزئ باطنٌ لا ظاهر له إلاَّ إذا تعذَّر بعجزٍ أو إكراه أو خوف هلاك . فتخلُّف العمل ظاهراً مع عدم المانع دليلٌ على فساد الباطن ، وخلوِّه من الإيمان . ونقصُهُ دليل نقصِهِ ، وقوَّتُهُ دليلُ قوَّتِهِ " انتهى .

وهو يَزيدُ ويَنْقُص[1] في القلب[2] .

---

(١) قَالَ تَعالَى: ﴿الذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّـاسَ قـد جَمَعُوا لَكُـمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيماناً﴾ [آل عمران: ١٧٣] ، وقـال عَـزَّ وجَـلّ : ﴿إنَّمَـا المُؤْمنُـونَ الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِـمْ آيَاتُـهُ زَادَتْهُـمْ إيمانـاً وَعَلى ربِّهِمْ يَتَوكَّلون﴾ [الأنفال: ٢] ، وقال سبحانه: ﴿وَيَزِيـدُ اللهُ الذيـنَ اهتَدَوا هُدى﴾ [مريـم: ٧٦] ، وقـال عـزَّ وجـل :﴿ وَمَـازَادَهُم إلاَّ إيْمَانـاً وَتَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب :٢٢] .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينةَ في قُلوبِ المُؤْمنينَ لِـيَزْدَادُوا إيمانـاً مَعَ إيمانِهِم﴾ [الفتح: ٤] ، وقـال تعـالى: ﴿وَيَـزْدَادَ الَّذيـنَ آمَنُـوا إيْمَانَـا﴾ [المدثر: ٣١] .

(٢) وَمِمَّا يدلُّ على تفاوتِ الإيمان القلبيِّ قوله ﷺ : "يخرجُ من النار مـن قـال: لا إله إلاَّ الله وفي قلبه وزن شعيرةٍ من خير ، ويخرج من النار من قال : لا إله إلاَّ الله وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ من خير ، ويخرج من النار مَـن قـال : لا إلـه إلاَّ الله وفي قلبه وزن ذرَّةٍ من خير" رواه البخاري في الإيمـان ، بـاب زيـادةُ الإيمان ونقصانه ١:١٠٣(٤٤)، ومسلم في الإيمان (٣٢٥).

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " ١:١٠٣ في شـرح هـذا الحديـث :" فيـه التفاوت في الإيمان القائم بالقلب من وزن الشعيرة والـبُرَّة والـذرَّة " . وقـال أيضـاً ١٣:٤٧٥ :" ويُستفاد منـه صحـة القـول بتجـزُّء الإيمـان وزيادتـه ونقصه". =

ولا يُسْلَبُ عن العاصي وصفُ المؤمن إلاَّ إذا شكَّ بقلبه [1] ،

= وقال الإمام النوويُّ في" شرح صحيح مسلم " ١٤٨:١ :"فالأظهرُ -والله أعلم- أَنَّ نفسَ التصديق يزدادُ بكثرةِ النظر ، وتظاهر الأدلةِ ، ولهذا يكونُ إيمانُ الصِّدِّيقِين أقوى من إيمانِ غيرهم ، بحيثُ لا تعتريهم الشُّبَه ، ولايتزلزلُ إيمانُهم بعارضٍ ، بل لاتزال قلوبهم منشرحة نيِّرة وإن اختلفت عليهم الأحوال ، وأما غيرهم من المؤلفة قلوبهم ومَنْ قاربهم ونحوهم فليسوا كذلك ،ولا يتشكَّك عاقلٌ في أَنَّ نفسَ تصديق الصدِّيقِ ﷺ لا يساويه تصديقُ آحادِ الناس" ا. هـ .

وقال الحافظ ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ٢٨:١ :" التصديق القائم بالقلوب يتفاضل ، وهذا هو الصحيح . فإنَّ إيمان الصِّديقين الَّذِينَ يتجلَّى الغيب لقلوبهم حتَّى يصير كأنَّه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شُكِّك لدخله الشك .." انتهى .

(١) **الشَّكُّ**: اعتدالُ النقيضين عند الإنسان وتساويهما كما في "المفردات" ص٤٦١ ، والإيمان لا يغني فيه الظن ، فكيف إذا دخلَهُ الشك؟ قال الله عز وجل: **﴿إنَّما المؤمِنُونَ الَّذِينَ آمنوا باللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لم يَرْتَابُوا﴾** [الحجرات: ١٥] أي: لم يشكُّوا ، فأمَّا المرتاب فهو من المنافقين الَّذِينَ قال الله فيهم: **﴿وارْتَابَتْ قلوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِم يَتَرَدَّدون﴾** [التوبة: ٤٥] .

قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ٣٦٤:١١ :" أما من كان في قلبه شكٌّ من الإيمان بالله ورسوله فهذا ليس بمسلم ، وهو من أصحاب النار ، =

أو نطق كُفراً بلسانه[1] .

= كما أنَّ من في قلبه جزم بالإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وبالمعاد، وإن اقتحم الكبائر ، فإنه ليس بكافر " انتهى .

قال ابن القيِّم في "مدارج السالكين" ١ : ٣٦٧: "أما كفر الشك: فإنَّه لا يَجْزم بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك في أمره ، وهذا لا يستمرُّ شكُّه إلاَّ إذا ألزم نفسه الإعْراض عن النظر في آياتِ صدق الرسول ﷺ جملةً ، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها ، وأما مع التفاته إليها ونظره فيها ، فإنه لا يبقى معه شك..".

ومن أمثلة كفر الشك: الشكُّ في صدق الرسول ﷺ ، أو الشك في البعث، أو في شيءٍ من القرآن ، أو في حكمٍ من الأحكام المعلومة من الدِّين بالضرورة ، أو الشك في كفر من دَانَ بغيرِ ملَّةِ المسلمين من المِلَلِ.

(١) كالقولِ بقِدمِ العالَم وبقائه ، وكذلك مَن سبَّ الله عزَّ وجل أو اسْتَهزأ به أو سبَّ رسوله ﷺ أو تنقَّصه واسْتَخفَّ به ﷺ ، وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام ، أو ادَّعى النبوة ، أو سبَّ أو طعن في الكُتُب المنزَّلةِ من عند الله ، أو أنكر وجودَ الملائكةِ أو الجنِّ ، أو سبَّ الملائكةَ وَاسْتهزأ بهم ، أوأنكر البعثَ بمختلفِ صوره ، كإنكار معاد الأجساد مع الاعتراف بمعادِ الأرواح ، أو القول بتناسخ الأرواح وانتقالِها إلى أجسادٍ أخرى ، أو أنكر الوعد والوعيد من أنواع الثواب وأنواع العقاب ، بأن ادَّعى أَنَّ الوعد والوعيد تخييلٌ للحقائق ، أو أَنَّ الجنةَ والنارَ يُقْصد بِهَا نعيمُ الأرواح =

س٧- الإيمانُ بِمَاذا؟

الإيمانُ با للهِ ، وملائكته ، وكُتُبِهِ ، ورُسُلِهِ ، واليومِ الآخرِ ، وبالقدر كُلِّهِ[١] .

= أو تألُّمها فقط دون الأجسام ، أو أَنَّ أهل النار يتنعَّمون في النار . ومن صور هذا الكفر: السخرية بالوعد والوعيد والاستهزاء بهما.

و كذلك يكفر إذا أنكر حكماً معلوماً من الدين بالضرورة ، والمقصود به: ما كان ظاهراً متواتراً من أحكام الدين معلوماً عند الخاص والعام ، مما أجمعَ عليه العلماء إجماعاً قطعِيّاً مثل وجوب الصلاة والزكاة ونحوهما ، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة مثل الربا والخمر وغيرهما ، فكلُّ ذَلِكَ من نواقض الإيمان القولية.

وسيأتي مزيدُ بيانٍ للمكفّرات الاعتقادية و القولية والعملية عند قول المصنف رحمه ا لله تعالى ص١٧٧ : "من كذّبَ نبيّاً ولو بكلمةٍ كَفَر" ، وعند قوله ص٢٧٣-٢٧٧ "يكفر من قال كلمةَ تحقيرٍ في بعض الأنبياء أو الملائكة أو الكتب الإلهيَّة".

(١) قال الإمام الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١١:٢٩ :" آمنا با لله تعالى ، وملائكته وكتبه ، ورسله وأقداره ، والبعْث ، والعرض على ا لله يوم الدين، ولو بُسِط هذا السَّطْر وحُرِّر وقُرِّر بأدلته لجاء في خمس مجلدات ، بل ذَلِكَ موجودٌ مشروح لمن رامه ، والقرآن فيه شفاءٌ ورحمة للمؤمنين " انتهى .

س٨- ما معنى: "وبالقدر كُلِّه"؟

هو أن تعتقد أَنَّهُ لا يقعَ شيءٌ في الكونِ إلاَّ بعلمِ الله وقدرته وإرادته ، وقد أمر اللهُ القلمَ فكتبَ في اللوحِ ما سيكونُ إلى يومِ القيامة[1] .

---

(١) والإيمان بكتابة المقادير هو أحد أصول الإيمان ، وفي حديثِ عبادة بن الصامت عن النبيِّ ﷺ : **"أولُ ما خَلَقَ الله القلَمَ ، قال له: اكتُب ، قال: وَمَا أكتُبُ؟ قال: اكْتُب ما هو كائن إلى يومِ القيامة"** رواه أبو داود في السنة (٤٦٦٨) ، والترمذي في القدَر (٢١٥٦) وقال : حديث غريب ، وفي التفسير (٣٣١٦) وقال : حديث حسن غريب صحيح . وروى مسلم في صحيحه ٨:٤٤٤ (٢٦٤٨) من حديث جابر ﷺ قال : جاء سراقة بن مالك بن جُعْشُم . فقال : يارسول الله ، بيِّن لنا ديننا كأنَّا خُلقنا الآن ، فيما العمل اليوم ؟ أفيما جفَّت به الأقلام وجرت به المقادير ، أم فيما نستقبل ؟ قال :" **لا ، بل فيما جفَّت به الأقلام وَجَرَتْ به المقادير** ".
وفي وصيَّة النَّبيِّ ﷺ لابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عنْهُمَا :" **واعْلَم أنَّ الأمة لواجْتَمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلاَّ بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلاَّ بشيء قد كتبه عليك، رُ فِعت الأقلام وجفَّت الصُّحُف** " رواه أحمد في المسند ١:٢٩٣ ، والترمذي (٢٦٣٥) وقال : حسن صحيح .
وهذه الكتابة عامَّة شاملة للكليَّات والجزئيات من أمور هذا الكون إلى أن تقوم الساعة وينقضي أمر هذا العالم ، إذ كلُّ ماكُتب فيه سيقع ويكون =

س٩- ما اللوحُ والقلمُ والكتابة؟

هيَ من الغَيبيَّاتِ التي ثَبَتَ وجودُها بلِسانِ الشَّـرع[١] فيجبُ الإيمانُ بها ، ولا يضرُّ عدمُ عِرفانِ كيفيَّاتِها .

= في هذه الدنيا، ولايكون فيها شيءٌ أبداً مهما جلَّ أو دقَّ إلاَّ وهو مقدَّر ، وما قدَّره إلاَّ وقد علمه ، وعلمُ الله تعالى شاملٌ للكليَّات والجزئيات ، كما هو مقرَّر عند أهلِ الحقِّ ، خلافاً لمن كفر من الفلاسفة بقولهم : إنَّ الله تعالى يعلم الكليَّات دون الجزئيات" !!.

(١) أخبرَنا الله تعالى عن تلك العوالم الغيبية الكبرى ، وذكرَ سُبْحَانَهُ اللوحَ المحفوظَ ، والقلم في كتابهِ الكريم. قَالَ تَعَالَى: ﴿**بل هُوَ قُرآنٌ مجيدٌ ۝ في لَوْحٍ محفوظ**﴾ [البروج:٢١-٢٢] ، فأخبر سُبْحَانَهُ أَنَّ هذا القرآن مكتوبٌ في اللوحِ المحفوظ ، وسُمِّيَ محفوظاً: لأنَّه محفوظٌ عن الزيادة والنقْص ، والتبديل والتغيير ، أو: لأنه محفوظٌ عن الاطلاع عليه إلاَّ لِمَنْ أَطْلَعَهُ الله تعالى ، واللوح المحفوظ قد كتب فيه القلم جميع المقادير.

قال الحافظ ابنُ رَجَب في "لطائف المعارف " ص١٥٩ :"ولا ريب أَنَّ علم الله تعالى قديمٌ أزَليٌّ لم يزَل عالما بِمَا يُحدثه من مخلوقاته ، ثُمَّ إِنَّهُ كتب ذَلِكَ في كتابٍ عنده قبلَ خلقِ السمواتِ والأرض ، ومن حينئذٍ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم إلى مرتبةِ الكتابة ، وهو نوعٌ من أنواعِ الوجودِ الخارجي" .

وأما القلم فهو عالَمٌ من العوالم المخلوقة بأمر الله تعالى ، لا تُعرف ماهيَّته ولا صفاته . =

= وظاهر حديث عبادة بن الصَّامت المتقدِّم ص١٣٣ أنه أول ماخلق الله ، ومثله ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنَّ رسول الله ﷺ قال :" **إنَّ أوَّل شيءٍ خَلَقه الله القلم ، وَأَمَرَهُ أن يكتبَ كلَّ شيء** " رواه البزَّار ورجاله ثقات كما في "المجمع"٧:١٩٠ .

مع أنَّ حديث عمران بن حُصَيْن الَّذِي رواه البخاري في مواضع من صحيحه ، منها في كتاب التوحيد ١٣:٤٠٣ (٧٤١٨) ، وفيه أنَّ أهل اليمن قالوا للنَّبيِّ ﷺ : جئْناك لنتفقَّه في الدين ، ولنسألَكَ عن أوَّل هذا الأمر ما كان ؟ فقال لهم :" **كان الله ولم يكن شيءٌ قبله ، وكان عرشه على الماء** " فإنَّه يُشير إلى أسْبقيَّة العرش والماء .

وقال الشيخ ابن تيمية في " منهاج السنة النبوية " ١:٢٥٥ :" وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال :" **إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء** " .وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين ﷺ (الحديث المتقدِّم) . وقد تكلَّم علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أوَّل هذه المخلوقات على قولين حكاهما الحافظ أبو العلاء الهَمَذاني (ت٥٦٩) وغيره ، أحدهما : أنه هو العرش ، والثاني : أنه هو القلم ، ورجَّحوا القول الأول لما دلَّ عليه الكتاب والسنَّة أنَّ الله تعالى لما قدَّر مقادير الخلائق بالقلم الَّذِي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشُهُ على الماء ، فكان العرش مخلوقاً قبل القلم . قالوا : الآثار المروية أنَّ "**أول ما خلق الله القلم** " معناها من هذا العالم ". =

= وفي "فتح الباري" ٦:٢٨٩ :" حكى أبو العلاء الهمذاني أنَّ للعلماء قولين في أيِّهما خُلق أولاً : العرش أو القلم ؟ قال : والأكثر على سَبق خلْق العرش ، واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني " -أي : القلم - وأفاد ابن كثير في أول " البداية والنهاية " ١:٨ أنَّ ابنَ الجوزي تبع ابن جرير ، وقال الحافظ ابن كثير :"يُحمل حديث القلم -" أول ما خلق ا لله القلم " - على أنَّه أوَّل المخلوقات من هذا العالم " . فهي أوليَّةٌ مقيَّدة ، أمَّا الأوليَّة المطلقة بين المخلوقات فللعرش .

وقد أقسم ا لله سبحانه بالقلم فقال : ﴿ **ن ۚ والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرونَ**﴾ [القلم: ١-٢] وقد ذَهَبَ كثيرٌ من العلماء إلى أَنَّ القلمَ المقسَم بهِ هو القلمُ الأولُ الَّذي كُتِبَتْ بهِ جميعُ المقادير في اللوحِ المحفوظ.**والكتاباتُ متعددةٌ:** فهناك الكتابةُ الأولى لَمَّا خَلَقَ ا للهُ تعالى القلم ، وهناكَ كتابةٌ ثانيةٌ قبل خلقِ السموات والأرض ، وهناكَ كتابةٌ قبلَ خلقِ آدم ، وهناكَ كتابةٌ عندما يكونُ الجنين في الرَّحِم ، دلَّتْ عليها الأحاديث الصحيحة.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿**وما يَسْطُرون**﴾ فيشمل -وا لله أعلم- ماتسطِّره الملائكة منْ أفعال العباد وجميع أمورهم المقدَّرة ، نسخاً عن اللوح المحفوظ .

ويشمل أيضاً ما تسطِّره الملائكةُ في صحيفةِ كُلِّ جنينٍ حين يمضي عليه أربعة أشهر -كما سيأتي في حديث ابنِ مسعودٍ-.

ويشمل أيضاً ما تسطِّره الملائكةُ من أعمالِ بني آدمَ الصَّادِرَةِ عنهم ، قال تعالى: ﴿**إنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تعْمَلُون**﴾ [الجاثية :٢٩] أي: نكتبُ عليكم أعمالكم الصَّادرة منكم ، للمُجَازاةِ عليها.

س١٠- متى تَكْتُبُ الملائكةُ قسْمَةَ الإنْسان السَّابقة في عِلْمِ الله القديم؟

قَبْل نَفْخِ الرُّوحِ فيه في بطنِ أُمِّهِ يكتب المَلَكُ -بأمرِ الله- أجَلَهُ ورزقَهُ وشقيٌّ أو سعيدٌ ، وما هو لاقِيه في مستقبله[1] .

---

(١) عن عبدالله بن مسعودٍ ﷺ قال: حدَّثَنا رسول الله ﷺ وهو الصَّادقُ المَصْدوقُ: "**إنَّ أحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بطنِ أُمِّهِ أَرْبَعِين يوماً ، ثُمَّ يكونُ في ذَلِكَ عَلَقةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يكونُ في ذَلِكَ مُضْغةً مِثْلَ ذلك ، ثُمَّ يُرسَل إليه المَلَك ، فيَنْفُخُ فيه الرُّوح ، ويُؤْمَرُ بأربعِ كلماتٍ: بكتب رزقِهِ وعملِهِ وأجلِهِ ، وشقِيٌّ أو سعيد.**"رواه مسلم(٢٦٤٣)في كتاب القدر بهذا اللفظ.

قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ١٦٢:١ : "واختلفت ألفاظ روايات هذا الحديث في ترتيب الكتابة والنفخ ، ففي روايةِ البخاري في صحيحه- في بدء الخلق - : "**وَيُبْعَثُ إليه الملك فَيُؤْمَر بأربع كلماتٍ ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيه الرُّوح**" ففي هذه الرواية تصريحٌ بتأخُّر نفخِ الروح عن الكتابة ، وفي روايةٍ أخرجها البيهقي في "القدر" : "**ثمَّ يبعث الملك ، فينفخ فيه الروح ، ثُمَّ يؤمر بأربعِ كلمات**" ، وهذه الرواية تصرِّحُ بتقدُّم النفخ على الكتابة ، فإمَّا أن يكون هذا من تصرُّف الرواةِ برواياتهم بالمعنى الَّذِي يفهمون ، وإما أن يكون ترتيب الإخبار فقط ، لا ترتيب ما أخبر به".

قال الإمام النووي في "شرح مسلم" ١٩١:١٦ :" المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة أنه يظهر ذَلِكَ للملك ويأمر بإنفاذه وإلا فقضاء الله سابق على ذَلِكَ، وعلمه وإرادته لِكُلِّ ذَلِكَ موجود في الأزل".

س١١- هل للإنسانِ مَدْخَلٌ في أفعاله؟

نعم فالإنسانُ له اختيارٌ[١] ، للفرقِ الضروريِّ بين حركةِ الارتعاش وحركة البطْش[٢] .

وعلى فعله بقَصْده وتعمُّدِهِ ، يُثابُ ويعاقَبُ[٣] :

---

(١) قال السيوطي في " الحاوي " ٢:١٣٧-١٣٨ :" وأما الاختيار الَّذِي أثبته أهل السنة للعبد فالمراد به قصده ذَلِكَ الفعل ، ومَيْلُه إليه ، وتوجُّهُه إليه برضاً منه وإرادةٍ له ، وكونه لم يفعله بإلجاء ولا إكراه ولا قَسْر " انتهى .

(٢) فكتابةُ المقاديرِ السابقةِ لا ينفي اختيار الإنسانِ لأفعاله الاختيارية ، واختيارُ العبد للأعمالِ الاختيارية ثابتٌ شرعاً وعقلاً .

أمَّا ثبوتُ الاختيار شرعاً: فَإِنَّ ا لله سُبْحَانَهُ أثبتَ للإنسانِ حالةَ اختيارٍ ، ورتَّبَ المؤاخذةَ والمعاقبةَ على أفعاله الَّتِي تصدرُ عنه وهو مختارٌ لها ، كما أثبتَ للإنسانِ حالةَ اضطرارٍ ، ورَفَعَ عنه المؤاخذة والمعاقبة.

وأمَّا ثبوتُ الاختيار عقلاً ، فما ذكره المؤلف مِمَّا يدركه الإنسان من نفسه أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه باختياره وإرادته ، كذهابه ومجيئه ، وقيامه وقعوده ، ويعلم أيضاً أَنَّ له أعمالاً تصدر عنه دون اختياره ، بل يكون مُضْطراً إليها ، ولا يستطيع دفعها ، كالعطاس ، والرَّعشة ، والتثاؤب ، ونحو ذلك.

(٣) فالإنسان مسؤولٌ عن أعماله الاختيارية التي يقوم بِهَا عن إرادة وقَصْد وتعمُّد ، والتي تقع حَسَبَ علم ا لله تعالى وكتابتِهِ ومشيئتِهِ وقدرتِهِ . =

= والقرآن والسنّة قد أسندا الأفعال إلى العباد في عشرات ومئات من الآيات والأحاديث ، مثل :" **يعملون - يفعلون - يكسبون - يصنعون**..." وما إلى ذَلِكَ . والقرآن من أوَّله إلى آخره صريحٌ في ترتيب حصول الخيرات والشُّرور في الدنيا والآخرة على أعمال العباد ، فلولا أنَّ الإنسان فاعلُ الفعل ومسؤولٌ عنه ما حاسَبَهُ الله عليه ، ولا آخَذَهُ به وعاقَبَه عليه . ومن ظنَّ أنَّ الله تعالى يُعذِّب عبدَهُ بما لا إرادةَ له فيه ، ولا قدرةَ عليه، فقد ظنَّ بالله تبارك وتعالى ظنَّ السَّوْء ، وجعل له مَثَلَ السَّوْء .

فالله سبحانه يعامل الناس بكسبِهِم ، ويُجازيهم بأعمالهم ، ولا يخاف المحسنُ لديه ظلماً ، ولا هَضْماً ، ولايخاف بَخْساً ولارَهَقاً ، ولا يضيع عمل محسنٍ أبداً ، ولا يضيع على العبد مثقال ذرَّة ولا يُظْلَمها ﴿ **وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً** ﴾ [النساء :٤٠] ، وأنه يجزي السَّيِّئةَ مثلَها ، ويُحْبطها بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصائب ، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها ، ويضاعفُها إلى سبع مئة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة ..." وانظر :" الداء والدواء " لابن القيم ص٢٥-٢٧.

قال العلامة الطُّوفي في " التعيين " ص٨٩ عند شرح قوله ﷺ :" **إنَّ أَحَدَكُم لَيَعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة حتى ما يكونَ بينه وبينها إلاَّ ذراعٌ ، فيسبِقُ عليه الكتاب ، فيعملُ بعملِ أهلِ النار** ...." :" كل هذا إشارة إلى أنّه لابدَّ من سببيَّة الأعمال للسعادة والشقاوة . وتحقيق هذا المقام : أنَّ الله عز وجل خَلَقَ الخَلْقَ ، وركَّب فيهم طباع الخير والشر ، فعلم ما يكون منهم =

﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسعَها﴾ [1] ،

= بحسب مقتضى طباعهم المركوزة فيهم ، فلو أسعدهم وأشقاهم بدون تكليف وعمل اعتماداً على سابق علمه وحكمته فيهم لكان في ذَلِكَ مأموناً غير مُتَّهم ، لكنه سبحانه عادل في حكمه ، حليمٌ في عدله ، والحكمة تقتضي اجتناب مظانِّ التُّهم ، فلو عذَّب بعضهم بموجب علمه فيهم لاتَّهموه ، فدفع هذه التُّهمة بأنْ كلَّفهم حتَّى ظهرت معصيتهم عن طباعهم المركوزة فيهم من القوة إلى الفعل ، وهذا هو سرُّ قوله عز وجل :﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلناَّسِ عَلَى ا للهِ حُجَّةٌ بَعَدْ الرُّسُل** ﴾ [النساء : ١٦٥] " انتهى .

(١) من سورة البقرة ، الآية:٢٨٦ ، أي : إنَّ التكاليف الشرعية جاءت على نسبةِ ما أعطى الله تعالى الإنسان من القوى الإدراكيَّة والجسمية ، فلم يكلِّفه الله تعالى فوقَ طاقته .

وقد جعل الله سبحانه كل التَّكاليف الشرعية مما يقدر عليه الناس قدرة مقرونة باليُسْر والتَّخفيف : ﴿ **يُرِيدُ ا للهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ**﴾ [البقرة :١٨٥] ، ﴿ **يُرِيدُ ا للهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم** ﴾ [النساء : ٢٨] .

قال في " الكليَّات " ص١٠٩ :" الوِسْعُ من الاستطاعة : ما يسع الإنسانَ فعلُهُ بلا مشقة . **والجهد منها** : ما يتعاطى به الفعل بمشقة . **والطاقة منها** : بلوغ غاية المشقة " . قال شيخ الإسلام في " الفتاوى" ١٠٨:١٤ :"والوِسْع فعل بمعنى المفعول أي ما يسعه ، لا يكلِّفُها ما تضيق عنه فلا تسعه، وهو المقدور عليه المستطاع " ، وقال أيضاً في " مجموع الفتاوى " =

﴿فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين﴾[1].

والتفريط اعتماداً على القدَرِ جهلٌ[2] ؛ فالذي على العبدِ

= ٢١٦:١٩ : إنَّ الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنَّه لا يكلف نفساً إلاَّ وسعها كقوله : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسَاً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة :٢٨٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسَاً إلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [الأعراف :٤٢] ، وقوله : ﴿ **لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة :٢٣٣] ، وقوله : ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسَاً إلاَّ مَا آتَاهَا** ﴾ [الطلاق:٧] . وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة ، فقال : ﴿ **فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم** ﴾ [التغابن :١٦] . وقد دعا المؤمنون بقولهم : ﴿ **رَبَّنَا ولا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرَاً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ** ﴾ [البقرة :٢٨٦] . فقال :" **قد فعلت** " -رواه مسلم- فدلَّت هذه النصوص على أنَّه لا يكلِّف نفساً ما تعجز عنه خلافاً للجهميَّة المُجْبِرة، ودلَّت على أنَّه لا يؤاخذ المخطئ الناسي خلافاً للقدرية والمعتزلة " انتهى .

(١) من سورة الأنعام ،الآية :١٤٩ والحجَّةُ : الدلالة المبينة والمقْصِد المستقيم ، فله سُبْحَانَهُ الحجَّةُ البالغة بإرسال الرسل وإنزال الكتب ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ فهو تعالى يهدي من هُدِيَ ، ويُضِلُّ مَنْ ضلَّ ، وَكُلٌّ من الهُدى والضَّلال واقعٌ بمشيئتِهِ تَعالى ، ولكن لا يَرْضى لعباده الكفر ، ولا يأمرُ بالفحشاء.

(٢) وهذا التفريط بترك العمل اتِّكالاً على نفوذ القدر قد ردَّه النبيُّ ﷺ ، فقد أخرج البخاري في مواضع من صحيحه أولها في كتاب الجنائز (١٢٩٦) =

= ومسلم في كتاب القدر (٢٦٤٧) كلاهما عن عليٍّ ﷺ قال : " كنّا في جنازة في بقيع الغَرْقَد ، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ، ومعه مِخْصَرةٌ فنكّس- أي خفض رأسه إلى الأرض -فجعل يَنْكُتُ بمِخْصَرَتِهِ- أي يخطُّ بهَا خطاً يسيراً مرَّة بعد مرَّة ، وهذا فعل المُفكِّر المهموم- ثمَّ قال:"**مامنكم من أحدٍ، ما من نفس منفوسة ، إلاَّ وقد كُتِب مكانها من الجنَّة والنَّار ، وإلا قد كُتبت: شقيَّةً أو سعيدةً** " . فقال رجل : يارسول الله ، أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا وندعُ العمل ؟ فمن كان منّا من أهل السعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان منّا من أهل الشقاوة فسيصيرُ إلى عمل أهل الشقاوة. فقال :" **اعمَلُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ ، أمَّا أهل السَّعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السَّعادة ، وأمَّا أهل الشَّقاوة فيُيَسَّرون لِعَمَل أهل الشَّقاوة** " ، ثمَّ قرأ :﴿ **فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى ۞ وَصَدَّق بالحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** ﴾ [الليل :٥-١٠] .

قال الإمام النووي في " شرح صحيح مسلم " ١٦:١٩٦ :" وفي هذا الحديث النهي عن ترك العمل والاتِّكال على ما سَبَق به القدر ، بل تجب الأعمال والتكاليف التي وَرَدَ الشَّرع بِهَا ، وكلٌّ مُيَسَّر لما خُلِقَ له لا يقدر على غيره " انتهى.

وروى أبو داود في كتاب السنة (٤٦٧٧) من حديث عمران بن حُصين قال : قيل لرسول الله ﷺ : يارسول الله ، أعُلِمَ أهل الجنَّة من أهل النَّار ؟ قال : **نعم**. قيل : ففيمَ يعمل العاملون ؟ قال : " **كلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِقَ له** " . =

أن يسعى في الصَّالحات ، ولا يتجاوز خُطَّته إلى التكلُّف فيما أخفاهُ ا للهُ عنه من أنَّه من المقْدَّر[1] أو من غير المقدَّر[2] .

= " وكلمة (مُيَسَّر) : كلمةٌ جامعة لكلمتين تندرجان تحتها ، هما الكلمتان الشائعتان على ألسن الناس : مُسَيَّر ومخيَّر ، والإنسان ليس مُسيَّراً فحسب ، كما تقوله الجَبْرية ، ولا مُخيَّراً فحسب كما تقوله المعتزلة ، إنَّما هو مسيَّر ومخيَّر معاً، وبدلاً من أن نقول كلمتين وكلٌّ منهما تُوهم ، فإنَّا نقول ماقاله عليه الصلاة والسلام :(**مُيَسَّر**) ، فالله تعالى يُيَسِّره للخير ، ويُيَسِّر الخير له -من حيث لا يشعر - فهو مُسيَّرٌ من هذه الناحية ، وهو يمشي في طريق الخير باختياره دون عَصَا تُلْجئُهُ ، فهو مخيَّر من هذه الناحية . وقد غيَّب الله تعالى عن عباده تلك النتائج المحتومة ليبقى للإنسان اختيارُهُ سلوكَ الطريق التي يريدها ، وهذا الاختيار هو مَنَاطُ التكليف ، ومحلُّ الثواب والعقاب " انتهى (من صِحَاح الأحاديث القدسية ، للشيخ محمد عوامة ص ٧٨-٧٩).

(١) في الأصل من المقدور ، والصواب : من المقدَّر بدون واو .

(٢) لأنَّ البحث عمَّا أخفاه الله عنَّا من سرِّ قدره ، فيما لا تبلغ عقولُنا القاصرة معرفةَ تفاصيله ولا نستطيع كشف أسراره ، تكلُّفٌ منهيٌّ عنه . وفيها جاء الحديث :" **إذا ذُكِرَ القَدَرُ فأمْسِكوا** " -رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢٧) وقال الهيثمي في " المجمع " ٧:٢٠٢ :فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف - .

وروى أحمد في مسنده ٢:١٧٨ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ خرج ذاتَ يَوْم ، والنَّاسُ يَتكلَّمون في القدر ، فكأنَّما تَفَقَّأ =

ثُمَّ الرجوع إِلى القَدَر يكون عند الطَّاعَاتِ شُكراً للهِ[1] ،

= في وجهه حبُّ الرمَّان من الغضب . فقال لهم :" **مَا لَكُم تضْربونَ كتابَ الله بعضَهُ بِبَعْض ؟ بهذا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم** ".

قال الحافظ ابن رجب في " فضل علم السلف على علم الخلف"ص٥٢ : "والنَّهي عن الخوض في القَدَر يكون على وجوهٍ منها : ضربُ كتاب الله بعضه ببعض ، فينزع المثبت للقدر بآية ، والثاني له بأخرى ، ويقع التجادل في ذَلِكَ، وهذا قد روي أنّه وقع في عهد النَّبي ﷺ ، وأنَّ النَّبي غضب من ذَلِكَ ونهى عنه، وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه ، وقد نُهي عن ذَلِكَ .

ومنها : الخوض في القدر إثباتاً ونفياً بالأقْيسَةِ العقلية ؛ كقول القدرية : لو قدر وقضى ثمَّ عذَّب كان ظالماً ، وقول من خالفهم : إنَّ الله جبر العباد على أفعالهم ، ونحو ذَلِكَ.

ومنها : الخوض في سرِّ القدر ، وقد ورد النهي عنه عن عليٍّ وغيره من السَّلف ، فإنَّ العباد لايطَّلعون على حقيقة ذَلِكَ " انتهى .

(١) فإذا شَكَرَ الله تعالى على ما وفّقه من الطاعات،ونَسَبَ الفضلَ إليه سبحانه، تحقّق بالعبودية والخضوع لله عزَّ وجل، وابتعد عن الكِبْر والغرور، وإطراء النفس ، ونسبة الكمال إليها، لأنّهُ يعلم أنَّ هذه الطاعات إنما هي بتوفيق الله عزَّ وجل وفضلِهِ، ويقول كما قال سليمان عليه السلام : =

= ﴿ ربِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَليَّ وَعَلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحَاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِين ﴾ [النمل:١٩].

قال ابن القيم في " رسالته إلى أحد إخوانه " وهو يعدِّد مشاهد العبوديَّة الستة ص٣٩ :" المشهد الخامس : مشهد المنَّة ، وهو أن يشهد أنَّ المنَّة لله سبحانه، كونَهُ أقامه في هذا المقام ، وأهَّله له ، وَوَفَّقَه لقيام قلبه و بدنه في خدمته ، فلولا الله سبحانه لم يكن شيء من ذَلِكَ ، كما كان الصحابة يَحْدون بين يدي النبي ﷺ فيقولون :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

قال الله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلامَكُم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُم أنْ هَدَاكُم للإيْمَان إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات:١٧]. فالله سبحانه هو الَّذِي جعل المسلمَ مسلماً ، والمصلِّي مصلياً ، فالمنَّة لله وحده في أن جعل عبده قائماً بطاعته ، وكان هذا من أعظم نعمه علينا . قال تعالى:﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ﴾ [النحل:٥٣] ،وقال :﴿وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيْمَانَ وزَيَّنَهُ فِي قُلوبِكُم وكَرَّهَ إِلَيْكُم الكُفْرَ والفُسُوقَ وَالعِصْيَان، أُولَئِكَ هُم الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات :٧].وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد ، وكلَّما كان العبد أعظمَ توحيداً كان حظُّه من هذا المشهد أتم.وفيه من الفوائد:أنَّه يحول بين القلب وبين العُجْب بالعمل ورؤيته،فإنَّه إذا شهد أنَّ الله سبحانه=

وبَعد المصائب[1]،

= هو المانُّ به، الموفِّقُ له، الهادي إليه، شغله شهود ذَلِكَ عن رؤيته، والإعجاب به، وأن يصول به على الناس، فيرفعَ من قلبه فلا يُعجبُ به، ومن لسانه فلا يمنُّ به ولا يتكثّر به، وهذا شأن العمل المرفوع. ومن فوائده أيضاً: أنّه يضيف الحمد إلى وليّه ومستحقّه، فلا يشهد لنفسه حمداً، بل يشهدُهُ كلَّه لله كما يشهد النعمة كُلَّهَا منه، والفضلَ كلَّه له، والخيرَ كلَّه في يديه، وهذا من تمام التوحيد، فلا يستقرُّ قدمه في مقام التوحيد إلاَّ بعلم ذَلِكَ وشهوده، فإذا علمه ورَسَخَ فيه صار له مشهداً، وإذا صار لقلبه مشهداً أثمر له من المحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه، والتنعُّم بذكره وطاعته مالا نسبة بينه وبين أعلى نعيم الدنيا ألبتّة " انتهى.

(١) والتسليم بالقدَر بعد المصائب مطلوبٌ، كما قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ باللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [التغابن: ١١]. وكما قال سبحانه: ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُم إلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]. وكما قال النبيُّ ﷺ: "**إنْ أصَابَكَ شيءٌ فلا تقُل: لو أنّي فعلتُ كذا كَانَ كذا، ولكن قُل: قدَّرَ اللهُ وَمَا شاءَ فعل**" أخرجه مسلم (٢٦٦٤) في القدَر. =

لا عند الذنوب ، فهو سوءُ أدبٍ وغرورٌ من الشيطان[1].

❁❁❁

= قال ابن القيم في " الفوائد" ص٩٣-٩٤ :" إذا جرى على العبد مقدورٌ يكرهُهُ ، فله فيه ستة مشاهد : **أحدها** : مشهد التوحيد ، وأنَّ الله هو الَّذِي قدَّره وشَاءَه وخلقَهُ ، وماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . **والثاني** : مشهد العَدْل ، وأنه ماضٍ فيه حكمه ، عَدْلٌ فيه قضاؤه . **والثالث** : مشهد الرحمة ، وأنَّ رحمته في هذا المقدور غالبةٌ لغضبه وانتقامه . **والرابع** : مشهد الحكمة ، وأنَّ حكمته سبحانه اقتضت ذَلِكَ ، لم يقدِّره سُدىً ، ولا قضاه عبثاً . **الخامس** : مشهد الحمد ، وأنَّ له سبحانه الحمدَ التامَّ على ذَلِكَ من جميع وجوهه . **السادس** : مشهد العبوديَّة ، وأنَّه عبدٌ محضٌ من كل وجه ، تجري عليه أحكام سيِّده وأقضيَتُهُ بحكم كونه مِلْكَه وعبدَه ، فيصرِّفُه تحت أحكامِهِ القدريَّة كما يُصرِّفُهُ تحت أحكامه الدينيَّة ، فهو محلٌّ لجريان هذه الأحكام عليه " انتهى .

وقال أيضاً في "الفوائد" ص٢٦٢ :" وعبوديَّتُه في قضاء المصائب : الصبرُ عليها ، ثم الرضا بِهَا وهو أعلى منه ، ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا. وهذا إنَّما يتأتَّى منه إذا تمكَّن حبُّهُ من قلبه ، وعلم حُسنَ اختياره له، وبرَّه به ، ولطفَهُ به ، وإحسانَه إليه بالمصيبة وإنْ كَرِهَ المصيبة " .

(١) انظر كتابي : "البيان في أركان الإيمان" ص ٤٦٩-٤٧٣ ففيه تفصيلٌ لِما أُجمِلَ هنا .

س١٢- ما وظيفةُ العقل في هَذَا العلم؟

العقلُ تابعٌ للشرعِ وخادمٌ له[1]، العقلُ مخلوقٌ ، والمخلوقُ لا يعرفُ من صفاتِ خالقه إلاَّ ما عرَّفَهُ خالقُهُ ، فلا يعتقد ولا

(١) العقل وإنْ كان تابعاً للشَّرع وخادماً له ، فإنَّ له منزلته ومكانته ، قال الإمام القرطبي في تفسيره: ٢٦١: "فإنَّ العقلَ لِكُلِّ فضيلةٍ أُسٌّ ، ولكلِّ أدبٍ ينبوع ، وهو الَّذِي جعله الله للدينِ أصلاً ، وللدنيا عماراً ، فأوجبَ الله التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبَّرةً بأحكامه ، والعاقل أقربُ إلى ربِّه من جميعِ المجتهدين بغير عقل" انتهى .

وقال الإمام العز بن عبدالسلام (ت ٦٦٠) رحمه الله في " ملحة الاعتقاد " ص٢٢:" والعقل هو مناط التكليف بإجماع المسلمين ، مع أنَّ الشرع قد عدَّل العقل، وقبِل شهادته ، واستدلَّ به في مواضع من كتابه ، كالاستدلال بالإنشاء على الإعادة ، وكقوله تعالى :﴿ **لَوْ كَانَ فيهِمَا آلهةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا** ﴾ [الأنبياء :٢٢] ، وقوله : ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلـهٍ إذاً لَذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ** ﴾ [المؤمنون :٩١] ، وقوله : ﴿ **أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي الأرْض مِنْ شَيءٍ** ﴾ [الأعراف : ١٨٥] . فياخَيْبةَ من ردَّ شاهداً قَبِلَه الله ، وأسقط دليلاً نَصَبَه الله " .

والعقلُ على علوِّ درجته ، ورفيعِ منزلته له حدٌّ يقف عنده ولا يتجاوزه إلى ما بعده ، وهو وإنْ كان تابعاً للشرع وخادِماً له إلاَّ أنهما متوافِقان =

= متعاوِنان . يقول الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى في كتابَيه: "الذريعة إلى مكارم الشريعة"ص ٢٠٨و " تَفْصيل النّشْأتين وتحصيل السعادَتين" ص١٤٠-١٤٣ في شأن العقل مع الشرع ما ملخصه:"إنَّ الشرعَ سائسٌ ، والعقل تابعٌ ، والشرعُ قبل العقل ، والعقل في حاجةٍ دائماً إلى الشرع ، فالشرعِيَّات تجري مَجْرى الأغذية الحافظة للصحة ، والمعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة ،والشرعُ والعقلُ تَوأَمان ، يكمِّلُ أحدهما الآخر ، ولا استغناء لأحدِهما عن الثاني ،وبينهما اندماجٌ، وليس بينهما تنافرٌ فيُحتاجَ إلى التوفيق بينهما ".

وقال الراغب أيضاً في " تفصيل النشأتين " ص١٤٢ :" واعلم أنَّ العقل بنفسه قليل الغناء لايكاد يتوصَّل إلاَّ إلى معرفة كلِّيَّات الشيء دون جزئياته نحو أن يعلم جملة حسن اعتقاد الحق ، وقول الصدق ، وتعاطي الجميل...ونحو ذَلِكَ من غير أن يعرف ذَلِكَ في شيء شيء. والشرع يعرف كلِّيَّات الشيء وجزئياته ، ويبيِّن ما الَّذِي يجب أن يُعتقد في شيء شيء ، وما الَّذِي هو معْدلة في شيء شيء . ولا يعرِّفنا العقل مثلاً أنَّ لحم الخنزير والدم والخمر محرَّمة ، وأنه يجب أن يُتحاشى من تناول الطعام في وقت معلوم ، وأن لاتُنكح ذوات المحارم ، وأن لا تُجامع المرأة في حال الحيض ، فإنَّ أشباه ذَلِكَ لا سبيل إليها إلاَّ بالشرع ، فالشرع نظام الاعتقادات الصحيحة والأفعال المستقيمة ، والدالُّ على مصالح الدنيا والآخرة ، ومن عدل عنه فقد ضلَّ سواء السبيل . ولأجل أن لا سبيل للعقل إلى معرفة =

= ذَلِكَ قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنّا مُعذّبين حتّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥] انتهى .

وقال العلاّمة ابن الجوزي في فاتحة كتابه "تلبيس إبليس"ص٢ : "أما بعد ؛ فَإِنَّ أعظمَ النِّعم على الإنسان العقل ؛ لأنه الآلةُ في معرفة الإله سبحانه ، والسببُ الَّذِي يُتوصَّلُ به إلى تصديقِ الرسل ، إلاَّ أنه لَمَّا لم ينهض بكلِّ المراد من العبد ، بُعِثَتِ الرُّسل وأُنزلت الكتب ، فمثال الشَّرع: الشمس ، ومثال العقل: العينُ ، فإذا فتحت وكانت سليمةً رأت الشمس. ولما ثبت عند العقل أقوالُ الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سَلَّم إليهم ، واعتمد فيما يخفى عليهم".

وقال العلاّمة الشيخ طاهر الجزائري في" الجَوْهَرة الوسْطى" في "تظاهر العقل والشرع" ص٩١-٩٣: "اعلم أَنَّ العقل لا يهتدي إِلاَّ بالشَّرع ، والشَّرع لا يُتبيَّنُ إِلاَّ بالعقل. وقد ضربوا لتظاهرهما واحتياج كلٍّ منهما إلى الآخر أمثالاً:

المثل الأول: العقلُ كالأساس والشَّرع كالبناء ، ولن يغني أساسٌ ما لم يكن بناءٌ ، ولن يثبت بناءٌ ما لم يكن أساس.

المثل الثاني: العقلُ كالسِّراج ، والشَّرع كالزيت ، فما لم يكن سراجٌ لم يضئ الزيْت ، وما لم يكن زيتٌ لم يُنتفع بالسَّراج.

قال الشّاعر الحكيم: =

= إنّما النفسُ كالزُّجاجةِ والعقـ ـلُ سِراجٌ وحكمةُ الله زيتُ

فإذا أَشْرَقَتْ فإنّكَ حَـــيٌّ وإذا أَظْلَمْـــتَ فإنّك ميْتُ

المثل الثالث: العقل كالبصر، والشرعُ كالنُّور، فمـا لم يكـن بصـرٌ لم يُفـدِ النور في النظر، وما لم يكن نورٌ لم يُدْرِك البصـر وإن كـان في غايـةِ القـوة، فكما أنَّ بنورِ البصر ونور الشمس يحصل الإبْصار، كذلك بنور العقل ونور الشرع يحصل الاستبْصار، فهُما في الظاهر نوران، وفي الباطن نـورٌ واحـد. قال تعالى: ﴿**نورٌ على نور**﴾ [النور: ٣٥] يريد: نورَ الشرع ونور العقـل" انتهى بتصرُّفٍ واختصار، وغالب كلامه منقول مـن " تفصيـل النشـأتين " للراغب الأصفهاني ص١٤٠-١٤٣.

قال الأستاذ العلاّمة الشيخ عبدالفتـاح أبـو غـدة (ت ١٤١٧)رحمـه الله تعالى في تعليقاته النفيسـة علـى "رسـالةِ المسترشـدين" للمحاسـبي ص١٦٥: "وما أجملَ قول بعض الحكماء مما وجدتُه على كتاب:

الشَّرعُ أعظمُ مرشدٍ في ظلمةِ الشُّبَهِ البَهيـمَهْ

والـعقل يَقْفُوهُ وَلَوْ لاهُ لكُنّا كالبَهيـــــمَهْ

فاتْبعْهُما ولِمَن لَحا كَ عليهِما قُل: يا بَهيمَهْ

وفي قوله: (يا بهيمَهْ) توريةٌ، إذ المقصود: (يا بهي -أي يا جميل- مَـهْ) أي: اكفُفْ عن لومـي في اتّبـاع الشَّـرع النَّـاصح والعقـل المستَنير بـه، وكتبـت (يابهيمَهْ) موصولةً لإحكام التَّورية نُطْقاً وكتابةً ومُلْحَةً أيضاً. =

يتكلَّم أحدٌ في أمورِ خالقه إلاَّ ما أذِنَ له فيه ، فالعقل لا سبيل له إلى الحكم في المباحث الإلَهيَّةِ نفياً أو إثباتاً إلاَّ بتَلَقِّي علمها من إفاداتِ النُّبوَّة ، وكذلك الأمور الأُخرَويَّة وما أخبر بهِ الشَّرع مِمَّا غاب عن العيان[1]، فليس للعقل فيه وظيفةٌ إلاَّ

= قال مصعب بن عبدا لله الزُّبيري: قال أبي:الْمُلَحُ يا بُنَيَّ لا يفهمُها إلاَّ عقلاءُ الرجال. وقد قرَّر هذا الحكيم ما قرَّره العلماء أَنَّ الشَّرع عِصْمةٌ للعقل ، والعقل نِبْراسٌ للشرع" انتهى.

(١) قال العلامة الشيخ حسين والي رحمه ا لله تعالى في كتابه "التوحيد" ص١٠٠: " العقل في أمور أخرى ميزانٌ صحيح ، إذا حكم أنصف ، وكانت أحكامه صادقة لا كذب فيها ، ولكنه هنا ليس كذلك . فإنَّ ميزانه لا يقوم في حقيقة صفات ا لله والنُّبوَّة والآخرة ، ولا في سائر أمور الغيب ، فإذا طمع في ذَلِكَ فإنَّما يطمع في المحال بعينه . **الميزان صادق إذا وُزن ما يليق به ، فميزان الذهب لا توزن به الجبال** " . انتهى

وقال أستاذنا العلاَّمة الشيخ علي الطنطاوي(ت ١٤٢٠) -رحمه ا لله تعالى- في كتابه النافع "تعريف عام بدين الإسلام" ص ٤٣: "إنَّ العقل لا يستطيع أن يُدْرك شيئاً حتى يَحْصُره بين اثنين: الزمان والمكان ، فما لم ينحصر بينهما ، لم يدركه العقل بنفسه ، فالعقل لا يحكم إلاَّ في حدودِ الزمان والمكان ، فما كان خارجاً عنهما من مسائلِ الرُّوح ، وأمورِ القدَرِ ، وصفاتِ ا لله سُبْحَانَهُ، فلا حكمَ للعقلِ عليه ، ثُمَّ إنَّ العقلَ محدودٌ لا يحكم على غير المحدود ، ولا يستطيع أن يحيطَ به . =

التعقُّل والتفهُّم للمرادِ من التبْليغات النَّبويَّةِ بـالقرآنِ والحديـثِ الصحيح[1]، وكلُّها مطابقةٌ للعقلِ عَرَفَ مَـن عَـرَفَ ، وجهِـلَ من جَهِل[2] ، وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم .

حافظوا على هَذَا الأساس الكُلِّيِّ فهو الحاجزُ بين الكُفـرِ والإيمان ، وبين الخَطأ والصَّواب في هَذَا الباب .

وكلُّ حكمٍ خَرَجَ عن هذه القاعدةِ فهو مظنونٌ أو موهومٌ من قائله الأول بناءً على قياسات لم تَطَّرِدْ فلا يقينَ فيـه ، ولا يجوز اعتقادُهُ ، ونتائجُ الأفكار لا تُقاوِمُ وحيَ الجبَّار .

= فالعقلُ لا يستطيعُ أن يحكم ، ولا يصح حكمه إلاَّ في الأمورِ المادية المحدودة ، أمَّا ما (وراء المادة) أي : عالم الغيب ، فلا حكم للعقلِ عليه" .

(١) قال القرطبي ١٠: ٢٣١ في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥]: "وفي هذا دليلٌ على أَنَّ الأحكام لا تثبت إلاَّ بالشَّرع خلافاً للمعتزلة القائلينَ بأنَّ العقل يقبِّح ويحسِّن ويُبيحُ ويحظُر" .

(٢) قال ابن القيم في "الفوائد" ص٢٥٤ :" العقول المؤيَّدة بـالتوفيق تـرى أنَّ مـا جاء به رسول الله ﷺ هو الحقُّ الموافق للعقل والحكمة ، والعقول المضروبة بالخِذْلان ترى المعارضة بين العقل والنقل ، وبين الحكمة والشرع ".

وسببُ الخطأ: القصورُ في الإحاطة بأصْل المسألة أو تفريعها ، فلو استكملت لأهل الفَنِّ لقرَّ قرارُهم على الإذْعان إلى ما قاله الله ورسولُه.

نعم ما كان غير مصرَّحٍ بِهِ في النَّصِّ الدينيِّ فهو ليس من هَذَا الباب .

فهذه المسألة -وهي عرفانُ وظيفة العقل في هَذَا العلم وتوقيفه عند حدِّه- هِيَ إحدى النقطتين اللتين هما مَنْبعُ السعادةِ والشَّقاوة .

والنقطة الثانية: اعتقادُ قدرةِ اللهِ تعالى وإرَادته:

مَن آمنَ بِأَنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وفعَّالٌ لما يريد: زالَ عن فكره أكثر الإشكالات المضِلَّة ؛ لأنَّه بقدرةِ الله تنخرقُ الطبيعة ، فكما أَنَّ جرَيانها في سبيلها المعتاد هو بفعل الله وحكمته ، فلا إشكالَ في تغييره مجراها لحكمةٍ أيضاً ، فالله لم يلتزم عدم تغيير المعتاد من مجاري الطبيعة ، بل صرَّح بتغييرها وتبديلها وتحويلها متى شاء .

ومن الخطأ الفاحش تفسيرُ قوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا﴾ [1] بأنّه القانونُ الطبيعيُّ في حَوَادِثِ الكون.

والصَّواب: أنَّ سنّتَهُ هنا نَصْرُه لأنبيائِهِ عَلَى مَنْ كذَّبَهُم وعَادَاهُم كما يدلُّ عليه صَدْرُ الآيةِ، وهو قولُه تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ سُنَّةَ الأوَّلين﴾[2] فهي السُّنَّةُ التي لا تَتَبَدَّل والعاقبةُ للمتّقين[3].

---

(١) من سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٢) من سورة فاطر، الآية: ٤٣.

(٣) وللمؤلف -رحمه الله تعالى- كلمةٌ مفصَّلةٌ حَوْل خطأ الاستدلال بهذه الآية تعقَّبَ فيها العلاَّمة الشيخ محمد رشيد رضا، ونُشِرَتْ في مجلةِ "المنار" المجلد (١١) الجزء (١٢) سنة ١٣٢٦هـ = ١٩٠٩م ص٩١١-٩١٣، ونظراً لأهميَّتِها وعظيمِ نفعها أوردها هنا:
قال رحمه الله تعالى بَعْدَ بيانِ السبب الباعث له على الكتابة للشيخ محمد رشيد رضا: "قولكم في الكرامة إنّها لا تكون مخالفةً لسنن الله تعالى في خلقه بتغييرٍ أو تبديلٍ أو تحويل؛ لأنَّ الله تعالى أخبر بأَنَّ سُنَنَهُ لا تتبدَّل ولا تتحوَّل". هذا لفظكم، تعنون قوله تعالى: ﴿فلَن تَجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ تفسيرُ هذه الآية ونحوِها بعدمِ خرق العادةِ وعدم انحرافِ سبيل الطبيعةِ في الكون مُوجِبٌ للأسف، وقد سمعت الاحتجاج =

= بها مراراً على لسانِ مَن يدَّعِي انحصار حوادث الكون في الأسباب انحصاراً كُلِّيّاً، ورأيته في كتبٍ جديدةٍ عربيةٍ وتركيةٍ ، ولا أدري أول من دسَّ هذا البلاء تحت هذه الآيةِ الكريمة ، فهو دفع للمعجزاتِ النبوية بالصَّدْر ، لأنها محضُ خرقٍ للعادة ، وَمَا هو إلاَّ تبديلٌ وتحويلٌ لِما هو معتادٌ في النظام الكوني ، وليس لأحدٍ أن يفرِّق بين المعجزةِ والكرامةِ في أصلِ التبديلِ والتحويل ، لأنه لا دليلَ على تخصيص عدم التبديل والتحويل بزمانٍ دونَ زمان ، فالمراد بسُنَّةِ الله في الآية: نصرُه لأنبيائه وَمَنْ قفَاهُم ، وخذلانه لأعدائه ومَن والاهم ، ونحوِ ذَلِكَ من إحقاقِ الحقِّ وإبطالِ الباطل.

قال المحقِّق مجدِّدُ القرن الثاني عشر الإمام الشوكاني في تفسير "فتح القدير" ٤ : ٣٤٤ تحت هذه الآية ما نصُّه: "﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي : فهل ينتظرون إلاَّ سُنَّةَ الأولِين ، أي : سنة الله فيهم بأن ينزل بهؤلاءِ العذاب كما نزل بأولئك ، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ أي : لا يقدر أحد أن يبدِّل سنَّةَ الله الَّتِي سنَّها بالأمم المكذِّبَةِ من إنزالِ عذابه بهم ، بأن يضع موضعه غيره بدلاً منه ، ﴿وَلن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ بأن يحوِّلَ ما جرَتْ بِهِ سنَّة الله من العذاب فيدفعه عنهم ويضعه على غيرهم ، ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما.

ثُمَّ قال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾ [فاطر : ٤٤] هذه الجملةُ مَسُوقَةٌ لتقرير معنى ما قبلها وتأكيده".

ومثل الشوكاني سائر المفسرين من أئمةِ الدين.

ولا يقال هنا: العبرة بعموم اللفظ ؛ لأنَّ المعنى الَّذِي زعموا تناولَ اللفظِ =

= إيّاهُ مناقضٌ لأكثر آياتِ القرآن الّتِي قصَّتْ وقائع الأنبياء وغيرها من عجائب قدرةِ ا لله ، كنَارِ إبراهيم ، وعصا موسى ، وخلق ا لله عيسى بلا أبٍ ، وواقعةِ أصحاب الفيل وغير ذلك.

ولَنا أن نقولَ نزوعاً بالآيةِ -اعتباراً بعموم اللفظ عموماً لا ينقض آيةً أخرى-: من سنّةِ ا لله أن يخلق أشياءَ بأسبابٍ لحكمةٍ ، وأشياءَ بلا أسبابٍ لحكمةٍ ، ولن تجد لسُنّةِ ا لله تبديلاً ، وأعجبَني ما كتبه صاحب الحميَّة الإسلامية مفتي الديار المصرية في كتابه المسمَّى "الإسلام والنصرانية مع العلم والمدَنيَّة" ، بَعْدَ إشارته إلى حديث: "**لَتتبعُنَّ سَنَنَ من كَانَ قَبْلَكُم شِبْراً بشبرٍ وذراعاً بذِراع**" قال في صحيفة ١٣٨: ومن اتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن ا لله فيهم ، فهل ينتظر المتّبعون سننهم ، السَّائرون على أثرهم أن يصنع ا لله بهم غير الّذِي صنع بسابقِيهم ، وقد قضى بِأَنَّ تلك سنته ولن تجد لسنّةِ ا لله تبديلا.

فإن كَانَ مرادكم سدَّ الذريعة خوفَ توسيع الخَرْق على الراقع من جهةِ العامَّة ، فسَدُّ الذريعةِ من أصول الشريعةِ ، لكن مع السَّلامة من مَفسدةٍ أكبر من تلك ، وخوفكم على العامَّةِ بهذه المثابةِ إفراطٌ ، فإنه لا تلازُمَ بين جوازِ وقوعِ الكرامةِ خرقاً للعادة بإذنِ ا لله ، وجوازِ ما يُعمل من البِدعِ في زيارةِ الأولياء والغلوِّ في الاعتقاد.

وأنتم تعلمونَ أَنَّ الكرامةَ ثابتةٌ عند أهل السنّةِ قاطبةً ، حَتّى الإسفراييني والقشيري المروي عنهما البحث في شأن الكرامة ما أنكراها ، وإنّما قالا: لا تبلغ مبلغ المعجزة، وبعضهم شرط أن لا تتوالى وتترادف ترادُفاً يجعلها =

فحافِظوا على هاتين النقطتين[1] تُفلِحوا ، فهُما جناحا المسلم اللذانِ يتخلَّصُ بهما من الفِتَن ، وإلا فهُوَ من أهلَكِ الهالِكين .



= عادةً، وفيه نظر ، وكلامُنا الآن في جوازِ أصل وقوعها إمكاناً وسنةً ، لا في عوارضها .

وإرشاداتكم على طريقةِ السلف الصالحين في الاعتقاد ، وهل نطقَ بذلك أحدٌ من أهل القرون الثلاثة؟ فتأمَّلوا المسألة ، فَإِنَّ خطرَها كبير ، والمادِّيُّون والطبيعِيون بالمِرْصَاد ، فإذا سمعوا علماء المِلَّة يقولون بعدم خرقِ العادة ، فيا بُشْرَاهُمْ يَبْنون على هذا الأساس الموهوم ما شاؤوا ، لأنَّ مذاهبهم انعزال الخالق جَلَّ جلاله عن التصرُّفِ في العالم استغناءً بالطبيعة ، أعاذَنا الله وإيَّاكُمْ من الضلال ، وباللهِ تعالى التوفيق" انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١) أي: معرفة وظيفة العقل في أمور الغيبيات ، واعتقاد قدرة الله تعالى وإرادته.

(فَصْل)

س١٣- كيف السَّمَاوات السبع؟

هِيَ طِباقٌ بعضُها فوقَ بعض[1] ،

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوات طِبَاقاً﴾ [الملك: ٣] ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ ترَوْا كيفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوات طِباقا﴾ [نوح: ١٥] أي متطابقة بعضها فوق بعض ، وقال تعالى: ﴿ولقَدْ خَلَقنا فَوْقَكُم سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ [المؤمنون:١٧] أي : بعضهن فوق بعض ، قال أهل اللغة: طارقت الشيء إذا جعلتَ بعضه فوق بعض ، كما في "الرسالة الوافية " للداني ص١٤.

قال أستاذُنا الشيخ علي الطنطاوي في مقالٍ له في مجلة "الوعي الإسلامي" ، السنة الثالثة ١٣٨٧ ، العدد ٢٥ بعنوان: "ما هي السماء"؟ مامُلخصه: "والذي تبيَّنَ لي من نصوص الدين ، ومن مقرَّرات علماء الفلك: أَنَّ الشمسَ وتوابعها (وهنَّ الأرض وأخواتها) وهذه الكواكب التي لا يُحصَى عددها تَسبحُ في فضاءٍ عظيم ، وهذا الفضاء تحيط به كله (كرة) هائلة ، وهذه الكرة هي (السماء الدنيا) ، وهذا العالم بأرضه وشمسه وكواكبه في وسطها ، ولهذه الكرةِ سَمْكٌ ، الله أعلم بمقْدَارِهِ . قال تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَها﴾[النازعات:٢٨] ، وهي في فضاءٍ لعله مثل هذا الفضاء . أو أصغر أو أكبر ، وحوله كرةٌ أخرى -لها سَمْكٌ- هي (السماء الثانية) ثُمَّ فضاء ، ثُمَّ كرةٌ ، وهكذا إلى السماءِ السابعة ، وبغير هذه الصورةِ لا تكون السماء (طباقاً) ، وخارج الكرةِ الكبرى التي هي السماء السابعة ، أجرامٌ أكبر ، =

سقفاً محفوظاً(١) ومن نفى وُجُودَ السَّمَوات المفسَّرِ بلسانِ الشَّرع فقد جاهرَ بتكذيبِ القُرآن والنبوَّة(٢) .

= أجرامٌ لا يستطيعُ العقل مَهْما جهد وكَدَّ أن يتصوَّرَ مدى كبرها ، هي (الكرسِيُّ ، والعرش ، وسِدْرةُ المنتَهى) ، هذه كُلّهَا عَظَمَـةُ المخلوق ، فما بالك بعَظَمَةِ الخالق"؟ انتهى .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وجعلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً محفُوظاً وهُمْ عَنْ آياتِهَا مُعْرِضُون﴾ [الأنبياء:٣٢] ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿والسَّقْفِ المرفُوع﴾ [الطور: ٥] .

(٢) ومن ذَلِكَ : تأويلُ سبعِ سمواتٍ طباقٍ إلى الكواكب السيَّارات السبْع ، وهو افتراءٌ صريحٌ على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ،وهو كلامٌ باطل مردودٌ من عدةِ وجوه:

أولاً: أَنَّ السمواتِ هي سبعٌ بالنصِّ القرآنيِّ القاطع، الَّذِي ليس فيه احتمالٌ ولا إجمال ، وأما السيَّارات من الكواكب ، فليست هي سبعة قطعاً ، بل ثبتَ عند علماءِ الفلكِ أَنَّ هناك سياراتٍ من الكواكب أكثر من ذَلِكَ.

ثانياً: أَنَّ السمواتِ السَّبْع هي طباقٌ كما أخبر الله تعالى ، أما الكواكب فليست طباقاً ، بل هي متناثرة متباعدة.

ثالثا: أَنَّ القرآن أخبر أَنَّ هذه الكواكب هي زينةٌ للسماءِ الدنيا ، قال تعالى: ﴿إنَّا زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينةٍ الكَواكِب﴾ [الصافات:٦]، فالسماءُ الدنيا هي السَّقْف ، والكواكب زينتُها ، ومن المعلوم أَنَّ زينةَ السَّقف تكون تحته لا فوقه. =

س١٤- في كَم خُلِقَتِ السَّماواتُ والأرض؟

في ستةِ أيامٍ[1] : خلق الأرضَ في يومين ، ثُمَّ السَّمواتِ في يومين ، ثُمَّ دَحَا الأرضَ ، وخلقَ ما عليها من جبالٍ وماءٍ

= كما وصف سبحانه الكواكب بأنها مَصَابيح ، فقال سبحانه : ﴿ **وَزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصَابِيحَ** ﴾ [فصلت :١٢] ومصابيحُ السَّقْف تكون تحته لافوقه.

رابعاً : جعل الله الكواكب حفْظاً للسَّماء من كلِّ شيطانٍ مارد ، فقال سبحانه:﴿**وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطانٍ مَارِدٍ ۞ لايَسَّمَّعونَ إلى المَلأ الأعْلَى ويُقذَفُونَ من كُلِّ جَانِبٍ** ﴾ [الصافات:٧-٨] . وقال تعالى :﴿ **وَلَقَدْ زَيَنَّا السَّماءَ الدُّنيا بَمَصابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومَاً للشَّيَاطِين** ﴾ [الملك :٥] فلو كانت الكواكب فوق السَّموات لكان الرَّجْمُ للشياطين بالشُّهب الناريَّة نازلاً من فوق السَّماء مُخترِقاً حُجُبَ السَّماء .فكون الكواكب زينةَ السماء، وحفظاً لها ، ومصابيحَ لعالم الأرض دليلٌ على أنَّ الكواكب دون السمواتِ السَّبْع (هدي القرآن إلى معرفة العوالم ص ١١٢-١١٤) .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿**إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيام**﴾ [الأعراف: ٥٤] و [يونس: ٣] ، وتكرَّر ذِكرُ خلقِ السمواتِ والأرض في ستةِ أيامٍ في سبعةِ مواضع من كتابِ الله عَزَّ وجَلّ ، في الموضعين السابقين في الأعراف ويونس ، وفي سورة هود ، الآية: ٧ ، وسورة الفرقان ، الآية: ٥٩ ، وسورة السجدة ، الآية: ٤ ، وسورة ق ، الآية: ٣٨ ، وسورة الحديد ، الآية: ٤ . وجاء تفصيل الزمن في سورة فُصِّلت : =

وأقْواتٍ وغير ذلك في يومين[1] .

= خُلِقت الأرض في يومين ، وقُدِّرت الأقْوات في يومين ، وخُلِقت السموات في يومين .

(١) قَالَ تَعالَى: ﴿قُلْ أئنَّكُمْ لَتكفُرونَ بالذي خَلَقَ الأرضَ في يَوْمَين وَتجْعَلونَ له أنْداداً ذَلِكَ ربُّ العالَمين ۞ وَجعَل فيها رَوَاسي -أي: جبالاً ثوابت- منْ فَوقِها -أي: من فوق الأرض- وَبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فيها أقْواتَها في أربعَةِ أيامٍ سَواءً للسَّائلين ۞ ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّماءِ وهي دُخانٌ فقال لَهَا ولـلأرض ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتا أتَيْنا طِائعين ۞ فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ في يَومَين وَأَوْحَى في كُلِّ سماءٍ أَمْرَهَا وزيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بمصَابيحَ وحِفْظاً ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العَليم﴾ [فصلت: ٩-١٢] .

فاللهُ سبحانه خَلَقَ الأرضَ في يومين ، وخلق فيها الجبال والبحار والأنهار والأشجار والثِّمار ، وقسَّمَ أرزاقَ العباد في يومين ، فقوله سُبْحَانَهُ : ﴿وَقَدَّرَ فيهَا أقْواتَها في أَربعةِ أيام﴾ أي: في تتمةِ أربعةِ أيام ، يريد بالتتمةِ اليومين ، ولابد من هذا التقدير . لأنه لو أُجري على الظاهر لكانت ثمانيةَ أيامٍ ، لأنه قال: خَلَقَ الأرضَ في يومين ، ثُمَّ قال: وقدَّرَ فيها أقواتها في أربعةِ أيامٍ ، ثُمَّ قال: فقضاهُنَّ سبعَ سمواتٍ في يومين ، فيكونُ خلافَ قوله: ﴿في ستةِ أيام﴾ .

وهذه الآية تدلُّ على أَنَّ خلقَ الأرضِ كَانَ قبل خلقِ السماء ، لقوله تعالى : ﴿خَلَقَ الأرضَ في يومَين﴾ ثمَّ رتَّب على ذَلِكَ بثمَّ : ﴿ثمَّ استَوى إلى السَّماء﴾ كما يدلُّ على ذَلِكَ أيضاً قوله تعالى: ﴿هوَ الَّذِي خَلَقَ لكُم مَا في الأرضِ جَميعاً ثُمَّ استَوى =

= إلى السَّماءِ فسوَّاهُنَّ سبعَ سَمَوات﴾ [البقرة: ٢٩] يدلُّ على تقدُّمِ خلقِ الأرض وما فيها على خلقِ السَّماء . وقوله سُبْحَانَهُ في سورة النازعات : ﴿ ءَأَنْتُم أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ ثم قال : ﴿وَالأَرْضَ بعدَ ذَلِكَ دَحَاها﴾ يدلُّ على أَنَّ دحو الأرض بَعْدَ خلقِ السماء . والجمعُ بينهما: أنه سُبْحَانَهُ خَلَقَ الأرض أولاً ، ثُمَّ خَلَقَ السماء بَعْدَهَا ، ثُمَّ بَعْدَ خلقِ السَّماءِ دَحَا الأرضَ ومدَّها ، وبهذا يحصُل الجمعُ بين الآيتين . فأصلُ خلْق الأرض قبل خلق السَّماء ، ودحوها بجبالها وأشجارها ونحو ذَلِكَ ، بعد خلق السَّماء . ويدلُّ لهذا أنَّه قال : ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ولم يقل :خلقها ، ثمَّ فسَّر دَحْوَهُ إيَّاها بقوله : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ وهذا الجمعُ بين الآيتين ذهب إليه ابن عباس كما رواه البخاري عنه في صحيحه في تفسير سورة السجدة ٨:٥٥٥-٥٥٦ ، وهو واضح لا إشكال فيه.

وفي قوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَافي الأرضِ جَميعاً ثمَّ اسْتَوَى إلى السَّماء﴾[البقرة :٢٩] التصريح بأنَّ جميع مافي الأرض مخلوقٌ قبل خلق السَّماء . فكيف نزيل هذا الإشكال ؟

قال العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي في " أضواء البيان " ١١٩:٧ : " وهذا الإشكالُ مرفوعٌ من وجهين كلٌّ منهما تدلُّ عليه آية من القرآن .

الأول : أنَّ المراد بخلق مافي الأرض جميعاً قبل خلق السَّماء : الخَلْقُ اللغوي الَّذِي هو التقْدير ، لا الخَلْق بالفعل ، الَّذِي هو الإبْرازُ من العَدَم إلى الوجود. والدليل على أنَّ المراد بهذا الخلق : التقدير أنَّه نصَّ على ذَلِكَ =

س١٥- ما مقدارُ تلك الأيام؟

مقدارُ أيام الدنيا المعروفة[1]،

= في قوله ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ ثم قال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوى إلى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ .

الوجه الثاني : أنّه لمّا خلق الأرض غير مَدْحُوَّة ، وهي أهلٌ لِكُلِّ مافيها ، كان كل مافيها كأنه خُلق بالفعل لوجود أصله فعلاً . والدليل على أنّ وجود الأصل يمكن به إطلاق الخَلْقِ على الفرع ، وإن لم يكن موجوداً بالفعل ، قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ثُمَّ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَم ﴾ فقوله : ﴿ خَلَقْنَاكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُم ﴾ أي : بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الَّذِي هو أصلكم " انتهى .

(١) والدليلُ على أَنَّ المراد بالسِّتَّةِ أيامٍ هنا هي مقْدارٌ من هذه الأيام -يعني أيام الدنيا المعروفة- قوله تعالى: ﴿وإنَّ يوماً عندَ ربِّكَ كألفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون﴾ [الحج: ٤٧]، وقوله سبحانه :﴿ يدبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأرض ثمَّ يَعْرُجُ إليهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون ﴾ [السجدة :٥] . فأحالَ العدد في الآيتين إلى مدَّةٍ تقدَّر بزمانِنا بألفِ سنةٍ ، فَيَطَّرِدُ ذَلِكَ في جميع التقادير الزمَنِيَّة التي يذكرها سُبْحَانَهُ على نسبةِ التقدير من أيام هذا الزمان ، في كلِّ المناسبات ، كما قال سُبْحَانَهُ: ﴿تعرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يومٍ كَانَ مِقْدارُهُ خَمْسينَ ألفَ سَنة﴾ [المعارج: ٤] أي: مما تعدُّون. وأمَّا من زعم أنَّ مقْدار اليوم الَّذِي خلق الله عزَّ وجل فيه السَّموات والأرض ألف سنة أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمَاً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ =

= **سَنَةٍ مِمَّا تَعدُّون** ﴾ [الحج:٤٧] فقد قال ابن الجوزي في "المنتظم " ١٢٥:١ : "وهذا المراد به أيام الآخرة ، وليس يقوم ذَلِكَ دليلاً على أنَّ الأيام المتقدِّمة مثل المتأخرة . والذي أراه أنَّ الستة أيام التي خُلِقَت فيها الأشياء على مثل آيّامنا بدليل النقل والمعنى . أمَّا النقل فقد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال : " **خَلَقَ الله التربةَ يوم السَّبْت ، وبثَّ فيها الجبالَ يومَ الأحد**.. " -رواه مسلم في كتاب صفة القيامة (٢١٤٩) (٢١٥٠) وأحمد في المسند ٣٢٧:٢-ونحن نعرف مقدار الأحد و السبت . فأمَّا المعنى : فإن المراد الإخبار بسرعة الإيجاد ، فإذا كان اليومُ كألف سَنةٍ لم يحصل المقصود. وكنت أرى أني خالفتُ بهذا الرأي أهل التفسير حتى رأيت الحسن البصريَّ قد قال : هذه الأيّام مثل آيّام الدنيا " انتهى .

وأمَّا التوفيق بين قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّموات والأرضَ ومَا بَينهما في ستّة أيّام** ﴾ [ق :٣٨] . وبين مارواه أحمد في مسنده ٣٢٧:٢ ومسلم (٢١٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال:" **خلق الله تعالى التربةَ يوم السبت ، وخلق الجبالَ يوم الأحد، وخلقَ الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النُّورَ يوم الأربعاء ، وبثَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس ، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة** ..." فهذا الحديث قد اختلف العلماء في ثبوته ، وردَّه كثيرٌ منهم بحجَّة أنه مُعارضٌ لنصِّ الآية التي تدلُّ على أنَّ خلق السَّموات والأرض وما بينهما كان في ستّة أيام ، مع أنَّ هذا الحديث لم يتعرَّض لخلق شيء من السَّموات أصلاً حتى يقال إنه عارض الآية ، وإنما ذكر خلق =

ولا يعجز عنه ، ولو شاء لخَلَقَها في لحظة[1] .

= مابين السموات والأرض من الأمور المادية : الحيوانية والنباتية ونحوهما ، ثمَّ إنَّ هذا الحديث بيَّـن تفصيـل خلـق الله تعـالى لمـا علـى وجـه الأرض بعدمـا خلقها سبحانه إجمالاً ، فهذا من باب : ﴿ **خَلْقَاً مِنْ بَعْـدِ خَلْـق** ﴾ [الزمـر :٦] وتفصيل بعد إجمال ، كما ذكر سبحانه ذَلِـكَ في خلـق الإنسـان حـين خلقه إجمالاً ثم خلقه خلقاً من بعد خلق (هدي القـرآن إلى معرفـة العـوالم والتفكر في الأكوان ، ص٢٦) .

(١) قال الخازن في بيـان الحكمـة في ذَلِـكَ في تفسـيره ٢:٩٤: " أَنَّ الله سُبْحَانَهُ وإن كَانَ قادِراً على خَلْقِ جميع الأشياء في لحظةٍ إلاَّ أنـه تعـالى جَعَـلَ لكـلِّ شـيءٍ حـدّاً محـدوداً ، ووقتـاً معلومـاً ، فـلا يدخـل في الوجـود إلاَّ في ذَلِـكَ الوقت ، والمقصود من ذَلِكَ تعليمُ عباده التَّثبُّت والتأَنِّي في الأمور .
وقيل : إنَّ الشيء إذا أُحدث دفعة واحدة فلعلـه أن يخطـر ببـال بعضهـم إنَّ ذَلِكَ الشيء إنَّما وقع على سبيل الاتفاق ، فإذا حدث شيئاً بعد شـيء علـى سبيل المصلحة والحكمة كـان ذَلِـكَ أبلـغ في القـدرة ، وأقـوى في الدلالـة " انتهى .
وقال البيضاوي في " أنوار التنزيل " ص٢٠١ :" وفي خلـق الأشـياء مدرَّجـاً مع القدرة على إيجادها دفعةً دليلٌ للاختيار ، واعتبارٌ للنظّـار ، وحـثٌ علـى التأنِّي في الأمور " انتهى .
ومن ذَلِكَ أيضاً: أَنَّ الحكمةَ في خَلْقـه أن يكـون تطويـراً وتخليقـاً ، ليحصـل بخلقِ السمواتِ والأرض وَمَا بينهما النفع والخير للبلاد ، فالأيام الَّتِي =

س١٦-هل الأرضُ كرةٌ أم مُسَطَّحة؟

كرةٌ ومُسَطَّحَةٌ ، فالأرضُ جُرْمٌ كبيرٌ ، لا ينافي تسطيحُها كُرَوِيَّتَهَا لِتَباعدِ أكناف بعضِها من بعض(١) .

= خُلِقَت فيها السَّموات والأرض وإن كانت سِتَّة ، ولكنَّ التخليقَ الإلهيَّ والتحويلَ والتطويرَ لم يفارقها لحظة ، فهذا من دلائل عِظَمِ القُدْرة الإلهيَّة على خلقِ الأشياء وتطويرها وتحويلِها وخلقِها خَلْقاً من بَعْدَ خلق.

وهناك حكمٌ أخرى كثيرةٌ ، وهو سبحانه يخلق مايشاء كيف يشاء على الوجه الَّذي يشاء حَسْبَ مُقْتَضى الحكمةِ الإلهيَّة . (وانظر : هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكُّر في الأكوان ، ص٢٤-٢٩).

(١) وصف الله سبحانه الأرضَ بأنَّها مُسطَّحةٌ ، فقال عزَّ وجل : ﴿ **أَفلاَ يَنْظرون** .. ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَإلى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠] وكونها مُسطَّحة، لاينفي كرويَّتها فهي ذاتُ سَطْحٍ كروي.

والأدلة على ذَلِكَ كثيرةٌ أذكر أهمها :

١- قال تعالى :﴿ **وَهوَ الَّذِي مَدَّ الأرضَ** ﴾ [الرعد :٣] وقال سبحانه : ﴿**والأَرضَ مَدَدْنَاهَا** ﴾ [ق : ٧] . والمدُّ : البَسْط . ومعنى ذَلِكَ : أنَّك حيثما نظرتَ إلى الأرض تراها مبْسوطة ، وهذا لايُمكن أن يَحدُث إلاَّ إذا كانت الأرض كرويَّةً ، فلو أنَّ الأرض كانت مُربَّعةً أو مُثلَّثةً لوصَلْنا فيها إلى حافةٍ ، فالشكل الوحيد الَّذي تراه أمامَك مَبْسوطاً دائماً مهما سِرْتَ دون أن تصِلَ إلى حافَّةٍ هو الشكل الكُرويُّ . =

= قال الإمام ابن جُـزَي في تفسـيره " التسـهيل في علـوم التـنزيل " ٢:١٣٠ : "ولايتنافى لفظ البسط والمدِّ مع التكوير ؛ لأنَّ كلَّ قطعةٍ من الأرض ممـدودة على حِدَتها ، وإنّما التكويرُ لجملةِ الأرض " .

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره ١:١٦ عنـد تفسير قوله تعـالى:﴿ **الَّـذِي جَعَلَ لَكُم الأرضَ فِرَاشاً** ﴾ [البقرة:٢٢] : أي : مُهيَّأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفِرَاش المبسْوط ، وذلك لايستدعي كونها مُســطَّحة ، لأنَّ كرويـة شكلها مع عظم حجمها ، لايأبى الافتراش عليها "

وقال الآلوسي في "روح المعـاني "٢٩:٧٦ في تفسـير قولـه تعـالى : ﴿ **واللهُ جَعَلَ لكُم الأرضَ بِسَاطاً**﴾ [نوح : ١٩] :" وليس في الآية دلالـةٌ علـى أنَّ الأرض مبسْوطة غير كرويَّة ، لأنَّ الكرة العظيمة يرى كلٌّ من عليهـا مايليـه مُسطَّحاً ، ثمَّ إنَّ اعتقاد الكروية من عدمها ليس بـلازم في الشـريعة ، لكـن كرويتهـا كـالأمر اليقيـني، ومعنـى جعلهـا بسـاطاً ، أي : تتقلّبــون عليهــا كالبِسَاط".

٢- وقال تعـالى : ﴿ **وَالأرْضَ بعْـدَ ذَلِـكَ دَحَاهَـا** ﴾ [النازعـات :٣٠] . ومعنى الدَّحو : المَدُّ والبَسْطُ . وهـذا يُؤيِّـدُ المعنـى السَّـابق في قولـه تعـالى : ﴿**وَالأرضَ مَدَدْنَاهَا** ﴾

ولكنَّ الأرض ليست كاملة الاسـتدارة ، والدحيـة : هـي البيضـة ، فشـكل الأرض بيضاوي ، فأحد القُطْبَين أكثرُ سيولةً من الآخر.

٣- وقال تعالى : ﴿ **خَلَـقَ السَّـمَوَاتِ والأرْضَ بـالحقِّ يُكَـوِّرُ اللَّيـلَ علـى النَّهارِ وَيُكوِّرُ النَّهارَ على اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْري** =

= ﴿ لأجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الزمر :٥].والتكويرُ مأخوذ من كور العمامة وهو إدارتها، ولايكون تكوير إلاعلى سطح كروي دائري . فهذه الآية نصٌّ على تكوير الأرض ودوران الشمس. فيكون ضوء النهار بإشراقها ، وظلمة الليل بمغيبها، فا لله سبحانه يكوِّر ظلمة الليل على المكان الَّذِي يشغله النهار على الأرض المكوَّرة فيصير ليلاً . ويكوِّر ضوء النهار على المكان الَّذِي يشغله الليل على الأرض المكوَّرة فيصير الزمن نهاراً .

قال الشيخ ابن تيمية في " الفتاوى " ٥٨٨:٦ : " والتكوير :التدوير ، يُقال: كوَّرتُ العِمَامة إذا دوَّرتها . ويقال للمستدير : كارةٌ ، وأصله كَوْرة . والليل والنهار ، وسائر أحوال الزمان تابعة للحركة ، فإنّ الزمان مقدار الحركة ، والحركة مقدار الجسم المتحرِّك ، فإذا كان الزمان التابع للحركة ، التابعة للجسم ، موصوفاً بالاستدارة ، كان الجسم أَوْلى بالاستدارة " .

٤-وقال سبحانه : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبهُ حَثِيثاً ﴾ [الأعراف :٥٤]. وقال سبحانه : ﴿ وَلااللَّيْلُ سَابِقُ النَّهار وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون ﴾ [يس:٤٠] . فالليل والنهار يَجْريان في تَتَابع بحيث لايَسْبِق أحدُهما الآخر ، وهذا التتابع إمَّا أن يكون في خطٍ مستقيم أو خطٍ دائري ، فإذا كان تتابع الليل والنهار في خط مستقيم ، فإنه لن يحدث على وجه الأرض إلاّ ليلٌ واحد ، ونهارٌ واحد . مِمّا يجعل التتابع على وَجْه الأرض مستحيلاً . فلا يمكن أن يكون تتابع الليل والنهار على الأرض إلاّ في شكل دائري ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ يُقلِّبُ الله اللَّيْلَ وَالنَّهارَ ﴾ [النور :٤٤] والتقْليب يعني السَّيْرَ بشكلٍ دائري لا في خطٍ مستقيم . =

= ٥-وَمِمَّا يدلُّ علـى ذَلِكَ أنَّ الأجْـرام السَّـماويَّة جميعهـا كرويَّـة الشـكل ، النجوم والكواكب والأقمـار ، حتـى الشـهب والنيـازك ...وشـكل الأرض لايختلف عن تلك الأجرام السماويَّة الـتي تسبح في ملكـوت ا لله سبحانه .
ولمزيد من التفصيـل يُنظـر كتـاب :"المنهـج الإيمـاني للدراسـات الكونيـة في القرآن الكريم " للدكتور عبدالعليم خضر ، ص٢٥٠-٢٧٦ .
وأقوال العلماء في كروية الأرض كثيرة جداً ، منها قول أحمد بـن عمـر بـن رَسْتة المتوفي سنة ٣٠٠ هجرية تقريباً كما في " الأعلاق النفيسـة " ص١٢-١٣ :" أجمعت العلماء على أنَّ الأرض بجميع أجزائها من البر والبحـر علـى مثال الكرة " ، وتكلم عـن دائـرة معـدَّل النهـار ، وهـي الـتي تُسـمَّى بخـط الاستواء فقال :" وبُعْدها من القطبين من كلِّ الجهات بقدر واحد " .
وقال الإمام ابن حزم في " الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَـل " ١:٩٧ : "إن البراهين قد صحَّت بأنَّ الأرض كروية .." ثم ذكـر الأدلـة والـبراهين علـى ذَلِكَ .
وقـد استدلَّ العلمـاء علـى أنَّ العـوالم كرويـة مسـتديرة بـالحديث " **مـا السَّموات السَّبع مع الكرسي إلاَّ كحَلْقَـة مُلقـاةٍ بـأرضٍ فَـلاَة** " رواه ابـن حبان ٢:٧٦ (٣٦١) والبيهقي في " السنن" ٩:٤ من حديث أبـي ذر ﷺ ؛ لأنَّهُ ﷺ يُشَبِّهُ ذَلِكَ بالحلقة وهي مستديرةٌ .
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى " ٢٥:١٤٢ : " قـد دلّ الكتـاب والسنة، وأجمـع علمـاء الأمَّـة ، علـى مثـل مـا عليـه أهـل المعرفـة مـن أهـل الحساب، من أنَّ الأفلاك مُستديرة لا مُسطَّحة " . وجاء في موضع آخر =

= من "الفتاوى" ٦:٥٨٦ : " سُئِل رحمه الله عن كيفيَّة السماء والأرض ، هل هما جسمان كرويان ؟ فأجاب : " السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذَلِكَ غيرُ واحد من العلماء أئمة الإسلام ، مثل : أحمد بن جعفر بن المنادي ، والإمام ابن حزم ، وأبو الفرج ابن الجوزي ، وبَسَطوا القول في ذَلِكَ بالدلائل السمعيَّة . ولا أعلم في علماء المسلمين المعروفين من أنكر ذَلِكَ إلاَّ من لايُؤْبهُ له من الجهَّال . قال : ومن الأدلة على ذَلِكَ قوله تعالى : ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون**﴾ [الأنبياء:٣٣] .

قال ابن عباس وغيرُهُ من السلف : في فَلَكَةٍ مثل فلكة المغزل . وهذا صريح بالاستدارة والدوران ، وأصل ذَلِكَ أنّ الفلك في اللغة : هو الشئ المستدير ، يقال : تفلّك ثدي الجارية ، إذا استدار ، ويقال لفلكة المغزل المستديرة:فَلَكةٌ ، لاستدارتها . فقد اتفق أهل التفسير واللغة على أنّ الفلك هو المستدير .

ونقل أيضاً في "الفتاوى" ٢٥:١٩٦ عن ابن المنادي : " وكذلك أجمعوا على أنَّ الأرض بجميع حركاتها من البرِّ والبحر مثل الكرة ، ويدلُّ عليه أنَّ الشمس والقمر والكواكب ، لايوجد طلوعها وغروبها على جميع من في نواحي الأرض في وقت واحد ، بل على المشرق قبل المغرب . فَكُرَةُ الأرض مُثبتةٌ في وَسَطِ كُرة السماء ، كالنقطة في الدائرة " انتهى .

(فَصْل)

س١٧- ما الاعتقادُ في حقِّ الأنبياء؟

الأنبياءُ صَادِقون [(١)]، أُمناءُ معصُومونَ [(٢)]،

---

(١) ويستحيل في حقِّهم الكذب ، " في دعوى الرِّسالة وتبليغ الأحكام ، ودليلُ ذَلِكَ: أنَّهم لو لم يصدقوا لزم الكذب في خبرِهِ تعالى ، لكنْ كذب خبره تعالى مُحَال ، فما أدَّى إليه وهو عدم صدقهم محال، وإذا استحال عدم صدقِهم وَجَب صدقُهُم ، وهو المَطْلوب . وقد صدَّقهم سبحانه وتعالى بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى : صَدَق عبدي في كلِّ مايُبلِّغ عني " . (مذكرات في التوحيد ، للشيخ محمود أبو دقيقة ٢:٢٦١-٢٦٢) .

(٢) **الأمانة أو العصمة** : عرَّفها جمهور علماء التوحيد بأنَّها حفظُ الله تعالى ظواهرَهم وبواطنَهم من فعل منهيٍّ عنه ، أو لطفٌ من الله تعالى بالعبد يحمله على الخير ويزْجره عن الشَّر (المصدر السابق ٢:٢٦٤-٢٦٥) . ودليلها : أنَّ الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم غير المختصَّة بهم .

قال الله تعالى في حق نبينا محمد ﷺ : ﴿ **قُلْ إنْ كُنْتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله** ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال تعالى: ﴿ **واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تَهْتَدُون**﴾ [الأعراف :١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُم في رَسُولِ اللهِ أُسْوةٌ حَسَنَة** ﴾ [الأحزاب : ٢١] ، والله سبحانه لا يأمر بمعصية ، قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ الله لايأمر بالفحشاء**﴾ [الأعراف :٢٨].

أهلُ فِطْنَة [1] .

لاَ يكتُمُونَ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَهُمُ ا للهُ بتبْليغِهِ [2]،

---

(١) **الفَطَانة** : هي حِدَّةُ العقل وذكاؤه بحيث يتمكَّن المتَّصِفُ بهَا من إلزام المخالفين وردِّ دعاويهم ، وإفْحام المعاندين . والدليلُ على ثبوتها للرسل عليهم السلام أنهم أُرسلوا إلى الناس لبيان الشرائع والأحكام وإقامة الحجج والبراهين على إثبات دعواهم وإبطال شُبَه المعاندين ، فلو لم يتّصفوا بالفَطَانة لاتّصفوا بضدِّها من البَلاَدة أو الغفلة ، ولو كانوا كذلك لما تمكّنوا من القيام بما أُرسلوا لأجله ، وحينئذٍ تضيع فائدة الرسالة (المصدر السابق ٢:٢٦٤) .

(٢) والدليل على وجوبِ صفةِ التبليغِ لهم عليهم الصَّلاة والسلام ، أنَّهم لو كتموا شيئاً مما أُمِروا بتبليغه للخَلْق لكنّا مأمورين بكتمان العلم ، لكنَّ الثاني باطل ، فما أدَّى إليه وهو كتمانهم للأحكام التي أُمِروا بتبليغها باطل، وإذا بطل هذا وجب نقيضه وهو وجوب التبليغ . ودليل بطلان الثاني : أنّ كاتم العلم ملعون ومرتكبٌ مانهى الله عنه ، فلا يكون الكتمان مأموراً به ، قال الله تعالى : ﴿**إنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ مَاأَنزَلنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهُدَى مِنْ بَعْدِ مَابَيَّنَّاهُ للنَّاسِ في الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُم اللاَّعِنُونَ**﴾ [البقرة:١٥٩]. وأمَّا دليل الملازمة فحاصلهُ : أنّا أُمرنا بالاقتداء بالرسل في أقوالهم وأفعالهم ، فلو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه لضاعت فائدة الرسالة . قال تعالى:﴿ **ياأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَاأُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَل فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[المائدة :٦٧].أي : إن لم تبلِّغ بعض ما أُمرت بتبليغِهِ فكأنَّك لم تبلِّغ شيئاً من الرسالة(مذكرات في التوحيد٢:٢٦٣). =

مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللهِ بالمعجِزاتِ الخارِقَةِ للعَادةِ علامةً على صِدْقهم[1].

= قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٢٠٤:٣ :" يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة ، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به ، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذَلِكَ ، وقام به أتمَّ قيام " .

ثم ساق ما أخرجه البخاري ٢٧٥:٨ عند تفسير هذه الآية عن عائشة قالت: مَنْ حدَّثك أنَّ محمَّداً كَتَمَ شيئاً مَّما أُنزل عليه فقد كذب ، والله يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ وفي الصحيحين عنها أيضاً أنها قالت : لو كان محمدٌ ﷺ كاتماً من القرآن شيئاً لكَتَمَ هذه الآية : ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أنْ تَخْشَاه** ﴾ [الأحزاب:٣٧]

(١) قال العلامة نجم الدين الطوفي المتوفى سنة ٧١٦ رحمه الله تعالى في " التعيين في شرح الأربعين " ص٨ :" ولا شكَّ أنَّ الرُّسل صلوات الله عليهم جاؤوا بالآيات المعجزات دليلاً على صدقهم ، فكأنَّ صدقَهم مُستفادٌ من دليلٍ مُؤَلَّفٍ من مُقَدِّمتين قاطعتين على هذا النَّظْم : الرسُل جاؤوا بالمعجزات ، وكلُّ من جاء بالمعجزات فهو صادقٌ ، فالرسل صادقون . أما الأولى فثابتةٌ بالحسِّ ، فإنَّ النَّاس شاهدوا قلب العَصا حيَّة ، وإحياء الموتى ، وانشقاق القمر ، ونحوها من المعجزات . وأمَّا الثانية فثابتةٌ بالعقل ضرورة ؛ لأنَّ =

= المعجزات خوارق العادات ، وخرق العادات لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجل، والله عزَّ وجلَّ لا يؤيِّد به كاذباً ، وقد أيَّد به هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فليسوا كاذبين ، فهم صادقون بالضرورة ، فقام الدليل على صدقهم ، وانتظم البرهان على حقّهم " انتهى .

وقال العلامة الإمام علاء الدين الخازن المتوفى سنة ٧٢٥ رحمه الله تعالى في تفسيره النافع النفيس " لُباب التأويل " ٢:١١٦ :"**فصل :في بيان المعجزة وكونها دليلاً على صدق الرسل** : اعلم أنَّ الله تبارك وتعالى كان قادراً على خلق المعرفةِ والإيمانِ في قلوب عباده ابتداءً من غير واسطة ، ولكن أرسل إليهم رُسلاً تعرِّفهم معالِمَ دينه وجميع تكليفاته ، وذلك الرسولُ واسطةٌ بين الله عزَّ وجل وبين عباده يبلِّغهم كلامه ويعرِّفُهم أحكامَه....وقد جاءت الرُّسُلُ عليهم الصَّلاة والسلام بمعجزات دلَّت على صدقهم، فوجَبَ تصديقُهم في جميع ما أَتَوْا به ؛ لأنَّ المعجزة مع التحدِّي من النبيِّ قائمٌ مقامَ قولِ الله عزَّ وجل : صَدَقَ عبدي فأطيعوه واتّبعوه، ولأنَّ معجزة النبي شاهدةٌ على صدقِهِ فيما يقوله ، وسمِّيت المعجزة معجزةً ؛ لأنَّ الخلق عَجَزوا عن الإتيان بمثلها .

وهي على ضَرْبَيْن : فَضَرْبٌ منها هو على نوع قُدرة البشر ، ولكن عَجَزوا عنه، فعجْزُهم عنه دلَّ على أنّه من فعل الله ، ودلَّ على صدق النبيِّ ﷺ ، كتمنّي الموت في قوله :﴿ **فَتَمَنَّوا المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الجمعة:٦] فلمَّا صُرِفوا عن تمنّيه مع قُدْرتهم عليه ، عُلِم أنّه من =

= عند الله ، ودلَّ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ . **الضَرْبُ الثاني : ماهو خارجٌ عن قدرة البشر** ، كإحياء الموتى ، وقلب العصا حيَّة ، وإخراج ناقة من صخرة، وكلام الشجر والجماد والحيوان ، ونبْع الماء من بين الأصابع ، وغير ذَلِكَ من المعجزات التي عَجَز البشر عن مثلها . فإذا أتى النبيُّ بشيءٍ من تلك المعجزات الخارقة للعادة عُلِمَ أنَّ ذَلِكَ من عند الله عزَّ وجل ، وأنَّ الله عزَّ وجل هو الَّذِي أظهرَ ذَلِكَ المُعْجِزَ على يد نبيِّه ليكونَ حُجَّةً له على صدقِهِ فيما يُخبر به عن الله عزَّ وجل .

وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع أنَّ الله تعالى قادرٌ على خلق الأشياء وإبداعها من غير أصل سبق لها ، وإخراجها من العدم إلى الوجود ، وأنَّه قادرٌ على قلبِ الأعيان وخوارق العادات ، والله تعالى أعلم "انتهى .

وقال العلامة الشيخ محمود أبو دقيقة في "مذكرات التوحيد" ٣ :٨-٩ في دلالة المعجزة على صِدْق النبيِّ ﷺ :" لافرق في ذَلِكَ بين الموجودين في زمن الرسول والغائبين ، وبين من شَاهدهَا ومن لم يشاهدها ؛ لأنَّ مدَّعي النبوة إذا أتى بأمرٍ خارقٍ للعادة ، وعَجَزَ قومُه الَّذِينَ بُعِث فيهم عن معارضته مع تحدِّيه لهم عُلِم صدقه في دعواه ، لأنَّ ترك المعارضة يترتَّب عليه إذلالُهم بعد عزَّتهم ، وقهرُهم وخضوعُهم ، وزوالُ سلطانهم ، وهذا لاتقبله النفوس البشريَّة " .

ومَنْ كذَّبَ نبيَّاً ولو في كَلِمةٍ فقد كفر [1] .

---

(١) قال القاضي عياض -رحمه الله تعالى - في "الشفا" ٢:١٠٧٣ : " وكذلك نَقْطع بتكفير كلِّ من كذَّب وأنكر قاعدةً من قواعد الشرع ، وما عُرِفَ يقيناً بالنقل المتواتر من فعل الرسول ، ووقع الإجماع المتصل عليه ، كمن أنكر وجوب الصَّلوات الخمس أو عدد ركعاتها وسجداتها " . وقال أيضاً ٢:١٠٧٦ : " وكذلك من أنكر القرآن ، أو حرفاً منه ، أو غيَّر شيئاً منه ، أو زاد فيه ، وكذلك من أنكر شيئاً مما نصَّ فيه القرآن -بعد علمه- أنَّه من القرآن الَّذِي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين ، ولم يكن جاهلاً به ، ولاقريب عهدٍ بالإسلام .."
ولابدَّ من التنبيه هنا إلى ماذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى" ٧:٢٣٧ بقوله :" إنَّ الإنسان قد يكون مكذِّباً ومُنْكِراً لأمور لايعلم أنَّ الرسول أخبر بِهَا أو أمر بِهَا ، ولو عَلِمَ ذَلِكَ لم يكذِّب ولم يُنْكر، بل قلبه جازمٌ بأنه لايخبر إلاَّ بصدق ، ولايأمر إلاَّ بحق ، ثم يسمع الآية أوالحديث ، أو يتدبَّر ذَلِكَ ، أو يفسَّر له معناه ، أو يظهر له ذَلِكَ بوجهٍ من الوجوه فيصدِّق بما كان مكذِّباً به ، ويعرف ما كان مُنكراً له ، وهذا تصديقٌ جديد وإيمانٌ جديد يزداد به إيمانه" .
ولذلك يقول الإمام النووي في " شرح صحيح مسلم "١:١٢٨ : " إنَّ مَنْ جَحَدَ مايعلم من دين الإسلام ضرورة حُكِمَ بردته وكفره إلاَّ أن يكون قريبَ عهدٍ بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه فيُعرَّف ذَلِكَ، فإن استمرَّ حُكِمَ بكفره".

س١٨–ما الَّذِي يجوزُ في حقِّهم؟

يجوزُ عليهم الأحوالُ البشريَّة التي لا نَقيصَةَ فيها ، كالجُوعِ والتعب والنكاح ، والمرضِ الَّذِي لا تَنْفر منه النفوس(١)

---

(١) أمّا الأعراضُ البشرية المُنفِّرة كالجذام والبرَص فيجبُ سَلاَمة أبدانهم منها ؛ لأنهم لو اتّصفوا بشيءٍ من ذَلِكَ لكان انزعاجُ الناس لِمَرْآهُم حجةً للمنكر في إنكار دعواهم ، فتضيع فائدة الرسالة .

قال القاضي عياض في "الشَّفا" :"الأنبياء مُنزَّهون عن النقائص في الخَلق والخُلق ، سالمون من العاهات والمصائب ، ولا التفات لما يقع في التاريخ من وقوع بعض العاهات في بعضهم ، بل نزَّههم الله تعالى من كل عَيْبٍ ، وكل ماينقص العيون ويُنَفِّر القلوب" .

وقال أيضاً ١٩٧:١ :" وصفاتُهم في الكمال وجميل الأخلاق ، وحُسْن الصُّوَر ، والشمائل : معروفة ومشهورة ، فلا تلتفت إلى ما تجده في كتب جَهَلة المؤرِّخين والمفسِّرين ممَّا يخالف هذا " .

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٤٣٨:٦ :" الأنبياء في خَلقهم وخُلقهم على غاية الكمال ، ومن نَسَب نبياً من الأنبياء إلى نَقْصٍ في خَلْقِهِ فقد آذاه، ويُخشى على فاعله الكفر " .
=

= وقال العلاّمة القسطلاني في "المواهب اللدنيـة " ٥:٢١٤ :" قـال السـبكي: ولايجوز عليهم العمى ؛ لأنَّهُ نقص ، ولم يَعْمَ نبيٌّ قط ، وما ذكر عن شُعيب أنّه كان ضريراً فلم يثبت ، وأمَّا يعقوب فَحَصَلَت له غشاوة وزالت " .

ومايذكر في بعض كتب التفسير في قصة مرض أيوب فهو من الإسـرائيليات المكذوبة المفـتراة ، فقـد بـالغ بعـض القصَّـاص في قصـة مـرض أيـوب عليـه السلام، حتى قالوا : إنَّ الدود أخذ يتسـاقط منـه ، وهَجَـرَه النـاس بعـد أن وضعوه في قُفَّة وطرحوه على مَزْبلة . فلا يجوز نقل هذا الكلام ، ولا اعتقاد حصوله ، بل يجب اعتقاد سلامة الأنبياء من الأمراض المنفِّرة الشـنيعة كـالَّتي قيلت عن أيوب ، فقد مرض عليه السلام وابتليَ بلاءً شديداً في نفسه وماله وأهله كما أخبرنا الله تعالى ، ولا نزيد على مـا قالـه الله تعـالى إلاّ بدليـل. ونقل القرطبي في تفسيره ١٥:٢١٠عن القاضي أبي بكـر بـن العربـي :" ولم يصحّ عن أيوب عليه السـلام في أمـره إلاّ مـا أخـبر الله عنـه في كتابـه ، في آيتين: الأولى قوله تعالى في سورة الأنبياء (٨٣) : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَـادَى رَبَّـهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ**﴾ ، والثانية في سورة ص (٤١) :﴿ **أَنِّـي مَسَّـنِيَ الشَّـيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾. وأمَّا النبيُّ ﷺ فلم يصح عنه أنّه ذكره بحرف واحد ، إلاّ قوله : " **بَيْنا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه جرادٌ من ذهب**.." الحديـث -رواه البخاري (٢٧٩) - . =

س١٩- ما خصائصُ نبيِّنا محمدٍ عليه وعليهم الصلاة والسلام؟

هُوَ خَاتمُ الأنبياء(١)،

= وإذا لم يصح فيه قرآن ولا سنة إلاَّ ما ذكرناه ، فمن الّذِي يوصل السَّامع إلى أيوب خبرَهُ ؟ أم على أيِّ لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضةٌ عند العلماء على البتات ، فَأَعْرِض عن سطورِها بَصَرَك ، واصْمُم عن سماعها أذنَيْك ، فإنّها لا تعطي فكرك إلاَّ خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلاَّ خَبالاً .."

قال الإمام أبو الحسن السَّبْتي في كتابه " تنزيه الأنبياء عَمَّا نسب إليهم حُثَالة الأغبياء " في قصة أيوب عليه السلام ص١٢٣ :" وهذه القصة غير لائقة بمنصب النبوة ، وحاشى لله أن يُسلِّط عدوه على حبيبه بمثل هذه السِّلْطَة حتى يتحكَّم في ماله وولده وجسده بالبلاء والتنكيل . وأما تعلقهم فيها من الكتاب العزيز فبقوله تعالى أنه قال : ﴿ مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ وليس لهم حجة في هذا القول ، فإنَّ الأنبياء عليهم السلام ، إذا مسَّهم ضرٌّ نسبوه إلى الشَّيطان ، على جهة الأدب مع الحقِّ سبحانه ؛ لئلا ينسبوا له فعلاً يُكْرَه ، مع علمهم أنَّ كلاً من عند الله " ثم قال :" فخرج من مجموع ما ذكرناه أنَّ تعلقهم بالآية في كل ما زوَّروه من الأقاصيص غير صحيح " انتهى .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كانَ مُحمَّدٌ أَبَا أَحدٍ من رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ الله وخَاتمَ النَّبِيِّين وَكَانَ اللهُ بكلِّ شيءٍ عَليماً﴾ [الأحزاب:٤٠] .وروى البخاري (٣٥٣٥) ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦) عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :" إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً =

= **فأحسنه وأجْملَهُ إلاّ موضع لَبنَةٍ من زاوية فجعلَ النّاس يطوفُون به ويُعجبون له، ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبِنَة ، وأنا خاتمُ النبيين".**

وروى ابن حبان في صحيحه ١٥:١٩٥(٦٧٨٨) من حديث فاطمة بنت قيس قالت : صَعِدَ رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : **"أُنْذِرُكُم الدجّالَ ، فإنّه لم يكن نبيٌّ قبلي إلاّ وقد أنذره أمَّتَهُ ، وهو كائنٌ فيكم أيَّتُها الأمَّة ، إنّه لا نَبيَّ بعدي ولا أُمَّة بعدكم .."**

والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ جداً ، وهي قطعيَّة الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها .

ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المُجْمَع عليها أنَّ من اعتقد أو ادَّعى وجود نبي يُنبَّأ في هذه الأمَّة بعد نبيِّها محمد ﷺ أوشكَّ في متنبِّئ ادَّعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه ، فهو كافرٌ مُرْتَدٌّ ، يُسْتَتَاب ؛ فإن تاب قُبِلَ ، وإلاّ قُتِلَ .

على هذا اتّفقَ المسلمون قاطبةً . قال الحافظ ابن حزم في " مراتب الإجماع": بابٌ من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع : اتّفقوا أنَّ الله عز وجل وحده لا شريك له خالق لِكُلِّ شيء ...إلى أن قال : وأنَّ دين الإسلام هو الدِّين الّذي لادينَ لله في أرضه سواه ، وأنّه ناسخ لجميع الأديان لا ينسخه دينٌ بعده أبداً ، وأنَّ من خالَفَه ممَّن بلَغَهُ كافر مخلَّد في النّار أبداً ...وأنّه لا نبيَّ مع محمدٍ ﷺ ولا بعده أبداً ، واتّفقوا أنّه مُذْ مات النبي ﷺ فقد انقطع الوحي ، وكَمُل الدين واستقر " انتهى . =

رَسُولاً إِلى جميعِ الإنْسِ والجن[1] ،

= وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٦: ٢٨٢٠-٢٨٢٣ عند الكلام على قوله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ما نصُّه: " فهذه الآية نصٌّ على أنّه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأوْلى والأحْرى ؛ لأنَّ مَقَامَ الرِّسالة أخصُّ من مقام النبوَّة فإنَّ كلَّ رسولٍ نَبي ، ولا ينعكس . وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة " وبعد أن أورد طائفة من الأحاديث قال: " والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله بالعباد إرسالُ محمَّدٍ ﷺ إليهم، ثم من تشريفه لهم: خَتْمُ الأنبياء والمرسلين به ، وإكمالُ الدِّين الحنيف له ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه ، ورسولُه في السنة المتواترة عنه: أنّه لا نبيَّ بعده ؛ ليعلموا أنَّ كلَّ من ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذّاب أفّاك ، دجَّال ضالٌّ مضلٌّ " انتهى.

وقال الآلوسي في تفسيره " روح المعاني " ١١: ٢١٩ مانصُّه: " وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصَدَعت به السُّنّة ، وأجمعت عليه الأمَّة ، فيكفر مُدَّعي خلافه ، ويُقتل إنْ أصرَّ " انتهى .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يا أَيُّها النَّاسُ إنِّي رَسُولُ الله إليكُم جَمِيعَاً﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً للنَّاسِ بَشِيراً وَنَذيراً﴾ [سبأ: ٢٨] .وقال عزَّ وجل: ﴿ وَمَاأَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ وأُوْحِيَ إليَّ هَذَا القُرآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغ ﴾ [الأنعام: ١٩] ، وقال سبحانه: ﴿ هَـذَا بَـلاغٌ لِلنَّاسِ =

= **وَلِيُنْذَرُوا بِهِ** ﴾ [إبراهيم:٥٢] فهو بلاغٌ لِكُلِّ من بَلَغَهُ خبره ، وانتهى إليه أمره في عصره وفي سائر العصور . والجنُّ والإنْسُ في هذا الخطاب والبلاغ سواء : ﴿**يَامَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ**﴾ [الأنعام :١٣٠] [الرحمن :٣٣] . وفي صحيح البخاري ١٢٨:١(٣٢٨) من حديث جابر عن النبي ﷺ :"... **وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قومِهِ خَاصَّةً وبُعِثتُ إلى النَّاسِ عَامَّة** ". وفي "المسند" ١٤٧:٥ -١٤٨ من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال : " ..**وبُعِثتُ إلى كلِّ أحمر وأسود** " ، وفي المسند أيضاً ٢٥٠:١ من حديث ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال "..**بُعِثتُ إلى النَّاس كافَّة الأحمر والأسود** " .

وفي مسند البزَّار ١٤٧:٣ من حديث ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال :"**أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَها نبيٌّ** " فذكر منها :" **وكان النَّبيُّ يُبعثُ إلى خاصَّة قومه وبُعِثتُ إلى الجنِّ والإنس** " وقال البزَّار : لفظ " الجن والإنس " لا نعلمه إلاَّ في هذا الحديث بهذا الإسناد .

قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٣٤٤:٦ :" وثَبتَ التصريح بذلك في حديث : " **وكان النبيُّ يبعث إلى قومه ، وبُعِثْتُ إلى الإنْس والجنّ**" فيما أخرجه البزَّار " اهـ .

وقد ثبتَ بلوغُ دعوته إلى الجنِّ ، عن طريق توافدهم عليه ، واستماعهم إليه ﷺ ، وعن طريق ذهابه ﷺ وقراءته عليهم القرآن ، فيدخل في عموم بعثته إلى الناس كافَّة : الجنُّ .

وفي صحيح مسلم (٥٢٣) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " **فُضِّلت على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلم ،ونُصِرتُ بالرُّعب**،=

جاءَ من اللهِ بالقُرآن بَشيراً ونذيراً(١)،

= **وأُحِلّت ليَ الغنائم ، وجُعلت لي الأرض طَهوراً ومسجداً ، وأُرسلت إلى الخلق كافّة ، وخُتِمَ بي النّبيُّون** " .

قال الحافظ ابن رجب في "فتح الباري" ٢٠٦:٢ عند شرحه لحديث : "**أُعطيت خمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي** ..." :" وهذه الخمس اختُصَّ بِهَا النبيُّ ﷺ عن الأنبياء ، وليس في الحديث أنّه لم يختصَّ بغيرها ، فإنَّ هذه اللفظة لاتقتضي الحَصْرَ ، وقد دلّتِ النُّصوصُ الصَّحيحةُ الكثيرةُ على أنّه ﷺ خُصَّ عن الأنبياء بخصال كثيرة غير هذه الخمس .." ثمَّ قال ٢١٩:٢ :" ومن تأمَّل هذه النصوص علم أنَّ الخصال التي اختصَّ بِهَا عن الأنبياء لا تنحصرُ في خمس ، وأنّه إنّما ذكر مرَّةً ستاً ومرةً خمساً ومرةً أربعاً ومرَّة ثلاثاً بحسب ما تدعو الحاجةُ إلى ذكره في كلِّ وقتٍ بحسبِهِ ، واللهُ سبحانه وتعالى أعلم"انتهى .

(١) **التبشير** : إخبارٌ فيه سرور ، **والإنذار** : إخبارٌ فيه تخويف ، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالإنذار الخاص والعام . قال الله تعالى : ﴿ **يا أيُّها المدَّثّر قُمْ فأنْذِر** ﴾ [المدثر :١-٢] ، وقال : ﴿ **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقْرَبِين** ﴾ [الشعراء :٢١٤] ، وقال: ﴿ **وأنْذِرِ النّاسَ يومَ يأتيهم العَذَابُ** ﴾ [إبراهيم:٤٤] وقال : ﴿**تَبَارَكَ الّذِي نَزَّلَ الفُرقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلعَالَمينَ نذيراً**﴾ [الفرقان: ١] .

قال الإمام العزُّ بن عبدالسلام في " شجرة المعارف والأحوال " ص٣١١ "يتضاعف أجر المنذِر بتعدُّد المُنْذَرين لِتَضَاعُفِ نفعه ؛ ولذلك أُرسل =

وهو أُمِّيٌّ لا يكتب ولا يَقْرأ[1]،

= نبيُّنا ﷺ إلى العالمين أجمعين ، ليكون أجره على الإبلاغ أكمَل من أجْر سائر المرسلين؛ ولذلك تمنّن عليه ربُّ العالمين بقوله عزَّ وجل : ﴿ **وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان :٥١] فإنّه لو فعل ذَلِكَ لما حَصَل لنبيِّنا ﷺ إلاَّ أجر إنذارِ أهل قريته " انتهى .

وقد وصف الله سبحانه النَّبيَّ ﷺ بالوصفَيْن : ﴿ **مُبَشِّراً ونَذيرا** ﴾ فقال عزَّ وَجلّ: ﴿**وَبالحَقِّ أَنْزلْناهُ وَبالحَقِّ نَزلَ ومَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً ونَذِيراً**﴾ [الإسراء: ١٠٥] ، وقال تعالى : ﴿**ياأَيُّها النَّبيُّ إِنّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدَاً وَمُبَشِّراً وَنَذِيْراً وَدَاعِياً إِلى اللهِ بِإذْنِهِ وَسِرَاجَاً مُنِيراً** ﴾ [الأحزاب :٤٥-٤٦] .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿**الَّذينَ يتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبيَّ الأُمِّيَّ**﴾ [الأعراف: ١٥٧] ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿**فآمِنوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبيِّ الأُمِّيِّ**﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

قال الراغب في " المفردات" ص٨٧ :" والأميُّ : هو الَّذي لايكتب ولا يقرأ من كتاب ، وعليه حُمِلَ : ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّين رَسُولاً مِنْهم** ﴾ [الجمعة :٢] . قال الفرَّاء : هم العرب الَّذِينَ لم يكن لهم كتاب . والنبيُّ الأميُّ : قيل : منسوب إلى الأمَّة الَّذِينَ لم يكتبوا ، لكونه على عادتهم كقولك : عامي ، لكونه على عادة العامة ، وقيل : سمي بذلك ؛ لأَنَّهُ لم يكن يكتب ولا يقرأ من كتاب وذلك فضيلة له ؛ لاستغنائه بحفظه ، واعتماده على ضمان الله له بقوله : ﴿ **سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى** ﴾ [الأعلى:٦].وقيل: سمي بذلك لنسبتِهِ إلى أمِّ القُرى " انتهى . =

= قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " تفسير سورة الإخلاص " كما في "مجموع الفتاوى " ١٧:٤٣٥ :" والصواب أنَّه نسبة إلى الأمَّة ، كما يقال: عامي نسبة إلى العامَّة التي لم تتميَّز عن العامة بما تمتاز به الخاصَّة ، وكذلك هذا لم يتميَّز عن الأمة بما تمتاز به الخاصَّة من الكتابة والقراءة ، ويُقال الأمي: لمن لايقرأ ولا يكتب كتاباً ، ثم يقال : لمن ليس لهم كتاب منزل من الله يقرؤونه ، وإن كان يقرأ ويكتب ما لم ينزَّل ، وبهذا المعنى كان العرب كلهم أميين ، فإنَّه لم يكن عندهم كتاب مُنَزَّل من الله . قال الله تعالى : ﴿وَقُلْ لِلَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإنْ أَسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا ﴾ [آل عمران :٢٠] ، وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّين رَسُولاً مِنْهُم ﴾ [الجمعة :٢] انتهى .

وقال القاضي عياض في " الشفا " في ذكر ما يجوز على النبي ﷺ ٢:١٠٠٦:" وكذلك إذا وُصِف بأنَّه أميٌّ كما وَصَفَهُ الله به ، فهي مِدحةٌ له ، وفضيلةٌ ثابتةٌ فيه ، وقاعدة معجزته ؛ إذ معجزته العظمى من القرآن العظيم إنَّما هي متعلِّقة بطريق المعارف والعلوم ، مع ما مُنح ﷺ ، وفضِّل به من ذَلِكَ . ووجود مثل ذَلِكَ من رجلٍ لم يَقْرأ ولم يكتب ، ولم يدارس ، ولا لُقِّن ، مُقْتضى العجب ، ومنتهى العِبر ، ومعجزة البشر . وليس في ذَلِكَ نقيصةٌ ؛ إذ المطلوب من القراءة والكتابة : المعرفة ، وإنَّما هي آلةٌ لها ، وواسطةٌ موصِّلةٌ إليها غير مرادةٍ في نفسها ؛ فإذا حَصَلَت الثمرة والمطلوب استغنى عن الواسطة والسبب . والأميَّة في غيرِهِ نقيصةٌ ؛ لأنها سبب =

ولم يتعلَّم قطّ[1]، وذلك مِن أكْمَلِ الكمال له ؛ لأنَّ أكبر معجزاته القرآن [2] الَّذي أَدْهَشَ مَصَاقِعَ خُطَبَاء العرب ،

= الجهالة، وعنوان الغباوة ، فسبْحَانَ مَنْ بايَنَ أمره من أمر غيره ، وجَعَل شرفه فيما فيه مَحِطَّةُ سواه " .

(١) قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتابَ المُبْطِلُون﴾** [العنكَبوت: ٤٨].وقال سبحانه :**﴿ قُلْ : لو شَاءَ اللهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أدْرَاكُم به فَقَدْ لَبِثْتُ فيكُم عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** [يونس :١٦] أي : أني لبثت فيكم قبل أن ينبِّئني الله تعالى أربعين سنة ، ولم أتْلُ عليكم شيئاً من ذَلِكَ ؛ لأنَّهُ لا علم لي بذلك ، حتَّى إذا بلغت الأربعين ، فإنَّ الله نبَّأني وأنزل عليَّ هذا القرآن ، وأمرني أن أتلوه عليكم ، فاعقلوا تعلموا صِدقَ نبوَّتي ، وحقيَّة رسالتي . إذاً ما هو إلاَّ رسول الله ، تولَّى الله تعليمه ، فأوحى إليه وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وأنزل عليه الكتاب والحكمة **﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَم وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾** [النساء :١٣٣] .

(٢) روى البخاري (٤٩٨١) ومسلم في الإيمان (٢٣٩) عن أبي هريرة ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال : " **ما منَ الأنبياء نبيٌّ إلاَّ أُعطيَ من الآيات ما مثلُهُ آمنَ عليه البشر ، وإنَّما الَّذي أُوتيتُهُ وَحياً أوْحَاهُ الله إليَّ ، فَأَرْجُو أن أكونَ أكثرهم تابعاً يوم القيامة** " .

قال القاضي عياض في " الشفا " ١:٢٢٣ :" معنى هذا عند المحقِّقين : بقاء معجزته ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ، =

= ولم يشاهدها إلاّ الحاضرُ لها ، ومعجزة القرآن يقفُ عليها قرنٌ بعد قرنٍ عياناً لاخبراً إلى يوم القيامة " . وقال أيضاً ١:٥٢٧ :" وسائرُ معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم ، وعُدِمَتْ بعدم ذواتها ؛ ومعجزة نبيِّنا محمد ﷺ لا تبيد ولا تنقطع ، وآياتُهُ تَتَجَدَّد ولا تَضْمَحل ، ولهذا أشار إلى ذَلِكَ بقوله : " **ما من الأنبياء نبيٌّ إلاّ أُعطي من الآيات** ..." هذا معنى الحديث، وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله " انتهى .

وقال العلامة الطُّوفي في " التعيين " ص١١ في شرح قوله ﷺ : " **وإنَّما كان الَّذِي أوتيتُهُ وحياً ، وإني أرجو أن أكونَ أكثرُهم تابعاً يوم القيامة** " . قلت : " وما ذاك إلاّ لأنَّهُ مُعجزٌ مُسْتَمرٌ دائمٌ بين أظهر الناس يرشدهم إلى الإيمان بمن أُنزل عليه على تعاقب الأعصار واختلاف الليل والنهار ، فبالضرورة تكثر أتباعه ، بخلاف باقي معجزات الرسل ، فإنَّها لولا تصديق القرآن لها لما آمَنَ بِهَا إلاّ القليل ؛ لانقطاع وجودها ، وعدم إحساس الناس بِهَا " .

وقال أيضاً ص٣٣ ، في معنى قوله :(**إنما**) :" قلتُ : الأشبه أنَّها ليست للحَصْر مُطْلَقاً ، لقوله ﷺ :" **وإنما كان الَّذِي أوتيتُهُ وحياً** " فلو كانت (**إنما**) للحَصْر لانحصرت آياتُ النبيِّ ﷺ ومعجزاته في الوحي ، وانتفى غيره، بإقْرار النبيِّ ﷺ بحصْرها في القرآن ، و (**إنَّما**) للإثباتِ المؤكَّد ، وأراد النَّبيُّ ﷺ بهذا الكلام إثباتَ الوحي ، لا نفي ما عداه ، وقد ثَبَتَ له غيره من الآيات ما لايُحصى " انتهى . =

ليتحقَّقَ أَنَّ فتحَهُ قُدْسِيٌّ ، وكتابَه منزَّلٌ عليه منَ ا لله، فلا يَرْتابَ أحدٌ في نبوَّتِهِ وإبلاغِهِ رسالةَ ربِّهِ .

❁❁❁

= وقال الحافظ في "الفتح" ٩:٦ : "قوله :" **وإنَّما كان الَّذِي أوتيته وحياً....**" أي : أنَّ معجزتي التي تحدَّيْتُ بِهَا الوحيُ الَّذِي أُنزل عليَّ، وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المرادُ حَصْرَ معجزاته فيه، ولا أنَّه لم يُؤْتَ من المعجزاتِ ما أوتيَ مَنْ تقدَّمه، بل المراد أنَّه المعجزة العُظْمى التي اختُصَّ بِهَا دونَ غيرِهِ " انتهى .

س٠٢- هل القرآن كلامُ الله نفسُهُ؟

نعـم ، القـرآنُ كـلام ا لله نفسُـهُ[١] ، وهـو المكتـوبُ في المَصَاحف[٢] ،

---

(١) فـالقُرآن كـلام ا لله تعـالى علـى الحقيقـة ، منـه بـدأ وإليـه يعـود . قـال ا لله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِن الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرهُ حتَّى يَسَـمَعَ كَـلامَ الله**﴾ [التوبة :٦] . وفي الحديث :" ..**وَفَضْلُ كلامِ اللهِ تعالى على سَـائرِ الكـلام كفَضْـلِ اللهِ علـى خلقـه** " رواه الـترمذي ١٦٩:٥(٢٩٢٦) والدارمـي ٤٤١:٢. وروى الدارمي في سننه في فضائل القرآن ٤٤٠:٢ عن عطيَّـة أنَّـه قال : قال رسول ا لله ﷺ :" **مَا مِنْ كلام أعظم عند الله من كلامـه ، ومـا رَدَّ** - أي ما تقرَّب - **العبادُ إلى اللهِ كلاماً أحبَّ إليه من كلامه** " .

(٢) حفظ ا لله سبحانه القرآن بكتابته كما قال تعالى : ﴿ **رَسُولٌ مِـنَ اللهِ يَتْلُـوا صُحُفَاً مُطَهَّرةً فِيْهَا كُتُبٌ قيِّمةٌ** ﴾ [البينة :٢-٣] ، ومن ثَّمَ كان ﷺ يـأمر بكتابة القرآن فَوْرَ نزوله ، وقد اتَّخذ كُتَّاباً للوحي القرآني ؛ أُمَنَـاء أوْفيـاء ، اختارهم ﷺ ، فكانوا يكتبون القرآن فورَ نزوله بإتقان وإحكام ، واستيعاب كامل ، بحيث لا يضيعون منه كلمةً ولا حرفاً . فالقرآن الكريم هو ما كان بين دفَّتَيْ المصحف المبدوء بسورة الفاتحة ، والمُختَتَم بسورة النـاس مـن غـير زيادةٍ ولا نقصان .

=

المحفوظُ في الصُّدور[1] ،

= وعلى هذا أجمع المسلمون، فمن اعتقد أنَّ في القرآن زيادةً أو أنَّه نَقُصَ منه شيءٌ فَقَدْ خرَجَ عنِ المِلَّة ، وخَالَفَ الإجماع ، وصار مُنْكِراً لِمَا عُلِمَ من الدين بالضرورة .

(١) كما قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْم ﴾ [العنكبوت :٤٩] ، وحِفْظُ القرآن في الصدور هو الأصل المعوَّل عليه ، وهو الشَّرف الأكبر الَّذِي شرَّف الله تعالى به هذه الأمَّة المحمَّديَّة ، فجعل صدورَها مصاحفَ لآياتِ هذا القرآن الكريم ، وأوعيةً لكلامه القديم ، يقْرؤونه عن ظهر قلب ، ولا يغسله من قلوبهم تيَّار الماء ، ولا يمحوه من صدورهم كيد الأعداء .

روى مسلم في صحيحه ٢١٩٧:٤ (٢٨٦٥) من حديث عياض المجاشعي ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : " **وقال الله تعالى لي : إنَّما بعثتُك لأبتليك وأبتليَ بك ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان** " . فلو غُسِلَت جميع مصاحف السطور فإن القرآن الكريم لا يُمحى من الأرض ؛ لأنَّهُ محفوظٌ في الصُّدور التي لا يغسلها الماء . فالمراد بقوله : "**لايغسله الماء** " دوامه وثباته ، وحفظُهُ واستمراره ، وأنَّه لا يُغيَّر ولا يُبدَّل، ولا يُزاد فيه ولا يُنقص منه .

المقْروءُ على الألسنة(١) ، نَزَلَ بِهِ جبريلُ على محمَّـدٍ ﷺ (٢) ، مُعْجِزاً كلَّ مَن يُعارِضُهُ أو يريد الإتيانَ بمثلِهِ .

---

(١) " كما بلَّغها جبريل بكلماتِـهِ وحروفـه إلى النبيِّ ﷺ ، فليس لجـبريل ، ولا للنبيِّ ﷺ في القرآن إلاَّ مجرَّد البلاغ ، ومحض الأداء من غير زيادةِ حرفٍ فيه، ولا نقصان ولا تصرُّف ..ولا يُوصَـفُ المقْـروء ولا الملفـوظ مـن كتـاب الله تعـالى ، إلاَّ بمـا وصفَـهُ الله تعـالى بـه ورســوله ﷺ مــن العَظمــة والهُـدى والإعجاز"كما في"طبقات القراء " للذهبي ١٨٦:١،وانظر فيه تتمة كلامه .

(٢) فالقرآن الكريم منزَّل من عند الله بلفظه ومعناه ، وأوحى الله بـه إلى رسـوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام . قال تعالى :﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَـى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾[الشعراء :١٩٣] ، وقال سبحانه : ﴿ **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ** ﴾ [النحل :١٠٢] ، ولم يكن من عنـد محمـد ﷺ فاضَتْ به عبقريته ، وجادت به قريحته ، ولقـد قـال الله تعـالى:﴿**وَإِنَّـكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَـدُنْ حَكِيـمٍ عَلِيـمٍ** ﴾ [النمـل :٦] ، وقـال عـزَّ وجـل : ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيل ،لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِين ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِين فَمَا مِنْكُم مِـنْ أَحَـدٍ عَنْـهُ حَـاجِزِينَ** ﴾ [الحاقـة : ٤٤-٤٧] .ومـن نسـب القرآن لغير الله تعـالى فهـو كـافر ، قـال الطحـاوي في " عقيدتـه " : " مـن سمعها - أي آيات القرآن - فزعم أنها كلام البشر فقد كفر، وقـد ذمَّـهُ الله وأوعده بسقر حيث قال :﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَر** ﴾ ، فلما أوعده الله بسقر علـى قوله :﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَر** ﴾ علمنا وأيقنَّا أنَّه قول خالق البشر " .

قال تعالى: ﴿**قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ والجِنُّ عَلَى أن يَأتُوا بِمثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأْتونَ بِمثلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً**﴾ (١) .

---

(١) من سورة الإسراء ، الآية :٨٨. قال الإمام ابن عطيَّة الأندلسي في " المحرَّر الوجيز " ١ :٣٩ :" والصحيح أنَّ الإتيان بمثل القرآن لم يكنْ قَطُّ في قُدرةِ أحدٍ من المخلوقين ، ويظهر لك قُصور البشر في أنَّ الفَصيحَ مِنْهم يَصْنَعُ خطبة أو قصيدة يَسْتفرِغُ فيها جُهْدَهُ ، ثمَّ لا يزال يُنَقِّحُهَا حَوْلاً كاملاً ، ثُمَّ تُعطَى لآخر نظيره ، فيَأخذها بقريحة جامَّة - أي مستريحة - فيبدِّل فيها ويُنقِّح ، ثمَّ لا تزال كذلك فيها مواضع للنَّظَرِ والبَدَل ، وأمَّا كتابُ الله فلو نُزِعَت منه لفظة ، ثمَّ أُدِيْرَ لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد . ونحن تبيَّن لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضعَ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذَّوْق ، وجَوْدة القريحة ، ومَيْز الكلام .

فصورةُ قيام الحُجَّة بالقرآن على العرب : أنَّه لما جاء محمد ﷺ به وقال : ﴿**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ قال كلُّ فصيح في نفسه : وما بال هذا الكلام حتَّى لا آتي بمثله ؟ فلمَّا تأمَّله وتدبَّره ، ميَّز منه ما ميَّز الوليد بن المغيرة حين قال : " والله ماهو بالسِّحر ولا هو بالكَهَانة ولا بالجنون ". وعرف كل فصيح بينه وبين نفسه أنه لا يقدر بشرٌ على مثله ، فصحَّ عنده أنَّه من عند الله تعالى . فمنهم من آمن وأذْعَنَ ، ومنهم من حَسَدَ ؛ كأبي جهل وغيره، ففرَّ إلى القتال ، ورضي بسفك الدم عجزاً عن المعارضة ، حتَّى أظهر الله =

وقد تَكَفَّلَ ا لله بصِيَانتِهِ من التبْديل والتغيير[1] ، فمَـنْ سَـعَى في تحريفه لفظاً أو معنىً يَفْتَضِح ، وعَجْزُهُ يَتَّضِح .

= دينه ، ودخل جميعهم فيه ، ولم يمت رسـول ا لله ﷺ وفي الأرض قبيـلٌ مـن العرب يعلن كُفره ، وقـامت الحجـة علـى العـالم بـالعرب إذ كـانوا أربـاب الفصاحة ، ومَظِنَّة المعارضة " انتهى .

وقال أيضـاً ١٠:٣٤٢-٣٤٤ " والمُعجـز في معارضـة القـرآن إنّمـا وقـع في النَّظْمِ والرَّصْف لِمَعَانيه ، وعِلَّة ذَلِكَ : الإحاطة الـتي لا يتّصِـفُ بِهَـا إلاّ ا لله عز وجل ، والبَشَـرُ (متّصـف) ضـرورة بـالجهل والنسـيان والغفلـة وأنـواع النَّقص..، وفَهِمَت العرب بخلوص فهمها في ميز الكـلام ودُرْبتهـا فيـه ، مـا لانفهمه نحن ، ولا كلٌّ من خالطته حضارة ، ففهِمُـوا العَجْـزَ عـن ضـرورةٍ ومشـاهدةٍ ، وعَلِمَـهُ النَّـاسُ بعدهـم استدلالاً ونظـراً ، ولكـلٍّ حَصَـلَ عِلْـمٌ قطعيٌّ، لكن ليس في مرتبة واحدةٍ ...

وكذلك التحدِّي بالعشر السور ، والتحدِّي بالسورة إنّما وقع كلُّه على حدٍ واحدٍ في النَّظم خاصة " انتهى .

(١) قال تعالى: ﴿إنَّا نَحْنُ نزَّلْنا الذِّكْرَ وإنا لَهُ لحافِظون﴾ [الحجر: ٩] .وارجـع إلى ما كتبه العلاّمة المفسِّر الشيخ عبدا لله سراج الدين -حفظـه ا لله تعـالى- حول كفالة ربِّ العـزة بحفـظ القـرآن في جميـع تَنَزُّلاتـه ومـن جميـع جوانبـه وَحَيْثياته في كتابه :" هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان " ص ١٤٣-٢٣٢.

س٢١- ما القَوْلُ في الكُتُبِ السَّمَاوِيَّة غير القرآن؟

التوراةُ والإنجيلُ والزَّبــورُ وغيرُهــا مــن الصُّحُـفِ الإلهيَّـةِ كلُّهــا كلامُ الله مثل القرآن ، إلاَّ الكلمات التي حرَّفوها [١] .

وحيث كان حَصْرُها مجهولاً ، فنقولُ في تلك الكتــبِ إجمــالاً: آمَنَّا بما جاءَ من عند الله[٢] .

---

(١) أي : غيّروها ، وَعَدَلُوا بِهَا عن جهتها . قال العلاّمـة محمـود أبـو دقيقـة في "مذكرات التوحيد"٣:٥٥: "التحريف : التغيير . ويَنْدرج تحت هذا المفهـوم نوعان : التحريف اللفظي ، والتحريف المعنوي ، والتحريف اللفظي ينـدرج تحته أمور ثلاثة : الأول : تبديل لفظ بلفظ ، أو جملة بجملة ، يكـون بينهمـا مغايرة في المعنى . الثاني : زيادة كلمة أو جملة توجب تغيير المعنى . الثالث: نقص كلمة أو جملة بحيث يكون نقصها مغيِّراً للمعنى .

أما التحريفُ المعنويُّ : فهو حملُ الكلام علـى غـير معنـاه في لِسَـانِ أهلـه ، كحَمْلِ النصارى لفظ (الفارقليط) الَّذِي معناه في لغة الإنجيل : (أحمد) علـى روح القدس توصُّلاً لإنكار بشارة الإنجيل بنبينا محمد ﷺ " انتهى.

وانظر كلام ابن القيـم في التحريـف الواقـع في التـوراة في " إغاثـة اللهفـان" ٢:٣٥١-٣٦٧ .

(٢) قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء" ٢:٤١٩ :" ونحن نعظِّـم التـوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، ونؤمن بِهَا ، فأمَّا هذه الصحف =

والشَّرْعُ المحمَّديُّ مُصَدِّقٌ للشَّرائعِ قَبْلَه ، ورافـعٌ لحكمِهَـا بـأَمْرِ الله(1).

= التي بأيدي هؤلاء الضُّلَّال ، فمـا نـدري مـاهي أصـلاً ونقـف ، فـلا نعاملهـا بتعظيم ولا بإهانة ، بل نقول: آمنَّا با لله وملائكته وكتبه ورسله ، ويكفينا في ذَلِكَ الإيمان المُجْمَل ، و لله الحمد " وقال أيضـاً ٣:٨٦ :" ولا يشـرع لأحـد بعـد نـزول القـرآن أن يقـرأ التـوراة ولا أن يحفظهـا ، لكونهـا مبدَّلـة مُحرَّفـة منسوخة العمل ، قد اختلط فيها الحقُّ بالباطل ، فَلْتُجْتَنَب ، فأمَّـا النظـر فيهـا للاعتبار وللردِّ على اليهود ، فلا بأسَ بذلك للرجل العـالم قليـلاً ، والإعـراض أولى" . وقال أيضاً ٣:٤٩٣ -٤٩٤ :" فمن الَّذِي يستحلُّ أن يوردَ اليوم شيئاً من التوراة على وجْه الاحتجاج مُعتقداً أنَّها التوراة ؟ كلاَّ وا لله " انتهى .

(1) قَالَ تَعَالَى: **﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكتـابِ وَمُهَيـمِناً عليه﴾** [المائدة: ٤٨] أي : رقيبـاً ومُؤْتمنـاً وشـاهداً علـى الكتـبِ السَّمَاويةِ السَّابقة ، حيث يشهدُ لها بالصِّدقِ فيما لم يغيِّر فيـه أهـلُ الكتـابِ ويبدِّلوا ، ويقرِّرُ أصـول شـرائعها ، ويرفـع حكـمَ مـا لم يشـرَّع مؤبَّـداً مـن فروعها.
وا لله تعالى حكيمٌ خبيرٌ يعلمُ ما للأُمَمِ والعصور من خَصائص وطبائع ، ومـا يناسب كُلَّ أمَّةٍ من أحكامٍ وشرائعَ ، فأنزلَ شـرائعَ شـتَّى ، تتَّفِـقُ جميعهـا في الأصول ، ويختلف بعضُ أحكامِها في الفـروع بـاختلافِ الأمـم والعصـور ، وقد خَتَمَ ا لله سُبْحَانَهُ شرائعه بشريعةٍ عامَّةٍ كاملةٍ كفيلةٍ بمصالحِ الناسِ إلى =

فلا شريعةَ بعد بعثتِهِ إلاّ شريعته (١) ،

= يومِ الدين ، فأنزلَ بهَا القرآن ومـيَّزَهُ عـن سـائرِ الكتـب السَّـماوية ، وبَعَـثَ خاتَمَ رسلِهِ وأفضَلَ خلقِهِ ، وأَمَرَهُ ببيانه للنَّاس ، وليس لأحدٍ بعـد بعثتـه ﷺ إيمـانٌ مقبـولٌ إلاّ بالإيمـانِ بـه ﷺ . وفي الحديـث :" **والَّـذي نفسـي بيـدِهِ لايسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمّة -يهوديٌّ أو نصرانيٌّ-ثم يمـوت ولم يؤمـن بالذي أُرسلت به إلاّ كان من أصحاب النار** "رواه مسلم ١٣٤:١ (١٥٣) في الإيمان .

(١) لأنَّ شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع ، التي أتمَّها اللهُ ورضيَها : ﴿**اليَوْمَ أكْمَلتُ لكُمْ دينَكُمْ وَأتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُم الإسْلاَمَ دِيْنَاً**﴾ [المائدة :٣]، وهي ناسخةٌ للرسالات السابقة ، مع الإيمان بأصولها المنزلة، لا بما لَعِبَتْ بـه يـدُ التحريف والتغيير . أخـرج الإمـام أحمـد في "المسـند" ٤٧١:٣ :"جـاء عمـر بـن الخطاب ﷺ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال : يارسول الله ، إنِّي مَرَرْتُ بـأخٍ لي مـن بـني قُريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة ، ألا أعرضها عليك ؟ فتغـيَّر وجـه رسـول الله ﷺ . قال عبدالله - يعني ابن ثابت- : فقلت له : ألا ترى ما بوجـه رسـول الله ﷺ ؟ فقال عمر : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمَّـدٍ ﷺ رسـولاً . قال فَسُرِّيَ عن النَّبي ﷺ وقال : " **والَّذي نفـسُ محمَّـدٍ بيـدهِ لـو أصبح فيكـم موسى ، ثمَّ اتَّبعتموه وتركتموني لَضَلَلْتُم ، إنَّكم حَظِّي من الأمم وأنا حَظُّكـم منَ النَّبيِّين** " . وعندما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان بين يـدي السَّـاعة ينزل حاكماً بشريعةِ محمَّدٍ ﷺ .

وهي أجْمَعُ الشَّرائع وأيْسَرُها[1] ، ولا يلزم أن نعرفَ حكمةَ جميعِ الأحكام الشرعيَّة ، وإنْ كان أكثرُها واضحَ الحكمة[2] .

---

(١) قال العلاّمة الشيخ محمد سعيد الباني (ت ١٣٥١) في " الكوكب الدُّرّي المنير" ص١٤ :" من بَدَائِهِ عقائد المسلمين أنَّ شريعتنا الإسلامية الغرَّاء خاتمة الشرائع المنزلة ؛ لأنَّ صاحبها خاتمُ النَّبيين ، ورسالته عامَّة إلى جميع المخلوقين . والخَتمُ والعُمُوم يَقْتضيان يُسْر الشَّريعة واتّساعها وشمولها ومرونتها ، فبيُسْرِها رَغِبَ النَّاس الدخول في دين الله أفواجاً بسرعةٍ لَم يُعْهَد لها نظير في تاريخ الأديان السَّالفة ، وبِسَعَتِها وَسِعَت أرباب الرُّخص والعزائم ، وبشمولها شملت جميع طبقات البشر ، وبمرونتها صلحت لِكُلِّ عَصْرٍ وقطر " انتهى .

(٢) قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان قدر الشريعة وحكمتها وذكر أهمِّ خصائصها في " إعلام الموقعين " ٣:٢١٧-٢١٩ :" أنزل الله تعالى هذه الشريعة على قلب النبيِّ ﷺ ، وفرض الفرض ، وحرَّم المحارم ، وأوجب الحقوق ، رعياً لمصالح العباد في المعاش والمعاد ، وجعل شريعته الكاملة قياماً للناس ، وغذاءً لحفظ حياتهم ، ودواءً لدفع أدوائهم ، وظلَّه الظليل الَّذِي من استظلَّ به أَمِنَ من الحَرور ، وَحِصْنَه الحصين الَّذِي مَنْ دخله نجا من الشُّرور ...

هي عَدْلٌ كُلُّهَا ، ورحمةٌ كُلُّهَا ، ومصالح كُلُّهَا ، وحكمةٌ كُلُّهَا ، قواعدها ومبانيها . فهي صراطُ الله المستقيم الَّذِي لا أمْتَ فيه ولا عِوَج ، وملّته الحنيفيَّة السَّمْحة التي لا ضِيقَ فيها ولا حَرَج ، لم تأمر بشيء فيقول =

س٢٢- هل للحديثِ النَّبويِّ حكمُ القرآن في الطَّاعة والإيمان؟

نعم لا فرقَ بينهما في ذلك[1] ، والحديثُ الصحيحُ محفوظٌ عند أهلِهِ بالحرفِ والحركةِ .

= العقل: لو نَهَتْ عنه لكان أوفق ، ولم تنه عن شيء فيقول الحِجَى : لو أباحته لكان أرفق ، بل أمرت بكلِّ صلاحٍ ، ونهتْ عن كلِّ فساد ، وأباحت كل طيِّب، وحرَّمَتْ كلَّ خبيث ، فأوامرها غذاءٌ ودواءٌ ، ونواهيها حِمْيَةٌ وصيانة ، ظاهرها زينةٌ لباطنها ، وباطنُها أجمل من ظاهرها، شعارها الصِّدق ، وقوامها الحق ، وميزانُها العَدْل ، وحكمُهَا الفَصْل ، كلُّ خير في الوجود فإنَّما هو مُستفادٌ منها ، وحاصلٌ بِهَا ، وكلُّ نقص في الوجود فَسَبَبُهُ من إضاعتها . هذه الشريعة الكاملة التي لم يَطْرُق العالَمُ ، ولا يَطْرُقه، شريعةٌ أكمل منها : ﴿ **أَوَ لَمْ يَكْفِهِم أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتلَى عَلَيْهِم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون** ﴾ [العنكبوت : ٥١] انتهى .

(١) قال الله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [النساء: ٥٩] ، وقال سُبْحَانَهُ : ﴿**مَن يُّطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء: ٨٠]، وقال جلَّ شأنه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ [سورة الحشر: ٧] .

وروى الدارمي ١: ١١٧ ، والترمذي (٢٦٦٤) ، وابن ماجه (١٢) عن المقدام بن مَعْدِي كَرب ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**ألا هَلْ عَسَى رجلٌ يبلغهُ الحديث عنّي ، وهو متَّكِئٌ على أريكته ، فيقول: بيننا** =

لا يُزادُ فيه ولا يُنْقَص[1] .

= وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حَلالاً اسْتَحْلَلْناه ، وَمَا وَجَدْنا فيه حَراماً حرَّمْناهُ ، وإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله كَمَا حَرَّمَ الله" ، وفي لفظ أبي داود (٤٦٠٤) :"ألا وإني أُوتيتُ الكتابَ ومثلَه مَعَه" ، والمراد بالكتاب: القرآن ، وبالمثل: السنّة ، ومثليَّتُها له في أنه يجب العمل بها كما أنه يجب العمل به ، ولقوله ﷺ : "وإنَّ ما حرَّمَ رسول الله كما حرَّمَ الله".

فالكتابُ والسنة تَوْأَمَان لا ينفكّان ، ولا يَتِمُّ التشريعُ إلاَّ بهما جميعاً ، والسَّنَّةُ مبيِّنةٌ للكتاب: تفصِّلُ مُجْمَلَهُ ، أو توضِّح مُشكِلَهُ ، أو تقيِّدُ مُطْلقَهُ ، أو تُخَصِّصُ عامَّه ، وتُتَمِّمُ أحكامه.

(1) لأنَّ السنَّةَ بيانٌ للقرآن الكريم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وأنزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ، وإنَّ من حفظ الله سُبْحَانَهُ لكِتابه: حفظَ سنَّةِ نبيِّه ﷺ، المبيِّنةِ للكِتابِ والمفسِّرَةِ له ، إذ لا يتمُّ فهمُنا وعملُنا به إلاَّ بالرجوعِ إلى هذا البيان ، وإلى هذا المعنى الواضح قال عبدالله بن المبارك لمن سأله: "هذه الأحاديث المصنوعة؟! قال: تعيش لها الجهابذة ﴿إنَّا نَحْنُ نزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظون﴾ [الحجر: ٩] أي: إنَّ الله يقيِّض لها جَهَابذةً نَقَدَةً ، يكشفون عن زيفِها ودخيلِها ؛ لأنَّ ذَلِكَ مِن تَمامِ حفظِ الله لكتابه العظيم.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٥:٢١٧١ عن حال أهل الكتاب وما لحق كتبَهم من تبديلٍ وزيادةٍ ونقصان :" وليس لهم من الحفَّاظ المتقنين الَّذِينَ ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبْطلين ، كما لهذه الأمة من الأئمة =

س٢٣- مَا هَذَا الاختلافُ بين أئمةِ المذاهب وَشَريعتُهُم واحدة؟

اختلافُهم لا يَقْدَحُ في الشَّريعة(١)

= العلماء ، والسادة الأتقياء ، البررة النجباء ، من الجهابذة النقَّاد ، والحفَّاظ الجياد ، الَّذِينَ دوَّنوا الحديث وحرَّروه ، وبيَّنوا صحيحَه من حَسَنه، من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ، ومتروكِهِ ومكذوبِهِ ، وعرفوا الوضَّاعين والكذَّابين والمجهولين ، وغير ذَلِكَ من أصناف الرجال ، كلُّ ذَلِكَ صيانةٌ للجَنَاب النبويِّ والمقام المحمديِّ ، خاتمِ الرُّسل ، وسيِّد البشر -عليه أفضل التحيَّات والصَّلوات والتسليمات- أنْ يُنْسب إليه كذب ، أو يحدَّث عنه بما ليس منه ، فرضي الله عنهم وأرضاهم ، وجعلَ الفردوسَ مَأْواهم، وقد فعل" انتهى .

(١) بل هو من مزايا هذه الشريعة الغرَّاء ، قال الإمام السيوطي في "جزيل المواهِب في اختلاف المذاهب" ص ٢٢-٢٣ : "إنَّ اختلاف المذاهب في هذه الملة خصيصةٌ فاضلةٌ لهذه الأمَّة ، وتوسيع في هذه الشريعةِ السمحةِ السهلة ، فكانت الأنبياء قبل النبيِّ ﷺ يُبعث أحدهم بشرعٍ واحدٍ وحكمٍ واحد ، حتَّى إنَّ من ضِيقِ شريعتهم لم يكن فيها تخيير في كثيرٍ من الفروع الَّتي شُرِعَ فيها التخيير في شريعتنا ، ومن ضيقها أيضاً: لم يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ ، كما وقع في شريعتنا ، ومن ضِيقِها أيضاً: أَنَّ كتابهم لم يكن يُقرأ إلاَّ على حرفٍ واحد ، وهذه الشريعة سمحةٌ سهلةٌ لا حرجَ فيها".
وقال أيضاً وهو يعدِّد وجوه اليُسْر والسهولة في هذه الشريعة ص ٢٤: "ومن ذلك: مشروعية الاختلاف بينهم في الفروع ، فكانت المذاهب =

ولا فيهم(١) ، ولا إشكالَ فيه لمن تَبَصَّر (٢) ،

= على اختلافها كشرائع متعدِّدَة ، كلٌّ مأمورٌ بهِ في هـذه الشـريعة ، فَصَـارت هذه الشريعة كأنَّها عِدَّةُ شرائع بُعِثَ النبيُّ ﷺ بجميعهـا ، وفي ذَلِـكَ توسِـعَة زائدةٌ لهـا ، وفخامـةٌ عظيمـةٌ لقـدْرِ النـبيِّ ﷺ ، وخصوصيَّـةٌ لـه علـى سـائرِ الأنبياء"انتهى.

(١) لأنَّ اختلافهم سائغٌ لطبيعةِ النصوص التكليفيَّة ، وطبيعة العربية الَّتِـي جـاءت بها هذه النصوص ، ولطبيعةِ عقولِ المكلَّفين واختلافِ أفهامهم.

(٢) قال الإمام أبوبكر ابن العربي في " أحكامـه الصغـرى " ١٥٣:١ عنـد قولـه تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تفرَّقُوا ..﴾ : ﴿ ولا تَفرَّقـوا﴾ يعني في العقائد ، وقيل : لاتحاسدوا ..وقيـل : المـراد التخطئـة في الفـروع ، أي لا يخطِّئ أحدكم صاحبه ، وليمْضِ كلٌّ واحد على اجتهاده ، فإنَّ الكلَّ معتصمٌ بحبل ا لله ، وعاملٌ بدليله . والتفرُّق المنهيُّ عنه هو ما أدَّى إلى الفتنـة والتشتيت ؛ وأما الاختلاف في الفروع فهو من محاسن الشريعة " .

وقـال القرطـبي ١٥٩:٤ في تفســير قولــه تعــالى: ﴿ ولاتَفَرَّقـــوا﴾ [آل عمران:١٠٣] : " وليس فيه دليلٌ على تحريم الاختـلاف في الفـروع ، فإنَّ ذَلِكَ ليس اختلافاً ، إذ الاختلاف مايتعذَّر معه الائتلاف والجمع ، فأمَّـا حكم مسائل الاجتهاد ؛ فإنَّ الاختلاف فيهـا بسـبب اسـتخراج الفرائـض ، ودقائق معاني الشرع ، وما زالت الصحابة يختلفـون في أحكـام الحـوادث ، وهم مع ذَلِكَ متآلفون " . =

= وقال ابن القيم في " الصَّواعق المرسلة " في انقسام الاختلاف إلى محمود ومذموم ، وقوله في الاختلاف المحمود ٢:٥١٦ :" وأهل هذا المَسْلَك إذا اختلفوا فاختلافهم اختلاف رحمةٍ وهدىً يُقِرُّ بعضهم بعضاً عليه ، ويواليه ويناصره ، وهو داخل في باب التعاون والتناصر الَّذِي لا يستغني عنه الناس في أمور دينهم ودنياهم ...وهذا النوع من الاختلاف لايوجب معاداةً ولا افتراقاً في الكلمة ولا تبديداً للشَّمْل ، فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في مسائل كثيرة من مسائل الفروع ، كالجدِّ مع الأخوة ، وعتق أم الولد بموت سيِّدها ، ووقوع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ...وفي بعض مسائل الربا ، وفي بعض نواقض الوضوء ، وموجبات الغسل ، وبعض مسائل الفرائض وغيرها . فلم يَنصُب بعضهم لبعضٍ عداوة ، ولا قطع بينه وبينهم عِصمةً ، بل كانوا كل واحدٍ منهم يجتهد في نصر قوله بأقصى ما يقدر عليه، ثمَّ يرجعون بعد المناظرة إلى الألفة والمحبَّة والمصافاة والموالاة من غير أن يُضمر بعضهم لبعض ضِغْناً ، ولا ينطوي له على مَعْتَبة ولا ذمّ ، بل يدلُّ المستفتي عليه مع مخالفته له ، ويشهد له بأنه خير منه وأعلم منه .

فهذا الاختلاف أصحابه بين الأجرين والأجر ، وكلٌّ منهم مطيعٌ لله ، بحسب نيته واجتهاده وتحرِّيه الحق .

وهنا نوع آخر من الاختلاف وهو وفاق في الحقيقة ، وهو اختلاف في الاختيار والأَوْلى ، بعد الاتفاق على جواز الجميع ، كالاختلاف في أنواع الأذان والإقامة ، وصفات التشهُّد والاستفتاح ، وأنواع النُّسك الَّذِي =

وذلك أَنَّ النَّصَّ النبويَّ الَّذِي بلغَ جميعهم لا يختلفون فيه[1]

= يُحْرم به قاصد الحج والعمرة ، وأنواع صلاة الخوف ، والأفضل من القنوت أو تركه، ومن الجهر بالبسملة أو إخفائها ، ونحو ذَلِكَ ، فهذا وإن كان صورته اختلافاً فهو اتفاق في الحقيقة " .

ثمَّ قال ٢:٥١٩ :" ووقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروري لابدَّ منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ، ولكنَّ المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه ، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجهٍ لا يؤدِّي إلى التباين والتحزُّب ، وكلٌّ من المختلفين قَصْدُهُ طاعة الله ورسوله لم يضر ذَلِكَ الاختلاف ؛ فإنَّه أمرٌ لابدَّ منه في النشأة الإنسانية ، ولكن إذا كان الأصل واحداً ، والغاية المطلوبة واحدة ، والطريق المسلوكة واحدة ، لم يكد يقع اختلاف ، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدَّم من اختلاف الصحابة ، فإنَّ الأصل الَّذِي بنَوا عليه واحدٌ ، وهو : كتاب الله وسنة رسوله، والقَصْد واحدٌ ، وهو : طاعة الله ورسوله ، والطريق واحدٌ ، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة وتقديمها على كلِّ قول ورأي وقياس وذَوْق وسياسة " انتهى .

(١) وإنما يختلفون بعد صلاحيَّة الحديث الشريف للعمل بِهِ -بتوفُّرِ شروط الصحةِ في سنده ، وإثباتِ لفظهِ النبويِّ الشريف ، وإثباتِ ضَبْطِهِ من حيث العربية: - يختلفون في فهم الحديث النبوي لاختلاف الناظرين في مداركهم=

إذ كلُّهم يتحرَّى السُّنَّةَ[1] ، وما لا نصَّ فيه يجتهدونَ في
حكمه ، فتارةً يختلفون ، والحقُّ لا يتعدَّد [2] ،

= ومواهبهم العقليَّة ، أو كون الحديث الشريف يحتمل أكثر من معنى واحد ، وكذلك تختلف مسالكُهم أمامَ المتعارِض من السُّنَّة ظاهراً.

(١) قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: "إيَّاكُمْ والقَوْلَ في دينِ الله تعالى بالرأي ، وعليكم باتِّبَاع السُّنَّة ، فمن خَرَجَ عنها ضَلَّ" .
وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "السنن سفينةُ نوح: من ركبها نجا ، ومن تخلَّفَ عنها غرق".
وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "أيُّ أرضٍ تقِلُّني إذا رويتُ عن النبيِّ ﷺ حديثاً وقلتُ بغيره؟" .
وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "مَن ردَّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شَفا هَلَكَة" (أثر الحديث الشريف للشيخ محمد عوامة ، ص٢٤-٢٥) .

(٢) وهو مذهب أهل السنة الَّذِينَ يرون أنَّ الحقَّ واحد ، وأنَّ لله حكماً معيَّناً في أيِّ مسألة اجتهادية ؛ وعليه فإنَّ المجتهد يخطئ ويصيب ، ولهذا سُمُّوا بالمخطِّئة .

ويرى بعض العلماء أنَّ الحق في المسائل الاجتهادية لا الاعتقادية متعدِّدٌ ، وأنَّه لاحكم لله في المسألة قبل اجتهاد المجتهد ، بل الحكم ما أدَّى إليه اجتهاد المجتهد ، فلهذا قالوا : إنَّ كلَّ مجتهد مصيب ، ولهذا سمُّوا بالمصوِّبة ، وهم المعتزلة . =

= ومن أهم أدلة أهل السنة ، قوله سبحانه : ﴿ **فَفَهَّمنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتيْنَا حُكْمَاً وَعِلْمَاً** ﴾ [الأنبياء : ٧٩] فكلا النبيين عالم ، لكن خصَّ سليمان بإصابة الحكم ؛ ولو كان كلٌّ منهما مصيباً ، لما كان لتخصيص سليمان بفهم الحُكْم دون أبيه معنىً أو مناسبة ، واستدلوا بالأحاديث الدالة على تردُّد الاجتهاد بين الصواب والخطأ .

وأنَّ الصحابة اجتهدوا واختلفوا في الاجتهاد ، فكان الصدِّيق يقول في الكلالة : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأً فمنّي ومن الشيطان ، ويقول عمر : إنَّ عمر لايدري أنّه أصاب الحق ، لكنه لم يأل جهداً . (وانظر : تفصيل هذا الموضوع فيما كتبه العلاّمة الأصولي الفقيه الدكتور محمد فوزي فيض الله- حفظه الله - في كتابه "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية" ص ٩٥-٩٨) .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي في " جامع العلوم " ١:٢٠٢-٢٠٣ عند شرحه لحديث "**إنَّ الحلالَ بيِّنٌ ، وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ ، وبينهما أمورٌ مُشْتَبهات، لايعلمُهُنَّ كثيرٌ من النَّاس** .." :" فالأمور المشتبهة التي لا يتبيَّن أنَّها حلال ولا حرام لكثير من النّاس ..فدخل فيمن لا يعلمها نوعان : **أحدهما** : من يتوقّف فيها لاشتباهه عليه . **والثاني** : من يعتقدها على غير ماهيَ عليه ، ودلَّ كلامه على أنَّ غير هؤلاء من يعلمها ، ومراده أنه يعلمها على ماهي عليه في نفس الأمر من تحليل أو تحريم ، وهذا من أظهر الأدلة على أنَّ المصيب عند الله في مسائل الحلال والحرام المُشْتَبِهة المختلَفِ =

وإنَّما يفوزُ بِهِ أَحدُهم ؛ فَمَنْ أَصَابَ فلَهُ أجْران ، ومَــنْ أخطـأ فلَهُ أجر[1] .

= فيها واحدٌ عند الله عزَّ وجل ، وغيره ليس بعالم بِهَا ، بمعنى أنَّه غير مصيب لحكم الله فيها في نفس الأمر ، وإن كان يعتقد فيها اعتقـاداً يستند فيـه إلى شبهة يظنُّها دليلاً، ويكون مأجوراً على اجتهاده ، ومغفوراً له خطـؤه لعـدم اعتماده " .

وقـال الحـافظ ابـن رجـب أيضـاً في " فتـح البـاري " ٨ :٤١٠ عنـد شـرحه لحديث " **لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصر إلاَّ في بني قريظـة** " :" ولا دلالـة في ذَلِـكَ على أنَّ كل مجتهدٍ مصيب ؛ بل فيه دلالة علـى أنَّ المجتهـد سـواءٌ أصـاب أو أخطأ فإنه غير ملوم على اجتهــاده ؛ بـل إنْ أصـاب كـان لـه أجـران ، وإن أخطأ فخطؤه موضوع عنه ، وله أجر على اجتهاده " انتهى .

(١) روى البخاري (٧٣٥٣) ومسلمٌ (١٧١٦) وأبو داود (٣٥٧٤) عن عمـرو ابن العاص ﷺ عن النّبي ﷺ قال: "**إذا حَكَمَ الحاكم فـاجْتَهدَ ثُـمَّ أصَـابَ: فله أجران ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهد ثُمَّ أخطأ: فله أجر**".
قال القرطبي في تفسيره ١١ :٣١٠ :" بـدأ بـالحكم قبـل الاجتهـاد ، والأمـر بالعكس ، فإنَّ الاجتهاد مقدَّمٌ على الحكم ، فلا يجوز الحكم قبـل الاجتهـاد بالإجماع . وإنّما معنى هذا الحديث : إذا أراد أن يحكم ، كما قال تعـالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ القُرآنَ فَاسْتَعِذْ** ﴾ [النحل :٩٨] " انتهى . =

وحيثُ لا نصَّ فكلٌّ على اجتهاده لخَفَاءِ المحِقِّ من المخطئ ، فإنْ ثَبتَ نصٌّ معاضِدٌ لأحدهم فالحقُّ يتعيَّنُ له .

ولا يجوزُ لمسلمٍ التعصُّبُ لقولِ أحدٍ تبيَّنَ خَطَؤُهُ في ذلك القول ، ولكن يُحمل قائِلُهُ الأَوَّل على عدم بلاغ الخبر له بوجهه[1] ، تنزيهاً لمقامهم عن تعمُّدِ المخالفة ، وهَذَا هو العَدْل الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ ورسولُه وسائرُ الأئمةِ في هذه المسألة .

= قال الخطَّابي في "معالم السنن" ٤ : ٦ : "إنَّما يُؤْجَر المخطئ على اجتهاده في طلبِ الحق ؛ لأن اجتهاده عبادة... ، وهذا فيمن كَانَ من المجتهدين جامعاً لآلةِ الاجتهاد ، عارفاً بالأصول وبوجوه القياس ، فأَمَّا من لم يكن محلاًّ للاجتهاد فهو متكلِّفٌ ، ولا يُعذَر بالخطأ في الحكم ، بل يُخافُ عليه أعظمَ الوزر".

وأما قوله ﷺ :" **وإذا حَكَم فاجْتَهد فأخطأ** " فقد قال السيوطي في "جزيل المواهب" ص٣٠ :" يحمل قوله : " **فأخطأ** " على عدم إدراكه للأفضل والأَوْلى ، كما عَتَب على الصحابة في اختيارِ الفداءِ ؛ لأَنَّهُ غير الأفضل مع أنَّه حكمٌ صواب".

(١) وهو أحَدُ الأسباب في اختلافِ الأئمةِ رضي الله عنهم ، وقد أجْملَها الشيخ ابن تيمية في ثلاثة أسبابٍ ، فقال في رسالته: "رفع الملام عن الأئمةِ الأعلام" ص ١٠ : "إذا وجد لواحدٍ منهم قولٌ جاء حديثٌ صحيح بخلافه ، فلابدَّ له من عذرٍ في تركه ، وجميعُ الأعذار ثلاثة أصناف: **أحدها:** عدم اعتقاده أَنَّ النبيَّ ﷺ قاله ، **والثاني:** عدم اعتقاده إرادةَ تلك المسألة بذلك القول ، =

س٢٤- هل يجوزُ تفسيرُ القرآن بمقْتَضَى القواعدِ التي انتهى إليها تفنُّنُ أهلِ العَصْر ولو خَالفتِ النصَّ الصَّريح؟

تفسيرُهُ بما يخالف الثابت من علم الكتاب والسُّنّةِ حرام (١) ،

= **والثالث**: اعتقاده أَنَّ ذَلِكَ الحكم منسوخ" ثُمَّ فصل هذه الأسباب إلى عشرة فذكر في السبب الأول منها: "أن لا يكون الحديث قد بلغه.. وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوالِ السلف مخالفاً لبعض الأحاديث ، فَإِنَّ الإحاطة بحديثِ رسولِ الله ﷺ لم تكن لأحد.. فمن اعتقد أَنَّ كلَّ حديثٍ صحيحٍ قد بلغ كل واحدٍ من الأئمة أو إماماً معيَّناً فهو مخطئٌ خطأً فاحشاً" . وتُنْظر بقية الأسباب في رسالته القيِّمة ، وفيما فصَّله الأستاذ المحقِّق الشيخ محمد عوَّامة -حفظه الله تعالى- في كتابه القيِّم : "أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمةِ الفقهاء ".

(١) يقول مؤلِّف هذه الرسالة العلامة محمد المكي بن عزُّوز في رسالته " الأجوبة المكيَّة عن الأسئلة الحجازيَّة " التي أجاب بهَا العلامة عبدالحفيظ القاري من الطائف ، تحت عنوان :مبحث تفسير القرآن بمقتضى الأفكار الجديدة :

أما الَّذِينَ يُفَسِّرون كلامَهُ ... سبحانه بالحَدْسِ والآراء
وُلِعوا بفلسفةٍ رَأَوْهَا حُجَّةً ... معصُومةً من زلَّةٍ وخَطَاء
تفسيرُهُم طيراً أبابيلاً بمِكـ ... ـروبٍ تعدُّ جالبُ الأَسْواء
أيُّ اضْطرارٍ موجب لعدولنا ... عن ظاهرٍ بمحجَّةٍ بيضاء
والشَّرطُ في التأويل ردُّ العقل ما ... في ظاهرٍ بالقطعِ قطع مضاء
للعقل أيضاً منتهى من جَازَهُ ... في الحال يُصْمَ بفتنةٍ عمياء =

وربما يجـرُّ إلى الكُفـر[1] ، فحكـمُ القـرآن وحـكمتُـهُ وتعريفُـهُ للحقـائق بـالمعنى العربـي والمنهـاجِ المحمـدِيّ مسـتَمرٌّ إلى يــوم

= جزموا بظنيَّاتهم شَغَـــفاً بِـهَا ... والظنُّ غير الحقِّ في الأشيـاء
مسّت عقائدَ في الصريح ورودها ... قالوا اقْتَضَتْهُ قواعدُ الحكمـاء

وسيشير المؤلف -رحمه الله - إلى نماذجَ من هذا التفسير المنحرف الَّذِي يجرُّ إلى الكفر ، كالقول بأنَّ أصل البشر النشوء والارتقاء ، إنكاراً لكون البشـر من بني آدم، وإنكار معجزات الأنبياء التي يخرق الله عـز وجـل بِهَـا السـنن الكونية والقوانين الطبيعية ، التي من كذب بِهَا كفر -والعياذ بالله-.

(١) وذلك باتِّبَاعِ المتشابهاتِ والإعراض عن البيِّنات المحكَمات ، وسوء التأويل ، كتأويلات الباطِنية والزنادِقة ، وبعض غُلاةِ الرافضـة ، وتـأويلات الطوائـف المنحرفـة والمارقـة في عصرنـا كتـأويلات القاديانيـة والبهائيــة ، وتــأويلات العلمانيين المتعالِمين الجاهِلين. وانظر نماذج لهذه التفاسـير المعـاصرة المنحرفـة فيما كتبـه العلامـة الشيخ محمـد الخضـر الحسين في "رسـائل الإصـلاح" : كتابٌ يلحدُ في آيات الله ٢:٢١٥-٢٢٤ ، وكتابٌ يهذي في تأويل القرآن ٢:٢٢٥-٢٤٣ في الـرد علـى صـاحب " الهدايـة والعرفـان " الَّـذِي حـرَّف آيات المعجزات والملائكة ، وأنكر الجنَّ والشـياطين ، وردَّ أحكامـاً معلومـة من الدين بالضرورة . وانظر مثالاً معاصراً لهؤلاء أيضـاً فيمـا كتبـه العلاَّمـة المفسِّر الشيخ عبدالرحمن حبنَّكة الميداني في كتابـه : " التحريـف المعـاصر في الدين " في الرد على كتاب " الكتاب والقرآن : قراءة معاصرة " .

القيامة ، ومَن زَعَمَ اختصاصَ تلك المعاني والتعريفات بإقليمٍ أو زمانٍ دونَ غيره فهو ضالٌّ مضِلٌّ ، حيثُ نَسَبَ للنبيِّ ﷺ ما هو مُنزَّهٌ عنه من تصويرِ غيرِ الواقع ، إمَّا قَصْداً أو جَهْلاً بالحقائق ، وَحَاشَاه ﷺ من الأمرَين ، وقد صَدَّقَهُ اللهُ في جميع مقالاته ، أَيَخْفى على الله شيءٌ؟

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾[1]؟

---

(١) من سورة الملك ، الآية: ١٤. وهذه الآية برهان وحجة على من ينكر إحاطة علم الله تعالى بجميع الأشياء ، وجميع شؤون عباده ؛ وذلك لأنَّهُ سبحانه هو الَّذِي خلق العباد ، وأعمالهم وأقوالهم ، وجميع شؤونهم ، وهو الَّذِي خلق كل شيء . وهذه الآية كذلك حجة قاطعة على أنَّ شريعة الله تعالى هي الكافلة لجميع مصالح العباد وسعادتهم ؛ لأنَّ الله سبحانه الَّذِي خلقهم هو أعلم بما فيه صلاحهم ونفعهم وكلُّ خيرٍ لهم . ولذلك بيَّن سبحانه أنَّ التشريع المشتمل على التحليل والتحريم ، والأمر والنهي هو لله تعالى وحده ، لأنَّهُ هو الخالق وحده . قال تعالى : ﴿ أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف :٥٤] .

و ﴿ اللطيف ﴾ : هو الرفيق بعباده ، المحسن إليهم ، المنعم عليهم ، و﴿الخبير ﴾ أي : العليم بحقائق الأمور وخفاياها ودقائقها على وجه الإحاطة . (حول تفسير سورة الملك ، ص ١٤٦) .

وقال له ربُّه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1].

وقد تقدَّمَ أَنَّ كلَّ ما خَالفَ الدينَ من كلام المُتَفَلْسِفةِ مَظْنونٌ لهم ، وذلك باعترافهم [2] ، وإنَّمَا تمسَّكوا بِهِ لعدم المعارِض

---

(1) من سورة النحل ، الآية: ٤٤. فالسنة مبيِّنةٌ للقرآن ، وإليها الرجوع في بيان الكتاب ، فإنَّ الله تعالى هو الَّذِي بيَّنه لرسوله ﷺ ، ثمَّ أمره أن يبيِّنه للنَّاس ، قال تعالى : ﴿ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَه وقُرْآنه ۞ فإذَا قَرَأنَاه فَاتَّبِع قُرْآنَهُ ۞ ثُمَّ إنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة : ١٧-١٩] . فلا يجوز فَصْل الكتاب عن السنَّة؛ لأنَّها بيانه ، ولولا هذا البيان النبوي ما فُهِمَ المراد من القرآن : لا أحكامه ، ولا أوامره ، ولا معانيه ، ولا عُلم عدد الصلوات ، ولا كيفيَّاتها، ولا أوقاتها ، ولا عُلم مقاديرُ الزكاة وما تجبُ فيه ، ولا عُلم المراد من الصيام ، وما يجب الإمساك عنه ، ولا عُلمت أحكام الحج ..فلا يمكن فصل القرآن عن بيانه ، وهذا القرآن وبيانه كلاهما من عند الله . قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ﴾ [النساء :١١٣] . والحكمة : هي السنة ، فإنَّها أنزلها الله تعالى على رسوله ﷺ بالوحي ، وكثيراً ما يأتي في القرآن ذكر السنة – التي هي الحكمة – مقرونة بالكتاب .

فكلُّ ما بيَّنه الرسول ﷺ من عقائد القرآن وبراهينه وأحكامه وآدابه هو الحق ، ولا يختصُّ بيانه ﷺ بزمانٍ دون زمان ، أو مكانٍ دون مكان .

(2) انظر كتاب "قصور العلم البشريً "للأستاذ قيس القرطَّاس " المتوفى سنة ١٣٩٢ رحمه الله تعالى ، وفيه استعراضٌ لآراء روَّاد العلم الحديث في =

عندهم ؛ إذ الدِّينُ عندهم أدنى من درجة الظَّنِّيَّاتِ ، أَفَنَقْتَـدِي بهم وبيننا الفارق الأكبر؟!

ثُمَّ المُشَاهَدُ ازْدياد التوسُّع في التَّفَنُّنَـاتِ الطبيعيـة ، وانتقـالُ الأفكار من حيِّزٍ إلى حيِّزٍ بلا قَرار [1] ،

= آفاق العلم المُكْتسب وحدوده ، من إصدارات دار الفيصل الثقافية ، الطبعـة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

(١) وأحبُّ أن أنبه بهذه المناسبة إلى شرطين مهمّين من شـروطِ التفسـيرِ العِلْمِـيِّ للقرآنِ الكريم ، يتّصلان بكلام المؤلف - رحمه الله تعالى - وهو : ألاَّ يحمل التفسير العلمِيّ اتِّهاماً للأمَّةِ كُلِّهَا طوالَ تاريخِها كله -وفيها خيرُ القرون من الصحابةِ والتابعين والأئمَّةِ الكِبار في كُلِّ فنٍّ- بأنها لم تفهم القرآن ، إلى أن جاءَ هذا العالم في زمانِنا ، فاختصَّ بفهم تلك الحقائق والمعاني ، وعلَّمَها مـا كانت تجهل من كتابِ ربِّها ، وذلك انتقاصٌ للسَّلفِ وإزْراءٌ بعُلومِهِمْ.

ومُقْتَضَى هذا الكلام: أَنَّ الله سُبْحَانَهُ أنزلَ على الناسِ كتاباً لم يفهموه ، و لم يعرفـوا مُـرادَ منزِّلِـهِ منـه ، مـع أنـه تعـالى وَصَفَـهُ بأنـه :﴿**كِتَـابٌ مُبِـين**﴾ ، وأنه:﴿**هُدىً للْناس**﴾ ، وأنه: ﴿**نور**﴾ .

فلا يجوزُ أن يكونَ الفهمُ الجديدُ للآية مُبْطِلاً للأفهـامِ السـابقة ، وَأَنَّ المعنـى الوحيد الصحيح هو ما فَهمه المفسِّر الجديد؟ فكيف إذا كـان فهمـه يخـالفُ النصَّ الصريح؟!.نعم يُقبل من التفسير مـا كان فيه إضافـة جـديـدة ، =

= وتعميقٌ لمدْلولِ النّصّ ، تضمُّ إلى مـا سَبَقَ ولا تُبْطِلُه كُلّيّاً ، فـلا مـانع مـن إضافةِ فهمٍ جديدٍ للآية ، أو جزءٍ منهـا ، فـالقرآن لا تنقضِـي عجائبـهُ ، ولا تنفَدُ كنوزُه ، وا لله يفتحُ على عباده في فهم ما يشاء لمن يشاء.

ومما يُنَبَّهُ إليه أيضاً: في شروطِ التفسير العلمي للقرآن ، البعد عن التكلُّـف في فهم النص ، والتمحُّل لاستخراج معنى مـن آيـة لا ينبغـي حمـلُ كـلامِ ا لله عليه.

وذلك مثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿**يا أيُّها النَّـاسُ اتَّقـوا ربَّكُـمُ الَّـذِي خَلَقَكُمْ من نفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ منها زَوْجَها**﴾ [النســاء: ١] ففسَّـرَ النفـس الواحدة بـ "الإلكترون" في الذَّرَّة ، وزوجها الَّذِي خلق منهـا بــ "البروتون" وهو اعتسافٌ لا تدلُّ عليه الألفاظ ولا السِّياق ، بل السِّـياق يرفضُـه تمامـاً ، بدليـلِ قولـه تعـالى في تتمـةِ الآيـة: ﴿**وبـثَّ مِنْهُمـا رِجَـالاً كثيراً وَنِسَـاءً**﴾ [النساء: ١] .

ومثل ذَلِكَ : زعْمُ بعضِهم أَنَّ القُرْآنَ أشارَ إلى فكرةِ تحطيمِ الذَّرَّةِ حين ذَكَـرَ ما هو أصغر من الذَّرَّةِ في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يعْزُبُ عـن ربِّـكَ مـن مِثْقَـالِ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ ولا أصْغَرَ من ذَلِكَ ولا أكبرَ إلاَّ في كتـابٍ مبين**﴾ [يونس: ٦١] ، فَإِنَّ كلمةَ "ذرَّة" عند العرب في عصْر نزول القُرْآن ، وفي القُرْآنِ ، لا تدلُّ علـى المعنـى الاصطلاحِيِّ الَّـذِي نعرفـه اليـومَ في علـمِ الفيزياء ، ولا يجوزُ أن تحمل ألفـاظ القُـرْآنِ علـى المصطلحـاتِ الحادِثـةِ بعـد عصر نزوله. =

= ومن ذَلِكَ أيضاً: تفسير الدابَّةِ التي تخرج من الأرض لتكلِّمَ الناس (المذكورة في سورة النمل ٨٢) بأنها مركبةُ الفضاء!! وَأَنَّ النفاذَ من أقطارِ السمواتِ والأرض بسلطانٍ (المذكور في سورةِ الرحمن: ٣٣) وَأَنَّ هذا السُّلطان هو سلطانُ العلم ، وهل القفزات القِصارُ التي قَفَزَها الإنسانُ خارجَ نطاق الجاذبية الأرضيَّةِ يعدُّ خروجاً من مُلْكِ الله الَّذِي لا يُحَدُّ ، وهل نَجَحَ الجنُّ والإنسُ في قبولِ التحدِّي والانتصار عليه؟! (وينظر للتوسُّع كتاب :" كيف نتعامل مع القرآن" للقرَضاوي ، ص ٣٦٠-٣٦٣).

ومن ذَلِكَ : قول بعض الدَّارسين لظواهر الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: إنَّ في قوله سبحانه :﴿ **وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابَاً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا : إنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا** ﴾ [الحجر :١٤-١٥] أي : سُدَّت أبصارنا وأُغْشِيَت وغُطِّيَت . إنَّ في هذه الآية حقيقة علمية مِنْ أنَّ الإنسان إذا جَاوَزَ الغلافَ الجويَّ دَخَل في ظُلْمةٍ فلا يُبْصرُ شَيئاً. . وقولُهم هذا يُخرج الآيات عن مَقْصِدِها الأساسي، بل يجعل للمعاندين من المشركين عذراً في قولهم :﴿ **سُكِّرَت أَبْصَارُنا**﴾ مادام قولهم يحمل هذه الحقيقة العلمية ، وهذا يفسد المعنى المراد فساداً كبيراً . فالواجب علينا الحذر من الوقوع في مثل هذا ، فلا ينبغي تحميل كلمات القرآن معاني تُخرجها عن مَقْصِدِها الأساسيِّ الَّذِي سيقت من أجله ، كما لاينبغي تفسير الكلمة القرآنية بمعزل عن سياقها وموضعها من الآية القرآنية :(الإنسان بين الأمل والأجل في سورة الحِجْر ، للشيخ عبدالحميد طهماز ص٢٤) .

أفيتبدَّلُ تفسيرُ كلامِ الله بتبَدُّلِ صِبْغةِ الأفكار على مَمَرِّ الأعصار فيبقى القرآن لعبةً بيد الناس؟ حَاشَاهُ ويَأْبى الله ذلك[1].



(١) يشيرُ المصنّف -رحمه الله تعالى- إلى شرطٍ مهمٍّ في التفسير العلمي للقرآن الكريم، أو بمقتضى القواعد التي انتهى إليها تفنُّن أهل العصر كما يقول المؤلف. وهو أَنَّ الكثير من الفرضيَّات العلمية لم تزَلْ في مَوْضعِ أخذٍ وردٍّ، وجذبٍ وشدٍّ، بين أهلِ الاختصاص من العلماء، فلا يجوز أن نعوِّلَ على تلك الفرضيَّات التي لم تَثْبُت دعائمها، حتى لا نُعَرِّضَ فهمنا للقرآن للتقلُّب مع هذه الفرضِيَّات، فكيف إذا كانت هذه الآراء تخالف النصَّ الصريح؟!.

س٢٥- ما القولُ في مذهب داروين ومن تَبِعَهُ في أَنَّ أصْلَ البشَرِ النُّشوءُ والارتقاء إنكاراً لكون البشر بني آدم؟

اعتقاد ذلك مجاهرة بردٍّ كلامِ اللهِ ورسلِهِ كُلِّهِمْ ، فآدمُ خَلَقَهُ اللهُ من طينٍ ثُمَّ نَفَخَ فيه الرُّوح [1] ،

---

(١) آدمُ عليه السَّلام ، أول مخلوق من البشر ، وأبو البشر ، وقد مرَّ خلقُه قبل نفخ الرُّوح فيه بخمس مراحل : المرحلة الأولى :خلق آدم من حفنة من تراب الأرض . قال تعالى : ﴿ **إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون** ﴾ [آل عمران :٥٩] .
والمرحلة الثانية : خلقُه من الطين ، وذلك بأن مُزِجَت حفنة التراب المأخوذة من الأرض بالماء فصَارت طيناً . قال تعالى ﴿ **إذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَرَاً مِنْ طِينٍ** ﴾ [ص:٧١] .
والمرحلة الثالثة : خلقه من طينٍ لازب . قال تعالى :﴿ **إنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لاَزِبٍ**﴾ [الصافات : ١١] أي: ثابت شديد الثبوت .
والمرحلة الرابعة : خلقه من صَلْصَال من حمأ مسنون .قال تعالى: ﴿ **وَإذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إنِّي خَالِقٌ بَشَرَاً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُون** ﴾ [الحجر:٢٨] . والصَّلْصال: هو صوتُ الطين الجاف اليابس ، والحمأُ : الطين الأسود المنتن المتغيِّر الجاف ، والمسنون : المصوَّر صورة إنسان .
والمرحلة الخامسة والأخيرة :خلقُه من صَلْصَال كالفخار . قال تعالى:﴿**خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلصَالٍ كَالفَخَّار** ﴾ [الرحمن : ١٤] .وكان آدم عليه السلام في هذه المراحل جسداً بلا روح ، ولمَّا أراد الله بثَّ الحياة ، نفخ فيه من =

وَخَلَقَ حواء من جسدِ آدم[1] ،

= روحه فصار مخلوقاً حياً . قال تعالى :﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص:٧٢] . وقوله تعالى :﴿ مِنْ رُوحِي ﴾ ليست للتبيعض ، وإنّما هي للبيان ، أي : هذه النفخة من أمر الله وإرادته ومشيئته، وإضافة الرُّوح للتكريم والتشريف .

(١) قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾[النساء:١] .والمراد بالنفس الواحدة هو:آدم أبو البشر .والمراد بزوجها :حواء .ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا ﴾ أي: فرّق ونشَرَ وأظهر من آدم وحواء رجالاًكثيراً ونساءً .

وقال سبحانه :﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف:١٨٩].

وأخبر رسول الله ﷺ أنّ المرأة خُلِقَت من ضِلَع . روى البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال :" **استوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنّ المرأة خُلِقَت من ضِلَع ، وإنَّ أعوج شيء في الضِلَع أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمُه كَسَرْتَهُ ، وإن تركتَهُ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنّساء خيراً** " .وذهب بعض العلماء إلى أنَّ الله خلق حواء من ضِلَع آدم أخذاً بظاهر الآية والحديث . وأنَّ حرف (من) في قوله : ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وفي الحديث "**خُلِقَت من ضِلَع**" للتبعيض ، أي :أنَّ حواء مخلوقة من بعض ضِلَع آدم . =

ومنهمَا تَنَاسَلَ البشر(١) .

= وذهب آخـرون أنَّ الضِلَـع الـوارد في الحديـث ليـس ضِلَـع آدم ، وإنما هـو لتصوير نفسية المرأة العاطفية الانفعالية .
قال النووي في شرح مسلم ١٠:٥٧ :" وفي هذا الحديث : ملاطفـةُ النسـاء والإحسانُ إليهنَّ ، والصبر على عِوَج أخلاقهنَّ ، واحتمال ضعف عقولهنَّ ، وكراهة طلاقهنَّ بلاسبب، وأنَّه لايُطمع باستقامتها ".
وقالوا : لايفهم من قوله تعالى في سورة النساء :﴿ **وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ ، وقوله تعالى في سـورة الأعـراف : ﴿**وَجَعَـلَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا**﴾ [١٨٩] ، أنَّ حواء خُلِقت من ضِلَع آدم، وما هاتان الآيتان إلاَّ مثل قوله تعالى : ﴿ **خَلَـقَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْوَاجَاً**﴾ [الـروم:٢١] ، وقولـه سبحانه :﴿ **وَاللهُ جَعَـلَ لَكُم مِنْ أَنْفُسِكُم أَزْوَاجَاً** ﴾ [النحل:٧٢] أي : خلق لنا من جنسنا أزواجاً، لنسكنَ إليها ، ونطمئنَّ بِهَا ، ولايفهم بأنَّ الله خَلَق كلَّ امرأة من زوجهـا . والله تعالى أعلم .

(١) فالإنسان مخلوقٌ -من حيث الجنس- من تراب ، ومتكاثرٌ -من حيث المصْـدَر- من الإنسان الأول آدم عليه الصلاة والسلام ، والإنسان مخلوق منذ النشأة الأولى في أتمّ مظهرٍ وأحسن تقْويم . قـال تعـالى :﴿ **لَقَـدْ خَلَقْنَـا الإنْسَـانَ فِـي أَحْسَـنِ تَقْوِيم** ﴾ [التين:٤] وقال عزّوجل :﴿ **يَاأَيُّهَا الإنْسَانُ مَـاغَرَّكَ بِرَبِّـكَ الكَرِيـم ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ** ﴾ [الانفطار:٦-٧] أي : جعلك سـوياً مسـتقيماً معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال. =

= ومن مؤكّدات هذه الحقيقة التي قرّرها القرآن ، ماروي في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال :" **خلق الله آدم على صورته** .." أي: أنّه منذ خُلِق إنما كانت صورته هي الصورة ذاتها التي استمرَّ عليها وعُرِف بِهَا ، أي: لم ينشأ مُنتقلاً من شكلٍ إلى آخر . فالضمير في صورته راجع إلى آدم عليه السلام .

وإذا تقرّر ذَلِكَ وَجَبَ أن نؤمنَ أنَّ الإنسان لم ينتقل خلال تاريخه كله في أيِّ تطور نوعي كأن يُقال : إنّه ترقّى من فصيلةٍ إلى أخرى ، أوتدرَّج من مظهرٍ نوعيٍّ في الهيئة والشكل إلى مظهر آخر .

وهذه الحقيقة القطعيَّة تتناقض مع نظرية النشوء والارتقاء ، للباحث (داروين) الإنجليزي اليهودي الأصل الَّذِي عاشَ ما بين عام (١٨٠٩-١٨٨٢م) .

وملخّص نظريته: أنَّ جميعَ الكائنات الحية ترجع إلى أصلٍ واحدٍ مشتركٍ أسماهُ خَلِيَّة الحياة الأساسية الأولى ، الَّتِي تطوَّرت عبر حِقَبٍ مديدةٍ من الزمن ، وارتقَتْ بفِعْلِ عواملَ مادِّية بحتة ، واتَّخَذَتْ أشكالاً مختلفةً إلى أن استوى منها الإنسان والحيوان والنبات على الصُّورةِ الَّتِي نعرفها اليوم عن مختلف أشكالِ الكائنات الحية المعاصرة ، وتأسيساً على ذَلِكَ -حسب النظرية- فَإِنَّ الإنسان والقرد قد انحدرَا من سلالةٍ واحدة! ، وقد نَشَرَ داروين أبحاثه في كتاب: "أصل الأنواع" ١٨٧٤م ، مدَّعِياً أَنَّ أبحاثه قد قامت على الملاحظة العلمية والاستنتاج . وقد أثارت هذه النظرية ضجةً كبرى في الأوساط العلمية ، وذاع صيتُها في القرن الماضي، واستُعمِلت كسلاحٍ للتشكيك في الدين وحقائقِهِ ، وقد تلقَّت هذه النظرية انتقاداتٍ كثيرةً ، وردوداً شتّى من العلماء والمفكِّرين ، وكشفوا =

= زيفَها ، وأصبحت نظريةً تاريخيةً مرفوضةً يكذِّبُها العلم والواقع ، وأشير باختصارٍ إلى بطلان هذه النظرية في النقطتين الآتيَتين:

١- إنَّ ما أسماه (داروين) بتطوُّرِ الكائنات الحيةِ من نوعٍ إلى آخر كتطور البقرة إلى حصان ، أو القرد إلى إنسان ، عمليةٌ خياليةٌ غير واقِعية ، لم تحصل في الحياة ، وبذلك تخرج عن دائرةِ العلم التجريبي. والله سبحانه يقول :﴿ **مَا أَشْهَدتُّهُم خَلْقَ السَّمَوات والأَرضِ وَلاخَلْقَ أَنْفُسِهِم وَمَاكُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدَاً**﴾ [الكهف:٥١] . والمؤمنُ يؤمن بما أخبرنا به الخالقُ سبحانه، لابفرضيات واحتمالات لاسَنَدَ لها ولاشاهد عليها ، والله عزَّ وجل يقول :﴿ **وَلا تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦].

٢- إنَّ الاكتشاف العلمي الَّذِي هَدَمَ نظرية داروين من أساسِها ، هو اكتشاف اختلاف وحدات الوراثة الَّتِي أثبتت استحالة تطوُّر الكائن الحي ، وتحوُّله من نوعٍ إلى آخر.فقد أصبح من الثابت في علم الوراثة أنَّ الأصول تورِّث الفروع المتفرِّعة عنها كل ماتحمل من خصائص بواسطة الكروموزومات ، ولانجد بين أجناس المخلوقات اتفاقاً في الخصائص الموروثة ، بل نجد بينها تبايناً ظاهراً واختلافاً في عدد الكروموزومات .

يقول الأستاذ سيد قطب في كتابه: "في ظلال القرآن" ٥: ٢٨٠٩: "هناك عوامل وراثية كامنة في خليةِ كُلِّ نوعٍ ، تحتفظ له بخصائص نوعه ، وتحتِّم أن يظل في دائرةِ النوعِ الَّذِي نَشَأَ منه ، ولا يخرج قطُّ عن نوعه ، ولا يتطوَّر إلى نوعٍ جديدٍ ، فالقطُّ أصلُه قط ، وسيظلُّ قِطّاً على توالي القرون ، =

= والكلبُ كذلك ، والثورُ والحصانُ والقرد ، والإنسان ، وكل ما يمكن أن يقع -حسب نظريات الوراثة- هو الارتقاء في حدود النوعِ نفسه ، دون الانتقال إلى نوعٍ آخر"انتهى.

وتقول الأستاذة عائشة ليمو في رسالتها :"نظرية التطور في الإسلام " ص٤٣-٤٤:" لقد قضت بعض مراكز البحوث من خمسين عاماً في إجراء تجارب لتربية وتهجين بعض الحشرات ، ومع هذا فإنّها لم تستطع الوصول إلى استنباط أنواع جديدة . وكلّنا يعلم أنَّ مربي الخيول الأصلية يعملون منذ قرون طويلة في تهجين أنواع جديدة ، لكنّها لاتزال خيولاً وإن اختلفت بعض أشكالها وأحجامها وألوانها، ولم تنقلب إلى بقرٍ أو أغنام ، فإنَّ هناك حدوداً واضحةً لإمكانيات التغيير الوراثي ضمن كلِّ نوع . وإلا فما الّذِي يمنع الغوريلاّ والشمبانزي والقردة الأخرى أن تتخلّى عن أنماطها الحالية وتتبع نفس طريق التطوُّر الّذِي سَلَكَه الإنسانُ حَسْب زعمهم ".؟!!

وأكتَفي بهذه الإشارة الموجزة، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتاب القيِّم: "نظرية دارون بين مؤيِّديها ومعارضيها " للأستاذ قيس القرطاس المتوفى سنة ١٣٩٢هـ رحمه الله تعالى ، طبع مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩١هـ .

س٢٦- هل يخلقُ اللهُ شيئاً بلا سَبَبٍ طبيعي؟

نعم يخلق بسببٍ طبيعي ، وبلا سببٍ طبيعي علـى حَسْـبِ مـا شـاء [١]، وبهـذا تعـرَّفَ اللهُ إلى خَلْقِـهِ كمـا ذكـرهُ في القـرآن كثيراً.

---

(١) من الأصول الإيمانيَّـةِ الـتي يجـبُ أن يعتقـد بِهَـا المؤمـن : الإيمـان بـأنَّ جميـع ماسواه سبحانه إنَّما أوجده تعالى بقدرته واختياره ومشـيئتِهِ وإرادتـهِ . فـالله سبحانه هو وحده المدبِّر للأمـور ، والمتصـرِّف فيهـا ، فلـه التدبـير المُطْلَـق ، وليـس لغـيره شـركة معـه في التدبـير و التصـرُّف والتأثـير ،لا الملائكـــة ولا الكواكب ، وإنّما هي مُسَخَّرات بأمره ، فهــو الفعَّـال لمـايريد ، والكـلُّ لـه عبيد . قال تعالى :﴿ **وَمَـنْ يُدَبِّـرُ الأَمْـرَ فَسَـيَقُولُونَ اللهُ** ﴾ [يونـس:٣١] . وقال تعالى :﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنْ السَّمَاءِ إلى الأرْضِ** ﴾ [السـجدة:٥] . وأمّـا قوله سبحانه عــن الملائكـة : ﴿ **فَـالْمُدَبِّرَاتِ أَمْـرَاً**﴾ [النازعـات:٥] ، فهـم الموكَّلون من اللهِ تعالى في تدبيرِ الأمورِ بإذنِ الله وأمرِهِ لهم بذلك .

والله سبحانه جعل لعباده أسباباً ، أمرهـم بالتعرُّف عليها وتعاطيهـا ، ولكنـه هو المؤثِّر الفعَّال بالأسباب ، وهو الخالقُ لتأثيرها ، إنْ شاء أعملها وإن شـاء عَطَّلها ،فلا تأثير لها إلاّ بخلقه وقدرته .

وهذه الأسبابُ الطَّبيعيَّة الظاهرة تتجمّع كُلّهَا في سببٍ رئيسيٍّ واحد ، وهو مسبِّبُ الأسباب وخالقُها ،وهو الله عزَّوجل . وهذه الأسباب المبثوثة =

= في الكون ليست أسباباً حقيقية لها تأثير بذاتهـا، لأنهـا حادثـة بعـد العـدم ؛ وإنّما كانت أسباباً لأنّ الله عزّ وجل رَبَطَ بينها وبـين أمـورٍ أخـرى بمحـض إرادته وقدرته ، فظهر استمرار هذا الارتباط وطول الاقتران ، بمظهر السببيَّة والتأثير . وإنّما جعلها الله أسباباً في هذا الكون ليتحقّق التناسـق والانسـجام فيه ، فيكون الكون أفصح بيان ناطق بوحدانيته سبحانه .

فهو سبحانه الّذِي يحيي بالهواء ،ويُشفي بالدواء ، ويُقيت بـالغذاء ، ويـروي بالماء ، وهو الّذِي يحـرق بالنـار ، ويجعـل الصَّلابـة بـالحديد . والله سـبحانه خالقُ الأسباب والرابط بينها وبين مسبَّباتها لايعجزه شـيئ عـن إبطـال هـذا التلازم والترابط الصُّوري عن طريق المعجزات التي تخالف العادة والمألوف .

ولو أراد الله سبحانه لَسَلَب النار إحراقَها ، فجعلها برداً وسلاماً كما جعلها على الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولو شاء الله تعالى لألانَ الحديد وجعله كـالعجين الليِّـن كمـا ألانـه لـداوود عليه الصلاة والسلام . قال تعالى : ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيْد** ﴾ [سبأ :١٠] .
ولوشاء الله سبحانه لم يَرو الشارب بالماء ، ولم يُغَـذِّ الآكـل بالطعـام ، فهـو الفعَّال المؤثِّر وحده سبحانه ؛ لأنَّ التأثير الذاتي يتطلَّب علماً محيطاً ، وقـدرةً لاتتناهى .
والمؤمنُ يعتقد عقيدةً جازمةً أن لاتأثير في الكون لأيِّ شيئ إلاّ للهِ عزّوجل ، وأنَّ مـايظهر مـن أسـبابٍ طبيعيـة وعوامـل ومؤثّـرات إنَّمـا هـي أسـباب جَـعْـليَّة ، خلقـها الله عـزَّ وجـل .(شـهادة أن لا إلـه إلاّ الله ، =

وَخَلْقُهُ بعض الأشياءِ بلا سببٍ طبيعـي هـو الَّـذِي يـدلُّ دلالـةً واضحةً على قدرتِهِ تعالى وتفرُّدِهِ بالتصرُّفِ إذا أرادَ شـيئاً قـال له: كن فيكون.

فمِن ذلك معجزاتُ الأنبياءِ[1]

= للشيخ عبدالله سراج الدين ص٩٩، وكبرى اليقينيات الكونية ص٢٩٣ بتصرف واختصار) .

(١) **المعجزة في اللغة:** اسم فاعل من الإعجاز ، بمعنى الضعف والانقطاع وعدم القدرةِ على تحصيل الشيءِ ، فتسميةُ ما جاءَتْ بـه الأنبيـاء معجـزة يعـني أَنَّ الخلقَ عجَزوا عن الإتيان بمثلها.

والمعجزةُ في الاصطلاح: "أمرٌ خارقٌ للعادة ، مقرونٌ بالتَّحَدِّي ، سـالِمٌ مـن المعارضة".

وسيذكر المصنِّفُ –رحمه الله تعالى– سَبْعَ عَشَرة معجزةً ، وبعضها لا ينطبـق عليهـا تعريـف المعجـزة ، فمنهـا مـا هـو مـن الكرامـات كقصـة أصحـاب الكهف ، وكثيرٌ منها لا يظهر فيه تحدِّي الرسولِ الناسَ أن يأتوا بمثل ما أتـى من الآيات.

والأوْلَى أن نسمي ما جاءت به الأنبياء دلالةً على صدقهم: آيـاتٌ وبراهـين ودلائل ، وكان الصَّدْرُ الأول من السَّلف يستخدِمونَ الألفاظ القرآنية الدالَّة على معنى الإعجاز والمعجزة بالآيات ، والتي جاء ذكرُها في القرآن الكريـم مثل ناقة صالح الَّذِي قال له قومه: ﴿**إنَّما أَنْتَ من المُسَحَّرين ۝ ما أنتَ** =

التي مَن كذَّبَ بها كفر[1] ،

= **إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٥٣-١٥٤]، فآتاه الله الناقةَ وقال لهم: ﴿**هذهِ نَاقةُ اللهِ لكُمْ آيةً فذَرُوهَا تأْكُلْ في أرْضِ اللهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ قَرِيبٌ** ﴾ [هود:٦٤] .

ومثل آياتِ موسى التسع: ﴿**وَلَقَدْ آتيْنَا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بيِّناتٍ فَسْئَل بني إسْرائيلَ إذْ جاءَهُم فَقَالَ لَـهُ فِرْعَوْنُ إنِّي لأظُنُّكَ يا مُوسَى مَسْحُوراً**﴾ [الإسراء: ١٠١] ، وهذه الآيات التسع هي: العصا ، واليد ، وإرسال العقوبات على فرعون وقومه من السنين ، ونقص الثمرات ، والطُّوفان، والجراد ، والقُمَّل ، والضَّفادع ، والدم ﴿ **آياتٍ مُفَصَّلات** ﴾ كما ذَكَرَ الله سبحانه في كتابه الكريم.

ومثلُ آياتِ المسيح عليه السلام ، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنا ابْنَ مَرْيَمَ وأمَّهُ آيةً**﴾ [المؤمنون: ٥٠] .

وهذا النوع من الآيات هو الّذِي كان يقْترحه المشركون على الرسول ﷺ:﴿**وقالوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيةٌ من ربِّهِ قُلْ إنَّ الله قَادِرٌ عَلى أن يُنزِّلَ آيةً وَلَكِنَّ أكثرهُمْ لا يَعْلمونَ**﴾ [الأنعام: ٣٧]. ﴿**وَيَقُولُ الّذِينَ كَفَرُوا: لَوْلا أُنْزلَ عَلَيهِ آيةٌ من ربِّهِ إنَّمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكلٍّ قومٍ هَادٍ**﴾ [الرعد:٧] .

وَكُلُّ ما سيذكره المصنِّف من المعجزاتِ إنَّما هو من الآياتِ الدَّالَّةِ على قدرته تعالى ، وتفرُّدِهِ بالتصرُّف ، إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.

(١) لأنها ردٌّ صريحٌ لنصوصِ القرآن الكريم.

كطُوفانِ نوحٍ وحياتِهِ البالغة نحو ألف سنة[1]، وهلاك عادٍ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتية[2]،

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿ولقد أَرْسَلْنا نُوحاً إلى قَوْمِه فَلَبثَ فِيهِم ألفَ سَنةٍ إلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وهُمْ ظَالِمُونَ ۞ فأَنْجيناهُ وأَصْحَابَ السَّفينةِ وجَعَلْنَاهَا آيةً للعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٤-١٥] فإذا كانت مُدَّة دعوته لقومه تسعمائة وخمسينَ عاماً ، فكَمْ كان عمره قبل النبوَّةِ ، وكم هي المدة التي لبثَها بعد هلاكِهم؟!.

(٢) وكان هلاك عاد على مرحلتين : المرحلة الأولى بالصَّيحة . قال تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَة بِالحَقِّ فَجَعَلْنَاهُم غُثَاءً فَبُعْداً لِلقَوْمِ الظَّالِمِين ﴾ [المؤمنون :٤١] . والمرحلة الثانية : الريح الصرصر العاتية وهذه الريح جاءت بعد الصَّيحة ، قَالَ تَعَالَى : ﴿كذَّبَتْ عَادٌ فكيفَ كَانَ عذابي ونُذُرِ ۞ إنا أَرْسَلنا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصَراً -أي : باردةً وشديدةَ الصَّوْت- في يومِ نَحْسٍ -أي: شؤم وشرّ- مُسْتَمِرٍّ ۞ تَنْزِعُ النَّاسَ كأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ١٨-٢٠] أي: كأَنَّهم أُصولُ نخلٍ منقلِعٍ من مَغَارسِهِ ، سَاقطٍ على الأرض ، وقد شُبِّهُوا به ؛ لأنَّ الريح كانت تقلع رؤوسَهم فتبقيهم أجْساداً بلا رؤوس ، وكانوا ذوي أجسادٍ عِظامٍ طِوال.
وقال تعالى :﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلِيهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ مَاتَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْه إلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيم ﴾ [الذاريات:٤١-٤٢] ، وهذه الريحُ العقيم المُدَمِّرة التي أرسلها الله عليهم، استمرت في هبوبها وشدتها وتعذيبها لهم =

وثمود بالصَّيْحة[1]،

= ثمانية أيام متتابعة ، وكانت تحملُ الرَّجل منهم فترفعه إلى الهواء ، ثمّ تُنَكِّسه على أمِّ رأسه فتهشم رأسَهُ حتى تُبينه من جُثَّته .

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وأمَّا عَادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صَرْصَرٍ عَاتيةٍ سخَّرَها عَليهم سَبْعَ لَيَالٍ وثَمانيةَ أيَّامٍ حُسُوماً -أي : مُتَتَابعة الهبوب حتى اسْتَأصلَتْهُمْ- فترَى القومَ فيها صَرْعَى كأنَّهُمْ أعْجَازُ نخلٍ خَاويَة﴾ [الحاقة: ٦-٧] أي: كأنّهم أصولُ نخلٍ بلا رؤوس.

قال الصَّاويُّ في حاشيته على الجلالين ٢:٢٠٤ في تفسير سورة هود : "وكانت معجزة هود عليه السلام التي قامت بهَا الحجة عليهم في قوله:﴿قَالَ إنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونهِ فَكِيدُونِي جَمِيْعاً ثُمَّ لاتُنْظِرُونِ﴾ [هود :٥٤-٥٥] أي : لاتؤخّرون . فعصمتُه منهم هي معجزته ، وكذا معجزة نوح التي قامَت بهَا الحجة عليهم هي قوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لاَيَكُنْ أَمْرُكُم عَلَيْكُم غُمَّةً﴾ [يونس :٧١] . وأما الريح والطُّوفان ، وإن كان كلٌّ معجزة ، فيهما هلاكهم لا إقامة الحجة عليهم " انتهى.

(١) الصَّيحة : هي الصوت الشديد المرتفع . قَالَ تَعَالَى في هلاكِ ثمود قومِ صالحٍ: ﴿إنَّا أَرْسَلْنَا عَليهِمْ صَيْحةً وَاحِدَةً فَكَانوا كهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] أي: ما تهشَّمَ وتفتّتَ من الشجر اليابس. =

وقلب مدائن قوم لوط[1]،

= وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَأَخَذَ الذينَ ظَلمُوا الصَّيْحَةُ فأصْبَحوا في دِيَارِهِمْ جَاثِمين**﴾ [هود: ٦٧] أي: باركين ، والمراد: أنهم هامِدونَ صَرْعَى لا حَرَاكَ لهم.

وقال تعالى:﴿ **فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ مُصْبِحِين** ﴾ -أي : في وقت الصباح- **فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَاكَانُوا يَكْسِبُون**﴾ [الحجر :٨٣-٨٤] .

وهذه الصَّيْحة المدوية نتج عنها رجفة شديدة ، قال تعالى: ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فأصبَحوا في دَارِهِمْ جاثِمين**﴾ [الأعراف: ٧٨] والرَّجفة : الحركة والاضطراب الشديد ، أي: أهلَكَتْهُمْ الزَّلزَلَةُ الشديدة ، فكان إهلاكهم بهما: بالصَّيْحةِ من السماءِ التي زُلزِلَتْ بهَا الأرض من أسفل منهم ، وذَكَرَ الله سُبْحَانَهُ في كُلِّ موضعٍ من كتابه واحدةً منهما.

(١) أهلك الله قوم لوطٍ بثلاثة أنواعٍ من العذاب ، يكفي كلٌّ واحد لاستئصالهم وإهلاكهم : **بالصَّيْحة** وهي صوت شديد قاصف جاءَهُم عند شروق الشمس ، **وقَلْبِ قراهم** برفعها إلى عَنان السماء ، **والمطر** الَّذِي كان من طين مُسْتَحْجِر ، وكلُّ حجرٍ مُعلّمٌ بعلامة خاصة بصاحبها الَّذِي أُعِدَّتْ له ، فأهلكهم الله جميعاً ، وطهَّر الأرضَ من فسقهم ورِجْسهم .

قَالَ تَعَالَى في هلاكِ قومِ لوط: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أمرُنا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ** -أي : طينٍ مُتحجِّر شديدٍ صلب- **منضود** -مُتَتَابعٍ في النُّزول- **مُسَوَّمةً** -أي: معلَّمَةً- **عِنْدَ ربِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمينَ بِبَعِيدٍ**﴾ [هود: ٨٢-٨٣]. =

وآيةُ نار إبراهيم[1]،

= وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ -أي داخلين في وقتِ الشُّروق- فَجَعَلْنا عَالِيَها سَافِلَها وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٣-٧٤].

وقال عزَّ وجَلّ: ﴿والمؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ [النجم: ٥٣] أي: القُرى التي انقلبَتْ بأهلِها وهي قُرى قومِ لوط ، أسقَطَهَا إلى الأرضِ بعد أن رفعها إلى السماء.وهو عذابٌ يتناسب مع جرائمهم وشذوذهم ، والجزاءُ من جنس العمل ، لأنَّهُم قَلَبوا الفِطْرَة والقيم فناسب الله أن يقلب بيوتهم فجعل عاليهَا سَافِلَها ، عقاباً على كفرهم وعلى شذوذهم وإتيانهم الذُّكران من العالمين .

وقد أبقى الله سبحانه قرى قوم لوطٍ آيةً شاهدة على قدرته سبحانه ، فقال: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت :٣٥] . وقال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيةً لِلَّذِيْنَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيم ﴾ [الذاريات:٣٧]. فآثارهم في بحيرة لوط أو البحر الميت لاتزال باقيةً وماثلةً للعَيان ، والتي أصبحت نتيجة ماحَدَث فيها أخفض منطقة في العالم عن مستوى سطح البحر ، كما صارت منتنةً لايعيش فيها مخلوق مائيٌّ حيٌّ حتى الآن ؟.

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيم ۞ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِين﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠] .وقال سبحانه :﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدَاً فَجَعَلْنَاهُم الأَسْفَلِين ﴾ [الصافات :٩٨]. =

وعَجَائِبُ عَصَا موسى[1]،

= قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في " أضواء البيان " ٤:٥٨٨ :" وما ذكر الله جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة ، من أنَّه أمر النَّار بأمره الكوني القدريِّ أن تكون برداً وسلاماً على إبراهيم يدلُّ على أنَّه أنجاه من تلك النار؛ لأنَّ قوله تعالى : ﴿ **كُوني بَرْداً** ﴾ يدلُّ على سلامته من حرِّها ، وقوله:﴿**وسَلاماً** ﴾ يدلُّ على سلامته من شرِّ بردها الَّذي انقلبت الحرارة إليه . وإنْجاؤه إيَّاه منها الَّذي دلَّ عليه أمره الكوني القدري هنا جاء مصرَّحاً به في العنكبوت في قوله تعالى :﴿ **فَأَنْجَاهُ الله من النَّار** ﴾ . وعن أبي العالية : لو لم يقل الله : ﴿ **سَلَاماً** ﴾ لكان بردها أشدَّ من حرها . ولو لم يقل : ﴿ **عَلَى إبْرَاهِيم** ﴾ لكان بردها باقياً إلى الأبد " انتهى .

(١) ذَكَرَ سُبْحَانَهُ ثلاثَ معجزاتٍ لموسى أجراها الله تعالى بواسطة عصاه:

أولها: عندما اجتمع السحَرةُ وألقَوا عِصِيَّهُمْ وحِبالَهم ، قال تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُون**﴾ [الأعراف: ١١٧] أي : تبتَلِع وتلْقمُ بسرعةٍ ما يكذِبون ويُمَوِّهون.

ثانيها: لَمّا لحقه فرعون أمرَهُ الله تعالى أن يضرب بعصاهُ البحر ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**فأوْحَيْنا إلى مُوسى أن اضْرِب بِّعَصَاكَ البحْرَ فَانْفَلَقَ** -أي : انشَقَّ اثني عشر فرقاً- **فكان كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العظيم * وَأَزلَفْنا ثَمَّ الآخَرين** * -أي: قرَّبنا فرعَونَ وقومَه- **وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِين * ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرين * إنَّ في ذَلِكَ لآيَةً وما كَانَ أَكْثَرُهُم مُؤْمِنين**﴾ [الشعراء: ٦٣-٦٧] . =

وتسخير الرِّيح والشَّياطين وجميع الحيوانات لسليمان[1]، ومنه المَسْخُ قردةً وخنازيرَ حقيقةً للأجسام[2].

= **ثالثها**: عندما احتاج بنو إسرائيل في التِّيهِ إلى الماء، فأمرَهُ اللهُ أن يَضْربَ بعَصاه الحَجَر، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إلى مُوسَى إذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَن اضْرِب بِّعصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ** -أي: انفجرتْ- **مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾ [الأعراف: ١٦٠].

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿**ولِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْري بأمْرِهِ إلى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنا فيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيءٍ عَالِمين ۞ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلونَ لَهُ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وكُنا لَهُمْ حافظين**﴾ [الأنبياء: ٨١-٨٢].
وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**ولِسُليمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شهرٌ وَرَوَاحُها شهرٌ وَأَسَلْنا لَهُ عَينَ القِطْرِ** -وهو النحاسُ المذاب- **وَمِنَ الجنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدِيهِ بِإذْنِ رَبِّه وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنا نُذِقْهُ من عَذَابِ السَّعِيرِ..**﴾ [سبأ: ١٢].
وقال عَزَّ وجَلّ: ﴿**فسخَّرْنا له الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً** -أي: لَيِّنةً غير عاصفة- **حيثُ أصَابَ ۞ والشَّيَاطِينَ كُلَّ بنَّاءٍ وغوَّاص وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ** - أي: مقروناً بعضهم ببعضٍ بالأغلال والقيود- **في الأصْفَاد ۞ هَذَا عَطَاؤنا فامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بغَيْرِ حِسَاب**﴾ [ص: ٣٦-٣٨].
واقرأ الآيات ١٦-٤٤ من سورةِ النمل، وَمَا فيها من عظيمِ مُلكِ سليمان، وكثرةِ جنوده، وتسخير الطير والحيوانات والجنِّ له.

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْعَلِمْتُمُ الذّين اعْتَدَوا مِنْكُم في السَّبتِ فقلْنا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾ [البقرة: ٦٥] أي: مُبْعَدينَ عن رحمةِ الله مطرودين، =

وخلقُ عيسى بلا أبٍ[1]، وإبْراؤُهُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ

= والجمهور على أنهم مُسِخوا حقيقةً ، أي : أنَّ أجسامهم تحوَّلت من الصورة البشرية إلى صورة القردة بقدرة الله القادر على كلِّ شيء ، وعن مجاهدٍ: لم تُمسخ صورُهم ، ولكن مُسِخَتْ قلوبهم ، فلم تقبل وعظاً ولم تَعِ زَجْراً.

وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**فلَمَّا عَتَوا عَنْ مَا نُهُوا عنهُ قُلنَا لَهُمْ كونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦٦] .

وقال عَزَّ وجَلّ: ﴿**وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخَنَازِيرَ**﴾ [المائدة: ٦٠] ، قال المفسِّرون: صار الشبابُ قِردةً ، والشيوخُ خنازير ، فَمَكَثوا ثلاثةَ أيَّامٍ ثُمَّ هلكوا ، ولم يتوالَدوا.

قال القرطبي في " الجامع" ١:٤٤٠-٤٤٢ :" واختلف العلماء في الممسوخ هل يُنسل على قولين : قال قوم : يجوز أن تكون هذه القردة منهم ، واختاره القاضي أبوبكر بن العربي ، وقال الجمهور : الممسوخ لا يَنْسل ، وإنَّ القردة والخنازير وغيرها كانت قبل ذَلِكَ ، والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل ؛ لأَنَّهُ قد أصابهم السخط والعذاب ، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام . قلت : هذا هو الصحيح من القولين " انتهى .

(١) قَالَ تَعَالَى على لسان مريمَ عليها السَّلام عندما تَمثَّلَ لها جبريل بشراً سويّاً: ﴿**قالتْ : أنَّى يَكُونُ لي غلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بشَرٌ ولَمْ أكُ بغِيّاً ؟ قال: كذلكِ قالَ ربُّكِ هُوَ عَليَّ هيِّنٌ ولِنَجْعَلَهُ آيةً لِلنَّاسِ وَرَحمةً مِنَّا وَكَانَ أمْرَاً مَقْضِيّا**﴾ [مريم: ٢٠-٢٢] . =

وإحياؤُهُ الموتى بإذنِ اللهِ(١)، ورفعُهُ إلى السَّماءِ(٢).

= وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ: رَبِّ أنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَم يَمْسَسْنِي بشرٌ؟ قال: كذلكِ اللهُ يَخْلقُ مَا يَشَاء﴾ [آل عمران: ٤٧].

(١) قَالَ تَعَالَى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿أنّي قَدْ جِئْتُكُمْ بآيةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أنِّي أخلُقُ لَكُم منَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيرِ فَأنفُخُ فيه فَيَكُونُ طَيراً بإذْنِ الله وأُبرئُ الأكْمَهَ والأبْرصَ وأُحْيي الموتى بإذنِ اللهِ وأُنبِّئُكُمْ بِمَا تأكُلونَ وَمَا تدَّخِرونَ في بُيوتِكُم إنَّ في ذَلِكَ لآيةً لكُمْ إنْ كُنْتُم مؤمنين﴾ [آل عمران: ٤٩]، والأكْمَه: مَن وُلِدَ أعمى. والأبْرَصُ: هو الَّذِي به بَرَصٌ، وهو بياض يكون في جسم الإنسان، في مواضعَ متفرِّقة منه، بسبب علَّة أصابته.

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿إذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ ورافِعُكَ إليّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَّفَعَهُ الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إنِّي مُتوفِّيكَ﴾ أي: آخِذُكَ وافِياً بروحِكِ وجسمِك، ورافعُك إلَيَّ بروحك وجسمك، ولا يصِحُّ تفسير التوفيةِ هنا بالموت، لأنَّهُ يتنافى مع قوله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وإنْ مِنْ أهلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِه﴾ [النساء: ١٥٩] فلا يموتُ عيسى عليه السلام حتى يُؤمنَ جميعُ أهلِ الكتاب، حتى اليهود، وهذا أمرٌ لم يقع، ولكنه سوف يقعُ قبل قيامِ الساعة، حين ينزلُ إلى الأرض، كما دلَّت على ذَلِكَ الآياتُ القرآنية والأحاديثُ النبويَّة، والجمهورُ على أنه رُفِعَ حَيّاً من غيرِ موتٍ ولا غَفْوةٍ، بجسدِهِ وروحِهِ إلى السماء، وهو حَيٌّ الآن في السَّماء الثانية، وكما كان عليه السلام في مبدأ خلقه آيةً للناسِ ومعجزةً ظاهرةً، كان في نهايةِ أمره آيةً =

وقصَّةُ أصْحَاب الكهف[1]، وخَلْقُ آدمَ بِلا أَبوَينِ[2]، والإسْـراءُ المحمَّديُّ[3]، ومعراجُهُ إِلى السَّموات[4]

= ومعجزةً باهرة ، والمعجزاتُ بأسْرِها فـوقَ قُـدرةِ البشـر ومـدارك العقـول ، وهي من متعلِّقاتِ القدرةِ الإلهية ، ومن الأدِلَّـةِ علـى صِـدقِ الرُّسُـلِ عليهـم السلام.

(١) كما في قوله عزَّ وجل في سـورة الكهـف: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقيمِ كَانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾ [الآية: ٩] إلى قوله تعالى: ﴿ولَبِثوا في كَهْفِهِـمْ ثَلاثَ مِئةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً﴾ [الآية: ٢٥] .

(٢) تقدَّم تفصيل خلق آدم عليه السَّلام ومراحله ص ٢١٧-٢١٨.

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أسْرَى بِعَبدِهِ لَيلاً مِنَ المسْـجدِ الحَـرَامِ إلى المسْـجدِ الأقْصَـى الَّـذِي بَارَكْنـا حَولَـه لِنُرِيَـهُ مِـن آياتِنَـا إِنَّـهُ هُـوَ السَّـميعُ البَصِـير﴾ [الإسراء:١]

(٤) قَالَ تَعَالَى: ﴿والنَّجْمِ إذَا هَوَى ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكَمْ وَمَا غَوى ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى ۞ إنْ هُوَ إلاَّ وَحيٌ يُوحَى ۞ عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى -وهو جبريل عليه السلام- ۞ ذُو مِرَّةٍ -أي: ذو حصافةٍ أو ذو منظرٍ حسن- فَاسْتَوَى -أي: فاستقامَ وظَهَرَ في صورته الملائكية- ۞ وَهُوَ بالأُفُقِ الأعلى ۞ ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى -أي: قَرُب جبريل من النبيِّ ﷺ- ۞ فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أدْنى ۞ فأوْحَى إلى عَبْـدِهِ مَـا أَوْحَـى ۞ مَـا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأى ۞ أفَتُمارُونَهُ على مَـا يَـرَى ۞ وَلَقَـدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخـرَى ۞ عِنْدَ سِدْرةِ المُنْتهَى ۞ عِنْدَها جَنَّةُ المَأوى ۞ إذْ يَغْشَـى السِّـدْرَةَ مَـا يَغْشَـى ۞ مَـا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ ربِّه الكُبْرَى﴾ [النجم:١-١٨] .=

بجسده يقظةً[1] ورجوعه في ليلةٍ واحدة .

= فآيةُ سورةِ الإسراء تثبتُ الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنَصٍّ قوله تعالى: ﴿**أسْرَى بعبده**﴾ وتثبتُ المعراج إلى السَّمواتِ السبع ، إلى سِدْرةِ المنتهى ، بإشارةِ قوله تعالى: ﴿**لِنُرِيَهُ من آياتِنا**﴾ ، وهذه الآيات التي أراها الله سُبْحَانَهُ لرسوله ﷺ جاء ذِكرُها في مَطْلعِ سورةِ النجم الَّتِي جاء فيها النَّصُّ على المعراج الجسْماني في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِندَ سِدْرَةِ المنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ المأْوَى**﴾ فهذه الآية صريحةٌ في أنه ﷺ عُرجَ بهِ إلى العالم العُلْوِي ، وأنه رأى جبريلَ عليه السلام بالحقيقةِ الجبريليَّة ، وسِدْرة المنتهى هي فوق السَّموات السبع ، بدليلِ قوله تعالى: ﴿**عندَها جنَّةُ المأْوَى**﴾ ، ولا شكَّ أَنَّ جنَّةَ المأوى هي فوق السَّموات ، وسقْفُها عرشُ الرحمن كما في الأحاديث الصحيحة ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**لَقَدْ رَأَى من آياتِ ربِّه الكُبْرى**﴾ ، وهذه الآيات هي الَّتِي جاءَ ذِكرُها في سورةِ الإسراء: ﴿**لِنُرِيَهُ من آياتِنا**﴾ ، ففاتحة سورةِ النجم صريحةٌ في إثباتِ المعراج، كما أَنَّ فاتحة سورة الإسراء صريحةٌ في إثبات الإسراء ومشيرةٌ إلى إثبات المعراج.

(١) قال الإمام الطبري في " تهذيب الآثار " ٢:٨٤-٨٧ في الرد على من زعم أنَّ الإسراء رؤيا نوم لا رؤيا يقظة أو أنه بالروح دون الجسم :" فقول ظاهر الكتاب على خلافه دالٌّ ، والتنزيل على فساده شاهدٌ ، والأخبار عن رسول الله ﷺ بغيره متظاهرةٌ ، والروايات ببطوله واردةٌ ، فأمَّا دليل ظاهر كتاب الله على خلافه ، فقوله : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً** =

= ﴿مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المَسْجِدِ الأقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾. فأخبر تبارك وتعالى أنَّه أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مُعلِماً بذلك خلقه قدرتَه على ما فعل به ، ممَّا لا سبيل لأحدٍ من خلقه إلى مثله إلاَّ لمن مكَّنه من ذَلِكَ مثلَ الَّذي مكَّن منه نبيَّه محمداً ﷺ ، ودالاً بذلك مِنْ فعلِهِ به على صدقه وحقيقة نبوَّته ؛ إذ كان ذَلِكَ من المعجزات التي لايقدر من البشر عليه أحد إلاَّ من خصَّه الله بمثل ماخصَّه به، ولو كان ذَلِكَ رؤيا نوم لم يكن في ذَلِكَ على حقيقة نبوَّة رسول الله دلالة ، ولا على من احتجَّ عليه به من مشركي قوم رسول الله لرسوله حجَّة ، ولا كان لإنكار من أنكر من المشركين مَسْراه من مكة إلى المسجد الأقصى ورجوعه إليها في ليلة واحدةٍ وجهٌ معقول ؛ إذ كان معقولاً عند كلِّ ذي فطرة صحيحة أنَّ الإنسان قد يرى في منامه في السَّاعة ما على مسيرة سنة من موضع منامه من البلاد أو أكثر ، وإنه يقضي هنالك أوطاراً وحاجات . وفي تظاهر الأخبار عن مشركي قوم رسول الله ﷺ بإنكارهم ما أخبرهم به رسول الله ﷺ من مَسْراه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى أوضَح البرهان وأبيَن البيان ، إنَّ ذَلِكَ كان منهم لإخبار رسول الله ﷺ إيَّاهم من الخبر بما كان ممتنعاً عندهم فعله على مَنْ كان بمثل خِلْقَتِهم وبُنْيتِهم من جميع البشر ، فأمَّا ما كان جائزاً وجودُهُ وممكناً كونه من كلِّ من كان بمثل هيئتهم ومفطوراً مثل فطرتهم ، فغيرُ جائزٍ منه التكذيب به ، ومستحيل من رسول ربِّ العالمين أن يكون احتجَّ عليهم به ، ولا شكَّ أنَّ النَّائم قد يرى في نومه ممَّا هو أبعد من مسافة ما بين مكة و بيت المقدس ، وأنه يعاني به =

= أموراً ويقضي به أوطاراً ، والأنبياء صلوات عليهم لا تحتجُّ على مَنْ أُرسلت إليه لصدقها فيما ينكره المرسلون إليهم من نبوتها إلاّ بما يعجز عن مثله جميعُ البشر .

وأما الأخبار عن رسول الله ﷺ فمتظاهرةٌ بأنّه قال :" **أتاني جبريلُ بالبراق فحملني عليه ، فَسَارَ بي حتّى أتينا بيتَ المقْدس** " ، ولا شكَّ أنَّ الأرواحَ لا تُحمَل على الدوابِّ ، وإنّما تُحمل على الأجسام ذواتِ الأرواح وغير ذوات الأرواح .

وفي إخباره ﷺ أنه حُمِل على البراق الإبانة عن خطأ من قال : إنَّ خبر الله تعالى ذِكرُهُ عن نبيِّه ﷺ أنه أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إنّما هو خبرٌ منه عن أنّه أُسري بروحه دون جسمه مع أنَّ في خبر شَدَّاد بن أوس ، عن أبي بكر الصديق ﷺ أنّه قال لرسول الله ﷺ صبيحة أسري به : " طَلَبْتُكَ يارسول الله البارحة في مظانِّك - أي المواضع التي يظنُّ أنَّه يكون فيها - فلم أصِبْكَ ". وإجابة رسول الله ﷺ إياه بأنَّ جبريل حمله في تلك الليلة إلى بيتِ المقدس ، البيانَ الواضح أنّه سار بنفسه تلك الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والإبانة عن خطأ قول من قال : إنّما كان ذَلِكَ رؤيا منام ، وبنحو الّذِي قلنا في ذَلِكَ تتابعت الأخبار عن عامَّة السَّلف " انتهى .

وممّا يدلُّ على أنَّ الإسراءَ والمعراج بالجسمِ والرُّوح معاً ، يقظةً لا مناماً ، قوله تعالى: ﴿**أَسرَى بِعَبْدِهِ**﴾ أي: بجسمِهِ وروحِهِ ؛ إذ أَنَّ اسمَ العبدِ لا يُطْلَقُ على الرُّوح بدون جسم. =

وكانشقاق القمر له[1]، وغير ذلك مما بعضُهُ لا تَقْتَضِيهِ الطبيعة أصلاً ، وبعضُهُ يقع مثله بالطبيعة نادراً ، ولا يبلغ درجةَ ما يقع معجزة .

✿✿✿

= كما أنَّ قوله تعالى: ﴿من المَسْجِدِ الحرام إلى المسْجدِ الأَقصَى﴾ يدلُّ على الإسراء بالجسم ، وذلك لأنَّ تحديدَ المسافات الحسِّيَّة الأرضية هو من شأنِ الأجسام ، أما الأرواح فلا تحدُّها المسافات ، ولا تقيِّدُها الأماكن المحسوسات ، ولَمَّا كانت معجزةُ الإسراء بالجسم ، ومَا فيها من خوارق العادات وعجائب الأمور ، بدأ الله تعالى الآية بالتسبيح الدالِّ على كمالِ قدرته ، ونزاهته أن يعجزه شيءٌ، فقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ ؛ لأنَّ الإسراء والمعراج معجزة خارقة للعادة البشريَّة .(شهادة لاإله إلاَّ الله محمد رسول الله ، للشيخ عبدالله سراج الدين ، ص١١٣-١١٧) .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ * وإن يَّرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويَقولوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرّ﴾ ، وهذا الانشقاق للقمر هو ما حَصَلَ للنَّبيِّ ﷺ ، كما هو ثابتٌ بالأحاديثِ المتواترةِ الصحيحة .

روى البخاري في صحيحه (٣٦٣٧) و (٣٨٦٨) و (٤٨٦٧) عن أنس بن مالك ﷺ :**"أنَّ أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ آية فأراهم انشقاقَ القمر"**.

(فَصْل)

لا نجهل ولا ننكر أَنَّ طبيعةَ البشَر وذَوي الأرواحِ الأرضِيَّة إذا ارتفعت خارقةً لِكُرَةِ الهَواء لَهَا حَدٌّ محدودٌ لا تتعيَّشُ فوقه عادة[1] ، لكنَّ مشيئةَ الله وقدرتَه تنقُضُ حُكْمَ الطبيعة في ذلك الأمر ، ﴿**والله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون**﴾[2]، وهذا أصْلٌ عامٌّ من ضروريَّات الإيمان واليقين[3] .

---

(١) وقد أشارَ القرآن إلى هذه الحقيقة العلمية ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ في السَّمَاء**﴾ [الأنعام :١٢٥]. فقد أثبت علم الطيران الحديث أنَّ صعود الإنسان من سطحِ الأرض إلى الطبقات العليا في السماء تُحدِثُ له أعراضاً تتدرَّج من الشُّعور بالضيق الَّذِي يترَكَّز في منطقة الصدر كما ذُكر في الآية الكريمة ، ثمَّ إذا استمرَّ الإنسان في الارتفاع في السماء انخفض الضغط الجوي ونقص الأوكسجين، و يفقد الإنسان فيها الوعي بسبب فشل الجهاز العصبي ، وهي المرحلةُ الحرجة التي ذكرها الله تعالى . وانظر حول هذه الحقيقة العلمية : رسالة "الإنسان في الارتفاعات العالية بين العلم الحديث والإعجاز العلمي في القرآن " للدكتور صلاح الدين المغربي .

(٢) من سورة يوسف ، الآية: ٢١.

(٣) انظر ما تقدَّم ص٢٢٣-٢٢٤.

س٢٧- ما القولُ فيمن قال: إنَّ تلكَ المعجزات وقعت بوجْهٍ طبيعي غير معروفٍ لا بخرقِ العادة؟

جَرَيانُ الطبيعةِ بذلك كيف يَتَّفِقُ دائماً مع غضبِ الله على المُهْلَكِين مثلاً ، وَرِضَاهُ عن النَّاجين[1] ، فإذا كان مَجْرى

---

(١) لأنَّ سُنَّةَ الله تعالى جرت بالهلاك والاستئصال في كُلِّ أمَّةٍ أتاها نبيُّها بآيةٍ عامَّةٍ يدركُها الحسُّ فلم يؤمنوا بها ، كما وقع لقومِ نوحٍ -عليه السلام- وغيرهم من الأمم المكذِّبة لآياتِ ومعجزاتِ رسُلِها ، قَالَ تَعَالَى -بشأن قوم نوح-: ﴿**فكذَّبوهُ فأنْجَيْنَاهُ والَّذينَ مَعَه في الفُلْكِ وأغرقْنا الذينَ كذَّبُوا بآياتِنا إنَّهم كَانُوا قوماً عَمين**﴾ [الأعراف: ٦٤] .

وقَالَ سُبْحَانَهُ بشأن عادٍ قوم هود: ﴿**فأنْجَيْنَاهُ وَالَّذينَ مَعَهُ برَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابرَ الَّذين كَذَّبوا بآياتِنا وَمَا كَانُوا مُؤمِنِين**﴾ [الأعراف: ٧٢] .

وقَالَ سُبْحَانَهُ بشأن ثمود قوم صالح: ﴿**فأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا في دَارِهِمْ جَاثِمين**﴾ [الأعراف: ٧٨] .

روى الإمام أحمد في المسند ١ :٢٥٨ ، والنسائي في التفسير ١ :٦٥٥ (٣١٠) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: "سألَ أهلُ مكةَ النبيَّ ﷺ أن يجعل لَهُمُ الصَّفَا ذهَباً ، وأن يُنَحِّيَ الجبال عنهم فَيَزْدَرِعُوا - أي : يَحرثوا ويزرعوا - ، فقيل له: إنْ شِئْتَ أَنْ تستأنيَ بهم - أي:تنتظر - ، وإنْ شئتَ أن نُؤْتِيَهُم الَّذِي سَأَلوا ، فإن كفروا أُهلِكوا كَمَا أَهْلَكْتُ مَنْ كان قَبْلَهُمْ ، قالَ:" **لا، بل أستأني بهم** " ، فأنزل الله عَزَّ وجَلّ هذه الآية: ﴿**وَمَا مَنَعَنا أَن نُرْسِلَ بالآياتِ إلاَّ أن كذَّبَ بها الأوَّلونَ وآتينا ثمودَ الناقةَ مُبْصِرَةً**﴾ =

العادة مستمرّاً في سبيله بلا تَخَلُّفٍ ، فَأيُّ حاجةٍ بغضبهِ تعالى ورضاه ؛ إذْ لا تأثير له على زعمهم .

= [الإسراء: ٥٩] . أي : دالة على وحدانية من خلقها ، وصِدْقِ الرسول الّذِي أجيب دعاؤه فيها . ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ أي : كفروا بِهَا ، ومنعوها شُرْبَهَا ، وقتلوها فأبادهم الله عن آخرهم ، وانتقم منهم ، وأخَذَهم أخذَ عزيز مُقْتَدر.

قَالَ الإمام الخطابيُّ في "أعلام الحديث" ٣: ١٦٢٠ : "وَخَصَّ هذه الأمَّة بالرحمة فجعل آيَةَ نَبِيِّهَا الّتِي دعاهم إليها وتحدَّاهم بها عقليَّة ، وذلك لِما أُوتوه من فضْلِ العقول وزيادةِ الأفهام ، ولئلا يهلكوا فيكون سبيلهم سبيلَ من هَلَكَ من سائر الأمم المسخوطِ عليهم ، المقْطوع دابرهم ، فلم يبقَ لَهُمْ عينٌ ولا أثر ، والحمدُ لله على لُطفِهِ بنا ، وحُسْن نظرهِ إلينا ، وَصَلَى الله على نبيِّهِ المُصْطفى وعلى آله وسلم كثيراً" ، انتهى .

وقال العلامة الصَّاوي في "حاشيته على تفسير الجلالين " ٢:٢٥٦ :"إن قلت :لِمَ لَمْ يُجب الله نبيَّه بعين ماطلبوا كما أجاب صالحاً في الناقة ، مع علمه بأنهم لايؤمنون ؟ أُجيبُ : بأنّه قد جَرَت عادةُ الله في عباده الكفّار أنَّهُم متى طَلَبوا شيئاً من المعجزات ، وعاهدوا نبيَّهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنّه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم ، وقد أراد الله إبقاء هذه الأمَّة المحمديَّة ، وعدم استئْصالها إكراماً لنبيِّها ، فلم تحصل الإجابة بعين ماطَلبوا ، رحمةً بهم ، وإكراماً لنبيِّهم " انتهى .

ومعنى هَذَا القول: هــو نسـبة العجـز للقُـدْرة الإلهيَّـة ، وَعَـزْلُ الخالق عن التَّصَرُّف في مخلوقاتِهِ ، وهو انْسِلاخٌ من الدِّيـن بـلا شَكٍّ . فَقُدْرتُهُ تعالى لا يُوجبُها سَبَبٌ ، ولا يرفعُها سَبَبٌ ، مَـا شَاءَ اللهُ كان ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يكن .



(فَصْل)

ولو شاءَ اللهُ أن يَجْعَلَ الزمانَ كلَّه نهاراً مُضيئاً أو كُلَّهُ ليلاً مظلِماً لَفَعَل ، ولذلك شَرَعَ عند كُسوفِ الشَّمْس : الفزعُ إلى الصَّلاة والاستغفار خوفاً من غَضَبِ الجبار جَلَّ جلاله[1] ، فيخرق حساب انجلائها المعروف ، فيستمرَّ الظلام عقوبةً إن لم يرحَمْ عبادَهُ ، ولا يَعْجِزُ عن ذَلِكَ.

---

(١) فَإِنَّ الله جل جلاله وحده هو الفاعل لِما يشاء ، ولكنه يعقد أسباباً للعذاب ، كما يعقدُ أسباباً للرحمة ، فأسبابُ العذابِ يخوِّفُ الله بها عباده ليتوبوا ويتضرَّعوا إليه ، مثل كسوفِ الشَّمس وخسوف القمر ، فإنَّهُما آيتانِ من آياتِ الله يخوِّفُ الله بهما عباده . روى البخاري (١٠٤٤) ومسلمٌ (٩٠١) عن عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **"إنَّ الشمسَ والقمرَ آيتانِ من آياتِ الله ، لا ينخسِفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِهِ ، فإذا رأيتم ذَلِكَ فادْعوا الله وكبِّروا ، وَصَلُّوا ، وَتَصَدَّقوا".**

وروى البخاري (١٠٥٩) ومسلم (٩١٢) عن أبي موسى ﷺ قال: خسفت الشمسُ ، فقام النبي ﷺ فزِعاً ، يخشى أن تكونَ الساعة ، فأتى المسجدَ ، فصلَّى بأطوَلِ قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ ، ما رأيتُهُ قط يفعله ، وقال: **"هذه الآياتُ التي يُرسلُ الله عَزَّ وَجَلّ لا تكون لموتِ أحدٍ ولا لحياته ، ولكن يخوِّفُ الله بِهَا عباده ، فإذا رأيتم شيئاً من ذَلِكَ فافزَعوا إلى ذِكرِ الله ودُعائِهِ واستغفارِهِ".**

ففي الآيـة الكريمـة: ﴿قُـل أرَأَيتُـم[1] إن جَعَـلَ اللهُ عليكـم الليْـلَ سَرْمَداً[2] إلى يَوْمِ القِيَامةِ مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكمْ بضِيـاءِ أفـلا تَسْـمَعُون۝ قُل أرَأيْتُمْ إن جَعَلَ اللهُ عليكم النَّهارَ سَرْمَداً إلى يَوْمِ القِيَامةِ مَن إلهٌ غَيرُ اللهِ يأتيكُمْ بلَيْلٍ تَسكُنونَ فيه أَفَلا تُبْصِـرون۝ ومِـن رَّحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُـمُ اللَّيْـلَ والنَّهَـارَ لِتَسْـكُنُوا فيـهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِـنْ فَضْلِـهِ[3] وَلَعلَّكُـمْ تَشْكُرون﴾[4].

فلـو فُـرِضَ أَنَّ قـائلاً قـال في مقابلـة الآيـة: يأتينـا بالضِّيـاءِ والليـلِ القانونُ الطبيعيُّ الَّذِي لا يَتَخَلَّف ، يعني اختــلاف الحركـة في التقـابل بـينَ الأرضِ والشمس ، فكأنَّهُ قال: لنا إلهٌ يأتينا بِهِ ، وليس وَرَاءَ ذلك دين ! .

❁❁❁

---

(١) أي: أخبروني ، وفي هـذه الآيـة واللتـين بعدَهـا دلائـلُ علـى كمـالِ القـدرةِ الإلهية ، موجبةٌ لتوحيده سُبْحَانَهُ في العبادة.

(٢) سَرْمَداً: أي دائماً لا ينقطع ، من السَّرْدِ وهو المتابعة ، والميم مزيـدةٌ ، ووزنـه فعْمَلْ (تفسير النَّسَفي ٣: ٤١١).

(٣) أي : جَعَلَ الليل والنَّهـار يتعاقَبـان بالظُّلمَـةِ والضيـاء ؛ لتسـكُنوا في الليـل ، وتبْتغوا من فَضْل الله في النهار ، فيكون من باب اللفِّ والنَّشْرِ المرتَّب.

(٤) من سورةِ القصص ، الآية: ٧١-٧٣.

(فَصْل)

وبقدرتِهِ تعالى قال للسَّماواتِ والأرضِ: ﴿ائتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتا أَتَيْنَا طَائِعِين﴾[1].

فالمخلوقاتُ كُلُّهَا مُذْعِنةٌ لسَطْوةِ الأُلوهيَّة إلاَّ مَن أَبَى واسْتَكْبَر من الجِنِّ والإِنْس .

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدان﴾[2] ﴿يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِه﴾[3]

---

(١) من سورة فُصِّلت، الآية: ١١. ومعنى الآية : أتيناك طائعين لأمرك على الوجه الَّذي تختاره لنا ، من الشكل والوصف ، والعدد ، والمساحة ، والطبيعة ، والكيفيَّة ، والكميَّة ، طائعين لأوامرك التي تُحمِّلنا إيَّاها ، وتريد منّا تنفيذها .

(٢) من سُورَة الرحمن ،الآية: ٦. والنَّجمُ هنا: النبات الَّذي يَنْجُم ، أي يظهر ويطلعُ من الأرضِ ولا ساقَ له ، والشجر: النباتُ الَّذي له ساقٌ ، وسجودهما: انقيادُهما لله تعالى فيما خُلِقا له ، كانقيادِ السَّاجد لخالقه.

(٣) من سُورَة الرعد ، الآية: ١٣. فالرعدُ يسبِّحُ بحمدِ الله ، وينزِّه الله تعالى عن كُلِّ نقصٍ ، فكلُّ الظواهر والقُوى غير العاقلة في هذا الكونِ تسبِّح الله تعالى ﴿ **يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بحمْدِهِ** ﴾ ، والقوى العاقلة من الملائكة والإنسِ والجِنِّ تسبِّحُ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**والملائكةُ من خِيفَتِهِ**﴾ أي: خشيةً وهيبةً =

﴿وإن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُم﴾(1)

= وإجلالاً ، كما قال تعالى: **﴿يُسَبِّحونَ الليلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرون﴾** [الأنبياء:٢٠] .

(١) من سُورَة الإسراء ، الآية: ٤٤. فالعوالِمُ كُلُّهَا بأصنافِها تعرف خالِقَها وتسبِّحُه ، وتحمده ، وتسجد له حقيقةً على كيفيَّةٍ مناسبةٍ لخلقِها ، وهذه الآية الكريمة: **﴿تسبِّحُ له السَّمواتُ السَّبْعُ والأرضُ ومن فيهِنَّ وإن مِّن شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحمدِهِ وَلكِنْ لا تفقَهونَ تَسْبيحَهُم إنّه كانَ حَليماً غفوراً﴾** تُخبرُ عن تسبيحِ الأشياء وحمدها على وجه الحقيقة -أي: تسبِّح بحمده وتنزِّهه عما لا يليق به ، وتحمده وتصفه بالكمالات اللائقة به- عن نطقٍ صادرٍ عنها ، وليس ذَلِكَ من بابِ المجاز ، أو من بابِ دلالةِ الحال دون المقال ، فلو لم يكن تسبيحُ الأشياء حقيقِيّاً واعتقاداً وقولاً لَما احتاجَ الأمرُ إلى الاستدراك في قوله سُبْحَانَهُ: **﴿ولكن لا تفقَهونَ تسْبيحَهُمْ﴾** ؛ فالآيةُ دليلٌ صريحٌ على أَنَّ هذا التسبيح هو حقيقةٌ ، صادرٌ عن نطقٍ ، لا يفهمه إلاَّ مَنْ فهَّمه الله تعالى ، كما أخبر تعالى عن سليمان ﷺ.

ومما يدلُّ على أَنَّ تسبيحَ الأشياء وتحميدها هو حقيقةٌ واقعةٌ ، وليس من بابِ الاستدلال ودلالةِ الحال ، قوله تعالى فيما أكرمَ به عبده داود ﷺ: **﴿إنَّا سَخَّرْنا الجِبالَ معه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإشْراق﴾** [ص:١٨] ؛ فكانت الجبال تسبِّحُ معه في العَشِيِّ والإشراق ، فلو كان ذَلِكَ من بابِ دلالةِ الحال ، لَما اختصَّت في هذين الوقْتين ، وكذلك قوله تعالى: =

= **﴿يا جِبالُ أوِّبي مَعَه﴾** [سبأ: ١٠] أي: ردِّدي التسبيح النُّطْقِيَّ ، فهي تسبِّح الله تعالى مع داود تسبيحاً خاصّاً ، وإن كانت الجبال وجميع بِقاعِ الأرض في كُلِّ الأوقات تسبّح الله تعالى وتذكره.

وَمِمَّا يدلُّ على معرفةِ الأشياء بخالِقِها وتسبيحها له حقيقة قوله سُبْحَانَهُ: **﴿سَبَّحَ للهِ مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا في الأرضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾** [الصف:١] ، وقوله تعالى: **﴿يُسبِّحُ للهِ مَا في السَّموَاتِ وَمَا في الأرضِ الملِكِ القدُّوسِ العزيزِ الحكيم﴾** [الجمعة:١] ، فالعموم المفهوم من قوله تعالى: **﴿ما﴾** يعمُّ جميعَ الكائنات ، فكلُّها تسبِّح الله حقيقةً ، وانظر كتاب العلاّمة المفسِّر الشيخ عبدالله سراج الدين -حفظه الله- "هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان " ص٣٢٨-٣٣٣.

قال الإمام السبكي في "الطبقات" ٨:٩٤-٩٥ : " وذهب قومٌ إلى أنَّ كلَّ شيءٍ من جمادٍ وغيره يسبِّح الله بلسان المقال ، وهذا هو الأرجح عندنا ؛ لأنَّهُ لا استحالة فيه ويدل له كثير من النقول . وفي صحيح البخاري أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يُؤْكل عند النبي ﷺ ، وفي صحيح مسلم ٤:١٧٨٢ (٢٢٧٧) أنّ رسول الله ﷺ قال :" **إني لأعرفُ حَجَراً بمكة كان يسلّم عليّ قبل أن أُبعث** " . وخبر الجذع في هذا الباب مشهور .

إلى غير ذَلِكَ من أخبارٍ وآيات تشهد لمن يحمل قوله تعالى :**﴿ وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ﴾** [الإسراء :٤٤] على عُمومه . غير أنّا نقول : لانسلِّم من تسبيحها بلسان المقال أنّا نسمعها ، وإنّما يكون ذَلِكَ على سبيل =

= المعجزة ، كما كانوا يسمعون تسبيحَ الطعام عند المُصْطفى ﷺ ، أو على وجْه الكرامة " انتهى ملخصاً .

وقال الإمام ابن رجب في " فتح الباري " ٥:٢٢٧ : "وخرج الإمام أحمد (٤:٢٨٤) والنسائي (٢:١٣) عن البراء بن عازب أنَّ النَّبي ﷺ قال : **"المؤذِّن يُغْفَر له مدَّ صوته ، ويصدِّقه مَنْ سمعَهُ من رَطْبٍ ويابس ، وله مثلُ أجر من صلَّى معه "**. وقوله :" **كل رَطْب ويابس** " يدلُّ على أنَّ الجمادات سواء كانت رطبةً أو يابسةً ، فإنَّ لهما سماعاً في الدنيا وشهادةً في الآخرة ، ومنها : إدراك الجمادات ونطقها ، وقد أثبت ذَلِكَ جمهور السلف سواء كانت رطبة أو يابسة كما دلَّ عليه قوله : ﴿ **ياجِبَالُ أوبِّي مَعَهُ** ﴾ [سبأ:١٠] ، وقوله : ﴿ **وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الإسراء:٤٤]. وخصَّ الحسنُ التسبيحَ بما كان رطْباً قبل أن يَيْبَسَ ، والجمهورُ على خلافِهِ ، وأمَّا من قال : تسبيحُها دلالاتها على صانعها بلسان الحال ، فقولٌ ضعيفٌ جداً ، والأدلَّة الكثيرة تُبْطله " انتهى . وانظر أيضاً :" فتح الباري " لابن رجب ٤:٢٤٤-٢٤٥.

(١) من سُورَةِ البقرة ، الآية: ٧٤. وهذه الآية الكريمة تدلُّ على أَنَّ الجمادات تعرف ربَّها ، وتسجدُ له ، وتخشاه ، والخشيةُ إنما تكونُ عن علمٍ بعظَمَةِ الَّذي يُخْشَى منه ، كما قال الله تعالى: **﴿لَوْ أَنْزَلْنا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾** [الحشر: ٢١] . =

﴿والشَّمْسَ والقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾[1]

والطيرُ في الجوِّ ما يُمسكهن إلاَّ اللهُ[2] كما ويُمْسِكُ السماء أن

= ومن ذَلِكَ قوله سُبْحَانَهُ: **﴿تكَادُ السَّموَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً أن دَعَوْا للرَّحمنِ وَلَداً * وَمَايَنْبَغِي للرَّحْمَنِ أن يتَّخِذَ ولداً﴾** [مريم:٩٠-٩٢] ، فأخبر سُبْحَانَهُ عن تغيُّظِ السمواتِ والأرضِ والجبال ، وعن شدَّةِ غضبِها مِمَّن نَسَبَ إلى الله تعالى ما لا يليقُ بكمالِ ربوبيَّتِهِ.

(١) من سورةِ الأعراف ، الآية: ٥٤ ، والمراد بتسخيرهن: تذليلهن لِما يُرادُ منهنَّ من طلوعٍ وغروب ، وَسَيْرٍ ورجوع ، إذ لسن قادِراتٍ بأنفُسِهِنَّ ، وإنما هُنَّ يتصرَّفْنَ في متصرفاتهنَّ ، بإرادةِ المدبِّرِ لَهُنَّ الحكيم في تدبيرِهِنَّ وتصريفِهِنَّ على ما أراد منْهُنَّ ، وإنما أَفْرد الشمسَ والقمرَ من النجوم بالذِّكْرِ ، ثُمَّ عَطَفَ عليهما ذِكر النجوم لبيانِ شرفهما على سائرِ الكواكب لِما فيهما من الإشراق والنُّور ، وسيرِهِما في المنازِلِ لِتُعْرَف الأوقات . (تفسير الخازن ٢: ٩٥-٩٦).

(٢) قال سُبْحَانَهُ: **﴿أَلَمْ يَرَوا إلى الطَّيرِ مُسَخَّراتٍ في جَوِّ السَّماءِ مَا يُمسِكُهُنَّ إلاَّ اللهُ﴾** [النحل: ٧٩] وقال تعالى : **﴿ أَوَ لَمْ يَروْا إلى الطَّيْرِ فَوْقَهُم صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إلاَّ الرَّحْمَنُ إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ بَصِير ﴾** [الملك: ١٩] فهو سُبْحَانَهُ الَّذِي أعطى تلك الأجسام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجوِّ ، والحركة السَّريعة ، فجَعَلَ لها أجنحةً تنقلها ، وأذناباً خفيفة تُعدِّل بِها حركاتها ، وهو سُبْحَانَهُ هداها إلى استعمال أجنحتها =

تقعَ على الأرضِ إلاّ بإذنه[1] .

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ﴾ [2] ، وهو الَّذِي يُرسِلُ الرياح لواقحَ فتُثِيرُ سحاباً[3] ، هو الَّذِي يخلُقُ المطرَ ويُنزله ، وينبتُ النبات[4] ، ولو لم يَشأ لم تنزل قطرةٌ .

= بالقبض تارةً ، والبَسْطِ تارةً أخرى ، والتحرُّك يميناً وشمالاً ، وعُلُوّاً وانخفاضاً ، وفي ذَلِكَ حجةٌ ظاهرة على قدرةِ الخلاّق العليم.

(١) قال سُبحانَهُ: ﴿ويُمْسِكُ السَّماءَ أن تقعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بإذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥] .

وقالَ تَعالَى: ﴿إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أن تزُولاَ ولَئِنْ زَالَتَا إنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أحَدٍ مِنْ بَعدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

(٢) من سورةِ يونس ، الآية: ٢٢.

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأسْقَيْناكُمُوهُ﴾ [الحجر:٢٢] .

(٤) قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ ۞ والنَّخلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۞ رِزْقاً لِلعِبَادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الخُرُوجُ ﴾[ق :٩-١١] فهو سبحانه الَّذِي أنبت الزَّرعَ ، ولكن بسبب الماء الَّذي جعله سبحانه سبباً ﴿ فَأَنْبَتْنَا بِهِ ﴾ ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ فهو سبحانه المحيي وحده، كما قال سبحانه:﴿اعْلَمُوا أنَّ اللهَ =

أو ينزل الماء ولا يَنْبُتُ نَباتٌ،[1] هُوَ الَّذي يخْلُقُ الزَّلزلةَ والصَّاعقةَ بِسبَبٍ أو بلا سَبب ، ويُسَلِّطُها على مَنْ يشاء وَيَصْرِفُها عَمَّن يشاء[2] بِسَببٍ أو بلا سَبَب[3] .

= ﴿ يُحيي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد :١٧] ، ولكن جعل الماء سبباً في الحياة، فلا تُنْكَرُ الأسباب ، فإنَّ الَّذي جعلها أسباباً هو الله تعالى ربُّ الأرباب .

(١) قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا تَحْرُثُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٣-٦٥] . وقال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبونَ ۞ ءَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨-٧٠].وقال عزوجل : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ [الملك :٣٠] . وقال سبحانه : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾ [الكهف : ٤١] .

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا من يَّشَاءُ﴾ [الرعد:١٣] . وقال سبحانه : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ منْ جِبَالٍ فيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بهِ مَنْ يَشَاءُ ويَصْرِفُهُ عَنْ مَن يَّشَاءُ﴾ [النور:٤٣] .

(٣) اقْتَضَتْ حكمتُه سبحانه مع كمال علمه وقدرته وتمام مشيئته أن يدبِّر أمر المكوَّنات بأسباب ومسبَّبات ، وأن يكون بينهما ارتباط بتقديره ومشيئته أيضاً ، مع العلم أنه تعالى قادرٌ على الخلق والتدبير من غير تقدُّم أسباب: =

= ﴿ إنَّمَا أَمْرُهُ إذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُـونُ ﴾ [يـس:٨٢]. وَبَـثَّ سبحانه الأسباب في جميع المكوَّنات الظاهرة والخفيَّة والمشاهَدَة والغائبة .

والنواميسُ الكونية التي نراها في الكون ليست سوى أسباب أجرى الله تعالى بِهَا مَقْدوراته ، ومن المعلـوم المُشَـاهَد أنَّ الظواهـرَ الكونيَّـة ترتبـطُ بأسـباب ونواميس ، ومع ذَلِكَ فالآياتُ القرآنية الكريمة تردُّ أمر تدبيرها وحدوثها إلى الله تعالى وحده .

" فالأسباب ليس لها تأثيرٌ من ذاتِها ، وإنَّما المؤثِّـر بـالذات والفعَّـال هـو الله تعالى وحده ، فإنَّ الأسـبابَ إنْ شـاءَ أعمَلَهـا وجَعَـل لهـا التأثـير، وإنْ شـاءَ عطَّلها . فالأسبابُ كالأجسام ، فإن جعل الله فيها روحاً عملت وتحرَّكت، وإلا فلا حِراكَ لها .والأسباب كآلة عمل إنْ أمدَّتها قـوة كهربـاء أو نحوهـا تحرَّكت ، وإلا فهي عاطلةٌ عن الحركة . فليـس لسـببٍ تأثـيرٌ ذاتـي ، فالمـاءُ سبب ولكن الَّذِي يـروي به هـو الله تعــالى، والـدواء سـبب ولكـن الَّـذِي يشفي به هو الله تعالى ".(حَوْل تفسير سورة الفاتحة ، لعبدالله سراج الدين ، ص ٤٥-٤٦) .

والواجبُ علـى المسـلم أن يـردَّ الحـوادث كُلَّهَـا إلى الله تعـالى وحـده لا إلى أسبابها ونواميسها .

فهو خالقُ الأسباب والمسبَّبات[١] ، ولو شاء أن لا يؤثّرَ سببٌ في مُسَبّبٍ ما أثّرَ ، يَسْلُب سَبَبِيَّةَ الشيءِ إن شاء ، ويُبقيها إن شاء ، كما سَلَبَ النّارَ قوَّةَ الإحراقِ للخليل .

وهو تعالى الشافي للمريض[٢] ، ولو شاء أن لا يَبْرَأَ لا يقع البُرْء ،

---

(١) أي : خالق الأسباب المتوصَّل بِهَا إلى المطلوب . قال أهل اللغة : السببُ الحبلُ ، وكلُّ شيء يتوصَّل به إلى أمر من الأمور . وفي عرف الشَّرع : ما يلزم من وجوده الوجود ، ويلزم من عدمه العدم لذاته " لوامع الأنوار البهيَّة" ١ :٣٩ .

قال ابن القيم في " الفوائد" ص١٣١ :" ليس في الوجود الممكن سببٌ واحدٌ مُسْتَقلٌّ بالتأثير ، بل لايؤثّر سبب ألبتَة إلاَّ بانضمام سببٍ آخر إليه ، وانتفاء مانعٍ يمنع تأثيره . هذا في الأسباب المشهودة بالعيَان .وفي الأسباب الغائبة ، والأسباب المعنويَّة - كتأثير الشَّمس في الحيوان والنبات - فإنّه موقوفٌ على أسبابٍ أُخَرَ من وجود محلٍّ قابل ، وأسباب أخَرَ تنضمُّ إلى ذَلِكَ السبب ، وكذلك حصول الولد موقوفٌ على عِدَّة أسباب غير وطْءِ الفحل ، وكذلك جميعُ الأسباب مع مُسبَّباتها . فكلُّ ما يُخاف ويُرجى من المخلوقات ، فأعلى غاياتِهِ أن يكون جزءَ سببٍ غيرَ مستقلٍّ بالتأثير . ولا يستقلُّ بالتأثير وحدَه دون توقُّف تأثيره على غيره إلاَّ اللهُ الواحدُ القهَّار، فلا ينبغي أن يُرجى ولا يُخاف غيره " .

(٢) فالله تعالى هو الشافي وحده ، ولا شفاء إلاَّ شفاؤه سبحانه ، وقد جعل سبحانه الشفاء منوطاً بأسباب قال تعالى في العسل:﴿ **فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾=

ولو انتظم له علاج لا يتخلّف نفعه عادةً بتدبير ألفِ حكيم ، ولا يقال -حيث لم يشأ الله بُرْءَ المريض-: يقع الخطأُ في العلاج أو في استعماله ، فَإِنَّ هَذَا إيجابٌ لتأثير الأسباب تأثيراً حقيقيّاً ، وفكٌّ

= [النحل :٦٩] . وقال تعالى : ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَاهُو شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمُؤْمِنِين** ﴾ [الإسراء :٨٢] وهناك أسباب من الأدوية المركّبة والعقاقير ، روى مسلم ٤ :١٧٢٩(٢٢٠٤) وغيره عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" **لكلِّ داءٍ دواءٌ ، فإذا أُصيب دواءُ الدَّاء بَرأ بإذن الله تعالى** " .

وروى البخاري في كتاب الطب (٥٦٧٨) وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" **مَاأنزلَ اللهُ تعالى من داء إلاَّ وأنزل له دواء** " ، فهذه الوسائل والوسائط هي بجَعْل الله سبحانه وتعالى ، وهو عز وجلَّ الشافي وحده .

وما أجمل ما قاله الإمام محمد بن أسلم الطوسي ت (٢٤٢) كما في ترجمته في " السِّيَر " ١٢ :٢٠٤:

إنَّ الطبيب بطبهِ ودوائِهِ لا يستطيعُ دفاعَ مقدورٍ أتى
ما للطبيب يموتُ بالداءِ الَّذِي قد كان يُبري مثله فيما مضى
هَلَكَ المداوِي والمُداوَى والذي جَلَب الدواء وباعَه ومن اشترى

للحُكْم من يَدِ الله إلى يَدِ الأسباب ، فالحذر من اعتقاده[1].

---

(١) لأنَّ الفاعلَ الحقيقيَّ ومسبِّبَ الأسباب هو الله عَزَّ وَجَلّ ، وَكُلُّ ما يَجْري في الكون فبإرادته ، وإذا جَرَت سُنَّةُ الله تعالى في أمرٍ مـا أن يحدثـه بقرينـةٍ دالَّـةٍ عليه ، فليـس معنـى ذَلِـكَ أَنَّ القرينـةَ هـي المؤثِّـرة في وجـودِ ذَلِـكَ الأمـر ، لا ، إنَّما المؤثِّرُ في وجوده وفي وجودِ تلك القرينة ، وفي وجودِ ذَلِكَ الأمـر عند تلك القرينة إنما هو الله عَزَّ وَجَلّ.

قال الإمام الشافعي رحمـه الله تعـالى في كتابـه "الأم" ١: ٢٥٢: "وأمـا مَـن قال: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا على ما كان بعض أهل الشِّرك يعنونَ من إضافةِ المطر إلى أنه أمطره نَوْءُ كذا: فذلك كُفْـرٌ ، كمـا قـال رسـول الله ﷺ، لأنَّ النَّوْءَ وقتٌ ، والوقتُ مخلوقٌ ، لا يملـك لنفسـه ولا لغـيره شـيئاً ، فأمَّـا مـن قال: مُطِرْنا بنوءِ كذا ، على معنى: مطِرْنا بوقتِ كذا ، فإنَّما ذَلِكَ كقولـه: مطِرْنا في شهرِ كذا ، ولا يكون هذا كُفْراً ، وغـيرُهُ مـن الكـلام أَحَـبُّ إليَّ منه" انتهى . نقلاً من كتاب: "من صِحاح الأحاديث القدسية" ص ٥٥ .

وقال الإمام العز بن عبدالسلام (ت٦٦٠) في " شجرة المعارف والأحـوال " ص٣٨٧في الإساءة القولية :" إضافة النعم إلى أسبابها دون المنعم بِهَا . قـال الله تعالى ﴿ قَالَ : إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص :٧٨]، وقال : ﴿ قَالَ : إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ ﴾ [الزمر :٤٩] . إضافة النعـم إلى أسبابها جحدٌ لإنعام الله، وكذلك إضافة النِّعم إلى غيره ممن يعجز عنها. ولابـأس بإضافتـها إلى الأسبـاب مـع مـلاحظة كـونها أسبـاباً . =

= وأنَّ المُنْعِم هو الله وحده . فإنّا أمرنا بشكر الأسباب أيضاً . قال تعـالى:﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان :١٤] انتهى .

وقـال الإمـام النـووي في شـرح مسـلم ٢: ٥٩: "اختلفـوا في كراهتـه -أي التعبير نفسه مع الاعتقاد السليم- والأظهرُ كراهته ، لكنها كراهــةُ تنزيـهٍ لا إثم ، وسببُ الكَراهةِ أنها كلمةٌ مـتردِّدَةٌ بـين الكفـرِ وغـيره ، فَيُسَـاءُ الظَّـنُّ بصاحبِها ، ولأنّها شِعارُ أهلِ الجاهِليةِ ومَن سَلَكَ مسلكهم".

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلـي في " لطـائف المعـارف " ص١٤٢ :" فمـن أضاف شيئاً من النعم إلى غير الله مع اعتقـاده أنّـه ليـس مـن الله فهـو شـرك حقيقة ، ومع اعتقاده أنّه من الله فهو نوع شرك خفي ".

وقال الحافظ ابن رجب أيضاً في " فتح الباري " ٩:٢٦٠ :" فإضافـة نـزول الغيث إلى الأنواء -منازل القمر - إن أعتقد أنَّ الأنـواء هـي الفاعلـةُ لذلـك المُدبِّرة له دون الله عزَّوجل فقد كفر بالله وأشـرك بـه كفـراً ينقلـه عـن ملّـة الإسلام ، ويصير بذلك مرتدًّا حكمُهُ حكمُ المرتدِّيـن عـن الإسـلام إن كـان قبل ذَلِكَ مسلماً ، وإن لم يعتقد ذَلِكَ : فظاهر الحديث يدلُّ علـى أنّـه كفـر نعمة الله ، وقد جعله ابن عبَّاس كفراً بنعمة الله عزَّ وجل . والكفر كفـران: كفرٌ يَنقل عن الملّة ، وكفرٌ دون كفر لا ينقل عن الملّـة ، فإضافـة النِّعـم إلى غير المُنعم بِهَا بالقول كفرٌ للمنعم في نعمه ، وإن كان الاعتقاد يخالف ذَلِكَ، والأحاديث والآثار متظاهِرَةٌ بذلك " .

ثمَّ قال ٩:٢٦٤ :" واختلفــت النـاس في قـول القـائل :" مُطِرنـا بنَـوْءِ كـذا وكذا" من غير اعتقادِ أهل الجاهلية : هل هو مكروهٌ أو محرَّمٌ ؟ فقالت =

ولا يترك تعاطي الأسباب إلاَّ جاهلٌ[1] .

= طائفة:محرم ، وهو قول أكثر أصحابنا ، والنصوص تدلُّ عليه . وقالت طائفة : هو مكروهٌ ، وهو قول الشافعي وأصحابه وبعضُ أصحابنا " انتهى. وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١٠: ٥٦٥: "قال المحقِّقون: من نَسَبَ شيئاً من الأفعالِ إلى الدَّهر حقيقةً كَفَرَ ، ومَن جرى هذا اللفظ على لسانه غير معتقِدٍ لذلك فليس بكافر ، لكنه يكره له ذلك ، لشبهه بأهل الكفر في الإطلاق ، وتقويم اللسان وتنزيهُه عن المُشْتَبِهاتِ أمرٌ مطلوبٌ شرعاً".

(١) وذلك أَنَّ كتاب الله تعالى و سنةَ رسول الله ﷺ -القوليَّةَ والعَمَليَّة والتقريريَّةَ- يدعوان إلى تعاطي الأسباب ، مع تعلُّق القلبِ باللهِ مسبِّب الأسباب ، وفي الحديث الَّذِي رواه الترمذي (٢٥١٧) عن أنس بن مالك قال: جاء رجلٌ على ناقةٍ له ، فقال: يارسولَ الله ، أَدَعُها وأتوكَّل؟ أو أُرْسلها وأتوكل؟ فقال ﷺ:"**اعقلها وتوكَّل**" ، أي : شدَّ ركبة ناقتك مع ذراعها بحبلٍ وتوكَّل. وأحاديثه ﷺ في الأخذ بالأسباب ، و الدعوةِ إلى العمل والسعي والكسب الحلال كثيرةٌ شهيرة.

وكان ﷺ يُعِدُّ العُدَّة ، ويُهيئُ الأسبابَ في غزواته وسَراياه ، ويَتَّخِذُ الاحتياطات اللازمة لسلامةِ جنوده ، كما هو واضحٌ في مغازيه وسيرته ﷺ. قال القرطبي في تفسيره " الجامع لأحكام القرآن " ١١:٢٠٢ : " ومنه : حفر النبيِّ ﷺ الخندق حَوْلَ المدينة تحصيناً للمسلمين وأموالهم ، مع كونه من التوكُّل والثقة بربه بمحلٍّ لم يبلغه أحد. ثم كان من أصحابه مالا يجهله=

= أحدٌ من تحوُّلهم عن منازلهم مَرَّةً إلى الحبشة ، ومَرَّةً إلى المدينة ، تخوُّفاً من مُشْرِكِي مكة ، وَهَرَباً بدينهم أن يَفتنوهم عنه بتعذيبهم "انتهى.

وقال القرطبي أيضاً في " الجامع " ٤:١٩٥ في تفسير قوله تعالى :﴿ **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُم أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلاَثَةِ آلافٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُنْزَلِين**﴾ [آل عمران :١٢٤] :" نزول الملائكة سببٌ من أسباب النصر لا يحتاج إليه الربُّ تعالى ، وإنَّما يحتاج إليه المخلوق ، فَلْيُعلِّق القلب بالله وليثق به ، فهو الناصرُ بسببٍ وبغير سبب ، ولكن أخبر بذلك ليمتثل الخلق ما أمرهم به من الأسباب التي قد خَلَتْ من قبل ، ولايَقْدح ذَلِكَ في التوكُّل ،وهو ردٌّ على من قال: إنّ الأسباب إنَّما سُنَّت للضعفاء لا للأقوياء ، فإنَّ النبي ﷺ وأصحابه كانوا الأقوياء وغيرهم هم الضعفاء " انتهى .

والأخذُ بالأسباب سُنَّةُ الأنبياء من قبله ، فهذا نوحٌ عليه السلام يصنعُ الفلك كما أمره الله تعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الفُلْكَ بأَعيُنِنَا وَوَحْيِنا**﴾ [هود:٣٧]، وهذا يعقوب عليه السلام يوصي أبناءه قائلاً: ﴿**يا بَنِيَّ لا تَدْخُلوا من بَابٍ وَاحِدٍ وادْخُلوا مِنْ أَبْوابٍ مُتفرِّقة وَمَا أُغْني عَنْكُم مِنَ اللهِ مِنْ شيء**﴾ [يوسف: ٦٧] .

وهذا يوسُف عليه السلام يضع لإنقاذِ مصرَ من القحط والمجاعة خطةً يقومُ على تنفيذها.

وقد أمرَ الله الصِّدِّيقةَ البَتول عليها السلام أن تهزَّ بجذعِ النخلةِ ليتساقط عليها الرُّطَب رعايةً للأخذِ بالأسبابِ ظاهراً: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّا**﴾ [مريم: ٢٥] . =

= قال القرطبي ١١:٣٢١ في تفسير قوله تعالى في داوود عليه السلام : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] : "هذه الآية أصلٌ في اتِّخاذ الصَّنائع والأسباب ، وهو قول أهل العقول والألباب لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأنَّ ذَلِكَ إنما شُرِعَ للضعفاء ، فالسببُ سُنّة الله في خلقِهِ ، فَمَن طَعَن في ذَلِكَ فقد طعن في الكتاب والسنة، ونسب من ذكرنا إلى الضعف وعدم المنّة " .

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في " مجموع الفتاوى " ٨:٥٢٩ فيمن ترك تعاطي الأسباب اتكالاً على الله :" وهذا القول وأمثاله من قلَّة العلم بسنَّة الله في خلقه وأمره ، فإنَّ الله تعالى خلق المخلوقات بأسباب ، وشرع للعباد أسباباً ينالون بِهَا مغفرته ورحمته وثوابه في الدنيا والآخرة . فمن ظنَّ أنَّه بمجرَّد توَّكله مع تركه ما أمره الله به من الأسباب يحصل مطلوبه ، وأنَّ المطالب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها الله أسباباً فهو غالط ".

وقال ابن القيِّم رحمه الله تعالى في " مدارج السالكين " ٣:٤٧٨ :" والله أمرَ بالقيام بالأسباب فمن رفضَ ما أمره الله أن يقوم به فقد ضَادَّ الله في أمره ، وكيف يحلُّ لمسلمٍ أن يرفض الأسباب كُلّهَا " ؟.

وقال العلامة ابن القيم أيضاً في كتاب" الروح " ص٥٦٥ :" وأمَّا من عَطَّل الأسباب ، وزعم أنَّه متوكِّل فهو مغرورٌ مخدوع مُتَمَنٍّ ، كمن عطَّل النكاح والتسرِّي وتوكَّل في حصول الولد ، وعطَّل الحَرْثَ والبَذْرَ وتوَّكل في حصول الزرع ، وعطَّل الأكل والشرب وتوكَّل في حصول الشِّبَع والرَّيِّ ، فالتوكل نظير الرجاء ، والعَجْزُ نظير التمنِّي . =

= والربُّ أمر عبده بالاحتيال ، وتوكّل له أن يستخرج له من حيلتِهِ مايُصلِحُهُ، فأمره أن يحرث ويبْذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمــان ذَلِـكَ ، كمـا قـدَّره سبحانه ودبَّره واقْتضته حكمته ، وَأَمَـرهُ أن لايعلّـق قلبـه بغيره ، بـل يجعـل رجاءه له وخوفه منه وثقتـه بـه وتوكلـه عليـه ، وأخـبر أنّـه سبحانه الملـيء بالوكالة ، الوفي بالكفالة ، فالعاجز من رمى هذا كلـه وراء ظهـره ، وقعـد كسلان طالباً للراحة ، مُؤْثِراً للدَّعة".

ثم يقول رحمه الله تعالى :" و لم يكن في الصحابة من يعطّل السـبب اعتمـاداً على التوكل ، بل كانوا أقوم الناس بالأمْرَيْن ، ألا ترى أنّهم بذلوا جهدهـم في محاربة أعداء الدين بأيديهم وألسنتهم ، وقاموا في ذَلِكَ بحقيقـة التوكـل ، وعمروا أموالهم وأصلحوها ، وأعدُّوا لأهليهم كفايتهم من القوت ، اقتـداءً بسيِّد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه " انتهى .

وقال ابن القيم مبيِّناً أقسام الأسباب الموصلة للمراد إلى مأمورٍ ومحرَّمٍ ومبـاح في كتابه " الفوائد " ص٢١٢-٢١٣ :" فإن كـان السبب **مـأموراً بـه** : ذُمَّ على تركه ، وإن قـام بالسبب وتـرك التوكّـل ذُمَّ علـى تركـه أيضـاً ، فإنـه واجب باتفاق الأمَّة ونصِّ القرآن ، والواجب : القيام بهما والجمع بينهما.

وإن كان السبب **محرَّماً** : حرُم عليه مباشـرته ، وتوحَّـد السـبب في حقّـه في التوكّل فلم يبق سببٌ سواه ، فإنَّ التوكّل مـن أقـوى الأسـباب في حصـول المراد ، ودفع المكروه ، بل هو أقوى الأسباب على الإطلاق .

وإن كان السبب **مباحـاً** ، نظـرت : هـل يُضعـف قيـامك بـه التوكـل أو لا يُضعفه ؟ فإنْ أضعفَه وفرَّق عليك قلبك وشتّت همَّك ، فتَرْكُه أولى . =

= وإن لم يُضعفه ، فمباشرته أولى ؛ لأنَّـهُ حكمـة أحكـم الحـاكمين اقْتضَـت ربـط المسبَّب به ، فلا تعطِّل حكمته مهمـا أمكنـك القيـام بِهَـا ، ولا سيِّما إذا فعلتـه عبوديَّة ، فتكون قد أدَّيْت عبودية القلب بالتوكل ، وعبوديـة الجـوارح بالسـبب المنويِّ به القربة .

والذي يحقِّق التوكل : القيام بالأسباب المأمور بِهَا ، فمن عطَّلها لم يصحَّ توكله، كما أنَّ القيام بالأسباب المُفْضية إلى حصول الخير يحقِّق رجاءه ، فمن لم يقم بِهَـا كان رجاؤه تمنياً ، كما أنَّ من عطَّلها يكون توكُّله عجزاً ، وعجزه توكُّلاً " .

وقال الحافظ ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ٢:٤٩٨ :"فتحقيق التوكـل لاينافي السعي في الأسباب التي قدّر الله سبحانه المقدورات بِهَا ، وجرت سنَّته في خَلقِهِ بذلك ، فـإنَّ الله أَمَـرَ بتعـاطي الأسـباب مـع أمـرِهِ بـالتوكُّل ، فالسـعيُ في الأسبابِ : طاعةٌ له ، والتوكُّل بالقلب : إيمانٌ به .

قال سهل التُّستَري : من طَعَنَ في الحركة -يعني في السعي والكسب -فقد طعـن في السنَّة ، ومن طعن في التوكُّل فقد طعن في الإيمان " انتهى .

وقال العلاَّمة ابن أبي العزِّ الحنفي في "شرح العقيدة الطحاوية " ٢:٦٧٩ : "وممَّـا ينبغي أن يُعلَم ، ماقاله طائفةٌ من العلماء ، وهو: أنَّ الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكـون أسـباباً نقـصٌ في العقـل، والإعـراض عـن الأسباب بالكليَّة قدحٌ في الشرع ، ومعنى التوكل والرجاء ، يتألَّفُ مـن موجِـبِ التوحيد والعقل والشرع " اهـ.وسيأتي مزيد تفصيل عند قول المصنِّـف رحمـه الله تعالى :" لايُترك تعاطي أسباب المنافع ، وتجنُّـب أسـباب المضـار ، وإعـداد القـوة لدفع البلاء بقدر الاستطاعة "ص(٣٥٧) .

(فَصْل)

س٢٨- ما بِدْعة العقيدة في هَذَا العلم؟

كُلُّ عقيدةٍ حَدَثَتْ بعدَ الصَّحابة فهي مُبْتَدَعَةٌ[1] ،

---

(١) وقد ظهرت البدع والفرق بعد مقتل عثمان رضي الله عنه . قال الحافظ الذهبي في تحديد ظهور البدع ونشوء الفِرَق في " سير أعلام النبلاء " ٢٣٦:١١ : "كان النَّاس أمَّة واحدة ، ودينهم قائماً في خلافة أبي يكر وعمر ، فلمَّا استُشهد قُفْل باب الفتنة عمر رضي الله عنه ، وانكسر الباب ، قام رؤوس الشرِّ على الشهيد عثمان حتَّى ذُبح صَبْراً ، وتفرَّقت الكلمة ، وتمَّت وقعة الجمل ، ثمَّ وقعة صفِّين ، فظهرت **الخوارج** وكفَّرت سادات الصحابة ، ثمَّ ظهرت **الروافض والنواصب** ، وفي أواخر زمن الصحابة ظهرت **القدرية** ، ثمَّ ظهرت **المعتزلة** بالبصرة ، **والجهميَّة والمجسِّمة** بخُراسان في أثناء عصر التابعين " .

وقال الذهبي في " المنتقى من منهاج الاعتدال " ص٣٨٦-٣٨٧ :" فإنَّه كلَّما تأخَّر العصر عن النبوَّة كثُر التفرُّق والاختلاف ، ولهذا لم يحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلمَّا قُتِل وتفرَّق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة **الخوارج** المكفِّرين لعلي ، وبدعة **الرَّافضة** المدَّعين لإمامته وعصمته أونبوَّته أو إلهيته ، ثمَّ لمَّا كان في آخر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبدالملك حدثت بدعة **المرْجئة والقَدَرية** ، ثمَّ لمَّا كان في أوَّل عصر =

= التّابعين حدثت بدعة **الجهميــة والمشبّهة والمُمَثّلـة** ...ولم يكـن علـى عهـد الصحابة شيءٌ من ذَلِكَ " انتهى .

وقـال العلاّمـة محمـد بـن إبراهيـم الوزيـر (ت ٨٤٠) رحمـه الله تعـالى في "الروض الباسم " ٣٢٢:٢ " كان المسلمون أمَّةً واحدة في عهـد رسـول الله ﷺ وأيّام الخلفاء الراشدين رضـي الله عنهـم ، ليـس بينهـم خـلافٌ في أمـر العقيدة ، وعلم من النّبي ﷺ ومن الخلفاء الراشـدين والسَّـلف الصـالحين أنَّ الّذِي كان في أعصارهم هو سبيل الهدى ، ومنهج الحق ، وطريق السلامة"، ثمَّ قال ٣٩٩:٢ :" وبالجملة : فمن أحدث عقيدةً لم تكـن مشـهودة وقـت رسول ﷺ ودعا النّاس إليها ، وحملهم عليها ، مع سـكوت رسـول الله ﷺ عنها ، وعـدم تعرُّضـه لها ، فليـس بسُنّي العقيـدة ، ولا سـالك عنـد أهـل الحديث الطريق الحميدة " انتهى .

وقال الحافظ في " الفتح" ٢٥٣:١٣ :" وَمِمَّا حدث أيضـاً -أي بعـد عصـر الصحابة- تدوينُ القول في أصول الديانات ، فتصـدّى لهـا المُثْبِتَـة والنفـاة ، فبالغ الأول حتّى شبَّه ، وبـالغ الثـاني حتّى عطّـل ، واشـتدَّ إنكـار السَّـلف لذلك ، كأبي حنيفة ، وأبـي يوسُـف ، والشـافعي ، وكلامهـم في ذمِّ أهـل الكلام مشهور ، وسببُه أنّهم تكلّموا فيما سكت عنه النـبيُّ ﷺ وأصحابـه ، وثبت عن مالك : أنّه لم يكن في عهد النّبي ﷺ وأبي بكر وعمـر شـيء مـن الأهواء . =

ومعتقِدُهَا بِدْعِيٌّ فيها[1] ، وإنْ كان من أهلِ السُّنَّةِ في غيرِها[2].

= وقد توسَّع من تأخَّر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ، ولم يقْتنعوا بذلك حتَّى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان ، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردُّون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ، ولو كان مُسْتَكرهاً ، ثمَّ لم يكتفوا بذلك حتَّى زعموا أنَّ الّذِي رتَّبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل ، وأنَّ من لم يستعمل ما اصْطَلحوا عليه فهو عاميٌّ جاهل ، فالسعيد من تمسَّك بما كان عليه السَّلف، واجْتَنَب ما أحدثه الخَلَف ". انتهى .

(١) قال الحافظ في " الفتح " ٢:١٨٨ :" المبتدع من اعتقد شيئاً مما يخالف أهل السنَّة والجماعة " ، وقال الحافظ في " هدي الساري " ص٣٨٥ :" وأما البدعة فالموصوف بِهَا إما أن يكون ممن يُكَفَّر بِهَا أو يُفَسَّق ، فالمكفَّر بِهَا لابد أن يكون ذَلِكَ التكفير متَّفقاً عليه من قواعد جميع الأئمة ، كما في غلاة الروافض من دعوى بعضهم حلول الإلهيَّة في علي أو غيره ، أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، أو غير ذَلِكَ ..والمفسَّق بِهَا ، كبدع الخوارج ، والروافض الّذِينَ لايغلون ذَلِكَ الغلوّ ، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنَّة خلافاً ظاهراً ، لكنه مستندٌ إلى تأويلٍ ظاهرُهُ سائغ "

(٢) قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ٥:٢٧١ في ترجمة قتادة بن دِعَامة السَّدوسي :" وكان يرى القدر ، نسأل الله العفو ، ومع هذا فما =

س٢٩- هل يجوزُ أن يُوصَفَ اللهُ تَعالَى بِما لَم يَثْبُت في الشَّرْع إذا كانَ وَصْفَ كمال؟

صِفَاتُه وأسماؤُهُ تعالى توقيفيَّة ، فلا يجوزُ أن يُوصَفَ إلاَّ بما وصَفَ بِهِ نَفْسَه أو وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُه[1] .

= توقَّف أحدٌ في صدقه وعدالته وحفظه ، ولعلَّ الله يعذر أمثاله ممَّن تلبَّس ببدعة يريد بِهَا تعظيم الباري وتنزيهَهُ ، وبذل وسعه ، والله حَكَمٌ عَدْلٌ لطيف بعباده ، ولا يُسأل عمَّا يفعل . ثمَّ إنَّ الكبير من أئمة العلم إذا كثُر صوابه ، وعُلم تحرِّيه للحق ، واتَّسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه ، يغفر له زلله ، ولانضلّله ونطرحه ، وننسى محاسنه . نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذَلِكَ " .

وقال أيضاً في " السِّير " ٢٠:٤٥-٤٦ :" نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد ، وَنَبْرأُ إلى الله من الهوى والبدع ، ونحبُّ السنَّةَ وأهلَها ، ونحبُّ العالِمَ على ما فيه من الاتِّباع والصِّفَاتِ الحميدة ، ولا نحبُّ ما ابتدع فيه من بتأويلٍ سائغ ، وإنَّما العبرةُ بكثرة المحاسن " انتهى .

(١) قَالَ الإمام الخطابي في "شأن الدعاء" ص ١١١-١١٢ موضِّحاً لهذا الأصل من أصولِ الأسماء والصفات: "لا يتجاوز فيها التوقيف ، ولا يستعمل فيها القياس ، فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارفِ الكلام.

فالجواد لا يجوز أن يقاس عليه السَّخيُّ -وإن كانا متقارِبَيْن في ظاهر الكلام- وذلك أنَّ السخِيَّ لم يرد فيه التوقيف كما ورد بالجواد ، ثُمَّ إنَّ =

= السخاوةَ موضوعةٌ في بابِ الرَّخاوة واللين ، وكذلك لا يُقاسُ عليه السَّمْح لِمَا يدخل السَّماحةَ من معنى اللين والسهولة ، وأما الجواد فإنما هو سَعَةُ العطاء.

وقد جاء في الأسماء: **القوي** ، ولا يُقاسُ عليه الجَلْد - وإن كانا يتقاربان في نُعوتِ الآدَمِيِّين- ؛ لأنَّ باب التَجَلُّد يدخله التكلُّفِ والاجتهاد.

ولا يقاس على **القادر** المُطيق ، ولا المُسْتطيع ؛ لأنَّ الطاقةَ والاستطاعة إِنَّمَا تُطلَقانِ على معنى قوةِ البنيةِ وتركيبِ الخِلْقَة.

ولا يُقاس على **الرحيم** الرقيق ، وإن كانت الرَّحمةُ في نعوتِ الآدمِيِّين نوعاً من رقةِ القلب وضعفه عن احتمالِ القسوة .

وفي صفاتِ الله سُبْحَانَهُ: **الحليم والصَّبور** ، فلا يجوز أن يُقاسَ عليها الوقور والرَّزين.

وفي أسمائه: **العليم**: ، ومِن صفته: **العلم** ، فلا يجوزُ قياسه عليه أن يسمى عارفاً ، لِما تقتَضيه المعرفةُ من تقديم الأسبابِ الَّتِي بها يُتَوَصَّل إلى علمِ الشيء ، وكذلك لا يوصف بالعاقل . وهذا البابُ يجب أن يراعى ولايُغْفل، فإنَّ فائدته عظيمة ، والجهلَ به ضارٌ ، وبالله التوفيق " انتهى .

وقال العلاَّمة الخازن ٢:٥١٥ في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف :١٨٠] " يعني ادْعو الله سبحانه بأسمائه التي سَمَّى بِهَا نفسَه أو سَمَّاه بِهَا رسولُه ﷺ . ففيه دليلٌ على أنَّ أسماء الله توقيفيَّة لا اصطلاحية ، وَمِمَّا يدلُّ على صحَّة هذا القول ويؤكِّده أنَّه يجوز أن يقال:ياجواد ، ولايجوز أن يقال : ياسخيٌّ ، ويجوز أن يقال : ياعالِمٌ ، =

= ولايجوز أن يقال : ياعاقل ، ويجوز أن يقال : ياحكيم ، ولايجوز أن يقال: ياطبيب ". انتهى .فأسماء الله عزّوجل متوقفةٌ على الإذْن الشرعي في إطْلاقها،ولايجوزُ فيها القياس اللغوي .

وأسوقُ إليك -أيُّها القارئ- هذه المناظرة التي جَرَت بين الإمام أبي الحسن الأشعري البصري وبين أبي علي الجُبَّائي المعتزلي كما ذكرها السبكي في "طبقاته" ٣: ٣٥٧-٣٥٨ فقال:" دخل رجلٌ على الجُبَّائي فقال : هل يجوز أن يُسَمَّى الله تعالى عاقلاً ؟ فقال الجبَّائي : لا ؛ لأنَّ العَقْل مشتقٌ من العِقال، وهو المانع ، والمنعُ في حق الله مُحَال ، فامتنع الإطلاق .

قال الشيخ أبو الحسن :فقلت له : فعلى قياسك لايُسمَّى الله سبحانه حكيماً؛ لأنَّ هذا الاسم مُشتقٌ من حَكَمة اللِّجام ، وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج .

فإذا كان اللفظ مُشتقاً من المنع ، والمنع على الله مُحَال ، لَزِمك أن تمنع إطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى .

قال : فلم يُحِرْ جواباً ، إلاَّ أنَّه قال لي : فلِمَ منَعْتَ أنت أن يُسمّى الله عاقلاً، وأَجَزْتَ أن يُسمّى حكيماً ؟ قال : فقلت له : لأنّ طريقي في مَأْخَذ أسماء الله الإذنُ الشَّرعي دون القياس اللغوي ، فأطْلَقتُ حكيماً ؛ لأنّ الشَّرع أطْلَقَه ، ومنعتُ عاقلاً لأنّ الشَّرع مَنَعَه ، ولو أطْلَقَه الشّرع لأطْلقتُه".

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في " طريق الهجرتين " ص:٤٦٣-٤٦٧ في ردِّه على من يجوِّز إطلاق الشوق على الله سبحانه :"والصواب أن يُقال: =

= إطلاقه متوقّف على السمع ولم يرد به ، فلا ينبغي إطلاقه .. فإنَّ الله سبحانه يوصف من كلِّ صفةٍ كمال بأكملها وأجلِّها وأعلاها ، فيوصف من الإرادة بأكملها وهو الحكمة ، وحصول كل ما يريد بإرادته ، كما قال تعالى : ﴿ **فعَّال لِمَا يُريد** ﴾ [البروج :١٦] ، وبإرادة اليُسر لا العسر ، كما قال تعالى: ﴿ **يُريدالله بكُم اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بكُمُ العُسْرَ** ﴾ [البقرة:١٨٥] وبإرادة الإحسان وإتمام النعمة على عباده كقوله : ﴿ **وَالله يُرِيدُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْكُم ..** ﴾ [النساء :٢٧] وقوله تعالى :﴿ **مَا يَرِيدُ الله لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُريدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [المائدة :٦] .

وكذلك **الكلام** يصف نفسه بأعلى أنواعه ، كالصدق والعدل والحق ، وكذلك **الفعل** يصف نفسه منه بأكمله ، وهو العدل والحكمة والمصلحة والنعمة . وهكذا جميع ما أطلقه على نفسه من صفاته العُلى أكمل معنىً ولفظاً مما لم يُطْلقه : **فالعليم الخبير** أكمل من الفقيه العارف ، **والكريم الجواد** أكمل من السَّخي ، و **الخالق البارئ المصوِّر** أكمل من الصانع الفاعل ، ولهذا لم تجئْ هذه في أسمائه الحسنى ، **والرحيم الرؤوف** أكمل من الشفيق ، فعليك بمراعاة ما أطلقه الله على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها ، وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته ، وحينئذٍ فيُطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ ، ولا سيَّما إذا كان مُجمَلاً أو منقسماً إلى ما يُمدح به وغيره ، فإنَّه لايجوز إطلاقه إلاَّ مقيَّداً ، وهكذا كلفظ الفاعل والصانع ، فإنَّه لا يُطلق عليه =

= في أسمائه الحسنى إلاّ إطلاقاً مقيَّداً أطلقه على نفسه ، كقوله تعالى : ﴿**فعَّالٌ لِما يُريد**﴾ [البروج : ١٦]، ﴿ **ويَفعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [إبراهيم:٢٧] ، وقوله : ﴿ **صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [النمل:٨٨]، فإنَّ اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يُمْدح عليه ويُذم . ولهذا المعنى -والله أعلم- لم يجئ في الأسماء الحسنى : المريد كما جاء فيها السميع البصير ، ولا المتكلم ولا الآمر الناهي ، لانقسام مسمَّى هذه الأسماء ، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها .

ومن هنا يُعلَم غَلَطُ بعض المتأخرين وزلَقُه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مُطْلقاً ، فأدخله في أسمائه الحُسْنى ! فاشتقَّ له اسم : الماكر ، والخادع ، والفاتن ، والمضل ، والكاتب ونحوها من قوله تعالى :﴿**ويَمْكُرُ الله**﴾ [الأنفال :٣٠] ، ومن قوله تعالى:﴿ **وَهُوَ خَادِعُهُم**﴾ [النساء :١٤٢]، ومن قوله تعالى:﴿ **لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ** ﴾ [طه:١٣١] ، ومن قوله تعالى :﴿ **يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ** ﴾ [الرعد :٢٧] وقوله تعالى :﴿ **كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ** ﴾ [المجادلة:٢١].وهذا خطأ من وجوه :

أحدها : أنّه سبحانه لم يطلق على نفسه هذه الأسماء ، فإطلاقها عليه لا يجوز .

الثاني : أنّه سبحانه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيَّدة ، فلا يجوز أن ينسب إليه مُسمَّى الاسم عند الإطلاق . =

= **الثالث** : أنَّ مُسمَّى هذه الأسماء منقسمٌ إلى ما يُمدح عليه المسمَّى به ، وإلى ما يذم، فَيَحْسُنُ في موضع ، ويَقْبُحُ في موضع . فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل.

الرابع : أنَّ هذه ليست من الأسماء الحسنى التي يُسمَّى بِهَا سبحانه ، فلا يجوز أن يسمى بِهَا ، فإنَّ أسماء الرَّب كُلّهَا حسنى ، كما قال تعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الأعراف :١٨٠] وهي التي يحبُّ سبحانه أن يثنى عليه ويُحمد ويُمجَّد بِهَا دون غيرها .

الخامس : أنَّ هذا القائل لو سُمِّي بهذا الاسماء ، وقيل له : هذه مِدْحتُك وثناءٌ عليك ، فأنت الماكر الفاتن المخادع المُضلُّ اللاعن الفاعل الصانع ونحوها لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدُّها مدحة ، ولله المثل الأعلى ، سبحانه وتعالى عمَّا يقول الجاهلون به علواً كبيراً .

السادس : أنَّ هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه : اللاعن والجائي و الآتي والذاهب والتارك والمقاتل والصَّادق والمنزِّل والنازل والمُدَمْدِم والمدمِّر . وأضعاف أضعاف ذَلِكَ ، فيشتق له اسماً من كلِّ فعل أخبر به عن نفسه ، وإلاَّ تناقض تناقضاً بيِّناً ، ولا أحد من العقلاء طرد ذَلِكَ ، فيُعلم بطلان قوله، والحمدلله رَبِّ العالمين " انتهى.

وكما يمتنع القياسُ اللغوي ، واشتقاق الأسماء الحسنى من صفات الأفعال ، فلا يسمَّى الله تعالى راضياً ولا ساخطاً ولا غاضباً ولا ماكراً ولا مهلكاً ، ولا غير ذَلِكَ من الأسماء اشتقاقاً من صفات فعله : الرِّضا ، والسَّخط ، والغضب ، والمكر، والإهلاك . يمتنع كذلك القياس لصفاتِهِ بصفات =

= خلقه بأيٍّ وجه من الوجوه ، كقول من قال : (لله عينان) على التّثنية استدلالاً بأنَّ النّبيَّ ﷺ قال في المسيح الدجّال : " **إنّه أعور ، وإنَّ ربَّكم ليس بأعور** " (متّفق عليه من حديث أنس) ، والعَوَر في اللغة : زوال حاسَّة البصر في إحدى العينين ، فحيث نفاه عن الله تعالى ، فقد دلَّ على أنَّ له عينين صحيحتين !! فهذا القول زيادةٌ على الأدلة بتفسيرٍ استفيد من العُرف في المخلوق ، وإنّما نفى الحديث عن الله تعالى العَوَر ، وإثباتُ لازمه يجب أن يكون بالنّص ، والنّصُّ إنّما جاء بإثبات كمال البصر لله رَبِّ العالمين ، فيتوقّف عنده من غير زيادة ، ونُثبتُ للهِ العينَ ، كما أخبر هو نفسه تعالى ، ولايقال : (له عينان) لعدم ورود ذَلِكَ صريحاً في النصوص ، إلاّ في حديث موضوع (تيسير علم أصول الفقه ، ليوسف الجديع ص٣٧٨-٣٧٩) .

وقال ابن حزم في " الفِصَل في الملل والنِّحَل " ١٦٦:١ :" ولا يجوز لأحد أن يصف الله سبحانه بأنَّ له عينين ، لأنَّ النص لم يأت بذلك " انتهى .

بقي أنْ أُنبِّه إلى أنَّ بعض العلماء فرّق بين ما يُطْلَق على الله سبحانه في باب الأسماء والصفات وما يُطْلق عليه في باب الإخبار ، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة في " الجواب الصحيح " ٢٠٣:٣ :" والصواب : أن يفرَّق بين أن يدعى بالأسماء أو يُخبر بهَا عنه ، فإذا دعا لم يدع إلاّ بالأسماء الحسنى ، كما قال تعالى : ﴿ **وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ [الأعراف : ١٨٠] . وأمَّا الإخبار عنه فهو =

س٣٠- ما الحكمُ فيمن قال كلمةَ تحقيرٍ في بعضِ الأنبياءِ أو الملائكة أو الكُتُب الإلهيَّة؟

يكفُرُ بذلك [١] .

= بحسب الحاجة ، فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن تُترجَم أسماؤه بغير العربية ، أو يعبَّر باسم له معنى صحيح لم يكن ذَلِكَ محرماً " .

وقال العلاَّمة السَّفاريني في " لوامع الأنوار البهيَّة " ١ : ٤٠ عند شرحه لقوله:

الحمدُ للهِ القديمِ الباقي   مُسبِّب الأسباب والأرزاقِ

فإن قلتَ : هل من أسمائه تعالى المسبِّب حتَّى أطلقته عليه مع أنَّ أسماءه توقيفيَّة أم كيف الحكم ؟ قلت : ذكر غير واحد من المحققين منهم الإمام المحقِّق ابن القيِّم في " بدائع الفوائد " ١ : ١٧٠ أنَّ ما يُطلق عليه سبحانه في باب الأسماء والصفات توقيفي ، وما يُطلق عليه في باب الإخبار لا يجب أن يكون توقيفيَّاً ، كالقديم والشيء والموجود أو القائم بنفسه . قال في "البدائع " ١ : ١٧٠ :" فهذا فصْل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفيَّة أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لا يرد به السَّمع " انتهى . وقال ابن القيِّم في "المدارج " ٣ : ٤١٥ :" باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به ، فإنَّه يُخْبَرُ عنه بأنَّه شيءٌ وموجود ومذكورٌ ومعلومٌ ومُراد ، ولا يُسمَّى بذلك " انتهى.

(١) قال الإمام الفخر الرازي في "تفسيره الكبير" ١٦ : ١٢٤ :" إنَّ الاستهزاء بالدين كيف كان كُفْرٌ بالله ؛ وذلك لأنَّ الاستهزاء يدلُّ على الاستخفاف، والعُمْدة الكبرى في الإيمان : تعظيمُ الله بأقْصى الإمكان ، والجمع بينهما =

= مُحالٌ " ؛ لأنَّ الإيمان مبنيٌّ على التعظيم والإجلال للربِّ عزّوجل ، وملائكتهِ ، وكتبهِ ورسلِهِ ، ولاشك أنَّ تحقير شيئٍ من هذه الأركان الإيمانية يُنَاقِض التعظيم والإجْلال.

قال الشيخ ابن تيمية في " الصَّارم المَسْلول "ص ٣٢٤ :" فمن اعتقد الوحدانية في الإلهيَّة لله سبحانه وتعالى ، والرسالة لعبدهِ ورسوله ، ثمَّ لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام ، الَّذِي هو حالٌ في القلب يظهر أثره على الجوارح ، بل قارنه الاستخفاف والتَّسْفيه والازْدراء بالقولِ أو بالفعل كان وجود ذَلِكَ الاعتقاد كعدمِهِ ، وكان ذَلِكَ مُوجباً لِفَسَاد ذَلِكَ الاعتقاد " .

وأمّا تحقير النَّبيِّ ﷺ بسبٍّ أو استهزاءٍ أو إيذاء فهو كفرٌ مُخرجٌ من الملّة سواءٌ استحلَّ ذَلِكَ أو لم يستحلّه .

قال القاضي عياض في " الشفاء " ٢:٩٢٦-٩٢٧ :" دلّت نصوصُ الكتاب والسنّة وإجماع الأمة على تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره وإكرامه ، ومن ثَمَّ حرَّم الله تعالى أذاه في كتابه ، وأجْمعت الأُمَّة على قَتْل مُنتَقِصه من المسلمين وسابّه . قال تعالى:﴿**إنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيْناً**﴾ [الأحزاب :٥٧] انتهى .

وقال أيضاً ٢:٩٣٢ :" اعلم -وفقنا الله وإيَّاك - أنَّ جميع من سبَّ النبيَّ ﷺ أو عابَهُ ، أو ألحق به نَقْصاً في نفسه أونسبهِ ، أو دينِهِ ، أو خَصْلَةٍ من خصالِهِ ، أو عَرَّض به ، أو شَبَّههُ بشيءٍ عن طريق السبِّ له ، أو الإزْراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغضِّ منه ، والعَيْب له ، فهو سابٌّ له ، =

= والحكمُ فيه حكمُ السابِّ ، وكذلك من لعنه أو دَعَا عليه ، أو تمنّى مضرَّةً له ، أو نَسبَ إليه مالايليق على طريق الذم ، أو عَبَثَ في جهته العزيزة بسُخْفٍ من الكلام وهُجْر ، ومنكر من القول وزور ، أو عيَّره بشيء ممَّا جَرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غَمَصَه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه ، وهذا كلُّه إجماعٌ من الصحابة وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلمَّ جرّاً " إلى أن قال :" ولانعلم خلافاً في استباحة دمه -يعني سابَّ الرسول ﷺ - بين علماء الأمصار وسلفِ الأمة ، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره " انتهى .

وقال سلطان العلماء العزُّ بن عبدالسلام في " شجرة المعارف " ص٣٥٤ : "سوء الأدب على الرسول ﷺ مُحبِط للأعمال ، لاحتقار ما عظَّم الله ، وأيُّ حرمةٍ أكمل من حرمةِ رُسل الله ! " انتهى .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في" الصارم المسلول " ص٤٦٥ :" قد اتفقت نصوص العلماء من جميع الطوائف على أنّ التنقُّص له كفرٌ مبيح للدم. ولافرق في ذَلِكَ بين أن يقصد عَيْبَهُ لكن المقصود شيئ آخر حَصل السبُّ تبعاً له ، أو لا يقصد شيئاً من ذَلِكَ ، بل يهزل ويمزح أو يفعل غير ذَلِكَ " .

وقال الإمام السبكي في "الفتاوى " ٥٧٣:٢ :" أمّا سبُّ النبيِّ ﷺ فالإجماع مُنعقدٌ على أنه كفر ، والاستهزاء به كفر " .

ويُنْظَر : "الصَّارم المسْلول على شاتم الرسول " لابن تيمية ، وهو من أوسع ما أُلّف في هذا الموضوع ، و" السيف المسلول على من سبَّ الرَّسول " =

= للسبكي ، و"تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام " لابن عابدين ضمن مجموعة رسائله .

وكذلك الحكم في سائر الأنبياء عليهم السلام ، فأيٌّ قولٍ فيه استهزاء بهم أو تنقُّص لهم أو طعن بهم أو سبهم ، فهو كفرٌ وردَّة عن الإسلام .

قال القاضي عياض في "الشفا" ١٠٦٩:٢ :" من استخفَّ بمحمدٍ أو بأحدٍ من الأنبياء أو أَزْرى عليهم أو آذاهم ...فهو كافرٌ بالإجماع "انتهى.

وكذلك الحكم في تحقير الكتبِ المنزلة والاستخفافِ والاستهزاء بِهَا فهو كافر بالإجماع .

قال القاضي عياض في "الشفا" :" ١١٠١:٢ :" اعلم أنَّ من استخفَّ بالقرآن ، أو المصحف ، أو بشيءٍ منه ، أو سبَّهما ، أو جَحَده ، أو حَرْفاً منه ، أو آيةً ، أو كذَّب به ، أو بشيءٍ منه ، أو كذَّب بشيءٍ مِمَّا صُرِّح به فيه من حكم أو خبر ، أو أثبت مانفاه ، فهو كافرٌ عند أهل العلم بإجماع".

وكما يكفر من قال كلمة تحقير في بعض الأنبياء أو الملائكة أو الكتب الإلهية ، كذلك يكفر من أتى بعملٍ فيه تحقيرٌ واستهزاء واستخفاف وامتهان؛ مثل أن يضع المصحف تحت قدمه ، أو يلقيه في القاذورات .

قال الإمام النووي في "روضة الطالبين" ٦٤:١٠ :" الأفعالُ الموجبةُ للكفر هي التي تصدر عن تعمُّد واستهزاء بالدين صريح ، كإلقاء مصحف في القاذورات " . =

س٣١- ما القولُ في الكرامات؟

كراماتُ الأولياء حقٌّ [١]

= وقال سلطان العلماء العزُّ بن عبد السلام رحمه الله تعالى في رسالته إلى الملك الأشرف موسى كما في "طبقات الشافعية الكبرى" ٨:٢٣٣ :" إنَّ تعظيم المصحف واجبٌ، وعندنا أنَّ من استهان بالمصحف أو بشيء منه فقد كفر، وانفسخ نكاحه ، وصار مالُهُ فَيْئاً للمسلمين ، ويضرب عنقه ، ولا يُغسَّل ولا يُكفَّن ولا يُصلَّى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، بل يترك بالقاع طُعمة للسِّباع " انتهى .

(١) قال الإمام أبو الوليد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٢٠ في " الفتاوى " ١:٥٧٩ :" إنَّ إنكارها – أي الكرامة – والتكذيب بِهَا بدعة بثّها في النَّاس أهل الزيغ والتعطيل الَّذِينَ لايقرُّون بالوحي والتنزيل ، ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين ، ولا يعتقدون أنَّ لهم رباً وخالقاً يفعل ما يشاء ، ويقدر على ما أراد من جميع الأشياء ، كي يوقعوا في نفوس الجهَّال والأغبياء إبطال معجزات الأنبياء من ناحية إبطال كرامات الأولياء ؛ إذ هي من قبيل واحد في أنّها ليست من مقدورات البشر " .

ثم قال ١:٥٨١ :" ولوجودها وصحتها في الجملة طريقان : **أحدهما** : التواتر في النقل الَّذِي يوجب العلم، ويقطع العذر ، وذلك أنّه قد روي منها، ونقل ما لايحصى عدده ، ولا يمكن حصره على مرِّ الأيام وفي جميع الأزمان ، ومع اختلاف المواضع والبلدان ، وهذا ما لا يمكن أحداً دفعه =

= لما فيه من جحد الضرورة الَّذِي هو كمكابرة العيان . والنقل إذا اتصل على هذا الحد والمثال يوجب العلم بما تضمنه في الجملة ؛ إذ لا يمكن أن يتواطأ جميع الناقلين له بهذه الصفة على نقل الكذب في جميع ما نقلوه لكثرة عددهم مع افتراق بلدانهم ، وتباعد زمانهم ، ولا أن يدخل الوهم والخطأ على جميعهم في ذَلِكَ . وإن جاز على بعض فيوجب أن يعلم بنقلهم صِحَّةَ ما نقلوه في الجملة دون التفصيل كما علم بهذا الجنس من النقل : سخاء حاتم ، وشجاعة علي ﷺ ، وحلم معاوية ﷺ ، **والطريق الثاني** : أنَّ القول بِهَا والتصديق بِهَا قد أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، وقد حصل العلم بصحة ما أجمعوا عليه بقول النبي ﷺ " **لا تجتمع أمَّتي على ضلالة** " . ولا وجه لما تعلّق به من أنكرها وأبطلها إلاّ الجهل والضلال ، والحيرة والعمى ؛ إذ لا يجوز أن يدفع وينكر ما روي من الأشياء التي قد استفاضت وشاعت وذاعت إلاّ أن يقوم الدليل على بطلانها ، والبرهان على استحالتها، وهذا ما لم يقم دليل على بطلانه ولا استحالته ، بل قد قام الدليل على جوازه ووجوده ، فوجب الإقرار به ، والحكم بفساد قول منكره " انتهى .

وقال الشيخ ابن تيمية في "الفتاوى" ٣:١٥٦:"من أُصول أهل السنّة والجماعة : التصديقُ بكراماتِ الأولياء وما يُجْري الله على أيديهم من خوارقِ العَادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات . كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها ، وعن صَدْر هذه الأمَّة من الصَّحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة إلى يومِ القيامة".=

= وقال الإمام التاج السبكي رحمه الله تعالى في "طبقات الشافعية الكبرى " في ترجمة أبي تُراب النَّخْشَبي ٢: ٣٣٤ :" الدليل على ثبوت الكرامات وجوه :
أحدها : وهو أوحدها ماشاعَ وذاعَ بحيث لاينكره إلاَّ جاهل معاند من أنواع الكرامات للعلماء والصَّالحين ، الجاري مَجْرى شجاعةِ عليٍّ ، وسخاءِ حَاتم ، بل إنكار الكرامات أعظمُ مباهتة ، فإنه أشهر وأظهر ، ولايعاند فيه إلاّ من طُمِسَ قلبه -والعِيَاذُ بالله- .
والثاني : قصة مريم مِنْ جهةِ حملِهَا من غير ذكرٍ ، وحصول الرُّطَب الطَّري في الجذع اليابس ، وحصول الرزق عندها في غير أوانه ، ومن غير حضور أسبابه ، على ما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ: يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذا ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ** ﴾ [آل عمران :٣٧] ، وقريبٌ من قصة مريم قصة أمِّ موسى عليه السلام ، وما كان من إلهام الله تعالى إيَّاها حتى طابتْ نفسها بإلقاء ولدها في اليمِّ .
والثالث : التمسُّك بقصة أصحاب الكهف ، فإنّ لبثهم ثلاث مائة سنين وأَزْيد ، نياماً أحياء من غير آفة ، مع بقاء القوة العادية بلا غذاءٍ ولاشرابٍ، من جملة الخوارق ، ولم يكونوا أنبياء ، فلم تكن معجزة ، فتعيَّن كونها كرامة .
الرابع : التمسُّك بقصص شتّى ، مثل قصة الَّذي عنده علمٌ من الكتاب مع سليمان عليه السلام في حَمْل عرش بلقيس إليه قبل أن يرتدَّ إليه طَرْفُه . =

= وما صحَّ من كرامات الصَّحابة رضي الله عنهم ، وما تواتر عمّن بعدهم من الصَّالحين ، خرج عن حدِّ الحصْر .
الخامس : ما أعطاه الله لعلماء هذه الأمَّة وأوليائها من العلوم ، حتى صنَّفوا كتباً كثيرة ، لايمكن غيرهم نسخها في مدَّة عمر مُصَنِّفيها ، مع التوفيق لدقائق تخرج عن حدِّ الحصْر ، واسْتِنْباطات تُطْرِب ذوي النُّهى ، واستخراجات لِمَعَانٍ شتّى من الكتاب والسنة ، وتحقيقٍ للحق ، وإبْطالٍ للباطل ، وماصَبَروا عليه من المجاهدات والرياضات ، والدعوى إلى الحق ، والصبر على أنواع الأذى ، وعزوف أنفسهم عن لذَّات الدنيا ، مع نهايةِ عقولهم وذكائهم وَفِطْنتهم ، وماحُبِّبَ إليهم من الدأب في العلوم ، وكدِّ النَّفس في تحصيلها بحيث إذا تأمَّل المُتأمِّل ماأعطاهم الله منه عَرَف أنَّه أعظم من إعطائه بعض عبيده كِسْرة خبز في أرض مُنْقطعة وشَرْبة ماءٍ في مفازة، ونحوهما ممَّا يعدُّ كرامة " انتهى باختصار يسير.

وإذا شئتَ التوسُّع في ذكر البراهين الدالة على إثبات الكرامة ، وشُبَهِ المنكرين والردِّ عليهم ، وأنواع الكرامات فانظر "طبقات الشافعية الكبرى " للسبكي ٢:٣١٦-٣٤٤ .

يخرق الله لَهُمْ العادة إكراماً ، ولا إشـكالَ فيهـا ؛ لأنَّهَـا فَـرْعُ المعجزاتِ [1] ،

---

(١) ولكن الكرامة مع أنها فَرْع المعجزات ، وخارقةٌ للعـادات ، لكنهـا لاترقـى إلى درجـة المعجـزة الـتي يُؤَيِّـدُ الله بِهَـا أنبيـاءَهُ ورسـلَهُ ، فكمـا أنَّ الأوليــاء لايبلغون إلى درجتهم في الفضل ، فكذلك لايصلون بكراماتهم إلى مسـتوى معجزاتهم صلوات الله وسلامه عليهم .
قال الأستاذ أبو القاسـم القُشَيْري في "الرِّسَـالة " ص٢٠٨ :" إنَّ كثـيراً مـن المقْدُورات يعلم اليوم قطعاً أنّه لايجوز أن يظهـر كرامـة للأوليـاء ، لضـرورة أوشبه ضرورة يعلم ذَلِكَ ، فمنها حصولُ إنسان لا مِنْ أبوين ، وقلبُ جمـادٍ بهيمةً أو حيواناً ، وأمثال هذا يكثر "انتهى.
قال التاج السبكي بعد نقله كلام القشيري في " الطبقات " ٣١٦:٢ :"وهو حقٌ لارَيْبَ فيه ، وبه يَتَّضِحُ أنَّ قول مَنْ قال : ماجاز أن يكون معجزة لنـبيٍّ جَازَ أن يكون كرامةً لولي ، ليس على عمومه ، وأنَّ قول من قال : لافارق بين المعجزة والكرامة إلاَّ التحدّي ، ليس على وجهه " .
وقال السبكي أيضاً ٣٣٧:٢ :" قلت : أمنع ولداً مـن غـير أبويـن ،وقلـب جمادٍ بهيمة ، ونحو ذَلِكَ .. وأمَّا جمهور أئمَّتِنا فعمَّمـوا التجويـزَ ، وأَطْلقـوا القولَ إطْلاقاً".
وقال الشـيخ ابـن تيميـة رحمـه الله في كتـاب "النبـوات" ص١٠٩ :" آيـاتُ الأنبياء ممَّا يعلم العقلاء أنَّها مُختصَّةٌ بهم ليست ممَّا تكون لغيرهم ، فيعلمون أنَّ الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء ، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة =

نالوها باتِّباع الأنبياء وسرِّ الاقتداء [1] ،

= قومهم ، وآياتهم التي فرَّق الله بِهَا بين أتباعهم وبين مُكَذِّبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء .." .

وقال أيضاً ص١١٦ :" آياتُ الأنبياء التي دلَّت على نبوَّتِهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم وأتباعهم ، مثل الإتيان بالقرآن ، ومثل الإخبار بأحوالِ الأنبياء المتقدِّمين وأُممهم ، والإخبار بما يكون يوم القيامة ، ومثل إخراج الناقة من الأرض ، ومثل قَلْب العصا حَيَّةً وشق البحر ، ومثل أن يخلق من الطين كهيئة الطير فينفُخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وتسخير الجنِّ لسليمان لم يكن مثله لغيره ".

وقال العلاَّمة محمد بن يوسف الكافي المتوفى سنة ١٣٨٠ رحمه الله تعالى في "منحة ربِّ العالمين" ص١٤ :" وتكون الكرامة للأولياء من أنواع شتّى إلاَّ نحو ولد دون والد ، فلايكون كرامةً لغير مريم عليها السلام ، فَمَنْ أَتَتْ بِوَلَدٍ و لم يكن لها زوجٌ ولاسيِّد ، وادَّعَتْ أنَّها كرامةٌ لاتُصَدَّق ، وتُحَدُّ شرعاً " انتهى.

(١) قال الحافظ ابن رجب في " فتح الباري " ٥:١٦٧ :" إثبات كرامات الأولياء وخَرْق العوائد لهم . وهو قول عامة أهل السنَّة ، ووافق على ذَلِكَ المعتزلة في زمن الأنبياء خاصَّةً ، وجعلوها من جملة معجزاتهم حينئذٍ . **والتحقيق** : أنَّها من جملةِ معجزات الأنبياء على كلِّ حالٍ وفي كلِّ زمان ؛ لأنَّ ما يكرم الله بذلك أولياءَه فإنَّما هو من بركة اتِّباعهم للأنبياء ، =

ومع ذلك لا تتعلّق بها همّةُ وليٍّ[1] .

= وحُسْن اقْتدائهم بهم ، فدوام ذَلِكَ لأتباعهم وخواصِّهم من جملة معجزاتهم وآياتهم " انتهى .

وقال الإمام الأصولي الشاطبي في " الموافقات " ٢:١٧٨ :" إنَّ جميع ما أُعْطِيَتْهُ هذه الأمة من المزايا والكرامات والمكاشفات والتأييدات وغيرها من الفضائل إنما هي مُقْتَبَسةٌ من مشكاة نبيِّنا محمدٍ ﷺ ، لكن على مقدار الاتِّباع، فلا يظنُّ ظانٌّ أنه حصل على خير بدون وساطة نبوته ، كيف وهو السِّراج المنير الَّذِي يستضيء به الجميع ، والعَلَم الأعلى الَّذِي يُهتدى به في سلوك الطريق " . ثم قال ٢:١٨٠ :" ومن الفوائد في هذا الأصل أن ينظر إلى كلِّ خارقةٍ صدرت على يدَيْ أحد ، فإنْ كان لها أصلٌ في كرامات الرسول ﷺ ومعجزاته فهي صحيحة ، وإن لم يكن لها أصل فغير صحيحة ، وإن ظهر ببادئ الرأي أنَّها كرامة " وانظر تتمة كلامه المهم النفيس عند شرح قول المؤلف ص٢٨٥ :"وشرط الكرامة : أن لاتخرق حكماً شرعياً ".

(١) قال الحافظ ابن رجب في " فتح الباري " ٣:٤٦٥ :" فإنَّ جنس هذه الخوارق تُخشى منها الفتنة إلاَّ لمن قويَ إيمانُهُ ، ورَسَخَ في العلم قدمُهُ ، وميَّز بين حقِّها وباطلها ، والحقُّ منها فتنة أيضاً ، فإنَّه شبيهٌ بالقدرة والسُّلطان الَّذِي يعجز عنه كثيرٌ من الناس ، فالوقوف معه والعُجْبُ به مُهلكٌ ، وقد اتَّفق على ذَلِكَ المشايخ العارفين الصادقين ، كما ذكره عنهم أبو طالب المكي في كتابه " قوت القلوب " ، وأنَّهم رأوا الزُّهد فيه كما آثروا =

= الزهد في الملك والسلطان والرِّياسة والشُّهرة ، فإنَّ ذَلِكَ كلُّه فتنةٌ ووبالٌ على صاحبه إلاَّ لَمَنْ شكر عليه وتواضع فيه ، وخشي من الافتتان ، وقد أخبر الله تعالى عن سليمان عليه السَّلام أنَّه لَمَّا رأى عرش ملكة سبأ عنده قال :﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلوَني ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النمل : ٤٠] انتهى .

فالوليُّ صاحبُ الكرامة لايَسْتأنس بهذه الكرامة ، بل يتضاعف خوفُهُ وخشيتُه من الله عزَّ وجل ، فيزداد له تذلُّلاً وخضوعاً وشكراً .

قال الكلاباذي في "التعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف" ص٨٩ :" وأمّا الأولياء فإنَّهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيءٌ ازدادوا لله تذلُّلاً وخضوعاً وخشيةً واستكانةً وإزْراءً لنفوسهم ، وإيجاباً لحقِّ الله عليهم ، فيكون ذَلِكَ زيادةً لهم في أمورهم ، وقوّةً على مُجاهداتهم ، وشكراً لله تعالى على ما أعطاهم " انتهى .

ويُستَحبُّ سَتْر الكرامة إلاَّ إذا كانت لغرضٍ صحيح ، كنُصْرة دين الله ، أو تحقيق مصلحة ، أمّا إظهارها دون سببٍ موجِبٍ فهو مذمومٌ ، لأنَّ فيها شيئاً من حظِّ النَّفس والعُجْب والمفاخرة .

يقول الشَّعراني في "اليواقيت والجواهر" ٢:١٠٤ :" إنَّ الكرامة عند أكابر الرجال معدودةٌ من جملة رعونات النَّفس إلاّ إن كانت لِنُصْرة دينٍ أو جَلْب مصلحة ؛ لأنَّ الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم ". =

وَشَرْطُ الكرامةِ: أن لا تَخْرِقَ حُكماً شرعياً [1] .

= وتبقى الكرامةُ أولاً وأخيراً مِنْحةً إلهيَّةً وهِبَةً رحمانيةً ، لاتُكْتَسَبُ بكثرة الطاعات والاجتهاد في العبادات ، بل الفضل لله يؤتيه من يشاء.(من كتاب "نظرية الاتصال" ، للدكتورة سَارَة بنت عبدالمحسن بن جلوي ص٢٠٥) .

(١) قال الإمام الشَّاطبيُّ في الموافقات " ٢:١٨٣-١٨٤ :" إنَّ هذه الأمور - أي الخوارق من الفِراسة الصادقة ، والإلهام الصحيح ، والكشف الواضح ، والرؤيا الصالحة - لا يصح أن تراعى وتعتبر إلاَّ بشرط أن لاتخرم حكماً شرعياً ، ولا قاعدةً دينيةً ، فإنَّ ما يخرم قاعدةً شرعيةً أو حكماً شرعياً ليس بحقٍّ في نفسه ، بل هو إما خيال أو وهم ، وإما من إلقاء الشيطان ، وقد يخالطه ماهو حقٌّ ، وقد لا يخالطه . وجميع ذَلِكَ لا يصحُّ اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع . وذلك أنَّ التشريع الَّذِي أتى به رسول الله ﷺ عامٌّ لا خاصٌّ ، وأصله لا ينخرم ، ولا ينكسر له اطِّراد ، ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلَّف .

وإذا كان كذلك فكلُّ ما جاء من هذا القَبيل الَّذِي نحن بصدده مضادًّاً لما تمهَّد في الشريعة فهو فاسد باطل .

ومن أمثلة ذَلِكَ : مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر فرأى الحاكم في منامه أنَّ النَّبي ﷺ قال له : لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطل . فَمِثْلُ هذا من الرؤيا لامُعتَبَر بِهَا في أمرٍ ولا نهيٍ ولا بشارةٍ ولا نِذارة ؛ لأنها تخرم قاعدةً من قواعد الشريعة ، وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع . =

= وعلى هذا لو حصلت له مكاشفة بأنَّ هذا المعيَّن مغصوبٌ أو نجس ، أو أنَّ هذا الشاهد كاذبٌ ، أو أنَّ المال لزيْدٍ ، وقد تحصَّل بالحجة لعمرو أو ما أشبه ذَلِكَ ، فلا يصح له العمل على وفق ذَلِكَ ما لم يتعيَّن سببٌ ظاهر . فلا يجوز له الانتقال إلى التيمم ، ولا ترك قبول الشاهد ، ولا الشهادة بالمال لزيدٍ على حال ، فإنَّ الظواهر قد تعيَّن فيها بحكم الشريعة أمرٌ آخر فلا يتركها اعتماداً على مجرَّد المكاشفة أو الفراسة ، كما لا يعتمد فيها على الرؤيا النوميَّة ، ولو جاز ذَلِكَ لجاز نقض الأحكام بِهَا ، وإن ترتَّبت في الظاهر على موجباتها ، وهذا غير صحيح بحال ، فكذا ما نحن فيه .."

وقال رحمه الله في " الموافقات " ٢:١٨٨ :" ومن هنا لم يعبأ الناس من الأولياء وغيرهم بكل كشف أو خطاب خالف المشروع ، بل عدُّوا أنَّه من الشيطان ... إذ ليس القصد بالكرامات والخوارق أن تخرق أمراً شرعياً ، ولا أن تعود على شيءٍ منه بالنقض ، كيف وهي نتائج عن اتِّباعه ، فَمُحَالٌ أن ينتج المشروع ما ليس بمشروع ، أو أن يعود الفرع على أصله بالنقض ، هذا لا يكون ألبتة ".

ثم نبَّه إلى مسألة مهمة في " الموافقات " ٢:١٩٠-١٩١ وهي :" أنَّ الشريعة كما أنَّها عامة على جميع المكلفين ، وجارية على مختلفات أحوالهم، فهي عامة أيضاً بالنسبة إلى عالم الغيب وعالم الشهادة من جهة كلِّ مكلَّف، فإليها نردُّ كل ما جاءنا من جهة الباطن كما نردُّ إليها كل ما في الظاهر .

والثاني : أنَّ الشريعة حاكمةٌ لا محكومٌ عليها ، فلو كان ما يقع من الخوارق والأمور الغيبية حاكماً عليها بتخصيص عمومٍ أو تقييد إطلاقٍ، =

= أو تأويل ظاهرٍ ، أو ما أشبه ذَلِكَ لكان غيرها حاكماً عليها ، وصارت هي محكوماً عليها بغيرها ، وذلك باطل باتفاق ، فكذلك ما يلزم عنه .

والثالث : أنَّ مخالفة الخوارق للشريعة دليلٌ على بطلانها في نفسها ، وذلك أنَّها قد تكون في ظواهرها كالكرامات ، وليست كذلك ، بل أعمالاً من أعمال الشيطان . كما حكى عياضٌ عن الفقيه أبي مَيْسرة المالكي أنه كان ليلة بمحرابه يصلّي ويدعو ويتضرَّع ، وقد وجد رِقَّةً ، فإذا المحراب قد انشقَّ، وخرج منه نورٌ عظيم ، ثمَّ بدا له وجهٌ كالقمر ، وقال له : تملَّى من وجهي يا أبا مَيْسرة ، فأنا ربُّك الأعلى ، فبَصَقَ فيه ، وقال له : اذهب يالعين عليك لعنة الله .

وكما يُحكى عن عبدالقادر الجيلاني أنه عطش عطشاً شديداً ، فإذا سَحَابةٌ قد أقبلت وأمطرت عليه شبه الرذاذ حتى شرب ، ثمَّ نُودي من سحابة : يا فلان أنا ربُّك ، وقد أحلَلْتُ لك المحرَّمات . فقال : اذهب يا لعين فاضْمَحَلَّت السَّحابة . وقيل له : بِمَ عَرَفْتَ أنَّه إبليس ؟ قال : بقوله قد أحللتُ لك المحرَّمات . هذا وأشباهه لو لم يكن الشرع حَكَماً فيها لما عُرِف أنها شيطانية " .

ثم قال ٢:١٩٤ :" ومن هنا يُعلَم أن كلَّ خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا يصح ردُّها ولا قبولها إلاَّ بعد عرضها على أحكام الشريعة ، فإنْ ساغَتْ هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها ، وإلا لم تُقْبَل . إلاَّ الخوارق الصادرة على أيدي الأنبياء عليهم السلام ، فإنه لانظر فيها لأحد ؛ لأنها واقعة على الصحة قطعاً فلا يمكن فيها غير ذَلِكَ ، ولأجل هذا حكم =

= إبراهيم عليه السلام بذبح ولده بمقتضى رُؤْياه ، وقال لـه ابنـه : ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَر** ﴾ [الصافات :١٠٢] .

وإنما النظر فيما انخرق من العادات على يد غير المعصوم ، وبيان عرضها : أن تفرض الخارقة واردة من مجاري العادات ، فإنْ ساغَ العمل بهَا عادةً وكسباً ساغَتْ في نفسها ، وإلا فلا . كالرجل يكاشف بامرأة أو عورة بحيث اطّلَع منها على ما لايجوز له أن يطّلِعَ عليه ، وإن لم يكن مقصوداً له ، أو رأى أنه يدخل على فلان بيته وهو يجامع زوجته ويراه عليها ، أو يكاشف بمولود في بطن امرأة أجنبية بحيث يقع بصرُه على بَشَرتها أو شيءٍ من أعضائها التي لا يَسُوغ النظر إليها في الحس ، أو يسمع نداء يحسُّ فيه بالصوت والحرف وهو يقول : أنا ربك ، أو يرى ويسمع من يقول له : قد أحلَلْتُ لك المحرَّمات ، وما أشبه ذَلِكَ من الأمور التي لا يقبلها الحكم الشرعي على حال ، ويُقاس على هذا ما سواه ، وبالله التوفيق " . انتهى

وقد أوجز المؤلِّف -رحمه الله تعالى - كلام الشاطبي بقوله : **وشرط الكرامة أن لاتخرق حكماً شرعياً** ، فما يُنقل في بعض كتب الطبقات من كرامات مُستنكرة شرعاً وعقلاً فلا تقبل ؟! كمن يخطب الجمعة عارياً ، أو يشربُ الخمرَ جهاراً نهاراً زاعماً أنَّها تنقلب لبناً خالصاً ، أو يأتي الحيوانات في وضح النَّهار أمام الأسماع والأبصار ؟!

وأعظم أنواع الكرامة : الاستقامة ، وحفظُ آداب الشريعة ، وإتيان مكارم الأخلاق، والمحافظة على أداء الواجبات ، والمسارعة في الخيرات . =

= قال القشيري في "الرسالة" ص١٦٠ :" واعلم أنَّ من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات ، والعصمة عن المعاصي والمخالفات".
وقال سهل بن عبدالله حين سُئِل عن الكرامات :" ومالآيات وما الكرامات شيئ تنقضي لوقتها ، ولكنَّ أكبر الكرامات أن تبدِّل خُلُقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخُلُقٍ محمود "كما في"اللمع"للطُّوسي ص٤٠٠.

قال ابن القيِّم في كتاب "الرُّوح" في الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص٥٨٦ : ولايَشْتَبِه أولياءُ الرحمن بأولياء الشيطان إلاَّ على فاقد البصيرة والإيمان..فإن اشتبه عليك فاكشفه في ثلاث مواطن : في صلاته ، ومحبته للسُّنة وأهلها ونفرتِهِ عَنْهُم ، ودعوته إلى الله ورسله وتجريد التَّوحيد والمتابعة وتحكيم السُّنة ، فَزِنْهُ بذلك لا تَزِنْهُ بحالٍ ولا بكشفٍ ولا خارقٍ ولو مَشَى على الماء وطَارَ في الهواء "انتهى .

وقال الحافظ في "الفتح" ٣٨٣:٧ :" إنّ الَّذِي استقرَّ عند العامَّة أنَّ خرق العادة يدلُّ على أنَّ من وقع له ذَلِكَ من أولياء الله تعالى ، وهذا غَلَطٌ ممَّن يقولُه ، فإنَّ الخارق قد يظهر على يد المُبْطل من ساحرٍ وكاهنٍ وراهب ، فيحتاج من يستدلُّ بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وَأَوْلى ماذكروه : أن يُختبر حالُ مَنْ وَقَعَ له ذَلِكَ ، فإن كان مُتَمَسِّكاً بالأوامر الشرعيَّة والنَّواهي ، كان ذَلِكَ علامة ولايته ، ومَنْ لا فلا ، وبالله التوفيق"انتهى. =

= ونقل الحافظ السخاوي في " الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر" ٢:٩٤١-٩٤٣ جواب الحافظ ابن حجر عما ذكره الشطنوفي في كتابه "البهجة " من كرامات الشيخ عبدالقادر الكيلاني رحمه الله تعالى ، فقال :" وقد ذكر أئمتنا لما يظهر من الخوارق ضابطاً يتميَّز به المقبول من المردود ، فقالوا : إن كان الواقع ذلك له أو منه على المنهاج المستقيم ، فهي كرامةٌ ، كالشيخ عبدالقادر ، وإن كانت الواقعة منه أو له على الوجه المباين للشريعة المطهَّرة ، فليست فيها دلالة على الولاية ولا كرامة ، فهذا هو الحدُّ الفارق بين الكرامة الدَّالَّة على الولاية ، والخارق الَّذي لايدلُّ عليها، بل ربما دلَّ على ضدِّها كما يظهر في كثيرٍ من أحوال المبتدعة المتَمسِّكين بما يُباين الأمور الشرعية ، فإنَّها أحوالٌ شيطانية لا يغترُّ بِهَا إلاَّ الجهلة .

وربَّما ظهرت على أُناس في حال غَيْبتهم وذهولهم ، وهو على قسمين : من كان قبل ذَلِكَ على المنهج القويم ، فتلك كرامة ، ولكن لا يُقتدَى بأقوال مَنْ هذا سبيلُه ولا بأفعاله ، بل يُعذَر على ما يصدر منه ، لكونه في حال غَيبةِ عقله الَّذِي هو مناطُ التكليف . والأَوْلى منع جهلة العامَّة من ملازمة مثل هذا ، لئلا يظنُّوا أنَّ الَّذِي يصدر منه في حال غَيْبتِهِ هو الحق فيقتدوا به ، ومن هنا ضلَّ كثيرٌ منهم، وبالله التوفيق " انتهى .

وذكر السَّخاويُّ أيضاً في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر في " الجواهر والدرر" ٣:١٠٤٧ أنَّه " كان يُنكر على كثيرٍ من مكشوفي العورات ، المُتضمِّخين في النَّجاسات ، الناهبين البضائع من الطرقات ، المُتلذِّذين بالشهوات ممَّن لم يُعلم صلاحُه قبل هذه الحالات " انتهى .

(فَصْل)

المَوتُ بالأجَلِ المحدود ولو مَقْتولاً[1] ،

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿فإذا جَاءَ أجَلُهُمْ لا يَسْتأخِرونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمونَ﴾ [الأعراف:٣٤] ، و [النحل: ٦١] .
وقال سُبْحَانَهُ: ﴿مَا تَسْبِقُ مِن أُمَّةٍ أجَلَها وَمَا يَسْتأخِرونَ﴾ [الحجر: ٥] و [المؤمِنون: ٤٣] .
وقال عَزَّ وَجَلّ: ﴿وما كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلاَّ بِإذْنِ الله كِتَاباً مُؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: ١٤٥] .
فالله سُبْحَانَهُ قدَّرَ آجالَ الخلائق ، فالمقتولُ ميِّتٌ بأجَلِهِ ، وأجلُ الإنسان هو الوقت الَّذِي يعلم الله أنّه يموت الحيُّ فيه ، فعَلِمَ الله تعالى وقدَّرَ وقضى أَنَّ هذا يموتُ بسببِ المرض ، وهذا بسبب القتل ، وهذا بسبب الهدْم ، وهذا بالحَرْقِ ، وهذا بالغَرَقِ ، إلى غير ذَلِكَ من الأسباب ، والله سُبْحَانَهُ خلَقَ الموتَ والحياةَ ، وخَلَقَ سببَ الموتِ والحياة.
وأمَّا وجوبُ القصاص ، والدِّية على القاتل ؛ فلارتكابه المنهيَّ عنه ، ومباشرتِهِ السببَ المحظور.
قال القرطبي في" تفسيره" ٧:٢٠٢ :" فإن قيل : فإن مات بأجله فلِمَ تقتلون ضاربَه وتَقْتَصُّون منه ؟ قيل له : نقتله لتعدِّيه وتصرُّفِهِ فيما ليسَ له أن يتصرَّف فيه ، لا لموته وخروج الرُّوح ؛ إذ ليس ذَلِكَ من فعله . ولو تُرِكَ النَّاس والتعدِّي من غير قِصَاص لأدَّى ذَلِكَ إلى الفساد ودمار العباد ، وهذا واضح ". انتهى .

وعزرائيلُ هو مَلَكُ المـوتِ قَـابضُ الأرواحِ بـإذن الله(١) ، ولـه ملائكةٌ أعوان(٢) .

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَـكُ المَوْتِ الَّـذِي وُكِّـلَ بِكُـم ثُـمَّ إلى رَبِّكُـمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].
قال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية" ١:٤٧ :" وأمَّا مَلَكُ الموت فليس بمصرَّحٍ باسمه في القرآن ولا في الأحاديثِ الصِّحَاح ، وقد جاءت تسميتُه في بعض الآثار بعزرائيل ، وله أعوانٌ يستخرجون روحَ العبد من جُثَّته حتى تبلغ الحلقوم ، فيتناولها ملك الموت بيده ، فإذا أَخذَها لم يدعوها طَرْفَةَ عينٍ حتّى يأخذوها منه ، فيلفُّوها بأكفان تَليقُ بهَا " . وانظر ما تقدم ص١٠٠ .
(٢) قال سبحانه: ﴿حَتّى إذَا جَاءَ أَحدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفرِّطُونَ﴾ [الأنعام :٦١] .
ومن هؤلاء الأعوان: ملائكة الرحمة ، قال تعالى :﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ :سَلامٌ عَلَيْكُمْ ادْخلُوا الجَنَّةَ بِمَاكُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢] . ومنهم : ملائكة العذاب ، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إذْ يَتَوَفَّى الَّذين كَفَرُوا المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠] .
والله تعالى هو الآمِرُ لذلك كله ، وهو الخالقُ لأفعالِ المخلوقات .
وهذا وَجْهُ الجمعِ بين هذه الآيات ، وآيةِ سورةِ السجدة: ﴿قُلْ يَتوفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ﴾ ، وبين قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتوفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِها﴾ [الزُّمَر:٤٢] ، فالمتوفِّي على الحقيقةِ هو الله تعالى.

س٣٢- ماذا يُفْعَلُ بالميِّت بعدَ دفنه؟

إمَّا في نعيمٍ وإمَّا في عذاب[١] ،

---

(١) وقد دلّت الآيات في كتاب الله سبحانه والأحاديث الصحيحة على إثبات عذاب القبر ونعيمه .

منها قوله تعالى في قوم نوح عليه السلام : ﴿ **مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً** ﴾ [نوح :٢٥] ، أي : بسبب ذنوبهم أُغرقوا بالطُّوفان ، ﴿ **فَأُدْخِلُوا نَاراً** ﴾ ، قال الخازن ٣١٤:٤: "والفاء تقتضي التعقيب ، وهذا يدل على أنه إنما حصل دخول النار عقب الإغراق ، ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لأنّه يُبطل دلالة الفاء " .

وقال النسفي ٣١٤:٤ :" والفاء في ﴿ **فَأُدْخِلُوا** ﴾ للإيذان بأنّهم عُذّبوا بالإحراق عقيب الإغراق فيكون دليلاً على إثبات عذاب القبر " انتهى.
ويلحق بقوم نوحٍ في عذاب القبر من كان في حكمهم من الكفّار .

ومنها قوله تعالى في فرعون وقومه : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ [غافر :٤٦] أي: يُعرضون على النار ، وعرضُهُم عليها إحراقُهُم بها ، ﴿ **غُدُوّاً وَعَشِيّاً** ﴾ أي: صباحاً ومساءً مادامت الدنيا ، فإذا قامت الساعة قيل لخزنة جهنم : ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ** ﴾ وفي قراءة ﴿ **ادخُلُوا** ﴾ أي: يقال =

= لهم:ادخُلوا يا آلَ فرعون أشَدَّ العذاب ، فهذه الآية دليلٌ على إثباتِ عَـذَاب القبر ، أعاذنا الله منه بِمَنِّهِ وكرمه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْت والمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِم أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اليَـوْمَ تُجْـزَوْنَ عَـذَابَ الهُون بِمَـا كُنْتُـمْ تَقُولُونَ على اللهِ غَيرَ الحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾[الأنعام :٩٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ** ﴾[الطور: ٤٧].

أخرج الطبري ٤٨٧:٢٢ بسندٍ حسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : عذاب القبر قبل يوم القيامة . وكذلك روي عن ابن عباس في قولـه تعـالى: ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُـمْ مِـنَ العَـذَابِ الأدْنَـى دُونَ العَـذَابِ الأكْبَرِ لَعلَّهُـمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة : ٢١] . وكذا قال قتـادة والحسـن كمـا في "تفسير الطبري" ٤٤٣:١٢ في قوله تعالى: ﴿ **سَـنُعَذِّبُهُم مَرَّتَيْـن** ﴾ [التوبـه : ١٠١] أحدهما : في الدنيا والأخرى هي عـذاب القـبر .قـال الطـبري ٤٤٥:١٢ : "قوله جلَّ ثناؤه : ﴿ **ثُمَّ يُرَدُّون إلى عَذَابٍ عَظِيم** ﴾ ، دلالة على أنَّ العذاب في المرَّتين كلتيهما قبل دخولهم النار ، والأغلب من إحـدى المرتـين أنهـا في القبر ". وأمَّا نعيـم القـبر فقـد دلَّ عليـه قولـه تعـالى: ﴿ **فَأَمَّـا إنْ كَـانَ مِـنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ [الواقعة :٨٩] .

وأمَّا الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه فهي كثيرةٌ جـداً بلغـت حـد التواتر فمنها : ما رواه البخاري (١٣٧٩) ومسلم ٢١٩٩:٤ (٢٨٦٦) =

= عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال : " **إنَّ أحدَكُم إذا ماتَ عُرِض عليه مَقْعَدُهُ بالغَداة والعَشيِّ ، إنْ كان من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة ، وإنْ كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثَكَ الله يومَ القيامة** " .

وروى البخاري في كتاب الجنائز (١٣٧٢) عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ؟ قال :" **نعم عذاب القبر حق** " قالت عائشة : فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ صَلَّى صَلاةً بعد ذلك إلا تعوَّذَ من عذاب القبر .

وروى مسلم في صحيحه ١:٤١٣ (٥٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلِّمهم هذا الدعاء كما كان يعلِّمهم السُّوَر من القرآن " **اللهم إنِّي أعوذُ بكَ من عَذَابِ جهنَّم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر، وأعوذُ بك من فتنه المسيحِ الدجال ، وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والممات**" . قال ابن رجب في "أهوال القبور" ص٤٣ : "وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في عذابِ القبر والتعوُّذ منه " .
والعذاب والنعيم على الروح والبدن معاً . قال الحافظ ابن رجب أيضاً في "أهوال القبور" ص ٨١ : "ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد:الأحاديث الكثيرة في تضييق القبر حتى تختلف أضلاعه ، ولأنَّه لو كان العذاب على الرُّوح خاصة لم يختصَّ العذاب بالقبر و لم يُنسب إليه ".

وَسُؤالُ المَلَكَين[1] حقٌّ بعد أن تَرجِعَ لهُ حياةٌ يفهَمُ بها الخطاب ، وَيَرُدُّ الجواب ، وَيَسْألانِهِ عن دينه[2] ؛ فأمَّا المؤمنُ

---

(١) وهما منكرٌ ونكيرٌ ، كما ثَبَتَ تسميتهما في حديث الترمذي الآتي بعد قليل، وقد أطْبَقَ أهل السنة على اعتباره ، ولم يخالف فيه إلاَّ المعتزلة ، فقالوا: لا يجوز أن نسمي الملائكة بمنكر ونكير ، ولم يلتفت أهل السنة إلى قولهم اعتماداً على ما جاء في بعضِ طرق الحديث (الحاوي ، للسيوطي ١٩٣:٢) .

(٢) وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أنَّهما يسْألانه عن ربِّه ودينِهِ ونبيِّهِ .

روى أحمد في مسنده ٢٨٧:٤،وأبو داود في كتاب السنة ٢٥٠:٥(٤٧٢٠) مسألة في القبر من حديث البراء بن عازب مرفوعاً وفيه :" **ويأتيه مَلَكان فَيُجْلِسَانه ، فيقولان له : مَنْ ربُّك ؟ فيقول : ربيَ الله . فيقولان له : ما دينُك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : مَا هَذا الرجُلُ الَّذِي بُعِثَ فيكم ؟ فيقول : هو رَسُولُ الله ﷺ** " .

وروى الترمذي في كتاب التفسير ٢٧٦:٥ (٣١٢٠) من حديث البراء عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ قال :" **في القبر ، إذا قيل له : مَنْ ربُّك ؟ وما دينُك؟ ومن نبيُّك؟**" قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . =

= وروى البخاري في كتاب الكسوف (١٠٠٥) ، ومسلم في الكسوف أيضاً ٢:٦٢٤ (٩٠٥) عن أسماء بنت أبي بكر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول :" **إنّه قد أُوحيَ إليَّ أنّكم تُفتنون في القبور قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال ، فيُؤْتى أحدكم فيُقال له : ما عِلمُكَ بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن** - أو الموقن - **فيقول : هو محمَّدٌ رسولُ الله ، جاءنا بالبيِّنات والهدى فأجبنا وآمنا واتَّبعنا ، فيقال له : نَمْ صالحاً ، قد علمنا إنْ كنتَ لمؤمناً . وأما المنافق** - أو المرتاب - **فيقول : لا أدْري ، سمعت النَّاس يقولون شيئاً فقلته** " .

قال السيوطي في " طُلوع الثريا " ص ٨٦ : " هذا لفظ البخاري من غير زيادةٍ عليه، وهو أخْصَرُ حديثٍ وَرَدَ في السؤال ، وقد ورد سواهُ أحاديث مطوَّلة صحيحة فيها زياداتٌ كثيرةٌ اعتمدها النَّاس ، من ذَلِكَ أنه لم يذكر في هذا الحديث السؤال عن ربه ودينه ، وهو ثابتٌ في غيره ، وأنَّ المؤمن يقول في الجواب : ربي الله ، وديني الإسلام . وقال أيضاً : أطبق العلماء على أنَّ المراد بقوله : " **يفتنون** " وبفتنة القبر : سؤال الملكين الفتَّانَيْنن .

قال ابن الأثير في " النهاية " ٣:٤١٠ وفي حديث الكسوف :" **وإنّكم تُفتنون في القبور** " يريد مسألةَ منكر ونكير ، من الفتنة : الامتحان والاختبار، وقد كثُرت استعاذته ﷺ من فتنة القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات، وغيرذلك . ومنه الحديث : " **فبي تُفتَنون وعنّي تُسْأَلون** " أي : تمتحنون في قبوركم ويتعرف إيمانكم بنبوتي " . =

= وقال الإمام عَلَمُ الدين السَّخاوي في أرجوزته في " أصول الدين " :

وكلُّ مَا أتاكَ عن محمـــدِ صَلَّى عَليهِ اللهُ خُـذْهُ تَرْشُـدِ

من فتنةِ العبادِ في القُبــورِ والعرضِ يومَ البعثِ والنشورِ

قال ابن عبدالبر في " التمهيد " ٢٢:٢٥٢ :" الآثار الثابتة في هذا الباب تدلُّ على أنَّ الفتنة في القبر لا تكون إلاَّ لمؤمنٍ أو منافق ممَّن كان في الدنيا منسوباً إلى أهل القِبْلة ، ودينِ الإسلام ، ممَّن حُقِن دمه بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المُبْطل، فليس ممَّن يُسْأل عن ربِّه ودينه ونبيِّه ..أما ما جاء من الآثار: أنَّ اليهود تُعذَّب في قبورها ، فهذا -والله أعلم- عذابٌ غير الفتنة والابتـلاء الّذي يعرض للمؤمن ،وإنَّما هذا عذابٌ واصِبٌ للكفار إلى أن تقوم الساعة، فيصيرون إلى النار..وجائز أن يكون عذاب القبر غير فتنـة القـبر، وقـد ثبـت عن النبيِّ ﷺ أنه كان يستعيذ من فتنة القبر ، وعذاب القبر ، وعـذاب النـار في حديث واحد ، وذلك دليلٌ على أنَّ عذاب القبر غير فتنة القبر " انتهى .

وتعقَّبه ابن القيم في كتــاب " الـروح " ص٢٢٨ وقـال :" والقـرآن والسـنة تدلُّ على خلاف هذا القول ، وأنَّ السؤال للكافر والمسلم . قال الله تعـالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِيـنَ آمَنُـوا بِـالقَوْلِ الثَّـابِتِ فِـي الحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وفي الآخِـرَة وَيُضِـلُّ اللهُ الظَّـالِمِينَ** ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ، وفي حديـث أنـس في البخــاري (١٣٧٤) : " **وأمَّا المنافقُ والكافر** " بواو العطف " انتهـى . وينظـر " فتـح الباري " ٣:٢٣٨-٢٣٩.

فيجيب باعتقاده ، **فيُنَعَّمُ** ، ويقالُ له: نَمْ نومةَ عَرُوس ، فيكونُ في أحلى نَوْمةٍ نامَها أحدٌ حَتّى يُبعث .

وأما غيرُ المؤمن فيقول: لا أَدْري . **فيُعَذَّبُ** ، فَذَلِكَ قولُه تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابتِ في الحَيَاةِ الدُّنيا وفي الآخِرَةِ ويُضِلُّ اللهُ الظَّالِمين﴾**[1] .

---

(١) من سورةِ إبراهيم ، الآية : ٢٧ ، **والقول الثابت:** هي الكلمةُ الطيبةُ ، وهي شهادةُ أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، وَأَنَّ محمداً رسول الله .

وقوله تعالى: **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابتِ في الحَيَاةِ الدُّنيا﴾** حتى إذا فُتِنوا في دينهم لَمْ يزلُّوا **﴿وَفي الآخِرَةِ﴾** في القبر عند السؤال بتلقين الجواب وتمكين الصواب ، وفي القيامةِ عند البعث والحساب **﴿ويُضِلُّ اللهُ الظَّالِمينَ﴾** يعني: أَنَّ الله لا يوفِّقُ المنافق والكافر في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ عند المُسَاءَلة في القبر ، لما هدى له المؤمِنين من الإيمان بالله ورسوله ﷺ .

قال الحكيم الترمذي في " نوادر الأصول " ٢:٥٩٦ :" وقوله : **﴿ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاء ﴾** تأويله - والله أعلم - : أنَّ من مشيئته أن يرفع مرتبة أقوام عن السؤال ، وهم الصدِّيقون والشُّهداء ، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قيل له : ما بال الشهداء لا يفتنون في قبورهم ؟ فقال " : **كفى ببارقة السيوف عليهم فتنة** " أخرجه النسائي ٤:٩٩ ، فإذا كان الشهيد لا يُفتن ، فالصِّدِّيق أحْرى أن لا يُفتن " انتهى .

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: "**إذا قُبِرَ الميتُ -أو قال : أحدكم- أتاه مَلَكان أسْوَدان أزرَقان ، يُقالُ لأحدِهِما: المنكر ،** =

= وللآخر: النكير ، فيقولان له: ما كنت تقول في هـذا الرجـل محمـدٍ ﷺ؟ فهو قائلٌ ما كان يقول ، فـإن كـان مؤمِنـاً قـال: هـو عبـدُالله ورسـولُه ، أشهدُ أن لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، وأشهدُ أَنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، فيقولان له: إنْ كنا لنعلَمُ أنَّك لتَقولُ ذلك ، ثُمَّ يُفْسَحُ له في قبرِهِ سبعون ذِراعاً في سبعين ذِراعاً ، ويُنَوَّر له فيه ، فيقـال لـه: نَـمْ ، فيَنـامُ كنومـةِ العَـروس الَّـذِي لا يُوقِظُهُ إلاَّ أحبُّ أهلِهِ إليه حتى يبعثَـهُ الله مـن مَضْجَعِهِ ذَلِـكَ ، وإنْ كَـان مُنافقاً ، قال : لا أدري ،كنتُ أسْمَعُ النَّاسَ يقولون شَيئاً ، فكنتُ أقولُه ، فيقولان لهُ : إنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تقولُ ذَلِكَ ، ثـمَّ يُقَـال لـلأرضِ : الْتَئِمِـي عليه ، فَتَلْتَئِمُ عليه حتى تختلف فيها أضلاعُه ، فلا يَزالُ مُعذَّباً حَتى يَبْعثَـه الله من مَضْجَعِـهِ ذَلِـكَ " . أخرجـه الـترمذي (١٠٧١) في الجنـائز وقـال: حديثٌ حسنٌ غريب ، وابن حبَّان في صحيحه (٣١١٧) ، ورجال إسناده على شرط مسلم.

وعن عثمان بن عفَّان ﷺ قال: كان النَّبيُّ ﷺ إذا فَرَغَ من دفنِ الميت وَقَـفَ عليه فقال:" استغفِروا لأخيكم ، وَسَـلُوا لـه التثْبيـتَ ، فإنَّـه الآن يُسْـأَل" أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز ٤:٦٤ (٣٢١٣) .

قال الخازن في تفسيره ٣: ٧٩: "والمراد من التثْبيت بالقول الثابتِ: هـو أَنَّ الله تعالى إنَّما يثبِّتهم في القبر بسببِ كـثرةِ مواظبتهـم علـى شـهادةِ الحـقِّ في الحياةِ الدنيا ، وحبِّهم لهـا ، فَمَـنْ كـانت مواظبتُـه علـى شـهادةِ الإخـلاص أكثر ، كان رسوخُها في قلبه أعظم ، فينبغي للعبدِ المسلم أن يُكْثِرَ من قول: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله محمدٌ رسول الله في جميعِ حالاتِهِ من قيامِهِ وقعودِهِ ونومِـهِ =

لابدَّ من ذلك[1] ولو تفرَّق جسده في أماكنَ متباعدةٍ ، فالله قادرٌ أن يذيقَهُ ذلك كَيْفَمَا كان .

وقولُ الملاحدة: نفتحُ القبر فلا نجد ما يدلُّ على ذلك ، جهالةٌ، لأنَّ الله يسترها[2] ،

= ويقظتِهِ وجميعِ حركاتِهِ وسكناتِهِ ، فلعلَّ الله عَزَّ وَجَلّ أن يرزقَهُ ببركة مواظبَتِهِ على شهادةِ الإخلاص ، التثبيتَ في القبر ، ويسهِّل عليه جوابَ الملكين بما فيه خَلاصُهُ من عذابِ الآخرة ، نسألُ الله التثبيتَ في القبر ، وحُسْنَ الجواب وتسهيلَه بفضْلِهِ ومَنِّهِ وكرَمِهِ وإحسانِهِ ، إنَّه على كُلِّ شيءٍ قدير" ا. هـ.

(١) أي : من سؤال الملكين وعذاب القبر أو نعيمه ، ولا فرقَ بين مَن دُفِنَ في القبر ، أو صار في بطنِ السَّبُعِ ، أو في قَعْرِ البحر ، فالله على كُلِّ شيء قدير ، وبكلِّ شيءٍ عليمٌ خبير.

(٢) قال العلامة ابن القيم في كتابه "الرُّوح" في الردِّ على الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ، وعلى إخوانهم من أهل البدع والضلال القائلين : كل حديث يخالفُ مُقْتضَى المعقول والحسِّ نقطع بتخطئة قائله !! قال رحمه الله (ص ١٧٨-١٨٢) ماملخَّصه :" الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته ، بل إخبارهم قسمان : **أحدهما** : ماتشهد به العقول والفِطَرِ السليمة . **والثاني** : ما لا تدركه العقول بمجردها، كالغيوب التي أخبروا بِهَا عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، =

= فلايكون خبرهم مُحالاً في العقول أصلاً ، فتأتي الأنبياء بمجازات العقول لا بمحالاتها .

والله سبحانه جعل الدور ثلاثاً : **دار الدنيا** ، **ودار البرزخ** ، **ودار القـرار** ، وجعل لِكُلِّ دارٍ أحكاماً تختصُّ بِهَا ، وركَّب هذا الإنسان من بدن وروح ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ، والأرواحُ تَبَعاً لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبـدانُ تَبَعـاً لهـا ، فـالأبدان هنـا ظـاهرةٌ والأرواح خفيَّة، والأبدان كالقبور لها . والأرواح هنـاك ظـاهرة ، والأبـدان خفيَّـةٌ في قبورها ، تجري أحكام الـبرزخ على الأرواح فَتَسْري إلى أبدانهـا نعيمـاً أو عذاباً ، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحهـا نعيمـاً أو عذاباً .

وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذَلِكَ أنموذجاً في الدنيـا مـن حال النائم ، فإنَّ مايُنعَّم به أو مايُعذَّب في نومه يجري علـى روحـه أصـلاً ، والبدنُ تبعٌ له، وقد يقوى حتى يؤثِّر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم في نومه أنَّه ضُرِب فيصبح وآثار الضـرب في جسـمه ، ويـرى أنَّـه قـد أكـل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، ويذهب عنـه الجـوع والظمأ . فإذا كانت الرُّوحُ تتألَّم وَتَتَنَعَّـم ، وَيَصِـلُ ذَلِـكَ إلى بدنهـا بطريـق الاسْتِتْبَاع ، فهكذا في البرزخ ، بل أعظم ، فإنَّ تجرُّد الرُّوح هنـالك أكمـل وأقوى ، وهي متعلِّقة ببدنها لم تنقطع عنه كلَّ الانقطاع.

ومتى أَعْطَيتَ هذا الموضع حقَّه تبيَّن لـك أنَّ مـا أخـبرَ بـه الرَّسـولُ ﷺ مـن عذاب القبر ونعيمه ، وضيقه وسَعَتِهِ ، وضمِّه ، وكونه حفرةً من حفـر =

ولو بَرَزَت أمورُ الآخرة للأحياء لَبَطَلَتْ حكمـةُ البـاري تعـالى في سَعادةِ من يؤمنُ بالغيب ، وشقاوةِ من يكفُرُ به[1].

= النّار أو روضةً من رياض الجنّة مطابق للعقل ، وأنه حقٌ لا مِرْيَـةَ فيـه ، وأنّ من أشكل عليه ذَلِكَ فمن سوء فهمه وقلة علمه أُتي ، كما قيل :

وَكَمْ من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتُهُ من الفَهْمِ السَّقيمِ . انتهى .

(١) جعـل الله سـبحانه أمـر الآخـرة ومـايتصل بهَـا غيبـاً ، وحجبهـا عـن إدراك المكلّفين ، وذلك من كمال حكمته ، ليتميَّز المؤمنون بالغيب مـن غـيرهم ، ولو أَطْلَعَ الله سبحانه عباده على الغيـب ، لزالـت حكمـةُ التكليـف ، وَلَمَـا تدافَنَ النّاسُ أيضاً ، كما في صحيـحِ مسـلم (٢٨٦٧) عنـه ﷺ : **"لـولا أن تدافَنوا ، لدَعَوتُ الله أن يُسمِعَكُمْ من عذابِ القبر ما أسمع"** ، ولَمَّا كانت هذه الحكمةُ منتفِيَةً في حقِّ البهائم سمعت ذَلِكَ وأدركته.

قال الحافظ في " الفتح" ٣:٢٣٥ :" وإنّما أتى الغلط من قياس الغائب علـى الشاهد، وأحوال مابعد الموت على ماقبلـه ، والظـاهرُ أنَّ الله تعـالى صَـرَفَ أَبْصَارَ العباد وأسماعَهم عن مشاهدة ذَلِـكَ وسَتَره عنهـم إبقـاءً عليهـم لئـلاّ يتدافنوا ، وليست للجوارح الدنيوية قدرةٌ على إدراك أمور الملكوت إلاّ مَـنْ شاء الله " انتهى.

س٣٣- ما البَرْزَخ؟

هو عالَمٌ بينَ الدُّنيا والآخرةِ موجودٌ الآنَ ، وفيه مُسْتَقَرُّ الأرواح وما شاء الله (١) .

---

(١) قال في "القاموس" :" البرزخ الحاجز بين الشيئين ، ومن وقت الموت إلى القيامة ، ومن مات دخله " انتهى . ووجه تسميته برزخاً لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٠] .

قال الإمام السيوطي في " طلوع الثريا " ص٥٥ ، وفي " الحاوي " ٢:١٨٥ : " قال الإمام عبدالجليل بن موسى القَصْري في " شُعَب الإيمان " ونقله عنه الإمام أبو زيد الجزولي في شرح رسالة ابن أبي زيد : البرزخ على ثلاثة أقسام : مكان ، وزمان ، وحال . **فالمكان** : من القبر إلى عليين تَعمرُهُ أرواح السُّعداء ، ومن القبر إلى سجِّين تعمُرُه أرواح الأشقياء . **وأمَّا الزمان**: فهو مُدَّة بقاء الخلق فيه ، من أوَّل من مات أو يموت من الجنِّ والإنس إلى يوم يُبعثون . **وأما الحال** : فإمَّا مُنعَّمةٌ ، وإمَّا مُعذَّبةٌ ، أو محبوسةٌ حتَّى تتخلَّص بالسؤال من الملكين الفتَّانَيْن " انتهى .

(فَصْل)

والسَّاعةُ حقٌّ(١) ، ولا يعلمُ وقتَها إلاَّ اللهُ(٢) .

---

(١) **السَّاعة** : قال الراغب في " المفردات " ص ٤٣٤ ، ونقله الحافظ في "الفتح" ١١:٣٦٤ :" الساعةُ : جزء من أجزاء الزمان ، ويعبَّر به عن القيامة ، قال تعالى : ﴿ **اقْتَرَبَت السَّاعَةُ** ﴾ [القمر :١] سُمِّيت تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه : ﴿ **وَهُوَ أَسْرَعُ الحَاسِبِين**﴾ [الأنعام :٦٢] .
وقيل : الساعات التي هي القيامة ثلاثة : الساعة الكبرى ، هي بعث الناس للمحاسبة . والساعة الوسطى : وهي موت أهل القرن الواحد . والساعة الصغرى: وهي موت الإنسان ، فساعةُ كلِّ إنسان موته ، وهي المشار إليها بقوله: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بلقاءِ الله حَتَّى إذَا جاءَتهم السَّاعَةُ بَغْتَةً**﴾ [الأنعام:٣١] ، ومعلوم أنَّ هذه الحسرة تنالُ الإنسان عند موته " انتهى .

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَسْأَلونَكَ عن السَّاعةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** -أي: إثباتُها واستقرارها- **قُلْ إنَّمَا عِلْمُها عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ** -أي: عظُمَتْ- **في السَّموَاتِ والأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عنها** -أي : عالِمٌ بها- **قُل إنَّمَا عِلْمُها عندَ اللهِ وَلَكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَعلَمُونَ**﴾ [الأعراف:١٨٧] .
وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تكون قريباً**﴾ [الأحزاب: ٦٣] .
وَقَالَ عَزَّ وجَلّ: ﴿**يَسْأَلونَكَ عن السَّاعةِ أَيَّانَ مُرْسَاها ۝ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاها ۝ إلى ربِّكَ مُنْتَهَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤] . =

والحشْرُ وتفاصيلُه التي ذكرَها الشَّرعُ العزيزُ حقٌّ .

س٣٤- هل الحشر بالجسم أم بالرُّوح دونَ الجسم؟

تُحشرُ الأجسامُ بأعيانها التي كانت في الدنيا ، وهي التي تُحَاسَب (١) .

= وفي حديث جبريل الشهير : قال :" متى الساعة "؟ قال : " **ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل** ".

(١) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في " الفوائد " ص٤٣ :" إنَّ الله سبحانه يعيد هذا الجسد بعينه الَّذِي أطاع وعصى ، فينعِّمُهُ ويُعذِّبُهُ كما يُنعِّم الرُّوح التي آمنت بعينها ، ويُعذِّب التي كفرت بعينها ، لا أنَّه سبحانه يخلق روحاً أخرى غير هذه فينعِّمُها ويعذِّبُها كما قاله من لم يعرف المعاد الَّذِي أخبرت به الرُّسل ، حيث زَعَمَ أنَّ الله سبحانه يخلق بدناً غير هذا البدن من كلِّ وجه! عليه يقع النعيمُ والعذاب . والرُّوح عندهم عَرَضٌ من أعراض البدن ، فيخلُقُ روحاً غير هذه الرُّوح ، وبدناً غير هذا البدن ! وهذا غير ما اتفقت عليه الرسل ، ودلَّ عليه القرآن والسنَّة ، وسائر كتب الله تعالى . وهذا في الحقيقة إنكارٌ للمعاد ، وموافقة لقول من أنكره من المكذِّبين ، فإنَّهم لم ينكروا قدرة الله على خلق أجسامٍ أُخر غير هذه الأجسام يُعذِّبها ويُنعِّمها ؛ كيف وهم يشهدون النوع الإنساني يُخلَقُ شيئاً بعد شيء ، فكل وقت يخلق الله سبحانه أجساماً وأرواحاً غير الأجسام التي فَنِيَتْ ؛ فكيف يتعجَّبون من شيءٍ يشاهدونه عياناً ؟! وإنَّما تعجَّبوا من عودهم بأعيانهم بعد أن مزَّقَهُمُ البِلى ، وصاروا عظاماً ورُفاتاً، فتعجَّبوا أن يكونوا هم بأعيانهم مبعوثين للجزاء ، ولهذا قالوا : =

س٣٥- هل يُسْمَع طلبُ الدليل فنّياً على عذابِ القبر ونعيمِهِ وما بَعْدَهُ من أمورِ الآخرةِ كالحشْرِ بالأجْسامِ وغيره؟

لا يُسمع فهو طلبٌ لا يتوجَّهُ أصلاً ، ولا يقوله عاقل ذو إدراكٍ سليم ؛ لأنَّ الغيبيَّات هِيَ مما وراء الطبيعة ، وقواعد الفن مُنْحصِرةٌ في الطبيعيات [1] .

= ﴿ ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابَاً وَعِظَامَاً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُون ﴾ [الصافات : ١٦] ، وقالوا : ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيد ﴾ [ق :٣] . ولو كان الجزاء إنّما هو لأجسام غير هذه، لم يكن ذَلِكَ بعثاً ولا رجعاً ، بل يكون ابتداءً ، ولم يكن لقوله : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأرضُ مِنْهُم ﴾ [ق : ٤] كبير معنى ؛ فإنّه سبحانه جعل هذا جواباً لسؤالٍ مقدَّر ، وهو أنّه يُميِّز تلك الأجزاء التي اختلطت بالأرض ، واستحالت إلى العناصر بحيث لا تتميَّز ، فأخبر سبحانه أنه قد عَلِم ما تنقصُهُ الأرضُ من لحومهم وعظامهم وأشْعارهم ، وأنّه كما هو عالمٌ بتلك الأجزاء؛ فهو قادرٌ على تحصيلها وجمعها بعد تفرُّقها ، وتأليفها خلقاً جديداً " انتهى .

(١) قال ابن عبدالبر في " التمهيد " ٢٥٤:٢٢ في شرح حديث فتنة القبر وسؤاله :" أحكام الآخرة لا مَدْخَل فيها للقياس والاجتهاد ، ولا للنظر والاحتجاج ، والله تعالى يفعل ما يشاء ، لا شريك له " انتهى. =

والعوالم الأُخرَويَّة من أحوال الموتِ فما بعده إلى الجنَّةِ والنار ليست متولّدَةً من الدنيا تولُّداً طبيعياً بانقلاب الأطوار المتناسبة ، فيدركه العقل بالقواعدِ والقياساتِ والتنظيرِ بما يراه من المكتشفات .

وكذا يُقال في سائر الغيبيات التي أثبتَها الشَّرع كالملائكة والجنِّ وما في السماوات وغيرها ليست متولّدةً من الأشياء التي للقواعد بها ارتباطٌ، وللعقل فيها مجال .

= وقال القرطبي في " التذكرة " ص ١٧١ :" هذا الباب ليس فيه مدخل للقياس ، ولا مجال للنظر فيه ، وإنّما فيه التسليم والانقياد لقولِ الصَّادق المُرسل إلى العباد " انتهى .

وقال الحافظ ابن رجب في " جامع العلوم والحكم " ٢:١٧٢ :" وَمِمَّا يدخل في النَّهي عن التعمُّق والبحث عنه : أمور الغيب الخبرية التي أُمرنا بالإيمان بِهَا ، ولم يبيَّن كيفيتها ، وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس ، فالبحث عن كيفية ذَلِكَ هو مما لايغني ، وهو مما يُنهى عنه، وقد يُوجِبُ الحَيْرَةَ والشَّك ويرتقي إلى التكذيب " انتهى .

ثُمَّ إنَّ الساعةَ تأتي دَفْعةً واحدةً ، قال تعالى: ﴿**وما أمْرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾[1] ، وقال: ﴿**بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ**﴾[2].

والعقلُ لا يمنع شيئاً من ذلك ؛ لأنّه ليس داخلاً في دائرةِ ما يُثبتُه أو يَنفيه ، ولا يعرفُهُ إلاَّ من طريقِ القرآن والخبر النبَويِّ كما قدَّمناه[3] ، فظَهَرَ أَنَّ التصديقَ بتلكَ الأمور لا يتوقَّفُ فيه على إثباتها فنّيّاً إلاَّ مَن لا يَرى للهِ قُدْرَةً تامَّةً عامَّةً ، ولا للأنبياءِ صِدْقاً ، وهو صريحُ الكفر؛ فالعاقلُ يقولُ: **آمَنْتُ باللهِ وَبِرُسُلِهِ**[4] .

---

(١) من سورةِ النحل ، الآية: ٧٧.

(٢) من سورةِ الأنبياء ، الآية: ٤٠. وقوله سبحانه: ﴿**بَلْ تَأْتِيهم بَغْتَة**﴾ أي :بل تأتيهم السَّاعة الموعود بِهَا وبعذابهم فيها مفاجأة من غير شعورٍ بِمجيئها ﴿**فَتَبْهَتُهُم**﴾ أي:تدهشهم وتحيِّرُهُمْ.

(٣) عند كلامه عن وظيفة العقل في هذا العلم ص١٤٨-١٥٣ .

(٤) قال العلامة الشيخ عبدالغني النابلسي رحمه الله تعالى في رسالته " ثبوت القَدَمَيْن في سؤال الملكَيْن " ص١٩ :" واعلم -يا أخي- أنَّ اليوم الآخر وجميع ما فيه من الموت إلى أن يدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، مما وردت به الأخبار الصحيحة ، حقٌّ لا شبهة فيه ، يفترض الإيمان به من =

= غير تصوُّرٍ ولا تخيُّـلٍ لشـيء منـه ، ولأنَّ ذَلِـكَ خـارجٌ مـن معقولنـا الدنيـوي ومحسوسنا.

وقد ورد في السمع عن الصادق ﷺ أمور تُوصَف بِهَـا الآخـرة علـى خـلاف أمـور الدنيـا ، كخـبر الصِّـراط ومـرور النـاس عليـه ، وخـبر الميزان وتجسـيم الأعمال ووزنها ، ووصف أحوال أهل الجنة والنار . وقد قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ عَلَيْـهِ النَّشْـأَةَ الأُخْـرى** ﴾ [النجـم :٤٧] ، أي : خِلْقـة غـير هـذه النشـأة الدنيوية..

والحاصلُ : أنه لابد من الإيمان بالغيب في أحوال الآخرة ، والآن ربمـا استَبْعَد العبد شيئاً من ذَلِكَ حيث لم يدركه بعقلـه ، فحـوَّل يقينـه إلى الظـن ، وربمـا وَصَل الأمر به إلى جحود شيءٍ من ذَلِكَ فيكفـر ، والعيـاذ بـالله تعـالى ؛ فـإنَّ سبب كفر الفلاسفة والدهريين وسائر الفـرق الضالـة والزائغـين ، لتحكمهـم بالتفهُّم العقلي على ما لايمكن أن يدرك بالعقل ، كإنسانٍ بيده الميزان الصغـير الَّذِي يوزن به الذهب ، فالتزم أنَّه لا يُصدِّق بثقل شيئ إلا بوزنه له بـه ، فـإذا عُرِضت عليه صخرةٌ من الصخور ، أو جبل من الجبال ، وأُخـبر بثقـل ذَلِـكَ حاول أن يُدخل ذَلِكَ في ميزانه ، فلم يمكنه لِعِظَم ما أُخبر به ، واحتقار ميزانه فعند ذَلِكَ تتميَّز السعادة من الشَّقاوة ، فأما السعيد فينسب العجـزَ عـن ذَلِـكَ لميزانه ، ويؤمن بما أُخبر به إيماناً بالغيب ، فيدخل تحت قوله تعـالى : ﴿ **هُـدًى لِلمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِالغَيبِ** ﴾ [البقرة :٢-٣] . وأما الشـقيُّ فينسـب الَّذِي أخبر بذلك إلى الكذب ، ويسيئ ظنَّه بربه ، وينتـصر لـميزانه ، =

س٣٦- ما هِيَ علاماتُ السَّاعَةِ التي تَدُلُّ على قُربِها؟

لها عَلاَماتٌ عديدة ، وقد فوَّضْنَا بيانَهَا إلى المعلِّمِين(١) .

= ويوثِّقه ، ويعتمد عليه ، فيلتحق بالأخسرين أعمالاً الَّذِينَ ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنَّهم يُحْسنون صُنْعا ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم" انتهى .

(١) تنقسمُ عَلامَاتُ الساعةِ إلى قسمين:

١- علاماتٌ صُغرى: وهي الَّتِي تتقدَّم السَّاعة بأزمانٍ متطاولةٍ ، وتكونُ من نوعِ المعتاد ، كقبضِ العلم ، وظهورِ الجهل ، وشرب الخمر ، والتطاول في البنْيان.. ونحوها ، وقد يظهر بعضها مصاحِباً للأشراط الكبرى.

٢- وعلاماتٌ كُبرى: وهي الأمورُ العِظام الَّتِي تظهر قربَ قيامِ الساعة ، وتكون غير معتادة الوقوع ، كظهور الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج دابَّة من الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها.

روى مسلمٌ (٢٩٠١) عن حذيفةَ بن أُسَيْدٍ قال: اطَّلَعَ النبيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكرُ ، فقال: "**ماتذاكرون**"؟ قالوا: نذكر الساعة ، فقال: "**إنها لن تقوم حَتَّى ترَوا قبلها عشر آياتٍ: الدُّخانُ ، والدَّجالُ ، والدابَّةُ ، وطلوعُ الشمس من مغرِبها ، ونزولُ عيسى ابن مريم ، ويأجوجُ ومأجوجُ ، وثلاثة خسوف: خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرةِ العرب ، وآخِرُ ذَلِكَ نارٌ تخرجُ من اليَمن تطرُدُ النَّاسَ إلى مَحْشرِهِمْ**". =

وفي آخرِ الدنيا ينفُخُ إسرافيلُ في الصُّورِ[1] نَفْخَـةَ الصَّعْـقِ فيموتُ جميعُ الأحياءِ[2]، ثُمَّ نفخةَ البعثِ فيَحيْا جميعُ الأمواتِ، فإذا هُم قيامٌ ينظرون[3].

= قال العلامة الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى في " التصريح " ص١٣٢ :" وقد جاءت العلامات العشر هنا معطوفاً بينها بالواو ، والواو لِمُطْلق الجمع ، فلا تفيد أنَّها ستقع بالترتيب المذكور هنا .
وهذه الآيات كما قال الطِّيبي رحمه الله تعالى ونقله عنه الحافظ ابن حجر في " الفتح " ١١:٣٠٣ :" أمارات وعلامات للساعة إما على قُربها ، وإما على حصولها وقيامها ، فمن أمارات قربها : الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، ويأجوج ومأجوج ، والخسف . ومن أمارات قيامها : الدخان ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدَّابة ، والنار التي تحشر النَّاس " .

(١) **الصُّور**: قرنٌ يَنفُخُ فيه إسرافيل ، أخرجَ الإمام أحمد ١: ٣٢٦ عن ابن عباسٍ في قول الله تعالى: ﴿**فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُور**﴾ [المدثر: ٨] قال: قَالَ رسول الله ﷺ: "**كيف أَنْعَمُ ، وصاحبُ القرنِ قد التقَمَ القرن ، وحَنَى جَبْهَتَهُ يستمع متى يُؤْمرُ فيَنفُخ ؟!** ".

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿**ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ**﴾ [الزمر:٦٨] .والمراد بالصَّعق : غَشْيٌ يلحق مَنْ سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه ، كما قال الحافظ في "الفتح" ٦:٤٤٤ .

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿**ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى فَإِذا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرونَ**﴾ [الزمر: ٦٨] . =

س٣٧- ما القولُ في سدِّ ذي القرنين؟

هو ثابتٌ[1]، وإنكاره ردٌّ للقرآن ،

= وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فَإذا هُمْ مِنَ الأجْدَاثِ إلى ربِّهم يَنْسِلونَ﴾ [يس: ٥٠] .

(١) قال الله جلَّ ثناؤه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ : سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً ..﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ وماasْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ [سورة الكهف :٨٣-٩٧] .

قال القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني :" فَوَصَفَ في هذه الجملة من أحواله في تقلُّبه وانتقاله ، ومُنتهى مسيره في الشرق ظاعناً ، وغاية مبلغه من الغرب واغلاً ، ودلَّ على عِظَمِ مُلكِهِ ، وشِدَّة وَطْأته ، وعلوِّ كلمته ، وانْبساط قدرته ، بما عَدَّ من آثاره ، وقَصَّ علينا من أخباره ، وأكَّد ذَلِكَ وحقَّقه بقوله تعالى : ﴿ إنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ سَبَبَاً ﴾ [الكهف :٨٤] . وحسبُك بمن شهد الله له بالتمكين والاقتدار ، وناهيك بمن آتاه الله جوامع الأسباب ، ووطَّأ له أباعد الأقطار" انتهى (ثمار القلوب ، للثعالبي ١:٤٤١) .

وقد اختلف المفسِّرون في اسم ذِي القَرْنين ونسبه وزمان وجوده ، وسبب تلقيبه بذي القرنين ، وأرجحُ الأقوال في تحديد شخصيته : أنّه (قُورش الإخميني) ، لإجماع المؤرِّخين على عدالته وحُسْن سيرته في الممالك والشعوب التي استولى عليها . وهو مارجَّحه العلاّمة أبو الكلام آزاد في بحثه عن "ذي القرنين" ، وأمَّا ماذهب إليه كثيرٌ من المفسِّرين في كون ذي =

= القرنين أبا كرب شمر بن عمرو الحميري : فبعيد ؛ لأنَّهُ لم يُذكر في سيرته أنّه بنى سدّاً تنطبق عليه أوصاف سدِّ ذي القرنين ، وماذكره بعضهم بأنّه الإسكندر المقْدوني فهو بعيدٌ جداً ، لأنَّهُ كان وثنياً سفّاكاً للدماء .

قال الشيخ ابن تيمية في " الرد على المنطقيين " ص٢٨ :" فإنَّ أرسطو كان وزيراً للإسكندر بن فيلبس المقدوني ، وليس هذا ذا القرنين المذكور في القرآن كما يظنُّ كثير منهم ، بل هذا كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ".

وقال أيضاً ص١٨٦ :" وهذا إنّما ذهب إلى أرض الفرس ، ولم يصل إلى السدِّ عند من يعرف أخباره ، وكان مشركاً يعبد الأصنام ، وذو القرنين كان موحِّداً مؤمناً بالله ، وكان مُتقدِّماً على هذا ، ومن يسميه الإسكندر يقول : هو الإسكندر بن دارا " .

وقال في " تفسيره سورة الإخلاص " كما في " مجموع الفتاوى " ١٧:٣٣٢ :" وهذا المقدوني ذهب إلى بلاد فارس ، ولم يصل إلى بلاد الصين فضلاً عن السدِّ ".

وقال ابن القيِّم في "إغاثة اللهفان " ٢:٢٦٣:" إنَّ الإسكندر المقدوني هو ابن فيلبس ، وليس بالإسكندر ذي القرنين الَّذِي قصَّ الله تعالى نَبَأه في القرآن ، بل بينهما قرونٌ كثيرة ، وبينهما في الدين أعظم تباين . فذو القرنين كان رجلاً صالحاً موحِّداً لله تعالى يؤمنُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكان يغزو عُبَّاد الأصنام ، وبَلَغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها ، وبنى السدَّ بين يأجوج ومأجوج. وأمَّا هذا المقْدوني فكان مُشرِكاً يعبدُ =

وموقعُه في جهةِ القُطْبِ الشمالي (1) كما يدلُّ له سياق الواقعة وتفاسيرها العتيقة . والمنكِرون لوجوده استناداً على عدم

= الأصنام هو وأهل مملكته ، وكان بينه وبين المسيح نحو ألف وسُتمائة سنة" انتهى .

أمّا الأوصاف التي ذكرت في سيرة (قورش) كما وردت في كتب المؤرِّخين فتدلُّ على حكمته وعدالته ، كما أنَّ فتوحاتِـهِ في المشرق والمغرب لحماية أطراف دولته من المغيرين الطامعين ، وبناء السدِّ في شمال مملكته لحفظ سكان الشمال من هجمات القبائل المتوحِّشَة ، كلُّ ذَلِكَ يُرَجِّحُ أن يكون ذا القرنين . (انظر :ذو القرنين ، بحث للشيخ أحمد حسن الباقوري في مجلة "الوعي الإسلامي" ، السنة السابعة ١٣٩١ العدد ٨١ ص ٢٥-٣١ و "خواطر دينية " للشيخ عبدالله بن الصِّدِّيق ، الجزء الثاني ، (بحث للدكتور عز الدين عبدالقادر ص٨٥-١١٦) .

(١) لايمكن الجزم بتحديد مكان السدِّ الَّذِي بناه ذو القرنين ، لسكوت المصادر اليقينية الصحيحة -وهي الكتاب والسنّة- عن تلك التفصيلات . وكلام العلماء في تحديد شخصية ذي القرنين ومكان السدِّ من باب الظن والاحتمال والترجيح وليس من باب الجزم واليقين ، وقد اختلف المفسِّرون في موقع السدِّ الَّذِي بناه ذو القرنين كاختلافهم في شخصه ، فذهب بعضهم إلى أنّه سدُّ مأرب ، وآخرون إلى أنّه سور الصِّين ، وهو مارجَّحه شيخ شيوخنا العلاّمة المؤرِّخ محمد راغب الطبَّاخ المتوفى سنة (١٣٧٠) رحمه الله تعالى في كتابه : "ذو القرنين وسدُّ الصين ". =

= ولو تأمَّلنا المعالم التي ذكرها القرآن الكريم لأمكننا التعرُّف على السدِّ ، ومن هذه المعالم : أنّه سدٌ أُقيم بين جبلين مُتقابلين ، وأنَّ تكوينه من الحديد المطعَّم بالنحاس المذاب ، وأنَّ الغَاية من إقامته حماية مَنْ دونه من هجمات الأعداء .

وهذا مافعله أبو الكلام آزاد حينما خطَّأ القائلين بأنّه سدُّ مأرب لأنَّهُ حجارة وتراب ، والهدف منه زراعي لحجْز مياه السُّيول خلفه وتنظيم توزيعه لريِّ الأرض . وكذلك خطَّأَ من قال إنّه سور الصين الَّذِي يمتدُّ (٢٤٠٠) كم فوق السُّهول والوديان والتلال .

والذي وصل إليه أنَّه السدُّ المقَام على مَضيق (دَارْيال) في جبَال القُوقاز ، فإنَّ سِلسلة جبال القوقاز تمتدُّ من بحر قَزوين شرقاً إلى البحر الأسود غرباً بطول (١٢٠٠) كم ، ولايوجد ممرٌّ بين السِّلسلة الشاهقة سوى ممر ضيِّق يُسمّى مضيق (داريال) ولايزيد عرض هذا المضيق عن مائة متر تقريباً ، وفي هذا المضيق حاجزٌ حديدي تنطبق عليه جميع أوصاف سدِّ ذي القَرْنين ، وهو يقع الآن في جمهورية جورجيا السوفيتية - سابقاً- .

وقد كان الموقع التقريبي لسدِّ ذي القرنين معلوماً لدى بعض المفسِّرين ، فالإمام القرطبي يقول في "تفسيره" ١١:٥٥ في تفسير قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبَاً حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ** ﴾ :"وهما جبلان من قِبل أرمينية وأذربيجان " كما أشار ابن كثير في تفسيره ٥:٢١٩٤ إلى بعثة الواثق العباسي لاكتشاف حال السدِّ . =

= وما ذهب إليه أبو الكلام آزاد وبعض المفسِّرين السابقين رجَّحَة الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر في دراسته الموسَّعة الموثَّقة عن ذي القرنين في كتابه " مفاهيم جغرافية في القصص القرآني " حيث يقول ص٣١٢ : "وكانت القبائل المغولية تنقضُّ على مناطق آسيا الغربية خلال القرن السادس قبل الميلاد .. وكلُّ صفحات التاريخ تذكر أنّ ثمَّة توقُّفاً مُفاجئاً حدث في عملية تدفُّق القبائل البدائية المتوحِّشة .. وتُشير حقائق التاريخ نحو الحقبة التي ظهر فيها (قورش) ذي القرنين ..وذلك بإنشاء السدِّ في مضيق داريال من كتلٍ هائلة من الحديد المخلوط بالنُّحاس ..وتلك هي الثغرة التي كان هؤلاء المتوحشون يغيرون منها . ويُشار إلى هذا السدِّ في الأطالس الجغرافية الحديثة ، كما أنَّ سكان جورجيا يعرفونه في بلادهم باسم (الباب الحديدي) ، وهو مشهور إلى الآن عندهم " انتهى .

وقال الدكتور عز الدين عبدالقادر كما نقله العلامة المفسِّر الشيخ عبدالله ابن الصدِّيق الغُمَاري في " خواطر دينية " ٢:١١٢ :" ومن الثابت تاريخياً : أنَّ السدَّ الَّذِي بناه (قورش) في شمال إيران بأرض أرمينية ، موجود حتى اليوم ، وينطبق عليه وصف القرآن الكريم ، في ذَلِكَ المَمَر بين جبلين من سلسلة جبال القوقاز ، بين بحر قزوين والجبل الأسود ، وهذ السد يسمى هناك حتى اليوم " سد غورائي " نسبة إلى غوروس ، وهو الملك (قورش) الفارسي ، لا الإسكندر المقدوني " انتهى .

وقال السيِّد رشيد رضا في "مجلة المنار " في المجلد١١ ج٤ص٢٧٥ :" وفي روسيا مَوْضِعٌ يُسمَّى (دمرقيو) أي : باب الحديد ، وهو أثر سدٍّ قديم بين =

العثورِ عليه مع كثرةِ السياحات ، **فأولاً**: لم يقطعوا تلك الجهةِ باعترافهم ، **وثانياً**: قبل الأوان يُحتمل أن يحجبَ اللهُ الأعينَ عنه وعَمَّا وَرَاءَه ، هُوَ القَادِرُ جلَّ جلاله [1] .

= جبلين يُقال إنه من صنع بعض ملوك الفرس ، ويُحتمل أن يكون موضع السدّ . وقد ذكره ملطبرون في جغرافيته مما يدل على ذَلِكَ (راجع ص١٥و١٦ ج٣) . وأخبرني مختار باشا الغازي بأنه رأى خريطةً جغرافيةً قديمةً لتلك الجهات ، وفيها رسم ذَلِكَ المكان وبيان أنَّ وراءه قبيلتين اسم إحداهما (آقوق) واسم الثانية (ماقوق) وتعريب هذين اللفظين بيأجوج ومأجوج ظاهرٌ جليٌّ" انتهى.

(١) قال العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي في " أضواء البيان " ٤ :١٨٦ في الردِّ على من ادَّعى من الملحدين أنَّ يأجوج ومأجوج لاوجود لهم الآن ، بدعوى أنَّهم لوكانوا وراءَ السَّدِّ لاطَّلع النَّاسُ عليهم لتطوُّر طرق المواصلات!! قال رحمه الله :" فقولكم : لوكانوا موجودين وراء السدِّ إلى الآن لاطَّلع عليهم الناس غير صحيح؛ لإمكان أن يكونوا موجودين والله يخفي مكانهم على عامَّة الناس حتى يأتي الوقت المحدَّد لإخراجهم على الناس . وَمِمَّا يؤيِّد إمكان هذا ماذكره الله تعالى في سورة المائدة من أنه جعل بني إسرائيل يتيهون في الأرض أربعين سنة ، وذلك في قوله تعالى : **﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحرَّمَةٌ عَلَيهِم أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُون في الأَرْضِ﴾**. وهم في فراسخَ قليلةٍ من الأرض ، و لم يطَّلع عليهم الناس حتى انتهى أَمَدُ التيه ؛ =

س٣٨- بعد البعث من القبور ماذا؟

الحشر(١) في عَرَصَاتِ القيامة: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيرَ الأرْضِ والسَّمَاوات﴾** (٢).

= لأنهم لو اجتمعوا بالناس لبيَّنوا لهم الطريق . وعلى كلِّ حالٍ ، فربُّك فعَّالٌ لما يريد ، وأخبارُ رسوله ﷺ الثابتةِ عنه صادقةٌ " انتهى .

(١) **الحشر** : الجمع ، وهو حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف ، قال الله عز وجل : **﴿ وَحَشَرْنَاهُم فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُم أحَداً ﴾** [الكهف:٤٧] .

(٢) من سورةِ إبراهيم: ٤٨ ، ومعنى تبديلها: تغييرُ ذاتِها وصفاتها ، روى البخاري (٦٥٢١) ، ومسلم (٢٧٩٠) قَالَ ﷺ :" **يُحشَرُ النَّاس يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاء عفراء كقُرْصة نقيّ** " قال سهل - أوغيره -: "**ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد** " ، والعفر : بياضٌ ليس بالنّاصع ، وقرصة النقي : أي الدقيق النقي من النُّخالة ، وقوله :" ليس فيها مَعْلَمٌ لأحدٍ " أي : أنَّها مستويةٌ ليس فيها علامةُ سكنٍ ولا بناء ، ولا شيء من العلامات التي يُهتدى بهَا .

قال الحافظ في " الفتح " ١:٣٧٥ :" فهي إشارة إلى أنَّ أرض الدنيا اضمحلَّت وأُعدِمَتْ ، فإنَّ أرض الموقف تجدَّدت ، وقد وقع للسلف في ذَلِكَ خلاف في المراد بقوله تعالى : **﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرْضُ غَيْرَ الأرْضِ** =

ثُمَّ الشَّفاعةُ الكبرى المحمَّديَّة العُمُوميَّة [1] لفَصْلِ الناس

= والسَّمَوَات﴾ هل تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها ، أو تغيير صفاتها فقط ، وحديث الباب يُؤَيِّدُ الأول . ونقل الحافظ أيضاً في " الفتح " ١١:٣٧٥ في شرح هذا الحديث عن الإمام أبي محمد بن أبي جمرة :" والحكمة في الصفة المذكورة أنَّ ذَلِكَ اليوم يوم عدل وظهور حق ، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الَّذِي يقع فيه ذَلِكَ طاهراً عن عمل المعصية والظلم ، وليكون تجلِّيه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليقُ بعظمته ؛ ولأنَّ الحكم فيه إنَّما يكون لله وحده ، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده " انتهى .

(١) **الشفاعة** : هي انْضِمَام الأدْنى -أي : لجوؤه وقَصْده -إلى الأعلى ، ليستعين به على مايرومُه -أي : في جَلْب منفعةٍ أو دفع مضرَّةٍ عن المشفوع به - .
وقال الإمام أبو منصور الأزهري في " الزاهر " ص٢١٦ :" أصل الشَّفْع : الزيادة ، قال الله عز وجل : ﴿ **مَنْ يَشْفَع شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا** ﴾ [النساء:٨٥] ، أي : يزيد عملاً إلى عمل . قال النبي ﷺ :" **شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي** " رواه أبو داود (٤٧٣٩) والترمذي (٢٤٣٧) ، وهي للموحِّدين الَّذِينَ ارتكبوا الكبائر يشفع لهم النبي ﷺ أن يغفر لهم عن ذنوبهم ، ويزدادوا كرامةً على ما استوجبوا بتوحيدهم خالقهم عزَّ وجل " انتهى .
والشفاعةُ عند اللهِ تعالى لايتقدَّم إليها أحدٌ إلاّ بإذنه سبحانه . قال تعالى : ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإِذْنِهِ**﴾ [سورة البقرة :٢٥٥] ، فهو =

= سبحانه يَأْذن لمن يشاء ، ويشفِّعه بمن يشاء ، قال تعالى : ﴿ **وَلاَيَشْفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾ [الأنبياء:٢٨] .

وأما قوله تعالى : ﴿ **واتَّقُوا يَوْمَاً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئَاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَة** ﴾ [البقرة :٤٨] ، وقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَومٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَةٌ** ﴾ [البقرة :٢٥٤] ، وغيرها من الآيات التي يستدلُّ بهَا بعض المبتدعة في إنكار الشفاعة، فالجواب عن ذَلِكَ ما قاله الإمام المفسِّر ابن جُزَيٍّ في "التسهيل" ٨٩:١ :" ..أي : ليس في يوم القيامة شفاعة إلاَّ بإذن الله ، فهي في الحقيقة رحمةٌ من الله للمشفوع فيه ، وكرامةٌ للشافع ، ليس فيها تحكُّم على الله ، وعلى هذا يُحمَل ما وَرَدَ من نفي الشفاعة في القرآن . أعني : أنه لا تقع إلاَّ بإذن الله ، فلا تعارضَ بينه وبين إثباتها ، وحيث ما كان الكلام في سياق أهوال يوم القيامة ، والتخويف بهَا نُفيَت الشفاعة على الإطْلاق مبالغة في التهويل ، وحيث ما كان سياق الكلام تعظيم الله نُفِيَت الشفاعة إلاَّ بإذنه".

ويقول ابن جزي في " التسهيل " أيضاً ٤٧:١ في تفسير قوله تعالى :﴿ **وَلا يُقْبَلُ مِنهَا شَفَاعَةٌ** ﴾ :" ليس نفي الشفاعة مطلقاً، فإنَّ مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد ﷺ ، وشفاعة الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنين ، وإنَّما المراد أنَّه لا يشفع أحدٌ إلاَّ بعد أن يأذَنَ الله له ، لقوله تعالى:﴿ **مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ** ﴾ [يونس :٣] ، ولقوله:﴿ **وَلاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَه** ﴾ [سبأ :٢٣] ، وانظر ما ورد أنَّ رسول الله ﷺ يستأذن في الشفاعة فيقال له :" **اشفَعْ تُشَفَّعْ** ".فكلُّ ما ورد في القرآن من نفيٍ =

بعد طول وقوفهم حفاةً عراةً[1]، وهي المقام المحمودُ الموعودُ بِهِ في القرآن[2].

= للشفاعة مطلقاً يُحمل على هذا ؛ لأنَّ المطلق يحمل علـى المقيَّـد ، فليـس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة " انتهى .

والشَّـفاعة يـوم القيامـة علـى أنـواع متعـددة : أوَّلها وأعظمُهـا وأعمُّهـا : **الشفاعة الكبرى** ، وتُسمَّى الشَّفاعة العُظْمى ، وهي الشَّفاعة العامَّة التي تعمُّ جميع أهلِ الموقف على مُختلَف أديانهم ، وبها يتخلَّصون من أهوال الموقـف وكرباته بعد اشتدادها وطولها ، والشفاعة العظمى هي من خصائص سـيدنا محمد ﷺ ، وهي أوَّل الشَّفاعات ، وهي باب الشَّـفاعات كُلِّهَـا . "الإيمـان بعوالم الآخرة" ، للشيخ عبدالله سـراج الديـن حفظـه الله تعـالى، ص١٨٠ .

وانظر أنواع الشفاعة التي اختُصَّ بِهَا سيِّدُنا رسـول الله ﷺ دون الأنبيـاء في "فتح الباري " لابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى ٢:٢١٤-٢١٧.

(١) روى البخاري (٦٥٢٧) ، ومسلم (٢٨٥٩) عن أمِّ المؤمنين عائشـة رضـي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :" **تُحْشَرون حُفاةً عراةً غُرْلاً** " قـالت عائشة :فقلت : يارسول الله ، الرجال والنساء ، ينظر بعضهـم إلى بعـض ؟ فقال : **الأمرُ أشدُّ من أن يهمَّهم ذاك** " . والأغرل : الَّذِي لم يختتن .

(٢) قَالَ الله سُبْحَانَهُ مخاطِباً نَبِيَّهُ ﷺ : ﴿**وَمِنَ الليْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَـةً لَـكَ عَسَـى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾ [الإسراء: ٧٩] . وإنَّما سُمِّي مقامُ شَـفَاعته ﷺ العظمى -سمي مقاماً محموداً- ؛ لأنَّ أهلَ الموقف كلهم : برَّهـم =

= وفاجرهم،وسعيدَهم وشقيَّهم يحمَدون الرَّسولَ ﷺ ، ويُثْنون عليه بشفاعته بهم ، وإنقاذهم من أهوال الموقف وشدائده .

قال الإمام ابن رشد الجد في " الفتاوى" ٢:٧٧٥-٧٧١ :" وأجمع أهل العلم على أنَّ المقام المحمود الَّذي وعده الله به في كتابه هو شفاعتُهُ لأمَّته ، بل هي الشفاعة العامَّة لجميع الأمم بعد تطوافهم على أولي العزم من الرُّسل في أن يشفعوا لهم إلى الربِّ جلَّ جلاله ليريحهم من طول المقام بالموقف ، فيحاسبهم ، فيعظم ذَلِكَ على كلِّ واحدٍ منهم ، ويحيلُ بعضهم على بعض، حتى يأتوا النَّبيَّ ﷺ وعليهم أجمعين ، فيشفِّعهم على ما جاء في الحديث الصحيح " انتهى .

قال ابن القيم في " الفوائد " ص٣٤٨ :" لما كَمُلَ للرسول ﷺ مقام الافتقار إلى الله سبحانه ، أحوَجَ الخلائقَ كلَّهم إليه في الدنيا والآخرة . أما حاجتهم إليه في الدنيا : فأشدُّ من حاجتهم إلى الطعام والشراب والنَّفَس الَّذِي به حياة أبدانهم ، وأما حاجتهم إليه في الآخرة : فإنهم يستشفعون بالرُّسل إلى الله حتى يريحوهم من ضيق مقامهم ، فكلُّهم يتأخَّر عن الشفاعة ، فيشفع لهم ، وهو الَّذِي يستفتح لهم باب الجنة " انتهى .

وقال العلاَّمة محمد بن أحمد السفَّاريني في "نتائج الأفكار"ص١٦٨:"وأما قوله ﷺ :"**أنا سيِّدُ النَّاسِ يَومَ القيامة**" مع أنَّه سيِّدُهم في الدنيا ويوم القيامة، فإنَّه أشار إلى انفراده بالسُّؤْدد والشفاعة العظمى دون غيره؛ إذا لجأ الناس إليه في حوائجهم ومهماتهم، فكان ﷺ حينئذٍ سيِّداً منفرداً من بين البشر ، لم يزاحمه أحدٌ في ذَلِكَ ولا ادَّعاه ،فهو كقوله تعالى:﴿ **مَالِكِ يَوْمِ** =

ثُمَّ الحسابُ[1] ، **والميزانُ**[2] .

= **الدِّين﴾** مع أنه مالك الدنيا ويوم الدين ، وقولـه : ﴿ **لِمَنْ المُلْكُ اليَوْمَ للهِ الوَاحِدِ القَهَّار** ﴾ [غافر : ١٦] مع أنَّ المُلْك له في الدنيا والآخرة ، ولكن لما انقطعت في الآخرة دعوى المدَّعين للمُلك في الدنيا ، وكذلك لجأ الناس إلى سيِّدنا محمد في العُقْبى ، حتى تدافع أولو العزم للشفاعة من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى ، حتّى انتهت إلى سيِّد المرسلين ، وحبيب ربِّ العالمين ، فَصَلُح تخصيصُهُ بالسيادةِ في ذَلِكَ اليوم ، وإن كان هو سيد العالم دنيا وحَشْراً وعُقبى " انتهى .

(١) **الحساب**: معناه لغة العَدُّ ، واصْطلاحاً : إيقاف الله عبادَه في المحشر على أعمالهم خيرِها وشرِّها ، فعلاً وقولاً واعتقاداً . وكيفيته مختلفة فمنه اليسير ومنه العسير ، ومنه السرُّ ومنه الجهر ، ومنه مايكون معه الفَضْل ، ومنه مايكون معه العدل ، وذلك على حسب اختلاف الأعمال ، وهو عامٌّ للخلق كافَّة من الإنْس والجنِّ . قَالَ تعالى: ﴿**إنَّ إلينا إيَابَهُمْ * ثُمَّ إنَّ عَلينا حِسَابَهُمْ**﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦] ، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنسْألَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عمَّا كَانُوا يَعْمَلونَ**﴾ [الحجر:٩٢- ٩٣] ، وقال: ﴿**أَلاَ لَهُ الحُكْمُ وهُوَ أَسْرعُ الحَاسِبِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٢] ؛ فالله سبحانه يحاسبهم على أعمالهم ويجازيهم بها إنْ خيراً فخير ، وإنْ شَرّاً فشَر.

(٢) تُوزَنُ فيه أعمالُ العِباد من الحسناتِ والسيئات ، له كفَّتان ولسان ، قَالَ الله تعالى: ﴿**والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئكَ هُمُ المُفْلِحُون** =

= ومَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩] .
وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦-٩].أي : مَأْواه الَّذِي يُؤْوِيه هو الهاوية ، أي: النار ، وسمِّيت بذلك لأنَّها مَهْواةٌ عميقةُ القَعْر يهوُون فيها على رؤوسهم ، والعياذ بالله .
قال الإمام الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في " منهاج السلامة في ميزان القيامة " ص١٣٠ :" وإثباتُ ميزان الآخرة ، مذهب الفرقة الناجية القاهرة، ومَنْ خَالفهم رُميَ بمخالفة الشريعة ، ونُبذ بالبدعة الشَّنيعة " انتهى .
وقال العلامة الطُّوفي في " التعيين " في شرح قوله ﷺ :" **والحمدُ للهِ تملأ الميزان** " ص١٧٥ :" وهذا الحديثُ ظاهرٌ في ثبوت الميزان في المعاد حقيقة، خلافاً للمعتزلة وبعضهم ؛ إذ قالوا : إنَّ الميزان الوارد ذكره في الكتاب والسنة كناية عن إقامة العدل في الحساب ، لا أَنَّهُ ميزان حقيقة ذو كفتين ولسان ، كما يقال : يدُ فلان ميزان ، والظواهر في إثبات كونه حقيقة مع أهل السنة . وقد قيل للنبيِّ ﷺ : "أين نجدك يا رسول الله في يوم القيامة ؟ قال : " **عند الحوض** ، **أو الصراط** ، **أو الميزان** " - رواه الترمذي (٤:٦٢٢) وقال : حسن غريب - وهو كما تراه ظاهرٌ فيما ذكرناه " انتهى .
وقال العلامَّة المفسِّر جمال الدين القاسميُّ في "محاسن التأويل" ٧:١٤ نقلاً عن "اللباب" : إنْ قلتَ : أليس الله عزَّوجل يعلمُ مقاديرَ أعمال العباد؟ فما الحكمة في وزنها ؟ =

وتطايُرُ الصُّحُـف المحتويةِ على الحسـنات والسَّـيِّئات ، فـلا تُخطئ صحيفةٌ صاحبَها ، فالسعيدُ يُعطاهـا بيمينِـهِ ، والشَّـقِيُّ يُعطاها بشماله(١) .

= قلت : فيه حِكَمٌ منها : إظهارُ العدل ، وأنَّ الله عـزَّ وجـل لايظلـم عِبَـاده .
ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العُقْبى.
ومنها : تعريف العباد مالهم من خيرٍ ومن شرٍ ، وحسنةٍ وسيئةٍ .
ومنها : إظهار علامة السعادة والشقاوة ، ونظيره : أنَّه تعـالى أثبـت أعمـال العباد في اللوح المحفوظ ، ثمَّ في صحائف الحَفَظـة الموكَّلين ببـني آدم ، مـن غير جَواز النسيان عليه سبحانه وتعالى" انتهى .

(١) **الصُّحُف** : هي التي تكتب فيها الملائكـة أعمـال المكلَّفـين مـن الاعتقـادات والأقـوال وأعمـال الجـوارح . قـال تعـالى: ﴿ **وَإِذَا الصُّحُـفُ نُشِـرَت** ﴾ [التكوير :١٠] ، وقَالَ تَعَالَى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤمُ** - أي: تعالو- **اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنْتُ** -أي: أيقنتُ- **أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيةٍ ۝ فِي جَنَّـةٍ عَالِيـةٍ ۝ قُطُوفُهـا دَانِيَـةٌ ۝ كُلُـوا وَاشْـرَبُوا هَنِيئَاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتيَ كِتَابَهُ بِشِـمَالِهِ ۝ فَيَقُـولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَالَيْتَهَا كَـانَتِ القَاضِيَـةَ ۝ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ**﴾ [الحاقة: ١٩-٢٩] .
وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**فَأَمَّا مَن أُوتِـيَ كِتَابَـهُ بِيَمِينِـهِ ۝ فَسَـوْفَ يُحَاسَـبُ حِسَـاباً يَسِيراً ۝ وَيَنْقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِي كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** ۝ =

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَّرَهُ ومَن يَّعمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَّرَهُ﴾[1].

= فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورا ﴿وَيَصْلَى سَعِيراً﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] ، والذي يأخذ كتابه بشِماله تُلوَى يَدُهُ خلف ظهره .

قال العلاّمة الطُّوفي في " التعيين " ص١٩١ في شرح قوله تعالى في الحديث القدسي :" **ياعبادي ؛ إنّما هي أعمالكم أُحصيها لكم ، ثمَّ أُوفِّيكم إياها**" قوله :" أحصيها لكم ؛ أي : تضبطها الحفظة . فإن قيل : ما الحاجة إلى الحفظة مع علمه ؟ قيل : ليكونوا شهوداً بين الخالق وخلقه ، ولهذا يقال لبعض الناس يوم القيامة : كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً " انتهى .

وقال العلاّمة السفّاريني في "لوائح الأنوار السنية " ٢٠٦:٢ :"حِكْمَةُ ذَلِكَ: إلزامُ العباد ، وقَطْعُ مَعَاذيرهم ، ورفع الجدال مع إعادة الذكر ، وإحصاء مافي الصحف وتعدادها على العبد ، وليعلم أنّه مافرَّط في الكتاب مِنْ شيء فيقولون : ﴿ **يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لايُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاكَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَاعَمِلُوا حَاضِراً وَلايَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدَاً** ﴾[الكهف:٤٩] .

(١) من سورةِ الزلزلة ، الآيتان: ٧-٨.وقوله سبحانه : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ** ﴾ يعني : وَزْن أَصْغَر النَّمْلِ ﴿ **خَيْراً يَرَهُ** ﴾ يعني في كتابه ، فالله سبحانه رغّبنا في القليل من الخير أن نعملَه ، فإنّه يُوشك أن يكثُر ، وحذّرنا من الشرِّ أن نعمله ، فإنّه يوشك أن يكثر . =

ومن أنكر ذنوبَهُ يومئذٍ تنطق أعضاؤُهُ شاهدةً عليه(١) .

= روى الإمام أحمد في مسنده ٥:٥٩ عن صَعْصَعَة بن معاوية ، عمِّ الفرزدق ، أنَّه أتى النَّبي ﷺ فقرأ عليه : ﴿ **فَمَنْ يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّة خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة شَرّاً يَرَه** ﴾ قال : حسبي ! لا أبالي ألا أسمع غيرها . وفي صحيح البخاري ٣:٢٨٣ :" **اتَّقُوا النَّار وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَة** ". وفي صحيح مسلم (٢٠٢٦) : " **لاتحقرنَّ من المعروف شيئاً** .." ، وفي الموطأ في كتاب الصدقة ٢:٩٩٧ أنَّ عَائشة تصدَّقت بِعِنَبَةٍ وقالت : "كم فيها من مثقال ذرَّة " .

وروى أحمد ٦:١٥١ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لعائشة :" **يا عائشة ، إيَّاك ومُحقَّرات الذنوب ، فإنَّ لها من الله طالباً** " .

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المبِينُ**﴾ [النور: ٢٤-٢٥] ، وقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**اليومَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبونَ**﴾ [يس: ٦٥] ، فالألسنةُ والأيدي والأرْجُل تشهد على الإنسان ، كما يشهد عليه سمعُه وبصرُه وجلْدُه ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِم سمعُهُم وأبْصَارُهُم وَجُلودُهُم بمَا كَانوا يَعْمَلون ۞ وَقَالُوا لِجُلودِهِم لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنا اللهُ الَّذِي أَنْطقَ كُلَّ شَيءِ وَهُوَ خَلَقَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِليه تُرجَعون ۞ وَمَا كُنْتُم تَسْتَتِرون أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُم سَمْعُكُمْ ولا أَبْصَارُكُم وَلا جُلودُكُم وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [فصلت: ٢٠-٢٢] . =

﴿وَلاَ يَظْلِمُ ربُّكَ أَحَداً﴾[1].

وهناك الحوضُ المحمَّدِيُّ مَن شربَ منه لا يَظْمَأُ أبدا[2].

= قال ابن القيم في " الفوائد " ص٥١ :" إنَّ الله سبحانه يستشهد على العباد الحَفَظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر ، والجلود التي عصَوه بِهَا ، ولا يحكم بينهم بمجرَّد علمه ؛ وهو أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين " انتهى .

(١) من سورةِ الكهف ، الآية: ٤٩.قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَظْلِمُ ربُّكَ أَحَداً ﴾ ٢١٦٩:٥ : " أي : فيحكمُ بين عبادهِ في أعمالهم جميعاً، ولا يظلمُ أحداً مِنْ خلقه ، بل يعفو ويصفحُ ويغفرُ ويرحمُ ، ويُعَذِّبُ من يشاءُ بقدرتهِ وحكمتهِ وعدلهِ ، ويملأُ النَّار منَ الكفَّار وأصحاب المعاصي، ثمَّ ينجِّي أصحاب المعاصي ويخلِّدُ فيها الكافرين ، وهو الحاكم الَّذي لايجور ولا يظلم ، قال تعالى : ﴿ إنَّ اللهَ لايَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء :٤٠] . وقال : ﴿وَنَضَعُ المَوَازينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَة فَلا تُظْلَمُ نَفسٌ شَيئاً وإنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء :٤٧] ، والآيات فيها كثيرة " انتهى .

(٢) الحوض: مَجْمَعُ الماء ، وهو الحوضُ الَّذي خصَّ الله بهِ نبيَّنا محمداً ﷺ ، تَرِدُ عليه أُمَّتُهُ يَوْمَ القيامة ، وهو حَوْضٌ عَظيم ، ومَوْرِدٌ كريم ، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأشدُّ برداً من الثلج ، وأَطْيَبُ ريحاً من المِسْك ، من يشرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً ، وهو في غايةِ الاتِّساع،=

والصِّراط: وهو جِسْرٌ رقيقٌ على جهنم[1] ،

= وفيه أباريقُ كعددِ نجومِ السَّماء ، آنيتُه من ذهبٍ وفِضَّة ، لا يَظْمأُ من شَرِبَ منه مـن المؤمِنيـن ، ويُمنـع منـه مَـن انحـرفَ عـن الديـن ، وخـالَفَ السَّـبيلَ المستقيم ،كما صَحَّتْ به الأخبارُ عن رسولِ الله ﷺ .

قال العلامة محمد بن أحمد السفَّاريني الحنبلي (ت١١٨٨) رحمه الله تعـالى في "لوائح الأنوار السَّنِيَّة " ٢:١٧٤ :"خَالَفَتْ المُعتزلة فلم تُقِـر بإثبـات الحَـوْض مع ثبوتهِ بالسُّنة الصَّحيحة الصَّريحـة ، بَـل وبظـاهر القـرآن " أي : في قولـه تعالى : ﴿ إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَر ﴾ [الكوثر :١] . ثم قال :" إذا علمت هذا مع ماقدَّمناه مـن الأحـاديث الصحيحـة بالألفـاظ الصريحـة فمـن خـالف في الحـوض و لم يقـرَّ بإثباتـه فهـو مبتـدعٌ و لم نكفِّـره ؛ لأنَّ ثبوتـه بـالقرآن فيـه احتمال وليس بصريح . وأمَّا قوله تعـالى: ﴿ إنَّـا أَعْطَيْنَـاكَ الكَوْثَـر ﴾ ففيـه اختلافٌ : هل هو الحوض ، أو الخير الكثير ، أو النهر الَّذِي في الجنَّة ؟ نعم، الحوض ثابتٌ بالسُّنة المتواترة وظاهر الكتاب وإجمـا ع أهـل الحـق ، فَمُنْكِـره زائغٌ عن الصواب ، مُسْتَحِقٌّ للطَّرد عَنه ، وكفى بذلك خِزْياً وعَذاباً " .

(١) **الصِّراط** : لغة : الطريق الواضح . وشرعاً : جِسْر ممدودٌ علـى مَتْـن جهنَّـم بين الموقف والجنَّة ، يَرِدُهُ جميعُ الخلائق من المؤمنينَ والكافرين للمرور عليـه، وهو أدقُّ من الشَّعرة وأحدُّ من السَّيف .

وقال تعالى :﴿ وَإِنْ مِنْكُم إلا وَارِدُهَا كَـانَ عَلَـى رَبِّـكَ حَتْمَـاً مَقْضِيَّـاً ثُـمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِين فِيهَا جِثِيَّـاً ﴾ [مريـم :٧١] أي : ننجِّـي الَّذِينَ اتقوا على حسب تفاوت درجاتهم في التقوى التي أدناها اتِّقـاء =

= الشِّرك بالله تعالى ، ونترك الظالمين الَّذِينَ لم يتّقوا أصلاً ، وهم الَّذِينَ ماتوا على الكفر جثيّاً ، أي : جالسين على الرُّكب .

وقد ثبتَ ذِكرُ الصِّراط في السنّةِ النبويَّة في عدَّةِ أحاديث ، منها الحديث الَّذِي رواه البخاري (٦٥٧٣) عن أبي هريرةَ ﷺ قال : قَالَ رسول الله ﷺ: "**ويُضْرَبُ جِسْرُ جهنَّم ، فأكونُ أوَّلَ من يُجيزُ ، وَدُعاءُ الرُّسُلِ يومئذٍ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ ، وبه كلاليبُ مثلُ شَوْكِ السَّعدان ، أمَا رأيتم شوكَ السَّعدان**"؟ قالوا: بلى يا رسول الله ".

والكلاليب جمع كلُّوب - بفتح الكاف وضم اللام المشدَّدة - : هي الحديدة المعوَجَّة الرأس ، يختطف بهَا الشيء .

والسَّعدان : شوكة صلبة معروفة تكون بنجد . قال القاضي أبوبكر بن العربي : هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في حديث : " **حُفَّت النار بالشهوات** " فالشهواتُ موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار ؛ لأنها خطاطيفها .انتهى

وروى مسلمٌ في صحيحه (٢٧٩١) عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها سألت النبيَّ ﷺ عن قول الله: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّمَوات**﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين يكونُ الناسُ يومئذ؟ قال: "**على الصِّراط**".

وروى مسلم في صحيحه (١٨٣) في كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنه قال : **بلغني أنَّ الجسرَ أدقُّ من الشعرة ، وأحدُّ من السيف** .

قال السخاوي في " الأجوبة المرضية " ٣:٩٠٥ :" وأما قول أبي سعيد : "بلغني " فالصحابي ﷺ إذا قال شيئاً مما لا مجال للرأي فيه كوصف =

= الصِّراط بما تقدَّم ، حكمُهُ الرفع على الصحيح ، بل ألحق بعضهم التابعيَّ بالصحابيِّ في ذَلِكَ ، لكن مع الحكم فيه بالإرسال ..

وعلى كل حال ، فنقل أبي سعيد المشار إليه قد ورد تصريح الرفع عن غيره من طرق متعدِّدة ، يقوِّي بعضها بعضاً ، بل أورد الحاكم في مستدركه على الصحيحين بعضها ، فأخرج البيهقي وابن المبارك وابن أبي الدنيا وغيرهم جميعاً من حديث عبيد بن عمير رفعه مرسلاً :" **الصِّراط على جهنَّم مثل حرف السيف** " .

وكذا أخرجه البيهقي وشيخه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً :" **والصِّراطُ كحدِّ السَّيف**" ، والبيهقي وحده من حديث زياد النميري عن أنس مرفوعاً: "**الصِّراط كحدِّ الشعرة أو حدِّ السيف** " .

ومن حديث يزيد الرُّقاشي عن أنس رفعه أيضاً : "**إنَّه أدقُّ من الشعرة ، أحدُّ من السَّيف** " .

ولأبي يعلى وابن منيع في مسنديهما عن أبي هريرة مرفوعاً : " **الصِّراط كحدِّ السيف**".

ولأحمد بن حنبل في مسنده ٦ :١١٠ من حديث القاسم عن عائشة في حديث مرفوع أصله عند أبي داود من حديث الحسن البصري عنها : "**ولجهنَّم جِسْرٌ أدقُّ من الشعر ، وأحدُّ من السيف** " انتهى .

والمرورُ عليه مُخْتَلِفٌ[1]، فمِن ناجٍ ومِن عاطِبٍ ، ثُمَّ إلى الجنَّة أو إلى النَّار.

---

(١) من جهة البطء والإسراع ، فمنهم - كما ثبت - مَنْ يَمرُّ كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكالفرس المجري ، وسعياً ، ومشياً ، وحبواً ، وزحفاً ؛ وإنَّما تفاوتوا في سُرعة المرور وبُطْئِهِ على قَدْر تفاوتهم في الأعمال الصالحة.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في " المحجة في سَيْر الدُّلجة" ص٨٠ :"الصِّراطُ المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات :درجة الإسلام ، ودرجة الإيمان ، ودرجة الإحسان .

فمن سَلَك درجة **الإسلام** إلى أن يموت عليها مَنَعَتْهُ من الخلودِ في النار ، ولم يكن له بدٌّ من دخول الجنَّة ، وإن أصابه قبل ذَلِكَ ماأصابه .

ومن سَلَك على درجة **الإيمان** إلى أن يموت عليها مَنَعَتْهُ من دخول النار بالكليَّة ، فإنَّ نور الإيمان يُطْفِئ لهبَ نار جهنَّم حتى تقول : " **يامُؤْمِن جُزْ ، فقد أطفأ نورُكَ لهبي** ".

وفي المسند ٣:٢٣٨ عن جابر ﷺ مرفوعاً: " **لايبقى بَرٌّ ولافاجرٌ إلاَّ دَخَلَها، فتكونُ على المؤمن برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم حتى إنَّ للنار ضَجيجاً من بَرْدِهم** " . =

س٣٩- ما الأعراف؟

الأعراف سُورٌ بينَ الجنَّةِ والنار[1] ،

= ومن سَلَك درجة **الإحسان** إلى أن يموت عليها وصل بعد الموت إلى الله ﴿**لِلَذيْنَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس :٢٦] انتهى.

وقال ابن القيم في " الداء والدواء " ص١٦٠:" فإذا كان يوم القيامة نَصَبَ لخلقه صراطاً مستقيماً يوصلهم إلى جنَّته ، ثم صرف عنه من صُرِف عنه في الدنيا ، وأقام عليه من أقامه عليه في الدنيا ، وجعل نور المؤمنين به وبرسوله وَبِمَا جاء به الَّذِي كان في قلوبهم في الدنيا نوراً ظاهراً ، يسعى بين أيديهم وبأيْمَانهم في ظُلمة الجسر ، وحفظ عليهم نورَهُم حتى قطعوه ، كما حفظ عليهم الإيمان حتى لَقَوْه ، وأطفأ نورَ المنافقينَ أحْوَجَ ما كانوا إليه ، كما أطفأه في قلوبهم في الدنيا ، وأقام أعمال العصاة بجَنْبَتَيْ الصِّراط كلاليبَ وحَسَكَاً تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاستقامة عليه ، وجعل قوَّة سَيْرهم وسرعتهم عليه على قدر قوَّة سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا " .

(١) قَالَ الله تعالى: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ**﴾ أي : بين الجنَّةِ والنارِ ، وهو السُّورُ الَّذِي يُضرب بين أهل الجنة والنار ، له باب باطنه الَّذِي يلي المؤمنين فيه الرحمة ، وظاهرة الَّذِي يلي الكفار من جهتهم العذاب ، قَالَ الله فيه: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهم بِسُورٍ له بَابٌ بَاطِنُهُ فيه الرَّحمةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ**﴾ [الحديد:١٣] . =

وأصحابُه مُطِلُّونَ على الجميع[1].

= والأعراف : جمع عرف وهو المكـان المرتفـع ، وهـو سـور عـال بـين الجنـة والنار عليه أهل الأعراف .

(١) أي على أهل الجنة وأهل النار ، قال تعالى : ﴿ **يَعْرِفُـون كُـلاً بِسِـيمَاهُم** ﴾ يعني يعرفون الفريقين بعلاماتهم ، فإذا نظروا أهل الجنة نادَوا : ﴿ **أنْ سَـلامٌ عَلَيْكُـم** ﴾ ، وإذا صَرفـوا أبصـارهم إلى أصحـاب النـار قـالوا : ﴿ **رَبَّنَـا لاتَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِين**﴾ .

قال ابن القيم في "طريق الهجرتين" ص٥٣٠ :" هذه الآية دليـلٌ علـى أنَّهـم بمكان مرتفع بين الجنة والنار ، فإذا أشرفوا على أهل الجنة نادوهم بالسلام ، وطمعـوا في الدخـول إليهـا ، وإذا أشـرفوا علـى أهـل النـار سـألوا الله أن لايجعلهم منهم .

ثمَّ قال تعالى : ﴿ **وَنادَى أصْحَابُ الأعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُم بِسِيْمَاهُم** ﴾ يعني من الكفار الَّذِينَ في النار ، فقالوا لهم : ﴿ **مَا أَغْنَى عَنْكُم جَمْعُكُم وَمَا كُنْتُم تَسْتِكْبِرُون** ﴾ [الأعراف : ٤٨] يعني : ما نفعكم جمعكم وعشيرتكم وتجرؤكـم علـى الحـق ولا استكباركم . وهـذا إمَّـا نفـي ، وإمَّـا اسـتفهام وتوبيخ، وهو أبلغ وأفخم .

ثمَّ نظروا إلى الجنَّة فرأوا مـن الضعفـاء الَّذِيـنَ كـان الكفـار يسـترذلونهم في الدنيا ،ويزعمون أنَّ الله لا يختَصَّهم دونهم بفضله كما لم يختصَّهم دونهم=

وعاقبتُهم دخولُ الجنة[1].

= في الدنيا ، فيقول لهم أهـل الأعـراف : ﴿ **أَهَـؤلاء الَّذِيـنَ أَقْسَـمْتُم** ﴾ أيُّها المشركون أنَّه تعالى لا ينالهم برحمة !! فهاهم في الجنة يتمتعـون ويتنعمـون ، وفي رياضها يُحْبَرون ، ثمَّ يقال لأهل الأعراف : ﴿ **ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُم وَلا أَنْتُم تَحْزَنُون** ﴾ .

وقيل : إنَّ أصحاب الأعراف إذا عيَّروا الكفَّار وأخبروهم أنَّه لم يغـن عنهـم جمعهم واستكبارهم ، عيَّرهم الكفار بتخلُّفهم عن الجنَّـة ، وأقسـموا أنَّ الله لاينالهم برحمة، لما رأوا من تخلُّفهم عـن الجنَّـة ، وأنَّهـم يصـيرون إلى النـار ، فتقول لهم الملائكة حينئذٍ: ﴿ **أهَؤلاء الَّذِينَ أَقْسَـمْتُم لا يَنَـالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَـة ادْخُلُوا الجَنَّة لا خَوْفٌ عَلَيْكُم ولا أَنْتُـم تَحْزَنُـون** ﴾ [الأعـراف :٤٨] ، والقولان قويان مُحتملان ، والله أعلم " انتهى .

(١) اختلـف العلمـاء في تعيين أصحـاب الأعـراف اختلافـاً كثـيراً ، وتعـدَّدت أقوالُهم ، والـذي ذَهَـبَ إليـه أكـثر العلمـاء بـأنهم قـومٌ اسْتَوَتْ حَسَنَاتُهم وسيِّئاتهم ، فيقومون مُدَّةً على الأعراف ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بهم إلى الجنة.
قَالَ تَعَالَى في مناداةِ رجالِ الأعراف أصحابَ الجنة حين رأوهـم وعرفوهـم: ﴿**وَنَادَوْا أصْحَابَ الجَنَّةِ أن سَلاَمٌ عليكُـم لَـمْ يَدْخُلوهَـا وَهُـمْ يَطْمَعُـون**﴾ [الأعراف:٤٦] .وقد تلا الحسَنُ البصري هذه الآيـة: ﴿**لَـمْ يَدْخُلُوهَـا وَهُـمْ يَطْمَعُون**﴾ فقال: واللهِ ما جعل الله تعالى ذَلِكَ الطَّمع في قلوبهم إلاَّ لكرامـةٍ يريدها بهم سبحانه". =

س٤٠- هل الجنَّةُ والنَّارُ مخلوقتان الآن؟

نعم مخلوقَتان الآن[1]، وفيهما ما قاله الله ورسوله.

= وروى الإمام أحمد في "الزهد" عن قتادة أَنَّ سالِماً مولى أبي حذيفةَ ﷺ كَانَ يقول: "وَدَدْتُ أنِّي بمنزلةِ أصحابِ الأعراف" أي : من الذين لم تغلب سَيِّئَاتُهم حَسَنَاتِهم ، بل استوَتْ حسناتُهم وسيِّئاتُهم حَتَّى تشمله مغفرةُ الله تعالى ورحمته ، ويحقِّق الله تعالى له ما يَطْمع فيه وهو دُخولُ الجنة.(الإيمان بعوالم الآخرة ، للشيخ عبدالله سراج الدين ٤١٦-٤١٩) .

(١) ذهب جمهور المسلمين إلى أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان الآن ، واستدلُّوا بدليلين: **الأوّل:** قصة أبينا آدم عليه السلام مع زوجه حوَّاء وإسكانهما الجنّة وإخراجُهما منها بسبب الأكل من الشجرة ، وهذه القصة ذُكِرت في عدّة آيات من كتاب الله، وفيه التصريح بلفظ الجنَّة ، والمُتبادَرُ من ذَلِكَ اللفظ إنَّما هو دار الثواب فينصرف إليه ، حيث لاضرورة إلى العدول عنه . وقد قال سبحانه في وصف جنَّة آدم: ﴿ **إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوْعَ فِيْهَا وَلاَتَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لاَتَظْمَأُ فِيْهَا وَلاَتَضْحَى** ﴾ [طه :١١٨-١١٩] . وجاء في وصف الجنة التي هي دار الثواب : ﴿**لاَيَرَوْنَ فِيْهَا شَمْسَاً وَلاَزَمْهَرِيْراً** ﴾ [الإنسان:١٣]. فإذا نظرنا إلى مجموع هذه الأوصاف ترجَّح لنا أنَّ جَنَّة آدم هي دار الثواب، وإذا ثَبَتَ أنَّ الجنَّة مخلوقةٌ ، فالنَّار أيضاً مخلوقة ، لأنَّ القائل بخلق الجنَّة قائلٌ بخلق النَّار ، والمنكر لخلق الجنَّة منكرٌ لخلق النَّار ، ولاقائل بالفَصْل بينهما . (مذكرات في التوحيد لأبي دقيقة ، ص٢٢٣) . =

والنَّعيم والعذابُ محسوسان حقيقةً لا مجازاً[1] .

= الدليل الثاني : قَالَ الله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِـدَّتْ لِلمُتَّقِـينَ﴾ [آل عمـران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ للذينَ آمنُوا باللهِ وَرُسُلِه﴾ [الحديد: ٢١] .
وَقَـالَ سُبْحَانَهُ عـن النـار: ﴿أُعِـدَّتْ لِلْكَـافِرِينَ﴾ [آل عمـران: ١٣١] ، والشيءُ المعَدُّ لا يكـونُ إلاَّ موجـوداً مفروغـاً منـه ، وقـد رأى النبيُّ ﷺ في معراجهِ سِدْرَةَ المنتهى ، ورأى عندها جَنَّةَ المأوى ، وَمَا أعدَّ الله للمؤمنين من ألوانِ النعيم ، ورأى النَّارَ ، وَمَا أُعِدَّ للكافِرين من أنواعِ العذابِ الأليم.

(١) وكلُّ مَا أخبر الله من نعيمِ أهل الجنةِ وأهل النار حقائق ، وليست مـن بـاب التهويل والإيهام ، بل من بابِ الإعلام عن حقـائق واقعيـة ، فـإنَّ الله تعـالى يقول في الحق ، وقولـه الحـق ، وقوله الصِّـدق : ﴿ وَمَـنْ أَصْـدَقُ مِـنَ اللهِ قِيلاً﴾ [النساء :١٢٢] ، والصِّدق : هو الكلام المطابق للواقـع ، والحـق : هو بيانُ ما عليه حقيقةُ الشيء المُخْبَرُ عنه ، وكلامُه سُبْحَانَه هو الفَصْل ليس فيه هزل : ﴿ إنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ ﴾ [الطارق :١٣-١٤] .
قال القاضي عياض في كتابـه " الشـفا " في بيـان مـاهو مـن المقـالات كفـر ١٠٧٧:٢ :" وكذلـك مـن أنكـر الجنَّـة أو النـار أو البعـث أو الحســاب أو القيامة ، فهو كافرٌ بإجماع ، للنَّصِّ عليه ، وإجماع الأمَّـة على صحـة نقلـه متواتراً ، وكذلك من اعترف بذلك ، ولكنه قـال : إنَّ المـراد بالجنَّـة والنَّـار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنىً غير ظاهره ، وأنَّها لذَّات روحانيَّـة، ومعانٍ باطنةٌ ، كقول النَّصارى والفلاسفة والباطنيَّة وبعض المتصوِّفة ، =

ففي النَّار: نَارٌ مُوقَدَةٌ ، وسَلاسِلُ وأغلالٌ وغيرها على صورةِ المُسَمَّيات بتلك الأسماء في الدنيا ، وإنْ كانتِ الأُخرى أكبرَ وأفظعَ وأشدَّ وَأَخْزَى [1] .

= وزعم أنَّ معنى القيامة : الموت ، أو فناءٌ محض ، وانتفاض هيئة الأفلاك ، وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة " .

وقال أيضاً في الفصل المذكور ٢:١٠٦٨ :" وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النُّبوة ، ونبوَّة نبيِّنا محمد ﷺ ، ولكن جوَّز على الأنبياء الكذب فيما أَتَوا به ، ادَّعى في ذَلِكَ المصلحة بزعمه أو لم يدَّعها ، فهو كافرٌ بإجماعٍ ، كالمتفلسفين وبعض الباطنيَّة والروافض وغلاة المتصوِّفة وأصحاب الإباحة ؛ فإنَّ هؤلاء زعموا أنَّ ظواهر الشرع ، وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عمَّا كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ، ليس منها شيء على مُقْتضى لفظها ومفهوم خطابها ، وإنَّما خاطبوا بِهَا الخلق على جهة المصلحة لهم ، إذ لم يمكِّنهم التصريح لقصور أفهامهم ، فمُضمَّن مقالاتهم : إبطالُ الشرائع ، وتعطيل الأوامر والنواهي ، وتكذيبُ الرسل والارتياب فيما أَتَوْا بِهِ " انتهى .

(١) وقد جاء في كثيرٍ من الآياتِ القرآنية بيانُ شدَّةِ عذابِ جهنَّم وهولها ، وهو عذابٌ حقيقيٌّ وَصَفَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بأنه عذابٌ شديدٌ ، وعذابٌ أليم ، وعذابٌ عظيم ، وعذابٌ مقيم ، وعذابٌ غليظٌ ، وعذابٌ كبير ، وعذابٌ مهينٌ ، وعذابُ الحريق ، وعذابُ السَّعير ، وعذابُ الجحيم ، وعذابُ السَّموم ، وليس ذَلِكَ من باب التوهيم أو التخييل ، فَإِنَّ القرآن يُخْبِرُ عن =

وفي الجنَّة: اللباسُ والطِّيبُ ومُبَاشَرَةُ النِّساء والأَكْلُ والشُّربُ ، ونحو ذلك ، مثل صورةِ الَّذِي في الدنيا[1] ،

= الحق والحقيقةِ الواقعةِ قطْعاً ، قال الله تعالى: ﴿وَبِالحَقِّ أنزَلْنَاهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] .

وكما جاءت الآيات القرآنية تُخبِرُ عن شدَّةِ عذابِ جهنم ، كذلك جاء في الأحاديث النبوية ، ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"نارُكُمْ هذه مما يوقِدُ ابنُ آدم جزءٌ واحدٌ من سبعين جزءاً من نارِ جهنَّم ، قالوا: والله إن كانت لكافية ، فقال ﷺ: "إنها فُضِّلَتْ عليها** - أي على نار الدنيا- **بتسعةٍ وستين جزءاً ، كلهنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"** رواه البخاري (٣٢٦٥) ومسلم (٢٨٤٣) .

(١) قال تعالى :﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارَ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ** ﴾ في الدنيا ﴿**وَأُتُوا بِهِ**﴾ أي : بالرزق ﴿ **مُتَشَابِهاً**﴾ يشبه ثمار الدنيا في الاسم لا في المَطْعَم . قال الإمام النَّسفي في "تفسيره" ١:٣٥ : "وإنَّما كان ثمارُ الجنَّة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناساً أُخَر ؛ لأنَّ الإنسان بالمألوف آنس ، وعلى المعهود أَمْيَل ، وإذا رأى مالم يألفه نَفَر عنه طبعُهُ ، وعَافَتْهُ نفسُهُ ، ولأنَّه إذا شاهد ماسَلَفَ له به عهدٌ ، ورأى فيه مَزِيَّةً ظاهرةً، وتفاوتاً بيِّناً ، كان استعجابُه به أكثر واستغرابُه أَوْفَر ، وتكريرهم هذا القول عند كلِّ ثمرة يُرْزقونها دليلٌ على تَنَاهي الأمر ، وتمادي الحال في ظهور =

لكن هناك أجمل وأنقى وأكمل وأبقى [1] .

= المزيَّة، وعلى أنَّ ذَلِكَ التفاوت العظيم هو الَّذِي يَسْتملي تعجبهم في كلِّ أوان " انتهى .

(١) وقد أخبر الله سبحانه عن الجنَّة أنَّه لا فراغَ لها ولا انقضاءَ ولا زوالَ ولا انتهاءَ ، فقال سبحانه : ﴿ **إنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَاد** ﴾ [ص:٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ **مَثَلُ الجنَّةِ الَّتي وُعِدَ المُتَّقُونَ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا** ﴾ [الرعد :٣٥] أي : فيها المطاعم والفواكه والمشارب، لا انقطاع ولا فناء ، وكذلك ظلُّها لا يزول ولا يَقْلِصُ ، وقد قال تعالى: ﴿**وفَاكِهَةٍ كثيرةٍ لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾ [الواقعة : ٣٢-٣٣] ، والآيات في ذَلِكَ كثيرة جداً ، كقوله تعالى : ﴿ **مَا عِنْدَكُم يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ الله بَاقٍ** ﴾ [النحل :٩٦] ، وكقوله تعالى : ﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ [هود ١٠٨] ، وكقوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ** ﴾ [الانشقاق:٢٥] ، أي : غير مقطوع .

قال الحافظ ابن رجب في " فتح الباري " ٦:٤٤١ ؛ في شرح قوله ﷺ : "**إنِّي رأيت الجنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ منها عنقوداً ، لو أخذتُه لأكلتُم منه ما بقيَت الدنيا** " :" وقوله :" **لأَكَلتُم منه ما بقيت الدنيا** " إشارة إلى أنَّ ما في الجنَّة لا ينفد ، فإنَّه كلما أكل منه استخلف في الحال مثلاه ، وفي رواية أخرى : "**لأكل منه من بين السَّماء والأرض لا ينقصونه شيئاً** " ولهذا يروى =

فَبَيْـن أشـياءِ الدنيـا وأشـياءِ الآخــرة فــرقٌ كبـيرٌ لا يُحصــى مِقْدَارُه[1] .

= أنَّ الطير يمرُّ بأهل الجنَّة ، فيشــتهونه فيخـرُّ بـين أيديهـم ، فيـأكلون منـه مـا يشاؤون، ثــمَّ يطـير ، والكـأس يشـربون مافيـه ثـمَّ يعـود ممتلئـاً في الحـال ، لاحَرَمَنا اللهُ ما عنده بشرِّ ما عندنا بمنِّهِ ورحمتِهِ " انتهى .

(١) قال ابن عبَّاس رضي الله عنهمـا :" **ليـس مـافي الدنيـا مِـمَّا في الآخِـرَةِ إلاَّ الأسماء** " . قال المنذري في "الترغيب والترهيب" ٤ :٥٦٠ : " رواه البيهقـي موقوفاً بإسناد جيد " . فلاخمر الآخرة كخمر الدنيا ، ولاحورها كنسـائها، ولانار جهنَّم كنارها ، والعقل يعجز عن إدراكها والإحاطة بِهَـا ، والخيـالُ البشريُّ يعجزُ عن تمثُّل حقيقتها .

ويقـول الراغـب الأصفهـاني في " تفصيـل النشـأتين " ص١٣٢:" واللـذات الأخرويَّة لاتُدْرك بالعقل في هذه الدنيـا ؛ لأنَّـه يقصُـرُ عـن معرفتهـا ، ولـذا قرَّبَ الله سبحانه وتعالى تلـك اللـذات إلى الأذهـان ، فشبَّهها لهـم بـأنواع ماتدركه حواسُّهم ، فقال سبحانه :﴿**مَثَـلُ الجنَّـةِ الَّـتي وُعِـدَ المُتَّقُـونَ فيهـا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبِين ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَـا مِـنْ كُـلِّ الثَّمَـرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِم**﴾ [محمد :١٥].

وأعلى نعيم الجنة: رؤيةُ العبد ربَّهُ بالبصر[1].

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يومَئذٍ نَاضِرةٌ إلى ربِّها نَـاظِرَةٌ﴾ [القيامـة: ٢٢-٢٣] ، قال ابن عبدالـبر في " الانتقـاء " ص٧٣ عـن ابـن القاسـم قـال : سـأل أبـو السَّمْح مالكاً فقال : يا أبا عبدالله ، أيُرى الله يوم القيامة ؟ قال نعم ، يقـول الله عز وجل : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ .
وقـال لقـوم آخريـن : ﴿ كَـلاَّ إنَّهُـم عَـنْ رَبِّهِــم يَوْمَئِــذٍ لَمَحْجُوبُــون ﴾ [المطففين:١٥] . وقال في " الانتقاء " في ترجمة الشـافعي ص١٣٢ : " قـال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول في قـول الله عـز وجـل : ﴿ كَـلاَّ إنَّهُم عَنْ رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُون ﴾ ، أعلمنا بذلك أنَّ قوماً غيرُ محجوبـين ينظرون إليه ، لا يضامون في رؤيته ، وهـم المؤمنون " انتهى .
وَقَالَ تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُون فيهَا وَلَدَيْنا مَزِيد﴾ [ق: ٣٥] ، والمزيد: هو النظر إلى وَجْهِ الله عَزَّ وجَلَّ ، وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنوا الــحُسْنَى وَزِيَـادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ، فالحُسْنى: الجنة ، والزيـادة: هـي النظـر إلى وجْهـه الكريـم كما جاءَ مفسَّراً عن النبيِّ ﷺ وعن غير واحدٍ من الصحابة والتابعين.
روى مسلمٌ (٣٩٧) في كتابِ الإيمان من صحيحه عن صُهَيبٍ الرُّومــيِّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: "إذا دَخَلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال: يقول الله تباركَ وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألَمْ تبيِّضْ وجوهَنا؟ ألَـمْ تُدخِلنـا الجنـة ، وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أُعْطُوا شيئاً أحبَّ إليهم مـن النظرِ إلى ربِّهم عَزَّ وجَلّ". =

= وروى البخاري (٧٤٣٦) في كتاب التوحيد عن جرير بن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ قال:"**إنّكمْ سَتَرَوْنَ ربَّكُمْ كما تَـرَوْنَ هـذا القَمَـرَ لا تُضَـامون في رؤيته**".

والأحاديثُ الدَّالّة على الرؤية متواترةٌ ، رواهـا أصحـاب الصِّحـاح والسـنن والمسانيد عن نحوِ ثلاثين صحابياً.

قال الحافظ ابـن رجـب في " فتـح البـاري " في شـرحه لحديـث جريـر ﷺ ٣١٩:٤ : " هذا الحديث نصٌ في ثبوت رؤية المؤمنين لربِّهم في الآخرة كما دلَّ على ذَلِـكَ قولـه تعـالى : ﴿ **وُجُـوهٌ يَومَئِـذٍ نَـاضِرَةٌ إلى رَبِّهَـا نَـاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] ومفهوم قوله في حقِّ الكفَّار : ﴿ **كلاَّ إنَّهَمْ عَـنْ رَبِّهِـم يَوْمَئذٍ لَمَحْجُوبُون** ﴾ [المطففين :١٥] . قال الشافعي وغيره : لمـا حجـب أعداءه في السخط دلَّ على أنَّ أولياءه يرونه في الرضا ، والأحاديث في ذَلِكَ كثيرة جـداً، وقـد ذكـر البخـاري بعضهـا في أواخـر الصحيـح في كتـــاب "التوحيد " . وقد أجمع على ذَلِكَ السَّلَفُ الصالح مـن الصحابـة ، والتـابعين لهم بإحسان من الأئمة وأتباعهم ، وإنّما خالف في ذَلِكَ طوائف أهل البـدع مـن الجهميَّـة والمعتزلـة ، ونحوهـم ممـن يـردُّ النصـوص الصحيحـة لخيـالات فاسدة، وشبهاتٍ باطلة يخيِّلها لهم الشيطان فيسرعون إلى قبولها منه " انتهى.

قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١٦٧:٢ :" وأمَّا رؤية الله عيانـاً في الآخرة فأمر مُتَيَقَّنٌ تواترت بـه النصـوص ، جَمَـعَ أحاديثَهـا الـدار قطـنيُّ والبيهقي ". وقال أيضاً ١١٤:١٠:" بلى نعنِّف ونبدِّع مـن أنكـر الرؤيـة في الآخرة ؛ إذ رؤيةَ الله في الآخرة ثبتت بنصوصٍ متوافرة ". =

والمؤمنُ العاصي إذا مَاتَ بلا توبةٍ فأمرهُ مفوَّضٌ إلى الله[1] .

= وقال أيضاً ١١:٥٤ :" نعم ، ورؤية الله تعالى في الآخـرة منقولـة عـن النبيِّ ﷺ نَقْلَ تواتر، فنعوذ بالله من الهوى ، وردِّ النَّص بالرأي ".

(١) إن شاء غَفَرَ له وَعَفا عنه بفضله ، وإن شاءَ أخذه بذنوبـه ، وعذَّبَـهُ في النـار بعَدْلِهِ ، ثُمَّ يُخرْجُه منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهلِ طاعته ، ثُمَّ يبعثـه إلى جنَّته.

فأهلُ الكبائر لا يخلَّدونَ في النار إذا ماتوا وهم موحِّدون ؛ لأنَّ أصل الإيمـان مـن التصديـق بـالله والمعرفـة والإذْعـان موجـودٌ ، وفي حديـثِ الشـفاعة: **"أخرِجوا من النَّار مَن في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خرْدلٍ من إيمان"** وفيه يقـول الله عَزَّ وجَلّ:**"وعِزَّتِي وجَلاَلِي لأُخرِجَنَّ من النَّارِ مَن قال: لا إله إلاَّ الله"**.

وقال ﷺ: **"شفَاعَتِي لأهـل الكبـائر مـن أُمَّتِـي"** رواه أبـو داود (٤٧٣٩) ، والترمذي (٢٤٣٧) ، وقال ﷺ: **"أسعدُ النَّاسِ بشَـفاعَتِي يـومَ القيامـة مَـن قال: لاَ إلَهَ إلاَّ الله خَالِصاً من قلبه"** رواه البخاري (٩٩) و (٦٥٧٠) .

قال الإمام أبو عمرو الداني في "الرسالة الوافية" ص٩٤: "ومـن قولهـم -أي أهلُ السنَّةِ والجماعة-: إنَّ الله سبحانه لا يغفر أن يُشرَكَ بـه ويغفـر مـا دون ذَلِكَ لِمُجْتنِبِي الكفر ، وهو الَّذِي أراد بقوله تعالى: ﴿**إن تَجْتَنِبوا كَبَـائِرَ مَـا تُنْهَوْنَ عنه نُكفِّرْ عنكُمْ سَيِّئاتِكُمْ ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيْماً**﴾ [النسـاء: ٣١] أي: إن اجْتنبتم أكبر ما نُهيتم عنه ، وهو الكفر بالله تعالى" انتهى.

فالتوحيدُ أعظمُ أسبابِ المغفرة ، فمن فَقَدَه فَقَدَ المغفرةَ ، ومن جـاء بـهِ فقـد أتى بأعظمِ أسبابِ المغفرة ، إلاَّ أنَّ العُصاةَ ومُرتَكِبِي الكبائر يستحِقُّون =

﴿إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُّشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَّشاءُ﴾[1].

وأهلُ الجنَّة مُخلَّدونَ فيها[2]، وأهلُ النَّار مُخلَّدونَ فيها إذا ماتوا كُفَّاراً[3] ، فإن كانوا من عُصاةِ المؤْمِنِينَ يخرجون من النَّار ولو بعد حين

= الوَعيدَ المرتَّبَ على ذنوبهِمْ ، كما جاءت بذلك النصوص الصَّريحة ، لا كما يقول المرجئَةُ: "لا يضرُّ مع الإيمانِ ذنبٌ" !!.

(١) من سورةِ النساء ، الآية: ٤٨ ، والآية: ١١٦.

(٢) قَالَ تَعالَى: ﴿إنَّ الذينَ آمنُوا وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحتِها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فيهَا أَبَداً﴾ [البيِّنة: ٨] ، وقد أكَّدَ اللهُ خلودَ أهلِ الجنةِ بالتأبيد في ثمانيةِ مواضع من القرآن الكريم.
وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّها﴾ [الرعد: ٣٥] ، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

(٣) للأدلة القطعيَّة من الكتاب والسنةِ على بقاء النار أبدَ الآباد ، وبقاء أهلِها فيها ، مثل قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] ، وقوله عَزَّ وجَلّ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِين مِنْها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] ، والمقيم: الدائم الثابت الَّذِي لا ينتقل ولا يزول ، وقال: ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عَذَابِها﴾ [فاطر: ٣٦] ، وقال سبحانه :﴿ لاَ تُفَتَّحُ لَهُم أَبْوَابُ السَّمَاءِ =

= ولا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ ﴾ [الأعراف:٤٠]، ودخول الجمل في إبرة الخياطة محال ، فدخول الكفار للجنة محال ، فهم مؤبَّدون في النار . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي ﴾ [العنكبوت : ٢٣] أي : جنّتي ، فيأسُهُم من دخول الجنة تأبيدٌ لهم في النّار .

وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [الحج :٢٢] ، وقال سبحانه : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [السجدة :٢٠] ، وقال عزَّ وجل : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء :٩٧] ، وقال تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ [النساء : ٥٦] . فهذه الصيغة تدل على التأبيد ؛ لأنَّ ﴿ كُلَّمَا ﴾ تدلُّ على الدوام والتكرار ، وهو معنى التأبيد.

وقد أكَّدَ الله سُبْحَانَهُ خلودَ الكفّار بلفظ التأبيدِ في النار في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم ، في قوله تعالى في سورة النساء :﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُم ولا لِيَهْدِيَهُم طَرِيقاً ، إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيْهَا أَبَدَاً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ [الآية :١٦٩] ، وفي سورةِ الأحزاب: ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً خَالِدينَ فيهَا أَبَداً لا يَجدونَ وَلِيّاً ولا نَصيراً﴾ [الآية: ٦٥] ، وفي سورة الجن: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدينَ فيها أَبَداً﴾ [الآية: ٢٣]. =

= قال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١٨:١٢٦ في ترجمة ابن بَرْهَان العكبري:"وكان يميل إلى مذهب مُرجئة المعتزلة ، ويعتقد أنَّ الكفَّار لا يُخلَّدون في النار . قلت : حجَّته في خروج الكفَّار هو مفهوم العدد من قوله:﴿ **لابِثِينَ فِيْهَا أَحْقَابَاً** ﴾ [النبأ : ٢٣] ، ولا ينفعه ذَلِكَ لعموم قوله تعالى:﴿ **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** ﴾ [البقرة :١٦٧] ، ولقوله : ﴿**خَالِدِينَ فِيْهَا أَبَدَاً** ﴾ إلى غير ذَلِكَ ، وفي المسألة بحثٌ عندي أفردتُها في جزء " .

وقال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ١١:٤٢١-٤٢٢ بعد أن ذكر سبعة أقوال في هذه المسألة ، ونقل الإجماع على خلود أهل النار فيها وإقامتهم على الدوام بلا موت : " قلت : وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع - والمراد به : زوال عذابها وخروج أهلها منها - ونَصَرَهُ بعدَّةِ أوجهٍ من جهة النظر ، وهو مذهبٌ رديءٌ مردودٌ على قائلِهِ ، وقد أطْنَبَ السُّبْكيُّ الكبير في بيان وَهائِهِ فأجاد " انتهى .

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ والأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمواتُ والأَرضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّك عَطَاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ** ﴾ [هود : ١٠٦-١٠٧] ، فقد اختُلف في الاستثناء من الخلود في الموضعَيْن ، قال العلامة الخازن في "لباب التأويل " ٣:٣٤٥ :" اختلف العلماء في معنى هذين الاسْتِثْناءين ، فقال ابن عبَّاس والضحَّاك : الاستثناء الأول المذكور في أهل الشقاء يرجع إلى قومٍ من المؤمنين يدخلهم الله النار بذنوبٍ اقْترفوها ، ثمَّ يخرجهم =

= منها ، فيكون استثناءً من غير الجنس ، لأنَّ الَّذِينَ أُخرجوا من النَّار سعداء في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الأشقياء . ويدل على صحَّة هذا التأويل ما رواه البخاري (٦١٩٨) عن عِمران بن حُصَيْن أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : " **يَخْرُجُ قومٌ من النَّار بشفاعةِ محمدٍ فيدخلون الجنَّة يُسَمَّوْن الجهنَّميِّين**" .

وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع إلى مدةِ لَبْثِ هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنَّة ، وحاصل هذا القول أنَّ الاستثناءين يرجع كلُّ واحدٍ منهما إلى قومٍ مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوباً استَوْجَبُوا بِهَا عقوبةً يسيرةً في النار ، ثم يخرجون منها فيدخلون الجنَّة ؛ لأنَّ إجماع الأمة على أنَّ من دخل الجنَّة لا يخرج منها أبداً .

وقيل : إنَّ الاستثناءين يرجعان إلى الفريقين السعداء والأشقياء ، وهو مُدَّة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ ، وهو ما بين الموت إلى البعث ، ومدَّة وقوفهم للحساب ، ثمَّ يدخل أهل الجنَّةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ ، فيكون المعنى : خالدين في الجنة والنار إلاَّ هذا المقدار .

وذكر الخازن أقوالاً أخرى في المراد من الاستثناء ، ثم قال :" والصحيح هو القول الأول ، ويدلُّ عليه قوله سبحانه وتعالى :﴿ **إنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد**﴾ يعني : مِنْ إخراج مَنْ أراد من النار وإدخالهم الجنة " انتهى .

وقال العلامة المحدِّث المفسِّر الأصولي الشيخ عبدالله بن الصديق الغماري رحمه الله تعالى في كتابه " خواطر دينية " ص٢٣-٢٤ : " ويظهر لي وجهٌ لعله يكون صواباً إن شاء الله تعالى ، وهو : أنَّ الاستثناء في الموضعَيْن ليس المراد به نفي تأبيد الخلود ، بل نفي وجوبه ، وأنَّ عدمه تتعلق به القدرة =

ويدخلون الجنة[1] .

= لإمكانه ، ويرشح هذا قوله تعالى : ﴿ إنَّ ربَّكَ فعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾ ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بَآخَرِينَ ﴾ [النساء:١٣٣] لكنه لم يَشَأْ . والمعنى : إلاَّ ما شاء ربُّك من عدم الخلود ، فله ذَلِكَ، لكنه لم يشأ ، والآية بهذا التقرير تردُّ على قولِ من زَعَمَ من المعتزلة ومَن يرى رأيهم : أنَّ خلودَ النوعين واجبٌ عقلاً ، وأنَّ عدمه لا تتعلّق به القدرة ؛ لاستحالته .
ولك أن تقول : على فرض أنَّ الاستثناء مرادٌ به نفي الخلود ، تكون الآية دالة عليه بطريق المفهوم ، لأنَّ الاستثناء من مفاهيم المخالفة كما تقرَّر في علم الأصول ، ودلالة المفهوم مُؤَخَّرةٌ عن دلالة المنطوق حسبما هو مقرَّر في مَحلِّهِ ، وعليه فدلالة الاستثناء غيرُ معمولٍ بِهَا إلاَّ من حيث التبرُّك ، لتصريح آياتٍ أخرى بتأبيد خلودِ أهل النار فيها ، وتأبيد خلودِ أهلِ الجنة فيها " انتهى .

(١) فالخلود في النار لايكون إلاَّ للكافرينَ الَّذِينَ جَحَدوا وحدانية الله ، وكذبوا بماجاءت به الرُّسل من عنده ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [المائدة :٨٦] .
قال العلامة الخازن في "لباب التأويل " ١:٤٣٨ :" هذه الآيةُ نصٌّ قاطعٌ في أنَّ الخلود في النَّار ليس إلاَّ للكفَّار ؛ لأنَّ المُصَاحَبَةَ تقْتضي المُلازَمَة كما يُقَال فلانٌ صاحب فلان يعني الملازم له " انتهى .
=

= فلا يُديمُ تبارك وتعالى عذابه إلاَّ على الكافرين ، ولا يخلِّد في ناره إلاَّ الجاحدين ، كما أخبر الله تعالى: ﴿**إنَّه لا يَيْأَسُ من رَوْحِ اللهِ إلاَّ القومُ الكافِرون**﴾ [يوسف: ٨٧] وقال: ﴿**وإنَّ جهَنَّم لَمُحِيطَةٌ بالكافِرينَ**﴾ [التوبة: ٤٩] ، وقال تعالى: ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كفرُوا لَوْ كَانْوا مُسْلمينَ**﴾ [الحجر: ٢] يعني إذا أذِنَ في الشفاعةِ وأخرجَ العُصاةَ من المؤمِنين من النار ، وقال في الكافرين: ﴿**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافعينَ**﴾ [المدَّثر: ٤٨] ، وقال فيهم: ﴿**مَا لِلظَّالِمينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر: ١٨] .

وقد دلَّتِ السنة المستفيضة أنه يخرجُ من النارِ مَن قال: لاَ إِلَهَ إلاَّ الله ، وأحاديث الشفاعةِ صريحةٌ في خروجِ عُصاةِ الموحِّدين من النار .

قال الحافظ في " الفتح" ١:٢٠٢ :" الأدلة القطعيَّة قامت على أنَّ خلود التأبيد مُختصٌّ بالكافرين " انتهى .

روى البخاري في كتاب " الدعوات "(٥٩٤٥) ومسلم في الإيمان (٣٣٤) عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال :" **لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوةٌ مُسْتَجَابةٌ يدْعُو بهَا ، وأُريد أَنْ أختبئَ دعوتي شفاعةً لأمَّتي في الآخرة** "،وفي رواية : " **فهي نَائِلةٌ إنْ شاءَ الله من مَاتَ ولايشرك باللهِ شيئاً** ".قال الحافظ في "الفتح" ١١:٩٧ :"وأمَّا قوله :"**فهي نَائِلةٌ** " ففيه دليلٌ لأهل السنة والجماعة أنَّ من مات غير مشرك لا يخلَّد في النار ولو مَات مُصِرًّا على الكبائر " .

وروى البخاري أيضاً في كتاب الإيمان (٢٢) والرقاق (٦٥٦٠) ، ومسلمٌ (٣٠٤) عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: "**إذا دَخلَ أهلُ الجنةِ الجنَّةَ ، وأهلُ النارِ النارَ ، يقولُ الله: مَن كان في قلبهِ مثقالُ حبةٍ من** =

س٤١- ما القول في الدُّعَاء .. هل ينفع؟

نعم ينفع ، والبلاءَ يدفع[1]،

= **خردلٍ من إيمانٍ فأخرِجوهُ ، فيُخرَجونَ قد امتُحِشُوا** -أي : احترقوا بالنار حتى انكشفَ العَظم- **وعادوا حُمَماً** -أي : صاروا فحماً- ، **فيُلقونَ في نهرِ الحياة ، فينْبتون كما تنبُتُ الحِبةُ** -أي : بذور البقلِ البرِّي- **في حميل السَّيل ، أو قال: حميَّة السيل** -أي: معظم جريه واشتداده-، وفي روايةٍ لمسلم: "**حمئة**" وهي الطينُ الأسود المنتن.

وقال الحافظ الذهبي في " سير أعلام النبلاء " ١١:٣٦٣ عند كلامه عن شُعَب الإيمان وتفاوت المؤمنين :" ودونهم عصاة المسلمين ، ففيهم إيمانٌ ينجون به من خلود عذاب الله تعالى وبالشفاعة . ألا تسمع إلى الحديث المتواتر :" **أنَّه يخرجُ من النَّار من في قلبه وَزْنُ ذرَّة من إيمان** " انتهى .

(١) فَإِنَّ الله تعالى يقدِّرُ المقادير ، ويقدِّرُ ما يدفع بعضَها قبل وقوعِهِ ، ومن ذلك: الدعاء ، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: "**إنَّ البلاءَ والدُّعاءَ يلتقيان بين السَّماءِ والأرضِ ، فيعتلجان** -أي : يَتصارعان ويتدافَعان- **إلى يومِ القيامة** "رواه البزار والحاكم ١:٤٩٢ ، وقال: صحيحُ الإسناد ، والطبراني في "الدعاء" (٣٣) .

فالدعاء ينفع مما نَزَل وَمِمَّا ينزل ،ولايردُّ القضاء إلاّ الدعاء .

روى الترمذي (٣٥٤٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :قال رسول ﷺ:"**إنّ الدعاء ينفعُ مّما نَزَل وَمِمَّا لم ينزل ، فعليكم عِبَادَ الله بالدُّعاء**".=

= فالدعاء ينفع في الأمور النازلة بالمكاره والشدائد فيرفعها ، وينفع في الأمور التي سوف تنزل بالمكاره والشدائد فيدفعها .

وخرج الترمذي (٢١٤٠) من حديث سَلمان مرفوعا: "**لا يردُّ القضاءَ إلاّ الدعاءُ ، ولا يزيدُ في العُمُر إلاّ البرّ**" ، وَقَالَ الترمذي: حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من حديث يحيى ، ورواه ابن حِبَّان في " صحيحه " (٨٧٢) ، والحاكم في " المستدرك " ١:٤٩٣ من حديث ثوبان وصححه ووافقه الذهبي .

وَقَالَ ابن عباس: " لا ينفع الحذَرُ من القدَر ، ولكنَّ الله يمحو بالدعاء ما يشاءُ من القدر " ، وعنه قال: "الدعاءُ يدفع القدر ، وهو إذا دفعَ القدر فهو من القَدَر".

وَقَالَ الإمام الغزالي رحمه الله تعالى في "الإحياء" ٤: ٢٠٢: "فإن قلتَ: فما فائدةُ الدعاء ، والقضاءُ لا مَردَّ له؟ فاعلم أَنَّ من القضاء ردَّ البلاء بالدعاء ، فالدعاءُ سببٌ لردِّ البلاء ، واستِجْلاب الرحمة ، كما أَنَّ التُّرسَ سببٌ لردِّ السَّهْم ، والماءَ سببٌ لخروجِ النبات من الأرض ، وكما أَنَّ التُّرسَ يدفعُ السَّهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان.. والذي قدَّر الخير قدَّره بسبب ، وكذلك الشَّرُّ قدَّر لرفعه سبباً ، فلا تناقضَ بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرتُه".

وقال العلامة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام رحمه الله تعالى في " الفتاوى الموصلية " ص١٠٢-١٠٣ في جواب من يقول :" لا حاجة بنا إلى الدعاء ، لأنَّهُ لا يردُّ ما قدَّر وقضى " فأجاب :" مَنْ زعم أنّا لا نحتاج إلى الدعاء =

= فقد كَذَبَ وعصى ، ويلزمه أن يقول : لا حاجة بنا إلى الطاعة والإيمان؛ لأنَّ ما قضاه الله تعالى من الثواب والعقاب لابدَّ منه ، ولا يدري هذا الأخْرَق الأحمق أنَّ الله تعالى قد رتَّب مَصَالح الدنيا والآخرة على الأسباب ، وَمَنْ تَرَكَ الأسباب بناءً على أنَّ ما سبق به القضاء لا يغيِّره لزمه أن لا يأكل إذا جاع ، ولا يشربَ إذا عطِشَ ، ولا يلبس إذا برد ، ولا يتداوى إذا مرض ، وأن يلقى الكفَّار بغير سلاح ، ويقول في ذَلِكَ كلِّه : ما قضاه الله تعالى ، فإنه لا يُردُّ ، وهذا ما لا يقوله مسلمٌ ولا عاقل ، وما أَجْرئَ هذا الجنس على الجرأة على الله تعالى بإنكار الشَّرع ، وما ركَّبه الله تعالى في الطبع ، ولقد قال بعض مشايخ الضلال منهم : لا يجوز التداوي ؛ لأنَّهُ شركٌ واعتمادٌ على الأسباب ، فكان جوابه أن لايأكل ، ولا يشرب ، ولا يلبس، ولا يركب ، ولا يدفع عن نفسِهِ مَنْ أراد قتله ، ولا عن أهله من قَصَدهم بالزنا والفواحش ؛ فبُهت الَّذِي فجَرَ ؛ والله لا يهديه وأمثاله إلى الحقِّ والصَّواب ، لجرأتهم عليه " انتهى .

وقال العلاَّمة الشيخ عبدالله سراج الدين في "الدعاء" ص٢٧-٢٨ : " إنّ الله تعالى الَّذِي قدَّر المقدورات قدَّر لها أسباباً ، فهو سبحانه قدَّر المسبَّبات وقدَّر الأسباب ، فهو تعالى قدَّر الشَّبَعَ بسبب تناول الأكل ، وقدَّر الرِّيَّ بسبب الشُّرب،وقدَّر الولد بسبب الوَطْءِ ، وقدَّر حصول الزروع بسبب البَذْر ، وقدَّر ثمرات الشجر بسبب الغَرْس ، وقدَّر الحياة بسبب الهواء والماء والغذاء ، وهكذا دَوَالَيْكَ . فالدعاءُ هو من أعظمِ الأسباب في النفع أو الدفع أو الرفع ، والكلُّ بقضاءٍ من الله تعالى وقَدَرٍ ، فمن أنكر تأثير =

= الدعاء في جَلْب المنافع ودفع الشرور ، يلزمه إنكار جميع الأسباب وارتباط المسبَّبات بِهَا ، وهذا باطلٌ شرعاً وعقلاً .
فالأسبابُ والمسبَّباتُ كُلُّهَا مقدَّرةٌ ، وبالقدر يُدفع القَدَر ، ويفرُّ من القدر إلى القدر .
فكما يدفع قدرُ الجوع بقدر الطعام ، ويدفع قدرُ الظمأ بقدر الشرب ، وقَدر المرض بقدر الدواء ، والكلُّ بإذن الله وقدره ؛ كذلك يدفع قدر البلاء بقدر الدعاء ، والكلُّ بقضاءٍ وقَدَر " انتهى.
على أنَّ نفع الدعاء لايخُصُّ بإجابة عين ما دعى به ، بل الدعاء عبادةٌ تنكشفُ بِهَا نقمة أو تنزل بِهَا نعمة ..والإجابة تتنوَّع فتارةً يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارةً يتأخَّر لحكمة ، وتارةً تقع الإجابة بغير المطلوب حيث كانت الحكمة والمصلحة في غير المدعو ، كما جاء في الحديث :" **ما على الأرضِ مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلاَّ آتاه الله إيَّاها ، أَوْ صَرَفَ عنه من السُّوء مثلَها ، مالم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةِ رَحِم** " فقال رجل : إذاً نكثر ، قال: " **الله أكثر** " رواه الترمذي (٣٥٦٨) من حديث عبادة بن الصامت وقال : حسن صحيح غريب ، والحاكم في المستدرك ٤٩٧:١ وصححه ووافقه الذهبي .
وفي رواية للترمذي (٣٢٦٠٢) من حديث أبي هريرة :" **فإمَّا أن يُعجَّلَ له في الدنيا، وإمَّا أن يُدَّخر له في الآخرة ، وإمَّا أن يكفَّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا** " فظهر أن النَّفع ووصول الخير متحقِّق ، سواءٌ كان من جنس المدعوِّ به أم لا.

والاستعاذةُ باللهِ وأَسْمَائِهِ وصفاتِهِ نافعةٌ نفعاً واضحاً[1]، ومع ذلك لا يُتْرَكُ تعاطي أسبابِ المنافع وتجنُّب أسباب المضارِّ ،

---

(١) قال ابن القيم في " الداء والدواء " ص١٠-١١ :" ولكن ها هنا أمرٌ ينبغي التفطُّن له ، وهو أنَّ الأذكار والآيات والأدعية التي يُسْتَشْفَى بِهَا ويُرقى بِهَا، هي في نفسها نافعةٌ شافيةٌ ، ولكن تستدعي قَبولَ المحلِّ ، وقوَّة هِمَّةِ الفاعل وتأثيره ، فمتى تخلَّف الشِّفاء كان لضعف تأثير الفاعل ، أو لعدم قبول المحلِّ المنفعل ، أو لمانعٍ قويٍّ فيه يمنع أن يَنْجَعَ فيه الدواء ...وكذلك الدعاء ، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه ، وحصول المَطْلوب ، ولكن قد يتخلَّف أثرُهُ عنه ، إمَّا لضعفِهِ في نفسه ؛ بأن يكون دعاءً لا يحبُّه الله لما فيه من العدوان ، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيَّتِهِ عليه وقت الدعاء ، فيكون بمنزلة القَوْس الرِّخْو جدًّا ، فإنَّ السَّهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً ، وإمَّا لحصولِ المانع من الإجابة : مِنْ أَكْلِ الحرام ، ورَيْن الذنوب على القلوب ، واستيلاءِ الغفَلةِ والشَّهوة واللهو وغلبتها عليها " . وقال أيضاً ص٢٢ :" والأدعية والتَّعوُّذات بمنزلة السلاح ، والسلاحُ بضاربه لا بحدِّه فقط ، فمتى كان السلاحُ سلاحاً تامًّا لا آفةَ فيه ، والسَّاعدُ ساعدٌ قويٌّ ، والمانع مفقود ، حصَلت به النِّكايةُ في العدو ، ومتى تخلَّف واحدٌ من هؤلاء الثلاثة تخلَّف التأثير ، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح ، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء ، أو كان ثمَّ مانعٌ من الإجابة لم يحصل الأثر " انتهى .

وإعداد القوةِ لدفع البلاء بقَدْر الاستطاعة[1]،

---

(١) والله سُبْحَانَهُ أَمَرَنَا برعايةِ الأسباب المستطاعة فقال: ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١] ، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيْلِ تُرهِبونَ بهِ عَدُوَّ ا الله وَعَدوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]. وقال: ﴿فَإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانْتَشِروا في الأرضِ وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ا اللهِ﴾ [الجمعة:١٠].وقال الله تعالى: ﴿ فَامْشُوا في مَناكِبِها وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وإِليهِ النُّشُورُ ﴾ [الملك :١٥] . وقد جاء في الحديث عن عمرَ بن الخطاب ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال :"**لوأنّكم تتوكّلونَ على ا اللهِ حَقَّ توَكُّلِهِ لرَزَقكُمْ كما يرزقُ الطَّير، تغدو خِمَاصاً**-أي : جياعاً- **وتروح بطاناً** " رواه الترمذي في الزهد (٢٣٤٥) ، وقال :حسن صحيح . أي : تَرْجِعُ وقد شَبِعَت وامتلأت بطونها ، فأثبتَ التوكلَ لها ، وأثبت لها السعيَ والعمل وهو الغدوُّ لرزقها . ولذلك وبَّخ عمر ﷺ جماعةً من أهل اليمن كانوا يحجُّون بلا زاد، قال معاوية بن قُرَّة : لقي عمرُ بن الخطاب ناساً من أهلِ اليمن ، فقال : مَنْ أَنْتُم ؟ قالوا : نحن المتوكّلون ، قال : بل أنتم المُتَأَكِّلون ، إنّما المتوكّل الّذِي يلقي حَبَّهُ في الأرض ، ثمَّ يتوكّل على الله عزَّ وجل ." رواه ابن أبي الدنيا في "التوكل" (١٠) .

قال الإمام ابن القيم في " طريق الهجرتين " ص٣٦٦ :" إنَّ رفض الأسباب جملة ممتنع عقلاً وحسَّاً ، فهو محرَّمٌ شرعاً وديناً ، فإنَّ رفض الأسباب بالكليَّة انسلاخٌ من العقل والدين ، وأمَّا رفض الوقوف معها ، والوثوق بهَا ، وأنّه يقوم بهَا قيام ناظر إلى مسبِّبها فهذا حقٌّ . =

= فمنعُ الأسباب أن تكون أسباباً قدحٌ في العقل والشَّرع ، وإثباتُها والوقوف معها وقطع النَّظر عن مسبِّبها قدْحٌ في التوحيد والتوكُّل ، والقيام بِهَا وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسبِّبها وتعلُّق القيام به : جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشَّرع والقدر ، وهو الكمال " .

ثمَّ قال ص ٣٦٧ :" بل حقيقة التوكُّل وكماله : مقارنته للطلب ومصاحبته للسبب ، وأمَّا توكل مجرَّد عن الطلب والسبب فعجزٌ وأمانيّ ، فتوكل الحرَّاث إنَّما هو بعد شقِّ الأرض وَبَذْرها ، وحينئذٍ يَصِحُّ منه التوكل في طلوع الزرع ، وأمَّا توكله من غير حَرْث ولا بَذْر فعجز وبطالة " انتهى .

وقال ابن القيم أيضاً في كتاب "الرُّوح" ص٥٦٥ :" والفرق بين التوَكُّل والعَجْزِ : أنَّ التوكُّل عملُ القلب وعبوديَّتُهُ اعتماداً على الله ، وَثِقَةً به ، والتجاءً إليه ، وتفويضاً إليه ، وَرِضاً بما يَقْضيه له ؛ لعلمِهِ بكِفَايَتِهِ سبحانه ، وحُسْنِ اختيارِهِ لعبده إذا فوَّض إليه ، مع قيامه بالأسباب المأمور بِهَا واجتهاده في تحصيلها ، فقد كان رسولُ الله ﷺ أعظمَ المتوكِّلين، وكان يلبس لأْمَتَهُ ودرْعه ، بل ظَاهَرَ يوم أحد بين دِرْعَيْن ، واختفى في الغار ثلاثاً، فكان متوكِّلاً في السبب لا على السبب .

وأمَّا العَجْزُ : فهو تعطيل الأمرين أو أحدهما ، فإمَّا أن يعطِّل السبب عَجْزاً مِنْهُ ، ويَزْعَم أنَّ ذَلِكَ توكُّل ، وَلَعَمْرُ الله إنَّه لَعَجْزٌ وتَفريطٌ .

وإمَّا أن يقوم بالسبب ناظراً إليه معتمداً عليه ، غافلاً عن المُسَبِّب ، مُعْرِضاً عنه ، فإنْ خَطَر ببالِهِ لم يثْبُتْ معه ذلك الخاطر ، ولم يعلِّق قلبه به تعلُّقاً =

والقلبُ مستعينٌ بالله ؛ فاليدُ تعمل ، والقلبُ على الله يتوكّل [1]،

= تامّاً، بحيث يكون قلبه مع الله ، وبدنه مع السبب، فهذا توكُّله عجزٌ ، وعجْزهُ توكلٌ !! .

وهذا موضعٌ انقسم فيه النّاس طرفين ووَسطاً ، فأحد الطرفين : عطّل الأسباب محافظةً على التوكّل ، والثاني : عطّل التوكُّل محافظةً على السبب. والوسط : علم أنَّ حقيقة التوكل لايتم إلاّ بالقيام بالسبب فتوكّل على الله في نفس السبب " انتهى .

(١) قال ابن القيم في " طريق الهجرتين " ص ٣٦٤ :" التوكل يجمع أصلين : **علم القلب وعمله : أمّا علمه** : فيقينُه بكفاية وكيله ، وكمالِ قيامه بما وكّله إليه ، وأنَّ غيره لا يقوم مقامه في ذَلِكَ . **وأمّا عمله** : فسكونُه إلى وكيله ، وطمأنينتُه إليه ، وتفويضُه وتسليمُه أمره إليه ، ورضاه بتصرُّفه له فوق رضاه بتصرُّفه هو لنفسه . فبهذين الأصلين يتحقّق التوكُّل ، وهما جمَاعُه ، وإن كان التوكُّل أدخل في عمل القلب من علمه . كما قال الإمام أحمد :" التوكُّل عمل القلب " ولكن لابدَّ فيه من العلم ، وهو إمَّا شرط فيه ، وإمَّا جزءٌ من ماهيَّته ".

وقال في " الفوائد" ص٢١٣ :" وسرُّ التوكُّل وحقيقته هو : اعتماد القلب على الله وحده ، فلا يضرُّه مباشرةُ الأسباب ، مع خلوِّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها ، كما لا ينفعُهُ قولُهُ : توَكلت على الله ، مع اعتماده على غيره وركونِهِ إليه ، وثقتِهِ به . فتوكُّل اللسان شيءٌ ، وتوكُّل القلب =

واللسـانُ يدعـو اللهَ في أوقاتـه ، فالشُّغْلُ الواحـدُ يَخدِمُـهُ الأعضـاءُ الثلاثـة[1] ، ولا تنـافي بـين وظائفهـا الثـلاث ، هَـذَا هـو الشَّـرع الكاملُ وبه يتمُّ المأمولُ للآملِ .

= شيء ، كما أنَّ توبة اللسان شيء مع إصرار القلب شيءٌ ، وتوبة القلـب وإن لم ينطق اللسان شيءٌ . فقول العبد : توكَّلت على الله ، مع اعتماد قلبه على غـيره، مثل قوله : تُبْتُ إلى الله ، وهو مُصِرٌّ على معصيتِهِ مرتكبٌ لها " انتهى .

وقال ابن رجب في "جامع العلوم والحكـم" ٢:٤٩٧ :" وحقيقـة التوكـل : هـو صِدْقُ اعتماد القلب على الله عزَّ وجل في اسْتِجْلاب المَصَالح ، ودفع المضـارِّ مـن أمور الدنيا والآخرة كلِّها ، وَكِلَةُ الأمور كُلِّهَا إليه ، وتحقيق الإيمان بأنَّه لايعطـي ولايمنع ولايضرُّ ولاينفع سواه " . ثمّ قـال ٢:٥٠٨ : "واعلـم أنّ ثمـرة التوكُّـل : الرِّضا بالقدر ،فمن وكَّل أمورَهُ إلى الله ورضيَ بمايقْضيه له ويختاره ، فقـد حقَّـق التوكُّلَ عليه " .

(١) أي: القلب المتوكِّل على الله ، واليد العاملة ، واللسان الذاكر.

انتهيت من خدمة هذه الرسالة وشرحها بعون الله وفضله في عِدَّة مجالس ، كان آخرها صباح يوم السبت غرة شهر الله المحرم من سنة ١٤٢٠، جعله الله عام يُمْنٍ وإيمان ، وسلامة وإسلام ، وعزٍّ ونصرٍ وتمكين للمسلمين .

ثم أعدتُ النظرَ فيها وصحَّحتها وأضفتُ إليها إضافاتٍ كثيرة غُرَّة جمادى الآخرة من سنة ١٤٢٠، والحمد لله الَّذِي بنعمته تتمُّ الصالحات .

وصلى الله وسلم وبارك على سيِّدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

تقريظ العلامة الشيخ إسماعيل الصفايحي [1]

وقد قرَّظها الأستاذ الكامل ، والعلم الحلاحل ، ذو الفضيلة والشِّيَم الجليلة الشيخ إسماعيل الصفائحي القاضي الحنفي بتونس سابقاً والمدرِّس الآن بجامع السلطان بايزيد في الآستانة العليَّة ، فكتب :

الحمدُ لله الواحد ، الَّذِي ليس له والدةٌ ولا والد ، الفردُ الَّذِي يَصْمُد إليه كلُّ راكعٍ وساجد ، العزيزُ الَّذِي ليس له على أفعاله معاون ولا مُعَاضِد ، أرسل الرُّسُلَ لهدايةِ الخلقِ وإيضاحِ السُّبُلِ ، وخَتَمَهُم بسيِّدنا محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، وعمَّم بعثته ، وأبان حجَّته ، فتمَّ بذلك المنَّة له تعالى على العباد لهدايتهم لسبيل الرشاد ، وبعد :

فقد اتَّصلتْ صحبة مكتوبكم بتأليف حافل ، وحُبابٍ سائل ، صغير الحجم ، غزير العلم ، ألا وهو المسمى بـ " عقيدة الإسلام " فألفيْتُها المرشدة للأنام ، والحافظة لعقائد السلف العِظَام ، كيف لا وهي نتيجة

---

(١) هو العلامة الشيخ إسماعيل بن محمد حمدة بن حسن الصَّفايحي ، وُلِد بتونس سنة ١٢٦٩، وانتسب إلى جامع الزيتونة سنة ١٢٨٥ ، وأحرز شهادة التطويع ١٢٩٧ ، ودرَّس في جامع الزيتونة ، وتولَّى القضاء الحنفي سنة ١٣١٥، وسافر إلى الحج ١٣٢٤ ، وقَصَدَ الشام ، ثمَّ توَّجه إلى الآستانة وأقام فيها ، وعُيِّن مدرِّساً بمدرسة الخطباء ، ومدرِّساً للحديث الشريف بجامع السلطان بايزيد ، من مؤلفاته : " ايقاظ الإخوان لدسائس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان " طُبع سنة ١٣٣٣ ، و توفي باستانبول في ربيع الأول ١٣٣٧ رحمه الله تعالى . " تراجم المؤلفين التونسيين" : ٢٣٣-٢٣٥.

فكر الأخ النصوح ، وحبيب كلٍّ من الجسد والروح الأستاذ السيد الكامل ، والعالم الفاضل الشيخ سيِّدي محمد المكِّي بن عزُّوز الشريف أدام الله تعالى به النفع ، وقد اشتملت على شرح مسائل نفيسة ، منها مسألة وظيفة العقل، وأنه له حدٌّ محدود لا يتجاوزه كما قال الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض خُطبه :" لم يُطلع -أي الله تعالى- العقولَ على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته " .

وآياتُ القرآن شَاهِدةٌ بذلك ، فالعقول لو تداخلت في كُنْهِ ذاته وصفاته لكانت خائضةً فيما ليس لها به علم ، ولو حُجبَتْ عمَّا عَدَا ذلك لما أمكن الرد على النصارى القائلين بالحلول والاتحاد ، فإنَّهم متى أُلزموا بما يخالف العقول يقولون : الدين فوق العقل .

وكذلك فإنَّ القرآن الكريم مُشْتَملٌ على المحكم والمتشابه بالنص ، وكل أهل مذهب يستدلون ببعضه ، ويزعمون أنَّ ما أخذوا به هو المحكم، وما أخذ به خصمُهم هو المتشابه ، فالفاصلُ إنَّما يكون بالأدلة العقلية القطعية ، فلله درُّك من نحرير ، والله يديم كمالكم . والسلام من إسماعيل الصفائحي وفقه الله آمين . حُرِّر في رجب سنة ١٣٢٧.

تقريظ الشيخ محمد بن إسماعيل الصفايحي [(١)]

وقرَّظها نظماً نَجْل المقرِّظ السابق ، وهو الشاب الأديب والبارع الأريب المسابق لِنَيْل المعالي والمحرِزُ أزمَّة التحصيل بذكائه المتلالي السيد محمد الصفايحي التونسي فقال :

الحمدلله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه:

بُشْـراكُمُ يامعْشَـرَ النُّجبـاء ... برسـالةٍ كالرَّوْضـة الغنَّـاءِ

فاقَتْ على الرَّوْضِ النَّضيرِ وَمَنْ بـه ... مـن غَـادةٍ كالظَّبْيَـةِ الحسـناءِ

شَتَّان مـا بـين المُضَـلِّ ومَـنْ هُـدي ... فَـالبَوْنُ أضْحَـى بَيِّـنَ الآلاءِ

فَالْزَمْ أخا العِرْفـانِ رَوْضَ مَعَـارف ... أزهـارُهُ تزهُـو عَلـى الزَّهـراءِ

وبـهِ اقتـدي في كـلِّ أمـرٍ تهتـدي ... لعقيـدةِ الإسـلام دُون مِـرَاءِ

واشرَبْ بِـهِ عَذْبَـاً قُراحـاً لم يُشَـب ... بِمُكـدَّرٍ مِـنْ عَـالَمِ الأهـواءِ

وإليـه فـارجِع إنْ أتَـاكَ مُضَلِّـلٌ ... قـد ضَـلَّ في جَنْـحٍ مـن الدَّهمـاءِ

لم يَـدْرِ صُبْحَـاً أشْـرَقَتْ أنـوارُه ... مِـنْ ليلـةٍ كالشَّـعرةِ السَّـوداءِ

لم يَـدْرِ دينـاً أشـرقَتْ أنـوارُه ... بالبعثـةِ الميمونَـةِ الغـرَّاءِ

لم يَـدْرِ مـا قـدْ أنـزلَ المـولى علـى ... قلـبِ النـبيِّ الصَّـادقِ الأنبـاءِ

---

(١) هو الشيخ محمد بن إسماعيل الصفايحي ، من مؤلفاته : " الفصول المستطابة في أصول الخطابة " ألَّفه بطلب من والده عندما عُيِّن مدرساً بمدرسة الخطباء، وولي بعد أبيه التدريس بمدرسة الخطباء ، وتدريس الحديث الشريف في جامع السلطان بايزيد .

السيِّدِ السَّنَدِ الَّذِي هو مُنقِذ ... من ظلمةٍ كالليلةِ الليلاءِ
فافْهَم هَدَاكَ الله ما قد أُسِّسَت ... عنه الرسالةُ فهمَ ذي آراءِ
واعلم بأنَّ حَصيفَها ومُسيفَها ... هو مَرجعُ العلماء والفُضَلاءِ
نِحْريرُ أهلِ زمانِهِ ومريحُهُم ... من كلِّ أمرٍ مُفْزِعِ الأكْفَاءِ
يأتي بأفهامٍ لقد عَزَّت على ... مَنْ قَدْ مَضَى من عُمدةِ العُلماءِ
ويجولُ في ميدانِ كلِّ عويصةٍ ... فَيُرى مُبَرِّز حَلْبَةِ الهَيْجَاءِ
من غير تقييدٍ بنقل مسائل ... لم يُرْوَ فيها مُسْتَدَلُّ الرائي
للهِ ما أحلى الأُلى قد أَنْصَفُوا ... وتنصَّلوا من عُصْبَةٍ عَمْياءِ
وَتَوسَّطوا في أمرِهِم وَتَبصَّرُوا ... للهِ في الضَّرَّاء والسَّرَّاءِ
وتبوؤا للنُّصْحِ مقصَدَ ناصح ... عَمَّت بِهِ الخَيْراتُ في الأنحاءِ
ياأيُّها العَلَم الَّذِي أهدى إلى الإ ... سلام عِقْداً عَزَّ عن نُظَراءِ
لا زلتَ حَلاَّلاً لِكُلِّ عَوِيْصَةٍ ... وحليفَ هديٍ لا خَليقَ هَواءِ
وإليكَ مني غادةً ترجوكُم ... عَفْواً عن التقصيرِ في الإيفَاءِ
تدعو إليكم بالبقاء نشيدُها ... بُشْرَاكُمُ يا مَعْشَرَ النُّجَباءِ

مولاي أرجو عَفْوَك عن تقصيري فإنَّها -والله يعلم- لم تتجاوز ساعتها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

من راجي دعواتكم الصالحة : ابنكم محمد بن إسماعيل الصفائحي

حُرِّرَت بالشام ٢٦ رجب سنة ١٣٢٧ .

المحتوى

١- الآيات القرآنية ٣٦٧

٢- الأحاديث النبوية ٣٨٧

٣- الأشعار ٣٩٣

٤- الكتب ومؤلفوها ٣٩٤

٥- الأعلام ٤٠٥

٦- المصادر والمراجع ٤١١

٧- الموضوعات ٤٢٦



١-فهرس الآيات حسب ترتيب المصحف الشريف

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
	الفاتحة (١)		
اهدنا الصراط المستقيم		٦	٧٢
	البقرة (٢)		
هُدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب		٢-٣	٣١٠
الذي جعل لكم الأرض فراشا		٢٢	١٦٨
هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً		٢٩	١٦٣
واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً		٤٨	٣٢١
ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم		٦٥	٢٣٢
وإن منها لما يهبط من خشية الله		٧٤	٢٤٩
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا		١٣٦	١٢٥
سيقول السفهاء من الناس		١٤٢	٤٤
وما كان الله ليضيع إيمانكم		١٤٣	١٢٧،١٢٦
إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيِّنات		١٥٩	١٧٣
أن القوه لله جميعا وأنّ الله شديد العقاب		١٦٥	٦٤
وما هم بخارجين من النار		١٦٧	٣٤٨،٣٤٦
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر		١٨٥	٢٦٩،١٤٠،١٢٠
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب		١٨٦	٨٥ ، ٨٤
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم		٢١٣	٧١
لا تُكَلَّف نفسٌ إلا وسعها		٢٣٣	١٤١
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم		٢٥٤	٣٢١
الله لا إله إلا هو الحي القيوم		٢٥٥	٣٢٠،٧٩،٥٧
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها		٢٨٦	١٤١
	آل عمران (٣)		
آمنا به كلٌّ من عند ربنا		٧	٩٦،٩٥
إن الدين عند الله الإسلام		١٩	١٢٢

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
وقل للذين أوتوا الكتاب والأُمِّيِّينَ		٢٠	١٨٦
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني		٣١	١٧٢
كلما دخل عليها زكريا المحراب		٣٧	٢٧٩
قالت ربي أنّى يكون لي ولد		٤٧	٢٣٤
أنّي قد جئتكم بآية من ربكم		٤٩	٢٣٤
إذ قال الله يا عيسى إنّي متوفيك		٥٥	٢٣٤
إن مثل عيسى عند الله		٥٩	٢١٧
ومن يَبْتغِ غير الإسلام ديناً		٨٥	١٢٢،٥٤
واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا		١٠٣	٢٠٢
وما الله يريد ظلماً للعالمين		١٠٨	٦٥
إن الله بما تعملون محيط		١٢٠	٧٤
إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم		١٢٤	٢٥٩
أعدت للكافرين		١٣١	٣٣٨
أعدت للمتقين		١٣٣	٣٣٨
وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله		١٤٥	٢٩١
الذين قال لهم الناس إنّ الناس		١٧٣	١٢٩
وأن الله ليس بظلام للعبيد		١٨٢	٦٥
	النساء (٤)		
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم		١	٢١٨،٢١٤
والله يريد أن يتوب عليكم		٢٧	٢٦٩
يريد الله أن يخفف عنكم		٢٨	١٤٠
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه		٣١	٣٤٥
إن الله لا يظلم مثقال ذرة		٤٠	٣٢٩،١٣٩،٦٥
إن الله لا يغفر أن يشرك به		٤٨و١٦٦	٣٤٦
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً		٥٦	٣٤٧
يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله		٥٩	١٩٨
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم		٧١	٣٥٧
من يطع الرسول فقد أطاع الله		٨٠	١٩٨

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
من يشفع شفاعة حسنة يكن له		٨٥	٣٢٠
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة		١١٣	٢١٢
ومن أصدق من الله قيلا		١٢٢	٣٣٨
ومن يعمل من الصالحات من ذكرٍ		١٢٤	١٢٣
إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين		١٣٣	٣٥٠
يخادعون الله وهو خادعهم		١٤٢	٢٧٠
بل رفعه الله إليه		١٥٨	٢٣٤
وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمننّ به		١٥٩	٢٣٤
لئلا يكون للناس على الله حُجَّة		١٦٥	١٤٠
إن الذين كفروا وظلموا		١٦٨،١٦٩	٣٤٧
	المائدة (٥)		
ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج		٦	١٢٠،٢٦٩،٣٤٦
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة		٢٦	٣١٨
وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله		٤٧	١٢٢
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً		٤٨	١١٥،١١٦
وأنْزَلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً		٤٨	١٩٥
وجعل منهم القردة والخنازير		٦٠	٢٣٣
يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك		٦٧	١٧٣
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا		٨٦	٣٥٠
ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات		٩٧	٧٤
	الأنعام (٦)		
وأُوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به		١٩	١٨٢
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله		٣١	٣٠٥
وقالوا لولا نزل عليه آيةٌ من ربهِ		٣٧	٢٢٦
من يشأ الله يضلله		٣٩	٧٠
فقطع دابر الذين ظلموا		٤٥	٦٧
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو		٥٩	٨٠
وهو القاهرُ فوق عباده		٦١	١٠١،٢٩٢

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين		٦٢	٣٢٤،٣٠٥
واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم		٨٧	١١٣
ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت		٩٣	٢٩٤
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار		١٠٣	٩١
وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا		١١٥	٦٥
الله أعلم حيث يجعل رسالته		١٢٤	١١٣
ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا		١٢٥	٢٤٠
يا معشر الجن ولإنس ألم يأتكم رسل		١٣٠	١٨٣،١٠٥
ولكل درجات مما عملوا		١٣٢	١٠٦
فلله الحجة البالغة		١٤٩	١٤١،٧٢
	الأعراف (٧)		
والوزن يومئذ الحق		٨-٩	٣٢٥
إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم		٢٧	١٠٥،١٠٤
إن الله لا يأمر بالفحشاء		٢٨	١٧٢
فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة		٣٠	٤٠
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة		٣٤	٢٩١
لا تفتح لهم أبواب السماء		٤٠	٣٤٧
لا نكلف نفسا إلا وسعها		٤٢	١٤١
ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم		٤٦	٣٣٦
ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون		٤٨	٣٣٦،٣٣٥
إن ربكم الله الذي خلق السموات		٥٤	٢٥٠،٢١١،١٦٩،٨٨،٨٣
فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك		٦٤	٢٤١
فأنجيناه والذين معه برحمة منا		٧٢	٢٤١
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم		٧٨	٢٢٩،٢٤١
وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك		١١٧	٢٣١
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها		١٤٥	٣٥
الذين يتبعون الرسول النبي الأمي		١٥٧	١٨٥
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم		١٥٨	١٨٥،١٨٢،١٧٢

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه		١٦٠	٢٣٢
فلما عتوا عما نهوا عنه		١٦٦	٢٣٣
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس		١٧٩	١١٠
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها		١٨٠	٢٦٧،٢٧٢
أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض		١٨٥	٦٤،١٤٨
يسألونك عن الساعة أيان مرساها		١٨٧	٣٠٥
هو الذي خلقكم من نفس واحدة		١٨٩	٢١٨
	الأنفال (٨)		
إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله		٢	١٢٩
واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه		٢٤	٧٥
ويمكرون ويمكر الله		٣٠	٢٧٠
ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة		٥٠	٢٩٢
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة		٦٠	٣٥٧
	التوبة (٩)		
وإن أحد من المشركين استجارك		٦	١٩٠
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون		٤٥	١٣٠
وإن جهنم لمحيطة بالكافرين		٤٩	٣٥١
سنعذبهم مرتين		١٠١	٢٩٤
لقد جاءكم رسول من أنفسكم		١٢٨	٦٣
	يونس (١٠)		
إن ربكم الله الذي خلق السموات		٣	١٦١،٣٢١
ما خلق الله ذلك إلا بالحق		٥	٧٤
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم		٩	٧٢
قل لو شاء الله ما تلوته عليكم		١٦	١٨٦
هو الذي يسيركم في البحر		٢٢	٢٥١
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة		٢٦	٣٣٤،٣٤٣
ومن يدبر الأمر فسيقولون الله		٣١	٢٢٣
إن الله لا يظلم الناس شيئا		٤٤	٦٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام الصفحات
وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن		٦١	٢١٤،٨٢
فأجمعوا أمركم وشركاءكم		٧١	٢٢٨
	هود (١١)		
وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها		٦	٨٢
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا		٣٧	٢٥٩
قال إني أُشهد الله واشهدوا أني بريء		٥٤-٥٥	٢٢٨
هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها		٦٤	٢٢٦
وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ		٦٧	٢٢٩
فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها		٨٢-٨٣	٢٢٩
فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير		١٠٦-١٠٨	٣٤٨،٣٤١،٧٥
	يوسف (١٢)		
والله غالب على أمره		٢١	٢٤٠
يا بني لا تدخلوا من باب واحد		٦٧	٢٥٩
إنه لا ييأس من روح الله		٨٧	٣٥١
	الرعد (١٣)		
وهو الذي مدَّ الأرض		٣	١٦٧
ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية		٧	٢٢٦
له معقبات من بين يديه ومن خلفه		١١	١٠١
ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته		١٣	٢٥٢،٢٤٦،٦٤
إن الله يضل من يشاء		٢٧	٢٧٠
ومن يضلل فما له من هاد		٣٣	٧٢
مثل الجنة التي وعد المتقون		٣٥	٣٤٦،٣٤١
والله يحكم لا معقب لحكمة		٤١	٧٥
	إبراهيم (١٤)		
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت		٢٧	٢٩٩ ،٢٩٨،٢٧٠،٢٦٩
و سخر لكم الشمس والقمر دائبين		٣٣	١١٧
وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب		٤٤	١٨٤
يوم تبدل الأرض غير الأرضِ والسموات		٤٨	٣٣١،٣١٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام الصفحات
هذا بلاغ للناس ولينذروا به		٥٢	١٨٢
	الحجر (١٥)		
رُبَما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين		٢	٣٥١
ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون		٥	٢٩١
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون		٩	١٩٣،١٩٩
ولو فتحنا عليهم باباً من السماء		١٤-١٥	٢١٥
وإن من شيء إلا عندنا خزائنه		٢١	٧٧،٧٨
وأرسلنا الرياح لواقِح		٢٢	٢٥١
وإذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً		٢٨	٢١٧
وما هم منها بِمُخرجين		٤٨	٣٤٦
فأخذتَهم الصيحة مشرقين		٧٣-٧٤	٢٣٠
فأخذتَهم الصيحة مصبحين		٨٣-٨٤	٢٢٩
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما		٨٥	٧٤
فوربك لنسألنهم أجمعين		٩٢	٦٨،٣٢٤
	النحل (١٦)		
ينَزل الملائكة بالروح من أمره		٢	١١٧
وسخر لكم الليل والنهار		١٢	١١٨
وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه		١٤	١١٩
الذين تتوفاهم الملائكة طيبين		٣٢	٢٩٢
وأنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس		٤٤	٩٤،١٩٩،٢١٢
وما بكم من نعمة فمن الله		٥٣	١٤٥
فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة		٦١	٢٩١
فيه شفاء للناس		٦٩	٢٥٤
والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً		٧٢	٢١٩
وما أمر الساعة إلا كلمح البصر		٧٧	٣٠٩
ألم يروا إلى الطير مُسَخَّرات في جو السَّماء		٧٩	٢٥٠
يضل من يشاء ويهدي من يشاء		٩٣	٧٠

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
ما عندكم ينفد وما عند الله باق		٩٦	٣٤١
فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله		٩٨	٢٠٧
قل نزله روح القدس		١٠٢	١٩١
	الإسراء(١٧)		
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا		١	٢٣٧،٢٣٥
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا		١٥	١٥٣،١٥٠
ولا تقف ما ليس لك به علم		٣٦	٢٢١
تسبح له السموات السبع والأرض		٤٤	٢٤٩،٢٤٨،٢٤٧
وما منعنا أن نرسل بالآيات		٥٩	٢٤١
ومن الليل فتهجد به نافلة لك		٧٩	٣٢٢
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة		٨٢	٢٥٥
قل لئن اجتمعت الإنس والجن		٨٨	١٩٢
كلما خبت زدناهم سعيرا		٩٧	٣٤٧
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات		١٠١	٢٢٦
لقد علمت ما أنزل هؤلاء		١٠٢	١٢٨
وبالحق أنزلناه وبالحق نزل		١٠٥	٣٤٠،١٨٥
	الكهف (١٨)		
إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها		٧	١١٠،١٠٩
أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم		٩-٢٥	٢٣٥
أو يصبح ماؤها غورا		٤١	٢٥٢
وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا		٤٧	٣١٩
ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة		٤٩	٣٢٩،٣٢٧
ما أشهدتهم خلق السموات والأرض		٥١	٢٢١
ويسألونك عن ذي القرنين		٨٣-٩٧	٣١٣
قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا		١٠٤	٤٠
	مريم (١٩)		
فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا		١٧	٩٨
قالت : أنى يكون لي غلام		٢٠-٢٢	٢٣٣

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
وهزي إليك بجذع النخلة		٢٥	٢٥٩
وإن منكم إلا واردها		٧١	٣٣٠
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى		٧٦	١٢٩
تكاد السموات يتفطرن منه		٩٠-٩٢	٢٥٠
لقد أحصاهم وعدهم عدا		٩٤	٧٥
	طه (٢٠)		
الرحمن على العرش استوى		٥	٨٣
الذي أعطى كل شيء خلقه		٥٠	٧١
وسع كل شيء علما		٩٨	٨٦
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم		١١٠	٩١
إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى		١١٨-١١٩	٣٣٧
لنفتنهم فيه		١٣١	٢٧٠
	الأنبياء (٢١)		
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين		٦	٧٤
ياويلنا إنا كنا ظالمين		١٤	٦٦
يسبحون الليل والنهار لا يفترون		٢٠	٢٤٧
لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا		٢٢	١٤٨،٦١
لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون		٢٣	٦٨،٦٧
ولا يشفعون إلا لمن ارتضى		٢٨	٣٢١
وجعلنا السماء سقفا محفوظا		٣٢	١٦٠
كل في فلك يسبحون		٣٣	١٧١
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم		٤٠	٣٠٩
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة		٤٧	٣٢٩
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما		٦٩-٧٠	٢٣٠
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما		٧٩	٢٠٦
وعلمناه صنعة لبوس لكم		٨٠	٢٦٠
ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره		٨١-٨٢	٢٣٢
وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر		٨٣	١٧٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن		٩٤	١٢٣
حتى إذا فتحت يأجوج		٩٦	١٢
إن الذين سبقت لهم منا الحسنى		١٠٢	٤٢
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين		١٠٧	١٨٢
	الحج (٢٢)		
وأن الله ليس بظلام للعبيد		١٠	٦٥
كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم		٢٢	٣٤٧
وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون		٤٧	١٦٤
ويمسك السماء أن تقع على الأرض		٦٥	٢٥١
الله يصطفي من الملائكة رسلا		٧٥	١١٣
	المؤمنون (٢٣)		
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق		١٧	١٥٩
فأخذتهم الصيحة بالحق		٤١	٢٢٧
ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون		٤٣	٢٩١
وجعلنا ابن مريم وأمه آية		٥٠	٢٢٦
وهو يجير ولا يجار عليه		٨٨	٦٨
وما كان معه من إله إذا لذهب		٩١	١٤٨
ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون		١٠٠	٣٠٤
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا		١١٥	٧٤
لا إله إلا هو رب العرش الكريم		١١٦	٧٨
	النور (٢٤)		
يوم تشهد عليهم ألسنتهم		٢٤-٢٥	٣٢٨
والذين كفرو أعمالهم كسراب		٣٩	١٢٣
وينزل من السماء من جبال فيها من برد		٤٣	٢٥٢
يقلب الليل و النهار		٤٤	١٦٩
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم		٤٦	٧١

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
	الفرقان (٢٥)		
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده		١	١٨٤
وخلق كل شيء فقدره تقديرا		٢	٧٣
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل		٢٣	١٢٣
ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا		٥١	١٨٥
	الشعراء (٢٦)		
فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك		٦٣-٦٧	٢٣١
يوم لا ينفع مال ولا بنون		٨٨-٨٩	١٨
إنما أنت من المسحرين		١٥٣	٢٢٦
نزل به الروح الأمين		١٩٣	١٩١
وأنذر عشيرتك الأقربين		٢١٤	١٨٤
	النمل (٢٧)		
وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم		٦	١٩١
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم		١٤	١٢٨
رب أوزعني أن أشكر نعمتك		١٩	١٤٥
لا إله إلا هو رب العرش العظيم		٢٦	٧٨
هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر		٤٠	٢٨٤
قل الحمد لله وسلام على عباده		٥٩	١١٤
صنع الله الذي أتقن كل شيء		٨٨	٢٧٠
	القصص (٢٨)		
وربك يخلق ما يشاء ويختار		٦٨	١١٣
قل أرأيتم إن جعل الله عيكم الليل سرمدا		٧١-٧٣	٢٤٥
قال:إنما أوتيته على علم عندي		٧٨	٢٥٦
	العنكبوت (٢٩)		
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم		١٤-١٥	٢٢٧
والذين كفروا بآيات الله ولقائه		٢٣	٣٤٧
ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون		٣٥	٢٣٠
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب		٤٨	١٨٧

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
بل هو آيات بينات في صدور		٤٩	١٩١
أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب		٥١	١٩٨
	الروم (٣٠)		
خلق لكم من أنفسكم أزواجا		٢١	٢١٩
	لقمان (٣١)		
أن أشكر لي ولوالديك		١٤	٢٥٧
	السجدة (٣٢)		
يدبر الأمر من السماء إلى الأرض		٥	١٦٤،٢٢٣
الذي أحسن كل شيء خلقه		٧	٧٣
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم		١١	٢٩٢
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها		١٣	٧٢
كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها		٢٠	٣٤٧
ولنذيقنهم من العذاب الأدنى		٢١	٢٩٤
	الأحزاب (٣٣)		
وما زادهم إلا إيمانا وتسليما		٢٢	١٢٩
وتخفي في نفسك ما الله مبديه		٣٧	١٧٤
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم		٤٠	١٨٠
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا		٤٥-٤٦	١٨٥
إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله		٥٧	٢٧٤
يسألك الناس عن الساعة		٦٣	٣٠٥
إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا		٦٥	٣٤٧
	سبأ (٣٤)		
يا جبال أوبي معه والطير		١٠	٢٢٤،٢٤٨،٢٤٩
ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها		١٢	٢٣٢
وقليل من عبادي الشكور		١٣	٣٩
ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له		٢٣	٣٢١
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا		٢٨	١٨٢

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
	فاطر (٣٥)		
يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله		١٥	٧٠
إنما يخشى الله من عباده العلماء		٢٨	٣٢
لا يقضى عليم فيموتوا		٣٦	٣٤٦
إن الله يمسك السموات والأرض		٤١	٢٥١
فهل ينظرون إلا سنة الأولين		٤٣	٩،١٥٥،١٥٦
أولم يسيروا في الأرض فينظروا		٤٤	١٥٦
	يس (٣٦)		
وآية لهم الأرض الميتة أحييناها		٣٣-٣٥	١١٨
ولا الليل سابق النهار		٤٠	١٦٩
ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث		٥٠	٣١٣
اليوم نختم على أفواههم		٦٥	٣٢٨
أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا		٧١-٧٣	١١٩
إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن		٨٢	٢٥٣
	الصافات (٣٧)		
إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب		٦	١٦٠
وحفظا من كل شيطان مارد		٧-٨	١٦١
إنا خلقناهم من طين لازب		١١	٢١٧
ءإذا متنا وكنا ترابا وعظاما		١٦	٣٠٧
فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين		٩٨	٢٣٠
يا أبت افعل ما تؤمر		١٠٢	٢٨٨
وسلام على المرسلين		١٨١	١١٤
	ص (٣٨)		
إنا سخرنا له الجبال معه يسبحن بالعشي		١٨	٢٤٧
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما		٢٧	٧٤
فسخرنا له الريح تجري بأمره		٣٦-٣٨	٢٣٢
أني مسني الشيطان بنصب وعذاب		٤١	١٧٩
إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار		٤٦،٤٧	١١٣،١١٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
إن هذا لرزقنا ماله من نفاذ		٥٤	٣٤١،٣٤٦
إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا		٧١-٧٢	٢١٧،٢١٨
	الزمر (٣٩)		
خلق السموات والأرض بالحق		٥	١٦٨
خلقا من بعد خلق		٦	١٦٦
ومن يضلل فما له من هاد		٢٣	٧٢
الله يتوفى الأنفس حين موتها		٤٢	٢٩٢
قال:إنما أوتيته على علم بل هي فتنة		٤٩	٢٥٦
ونفخ في الصور فصعق من في السموات		٦٨	٣١٢
وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا		٧٣	١٠٢
	غافر (٤٠)		
الذين يحملون العرش ومن حوله		٧	٧٨،٨٦
رفيع الدرجات ذو العرش		١٥	٧٨،١١٧
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار		١٦	٣٢٤
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع		١٨	٣٥١
ومن يضلل الله فما له من هاد		٣٣	٧٢
النار يعرضون عليها غدوا وعشيا		٤٦	٢٩٣
	فصلت (٤١)		
قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض		٩-١٢	١٦١،١٦٢،٢٤٦
وأما ثمود فهديناهم		١٧	٧١
حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم		٢٠-٢٢	٣٢٨
وما ربك بظلام للعبيد		٤٦	٦٥
	الشورى (٤٢)		
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير		١١	٥٨،٥٩،٦٢،٨٧،٨٨،٨٩
له مقاليد السموات والأرض		١٢	٦١
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا		١٣	١١٥

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
	الزخرف (٤٣)		
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن		١٩	٩٨
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك		٧٧	١٠٣
	الدخان (٤٤)		
وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما		٣٨	٧٤
	الجاثية (٤٥)		
وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض		١٣	١١٩
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها		١٨	١١٦،١١٢
إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون		٢٩	١٣٦
	الأحقاف (٤٦)		
أولئك الذين حق عليهم القول		١٨	١٠٦
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن		٢٩	١٠٩
	محمد (٤٧)		
مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار		١٥	٣٤٢
	الفتح (٤٨)		
هو الذي أنزل السكينة		٤	١٢٩
	الحجرات (٤٩)		
ولكن الله حبب إليكم الإيمان		٧	١٤٥،١٢٤
وأقسطوا إن الله يحب المقسطين		٩	١٠٧
ولما يدخل الإيمان في قلوبكم		١٤	١٢٤
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله		١٥	١٣٠
يمنون عليك أن أسلموا		١٧	١٤٥
	ق (٥٠)		
ذلك رجع بعيد		٣	٣٠٧
قد علمنا ما تنقص الأرض منهم		٤	٣٠٧
والأرض مددناها		٧	١٦٧
ونزلنا من السماء ماء مباركا		٩-١١	٢٥١
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس		١٦	٨٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام الصفحات
إذ يتلقى المتلقيان		١٧	١٠٢،٨٤
وما أنا بظلام للعبيد		٢٩	٦٥
لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد		٣٥	٣٤٣
	الذاريات (٥١)		
هل أتاك حديثُ ضيف إبراهيم		٢٤	٩٩
وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب		٣٧	٢٣٠
وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم		٤١-٤٢	٢٢٧
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون		٥٦	١١٠،١٠٩
	الطور (٥٢)		
والسقف المرفوع		٥	١٦٠
وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك		٤٧	٢٩٤
	النجم (٥٣)		
والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم		١-١٨	٢٣٥
وأن ليس للإنسان إلا ما سعى		٣٩	٢٩
وأن عليه النشأة الأخرى		٤٧	٣١٠
والمؤتفكة أهوى		٥٣	٢٣٠
	القمر (٥٤)		
اقتربت الساعة وانشق القمر		١	٣٠٥،٢٣٩
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر		١٨-٢٠	٢٢٧
إنا أرسلنا عيهم صيحةَ واحدة		٣١	٢٢٨
	الرحمن (٥٥)		
والنجم والشجر يسجدان		٦	٢٤٦
خلق الإنسان من صلصال كالفخار		١٤	٢١٧
يسأله من في السموات و الأرض		٢٩	٧٠،٦٩
	الواقعة (٥٦)		
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة		٣٢-٣٣	٣٤١
أفرأيتم ما تحرثون		٦٣-٦٥	٢٥٢
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون		٨٥	٨٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
فأما إن كان من المقربين فروح وريحان		٨٩	٢٩٤
	الحديد (٥٧)		
هو الأول والآخر والظاهر والباطن		٣	٥٨
وهو معكم أينما كنتم		٤	٨٧
فضرب بينهم بسور له باب		١٣	٣٣٤
اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها		١٧	٢٥٢
أعدت للذين آمنوا بالله ورسله		٢١	٣٣٨
ما أصاب من مصيبة في الأرض		٢٢-٢٣	١٤٦
	المجادلة (٥٨)		
ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم		٧	٨٦
كتب الله لأغلبن أنا ورسلي		٢١	٢٧٠
كتب في قلوبهم الإيمان		٢٢	١٢٤
	الحشر (٥٩)		
وما آتاكم الرسول فخذوه		٧	١١٦، ١٩٨
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل		٢١	٢٤٩
	الصف (٦١)		
سبح لله ما في السموات وما الأرض		١	٢٤٨
	الجمعة (٦٢)		
يسبح لله ما في السموات وما في الأرض		١	٢٤٨
هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم		٢	١٨٥، ١٨٦
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين		٦	١٧٥
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا		١٠	٣٥٧
	التغابن (٦٤)		
ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله		١١	١٤٦
فاتقوا الله ما استطعتم		١٦	١٤١
	الطلاق (٦٥)		
لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها		٧	١٤١
الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض		١٢	٧٤

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام الصفحات
	التحريم (٦٦)		
عليها ملائكة غلاظ شداد		٦	١٠٢
	الملك (٦٧)		
الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم		٢	١٠٩،١١٠
الذي خلق سبع سموات طباقاً		٣	١٥٩
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح		٥	١٦١
فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير		١١	٦٦
ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير		١٤	٢١١
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه		١٥	٣٥٧
أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات		١٩	٢٥٠
قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً		٣٠	٢٥٢
	القلم (٦٨)		
ن والقلم وما يسطرون		١-٢	١٣٦
	الحاقة (٦٩)		
وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية		٦-٧	٢٢٨
فأما من أوتي كتابه بيمينه		١٩-٢٩	٣٢٦
ولو تقول علينا بعض الأقاويل		٤٤-٤٧	١٩١
	المعارج (٧٠)		
تعرج الملائكة والروح إليه		٤	١٦٤
	نوح (٧١)		
ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً		١٥	١٥٩
والله جعل لكم الأرض بساطاً		١٩	١٦٨
مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا		٢٥	٢٩٣
	الجن (٧٢)		
قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن		١-٢	١٠٩
وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك		١١	١٠٧
وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون		١٤	١٠٧
وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً		١٥	١٠٧

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
ومن يعص الله ورسوله		٢٣	٣٤٧
وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا		٢٨	٧٥
	المدثر (٧٤)		
يا أيها المدثر قم فأنذر		١-٢	١٨٤
فإذا نقر في الناقور		٨	٣١٢
فما تنفعهم شفاعة الشافعين		٤٨	٣٥١
عليها تسعة عشر		٣٠-٣١	١٠٣،١٢٩
	القيامة (٧٥)		
فإذا قرأناه فاتبع قرءانه		١٨	٨٤،٢١٢
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة		٢٢-٢٣	٣٤٣،٣٤٤
أيحسب الإنسان أن يترك سدى		٣٦	٧٤
	الإنسان (٧٦)		
إنا خلقنا الإنسان من نطفة		٢	١١٠
إنا هديناه السبيل		٣	٧٢
لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً		١٣	٣٣٧
	النبأ (٧٨)		
لابثين فيها أحقاباً		٢٣	٣٤٨
	النازعات (٧٩)		
فالمدبرات أمراً		٥	٢٢٣
رفع سمكها فسواها		٢٨	١٥٩
والأرض بعد ذلك دحاها		٣٠	١٦٨
يسألونك عن الساعة أيان مرساها		٤٢-٤٤	٣٠٥
	عبس (٨٠)		
بأيدي سفرة كرامٍ بررة		١٥-١٦	١١٦
	التكوير (٨١)		
وإذا الصحف نشرت		١٠	٣٢٦
وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين	الانفطار (٨٢)	١٠-١٢	١٠١
يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم		٦-٧	٢١٩

الآية	اسم السورة	رقم الآية	أرقام لصفحات
كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون	المطففين (٨٣)	١٥	٣٤٣، ٣٤٤
لهم أجر غير ممنون	الانشقاق (٨٤)	٢٥	٣٤١
ذو العرش المجيد فعال لما يريد	البروج (٨٥)	١٥-١٦	٧٥، ٢٦٩، ٢٧٠
بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ		٢١-٢٢	١٣٤
إنه لقول فصل وما هو بالهزل	الطارق (٨٦)	١٣-١٤	٣٣٨
سنقرئك فلا تنسى	الأعلى (٨٧)	٦	١٨٥
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت	الغاشية (٨٨)	١٧-٢٠	١٦٧
إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم		٢٥-٢٦	٣٢٤
وهديناه النجدين	البلد (٩٠)	١٠	٧١
إن علينا للهدى	الليل (٩٢)	١٢	٧١
لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم	التين (٩٥)	٤	٢١٩
فليدع ناديه سندع الزبانية	العلق (٩٦)	١٧-١٨	١٠٣
رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة	البينة (٩٨)	٢-٣	١٩٠
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات		٨	٣٤٦
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره	الزلزلة (٩٩)	٧-٨	٣٢٧، ٣٢٨
فأما من ثقلت موازينه	القارعة (١٠١)	٦-٩	٣٢٥
إنا أعطيناك الكوثر	الكوثر (١٠٨)	١	٣٣٠
قل هو الله أحد	الإخلاص (١١٢)	١	١٤

۞ ۞ ۞

٢- فهرس أطراف الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
حرف الهمزة	
آمركم بالإيمان بالله وحده	١٢٧
أتاني جبريل بالبراق	٢٣٨
أتى النبيَّ فقرأ عليه: ﴿ فمن يعمل ﴾	٣٢٨
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٣٢٨
أخرجوا من النار من في قلبه مثقال	٣٤٥
إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب	٢٠٧
إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار	٣٥١
إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله	٣٤٣
إذا ذُكر القدر فأمسكوا	١٤٣
إذا سألتم الله فسلوه الفردوس	٧٨
إذا قبر الميت أو قال :أحدكم ..	٢٩٩
استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت	٣٠٠
استوصوا بالنساء خيراً	٢١٨
أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة	٣٤٥
اطلع النبي علينا ونحن نتذاكر الساعة	٣١١
أُعطيت جوامع الكلم	١٨٣
أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي	١٨٣
أُعطيت خمساً لم يعطهن نبي	١٨٤
أعظم آية في القرآن	٥٧
اعقلها وتوكل	٢٥٨
اعملوا فكلٌّ مُيسّر	١٤٢
اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة	١٣٣
ألا أعرضها عليك	١٩٧
ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني	١٩٩
ألا وإن في الجسد مضغة	١٢٤
ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه	٢٠٠
أما أهل السعادة فَيُيَسَّرون	١٤٢
أما رأيتم شوك السعدان	٣٣١
الأمر أشد من أن يهمهم ذاك	٣٢٢
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا	١٢٥
إنْ أصابك شيءٌ فلا تقل : لو أني ..	١٤٦
إنْ شئت أن تستأني بهم	٢٤١
أنا سيد الناس يوم القيامة	٣٢٣
إنَّ أحدكم إذا مات يعرض عليه	٢٩٥
إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة	١٣٩
إنَّ أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه	١٣٧
إنَّ أهل مكة سألوا رسول الله آية	٢٣٩
إنَّ أول شيء خلقة الله القلم	١٣٥
إنَّ البلاء والدعاء يلتقيان	٣٥٢

طرف الحديث	الصفحة
إن الحلال بين وإن الحرام بين	٢٠٦
إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل	٣٥٢
إن الشمس والقمر آيتان	٢٤٤
إن الله قدر مقادير الخلائق	١٣٥
إن الله كتب الإحسان	١١٢
إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا	١١٣
إن قلوب بني آدم بين أصبعين	٧٦
إن كنا لنعلم أنك لتقول ذلك	٣٠٠
إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي	١٨٠
أنذركم الدجال	١٨١
إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم	١٩٧
إنكم سترون ربكم	٣٤٤
إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا	٨٥
إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك	١٩١
إنما هي أعمالكم أحصيها لكم	٣٢٧
إنه أدق من الشعرة	٣٣٢
إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور	٢٧٢
إنه أقرب إليكم من أعناق رواحلكم	٨٥
إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون	٢٩٧
إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم	١٨١
إنها فضلت عليها بتسع وستين جزءا	٣٤٠
إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات	٣١١
إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا	٣٤١
إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي	٢٤٨
إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية	١٢٠
أول ما خلق الله القلم	١٣٣ ، ١٣٥
أين نجدك يا رسول الله	٣٢٥
أي الأديان أحب إلى الله	١٢٠
إياك ومحقرات الذنوب	٣٢٨
الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون	١٢٧
الله أكثر	٣٥٥
اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء	٥٨
اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم	٢٩٥
اللهم مصرف القلوب	٧٦
حرف الباء	
بعثت إلى الجن والأنس	١٨٣
بعثت إلى كل أحمر وأسود	١٨٣
بعثت إلى الناس كافة	١٨٣
بلغني أن الجسر أدق من الشعرة	٣٣١
بهذا هلك من كان قبلكم	١٤٤
بينا أيوب يغتسل	١٧٩
حرف التاء	
تحشرون عراة غرلا	٣٢٢
تفكروا في آلاء الله	٩٢
تفكروا في خلق الله	٩٢
حرف الثاء	
ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح	١٣٧
ثم يرسل إليه الملك	١٣٧

طرف الحديث	الصفحة
حرف الجيم	
جاء اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا	١٤
جاء رجل على ناقة له	٢٥٨
جاء عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ	١٩٧
حرف الحاء	
حديث الأبرص و الأقرع والأعمى	٩٩
حتى إن للنار ضجيجاً	٣٣٣
حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك	١١٢
حفت النار بالشهوات	٣٣١
الحنيفية السَّمْحة	١٢٠
حرف الخاء	
خرج ذات يوم والناس يتكلمون في القدر	١٤٣
خسفت الشمس فقام النبي فزعاً	٢٤٤
خلق الله آدم على صورته	٢٢٠
خلق الله التربة يوم السبت	١٦٥
خُلقت الملائكة من نور	٩٨
حرف الراء	
رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً	١٩٧
رفعت الأقلام وجفت الصحف	١٣٣
حرف السين	
سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل	٢٤١
سألت النبي عن قول (يوم تبدل ..)	٣٣١
حرف الشين	
شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي	٣٤٥
شهادة أن لا إله إلا الله	١٢٧
حرف الصاد	
الصراط على جهنم مثل حرف السيف	٣٣٢
الصراط كحدِّ السيف	٣٣٢
الصراط كحدِّ الشفرة	٣٣٢
حرف الطاء	
طلبتك يارسول الله البارحة	٢٣٨
حرف العين	
على أي شيء أنت ؟ (سؤاله لجبريل)	٩٩
على الصراط	٣٣١
عند الحوض أو الصراط أو الميزان	٣٢٥
حرف الفاء	
فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا	٢٤٤
فإما أن يُعجَّل له في الدنيا	٣٥٥
في تفتنون وعني تسألون	٢٩٧
فُضِّلت على الأنبياء بست	١٨٣
فعليكم عباد الله بالدعاء	٣٥٢
فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات	٣٥١
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً	٣٤٣
فيما العمل اليوم ؟	١٤٢
حرف القاف	
قدر الله وما شاء فعل	١٤٦
قد علمنا إن كنت لمؤمناً	٢٩٧
قد فعلت	١٤١

طرف الحديث	الصفحة
حرف الكاف	
كان الله ولم يكن شيء قبله	٦٤، ٦٥
كان الله قبل كل شيء	٦٥
كان الله ولا شيء معه	٦٥
كان يعلمهم هذا الدعاء	٢٩٥
كانوا يسمعون تسبيح الطعام	٢٤٨
كفى ببارقة السيوف عليهم فتنة	٢٩٩
كل ميسر لما خلق له	١٤٢
كم فيها من مثقال ذرة	٣٢٨
كنا في جنازة في بقيع الغرقد	١٤٢
كيف أنعم وصاحب القرن	٣١٢
كيف تركتم عبادي	١٠٠
حرف اللام	
لأكلتم منه ما بقيت الدنيا	٣٤١
لأكل منه من بين السماء والأرض	٣٤١
لا أحصي ثناء عليك	٩٢
لا بل أستأني بهم	٢٤١
لا بل فيما جفت به الأقلام	١٣٣
لا تجتمع أمتي على ظلاله	٢٧٨
لا تحقرن من المعروف شيئا	٣٢٨
لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها	٣٣٣
لا يرد القدر إلا الدعاء	٣٥٣
لا يسمع بي أحد من هذه الأمة	١٩٧
لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٢٠٧
لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان	١٩١
لتتبعن سنن من كان قبلكم	١٥٧
لكل داء دواء	٢٥٥
لكل نبي دعوة مستجابة	٣٥١
لو أخذته لأكلتم منه	٣٤١
لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه	١٩٧
لو أنكم تتوكلون على الله	٣٥٧
لو لا أن تدافنوا لدعوت الله	٣٠٣
ليس فيها معلم لأحد	٣١٩
ليس ما في الدنيا مما في الآخرة	٣٤٢
حرف الميم	
المؤذن يغفر له مد صوته	٢٤٩
ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له	٢٥٥
ما السموات السبع مع الكرسي	١٧٠
ما المسؤول عنها بأعلم من السائل	٣٠٦
ما تذاكرون ؟	٣١١
ما على الأرض مسلم يدعو الله	٣٥٥
ما كنت تقول في هذا الرجل	٣٠٠
ما لكم تضربون كتاب الله	١٤٤
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي	١٨٧
ما من كلام أعظم عند الله من كلامه	١٩٠
ما من نفس منفوسة	١٤٢
ما منكم من أحد	١٤٢
مفاتح الغيب خمسه	٨٠-٨٢

طرف الحديث	الصفحة
ملائكة يحفظونه من بين يديه	١٠١
من حدثك أن محمدا كتم شيئا	١٧٤
من ربك وما دينك ومن نبيك	٢٩٦
من علم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة	١٢٦
من كان في قلبه مثقال حبة	٣٥١
حرف النون	
ناركم هذه مما يوقد ابن آدم	٣٤٠
نعم عذاب القبر حق	٢٩٥
نم صالحا	٢٩٧
نم فينام كنومة العروس	٣٠٠
حرف الهاء	
هذا مقعدك حتى يبعثك الله	٢٩٥
هذه الآيات التي يرسل الله	٢٤٤
هل تدرون ما الإيمان بالله	١٢٧
هلا وضعت هذه اللبنة	١٨١
حرف الواو	
وأما المنافق والكافر	٢٩٨
وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله	٢٠٠
وإنك مهما أنفقت من نفقة	١١١
وإنكم تفتنون في القبور	٢٩٧
وإنما كان الذي أوتيته وحيا	١٨٩،١٨٨
واعلم أن الأمة لو اجتمعت	١٣٣
وبعثت إلى الجن والإنس	١٨٣
وبعثت إلى كل أحمر وأسود	١٨٣
والحمد لله تملأ الميزان	٣٢٥
وعزتي وجلالي لأخرجن من النار	٣٤٥
وعلى أي شيء ملك الموت	٩٩
وعلى أي شيء ميكائيل	٩٩
وفضل العرش على الكرسي	٧٩
وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام	١٩٠
وفي بضع أحدكم صدقة	١١١
وكان عرشه على الماء	١٣٥
وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة	١٨٣
ولجهنم جسر أدق من السيف	٣٣٢
والذي نفس محمد بيده لو أصبح	١٩٧
والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد	١٩٧
وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه	٩٥
ويأتيانه ملكان فيجلسانه	٣٩٦
ويؤمر بأربع كلمات	١٣٧
ويبعث إليه الملك فيؤمر	١٣٧
ويضرب جسر جهنم	٣٣١
حرف الياء	
يؤتى بالنار يوم القيامة	١٠٣
يا أبا ذر ما السموات السبع	١٧٠،٧٩
يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة	٦٣
يا رسول الله : أدعها و أتوكل	٢٥٨
يا رسول الله : أعلم أهل الجنة	١٤٢
يا رسول الله : أفلا نتكل على كتابنا	١٤٢

طرف الحديث	الصفحة	طرف الحديث	الصفحة
يا رسول الله : أقريب ربُّنا فنناجيه	٨٥	يا مؤمن جُزْ فقد أطفأ نورك	٣٣٣
يا رسول الله : إني مررتُ بأخ لي	١٩٧	يا معشر من آمن بلسانه	١٢٤
يا رسول الله: الرجال والنساء ينظر	٣٢٢	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل	١٠٠
يا رسول الله :بيِّن لنا ديننا	١٣٣	يحشر الناس يوم القيامة على أرض	٣١٩
يا عائشة : إياك ومحقَّرات الذنوب	٣٢٨	يخرج قوم من النار بشفاعة محمد	٣٤٩
يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها	٣٢٧	يخرج من النار من في قلبه وزن ذرة	٣٥٢
يا عبادي :كلكم جائع إلا من أطعمتُه	٧٠	يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله	١٢٩



٣- الأشعار مرتبةً على رعاية القافية

الصدر	العجز	الصفحة
مَنْ نرتجي للدين يكشف غُمَّةً	عَمَّتْ على الإسلام بالإغْماء	٤٤
أما الذين يفسرون كلامه	سبحانه بالحدس والآراء	٢٠٩
بشراكم يا معشر النجباء	برسالةٍ كالروضة الغناء	٣٦٣
إنما النفس كالزجاجة والعقـ	ـل سراج وحكمة الله زيت	١٥١
إن الطبيب بطبه ودوائه	لا يستطيع دفاع مقدور أتى	٢٥٥
ما أكثر النّاس لا بل ما أقلَّهُمُ	اللهُ يعلمُ أنّي لم أقُلْ فَنَدا	٣٩
وكل ما أتاك عن محمد	صلى عليه الله خذه ترشد	٢٩٨
بكَ جامعُ الزيتونة السَّامي غدا	في العدِّ لايرضى بغير الخنصر	٢١
ما للعباد عليه حق واجب	كلا ولا سعيٌ لديه ضائع	٦٧
وخير أمور الدين ما كان سنةً	وشرُّ الأمور المحدثات البدائع	٩١
قد استوى بشر على العراق	من غير سيف أو دمٍ مهراق	٩٦
الحمد الله القديم الباقي	مسبِّب الأسباب و الأرزاق	٢٧٣
لا يعرف الله إلاّ الله فاتَّئِدُوا	والدينُ دينان إيمانٌ وإشراك	٩٢
قل لمن يفهم عني ما أقول	قصِّر القول فذا شرحٌ يطول	٩٣
العلم للرحمن جل جلاله	وسواه في جهلاته يتغمغم	٩٣
بنت عزُوز لقد لقَّنْتِنا	خشية الله وأن نرعى الذِّماما	٢٤
هي الدار في أحداثها تتجرم	سرورٌ فأحزان فعرس فمأتم	٤٨
إذا عُمَرُ بنُ الشيخ وافى درسه	تعال التقطْ دراًّ بملء جفان	٢١
ترى الفضلاءَ عن بدعٍ صُمُوتا	ترى العلماء أشتاتاً عِزينا	٣٦
والله لولا الله ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا	١٤٥
الشرع أعظم مرشدٍ	في ظلمة الشبه البهيمه	١٥١
وكم من عائب قولاً صحيحاً	وآفته من الفهم السقيم	٣٠٣
رُبَّ شمس طلعت في مغرب	وتوارى في ثرى الشرق سناها	٤٦

٤- الكتب ومؤلّفوها

(أ)

الإبانة ، لأبي الحسن الأشعري : ٩٧
ابتلاء الإرادة الإنسانية ، لعبد الرحمن حبنكة الميداني : ١١٠
الاتجاهات الوطنية في الأدب ، لمحمد محمد حسين : ٧
أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء ، لمحمد عوامة : ٢٠٥،٢٠٩
الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ، لفوزي فيض الله : ٢٠٦
الأجوبة المرضية ، للسخاوي : ٣١٣
الأجوبة المكية عن الأسئلة الحجازية ، لابن عزوز : ٢٨،٤٥،٢٠٩
الاحتواء فيمن سأل عن الاستواء ، لابن عزوز : ٢٨
الأحكام الصغرى ، لابن العربي : ٢٠٢
إحياء علوم الدين ، للغزالي : ٣٥٣
اختصار الشّفا ، لابن عزوز : ٢٨
اختيار الأولى ، لابن رجب : ٩٥
الأدب المفرد ، للبخاري : ١٢٠
إرشاد الحيران في خلاف قالون لعثمان ، لابن عزوز : ٢٨
إسعاف الإخوان في جواب السؤال الوارد من داغستان ، لابن عزوز : ٢٩
الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ، لمحمد عبده : ١٥٧
الأسماء والصفات ، للبيهقي : ٧٨،٨٨،٩٠
الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، للقرطبي : ٦٥
أصل الأنواع ، لداروين : ٢٢٠
أصول الحديث ، لابن عزوز : ٢٩
أصول الدين ، لجمال الدين الغزنوي : ٨٧
أضواء البيان ، لمحمد الأمين الشنقيطي : ١٦٣،٢٣١،٣١٨
الأعلام ، للزركلي : ١٩
أعلام الحديث ، للخطابي : ٢٤٢
إعلام الموقعين ، لابن القيم : ١٢١،١٩٨
إغاثة اللهفان ، لابن القيم : ٩٩،١٩٥،٣١٤
إقناع العاتب في آفات المكاتب ، لابن عزوز : ٢٩

ألفيَّة ابن مالك ، لابن مالك : ٢١
الأم ، للشافعي : ٢٥٦
إنارةُ الحَوالِك في أَنَّ الرفع في الصلاةِ مذهبُ مالك ، لابن عزوز : ٢٩
الانتقاء ، لابن عبد البر : ٩٠،٢٦،٣٤٣
الإنسان بين الأمل والأجل ، لعبد الحميد طهماز : ٢١٥
الإنسان في الارتفاعات العالية ، لصلاح الدين المغربي : ٢٤٠
الإنصاف في تحريم الصور ولو مأخوذة بالفوتوغراف ، لابن عزوز : ٢٩
أنوار التنزيل ، للبيضاوي : ١٦٦
أهوال القبور ، لابن رجب : ٢٩٥
إيقاظ الإخوان لدسائس الأعداء ، لإسماعيل الصفايحي : ٣٦١
الإيمان بعوالم الآخرة ، لعبد الله سراج الدين : ٣٢٢،٣٣٧
الإيمان بالملائكة ، لعبدالله سراج الدين : ١٠٣،١١٧

(ب)

بدائع الفوائد ، لابن القيم : ٢٧٣
البداية والنهاية ، لابن كثير : ٩٦،١٣٦،٢٩٢
بروق المباسم في ترجمة محمد بن أبي القاسم ، لابن عزوز : ٢٣ ، ٢٩
بلوغ المرام ، لابن حجر : ٤٣
البيان في أركان الإيمان ، لمجد مكي : ٦،١٤٧

(ت)

تاج العروس ، للزبيدي : ٩٦
تحذير المسلمين من اتباع غير سبيل المؤمنين ، لعبد العزيز الرشيد : ٣٦
التحريف المعاصر في الدين ، لعبد الرحمن حبنكة الميداني : ٢١٠
التذكرة ، للقرطبي : ٣٠٨
تذكِرةُ المنصفين في أنَّ المكتشَفات الجديدة لا تكذِّبُ الدين ، لابن عزوز : ٢٩
تراجم الأعلام ، للفاضل بن عاشور : ١٩
تراجم المؤلفين التونسيين ، لمحمد محفوظ : ١٩،٢٨
الترغيب والترهيب ، للمنذري : ٣٤٢
التسهيل ، لابن جزي : ١٦٨،٣٢١
التصريح بما تواتر في نزول المسيح ، للكشميري : ٣١٢
تعريف عام بدين الإسلام ، لعلي الطنطاوي : ١٥٢
التعرف لمذهب أهل التصوف ، للكلاباذي : ٢٨٤
التعيين في شرح الأربعين ، للطوفي : ١١٠،١٢١،١٣٩،١٧٤،١٨٨،٣٢٥،٣٢٧

التفريح بحل الإشكال في صلاةِ التراويح ، لابن عزوز : ٢٩
تفسير ابن كثير : ٦٧،٨٢،٨٨،١٧٤،١٨٢،٢٠٠،٣١٦،٣٢٩
تفسير الخازن : ٥٧،٨٢،١١٠،١٦٦،١٧٥،٢٥٠،٢٦٧،٢٩٣،٣٠٠،٣٤٨،٣٥٠
تفسير سورة الإخلاص ، لابن تيمية : ٣١٤
تفسير الفخر الرازي : ٢٧٣
تفسير النسائي : ٢٤١
تفسير النسفي : ٦٣،٢٤٥،٢٩٣،٣٤٠
تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، للراغب : ١٤٩،١٥٠،٣٤٢
التقرار المهذَّب في حلّ تراجم الجوهر المرتَّب ، لابن عزوز : ٢٩
تلبيس إبليس ، لابن الجوزي : ١٥٠
تلخيص الأسانيد ، لابن عزوز : ٢٩
التمهيد ، لابن عبد البر : ٩٧،٢٩٨،٣٠٧
تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام ، لابن عابدين : ٢٧٦
تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ، للسبتي : ١٨٥
التنَزيه عن التعطيل والتشبيه ، لابن عزوز : ٢٩
تنظيف الوعا من سـوء الفهم في آيةِ {وأنْ لَيْسَ للإنْسَانِ إلاَّ ما سَعَى} ، لابن عزوز : ٢٩
تَهذيب الآثار ، للطبري : ٢٣٦
تَهذيب التفاسير القرآنية ، لابن عزوز : ٢٩
التوحيد ، لحسين والي : ١٣،١٥٢
التوسل والوسيلة ، لابن تيمية : ٨٣
التوكل ، لابن أبي الدنيا : ٣٥٧
تيسير علم أصول الفقه ، ليوسف الجديع : ٢٧٢

(ث)

ثبوت القدمين في سؤال الملكين ، لعبد الغني النابلسي : ٣٠٩
ثمار القلوب ، للثعالبي : ٣١٣
ثمرات الفنون : ٣٤

(ج)

جامع البيان ، للطبري : ٤٠،٧٩،٢٩٤
الجامع الصغير ، للسيوطي : ٢٣
جامع العلوم والحكم ، لابن رجب : ١٣٠،١٣٧،٢٠٦،٢٦٢،٣٠٨،٣٦٠
الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي : ١٠٥،١٠٦،١٤٨،١٥٣،١٧٩،٢٠٢،٢٠٧،٢٣٣،٢٥٨،٢٥٩،
٢٦٠،٢٩١،٣٠٦

جريدة المؤيد : ٣٤
جريدة المقطم : ٣٤
جزيل المواهب في اختلاف المذاهب ، للسيوطي : ٢٠١،٢٠٨
جلاء العينين في محاكمة الأحمدَيْن ، لنعمان الآلوسي : ٤٣
الجمان في أصول الإيمان ، لمجد مكي : ٦
جمع الجوامع ، للسبكي : ٢١
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية : ٢٧٢
الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، للسخاوي : ٢٩٠
الجوهرة الوسطى ، لطاهر الجزائري : ١٥٠

(ح)

حاشية الصاوي على الجلالين : ٢٢٨،٢٤٢
حاشية المحلي على جمع الجوامع ، للجلال المحلي : ٢١
الحاوي للفتاوي ، للسيوطي : ٩٢،١٣٨،٢٩٦
حزمُ اليقظان في أنَّ الصلاح والفساد يسْرِيان من الخِلاَّن ، لابن عزوز : ٢٩
الحقُّ الصريح في المناسك على القول الصحيح ، لابن عزوز : ٣٠
حقيقةُ الأمر في تحريم البيرة والتداوي بِمَا فيه الخمر ، لابن عزوز : ٣٠
حلية الأولياء ، لأبي نُعيم : ٩٢
حول تفسير سورة الفاتحة ، لعبد الله سراج الدين : ٢٥٣
حول تفسير سورة الملك ، لعبد الله سراج الدين : ٢١١

(خ)

خواطر الحياة ، لمحمد الخضر حسين : ٤٦
خواطر دينية ، لعبد الله الغماري : ٣١٥،٣١٧،٣٤٩

(د)

الداء والدواء ، لابن القيم : ٦٢،٦٣،١٩٣،٣٣٤،٣٥٦
دراسات في الشريعة ، لمحمد الخضر حسين : ٢٢ ، ٣٦
الدراية فيما ليس برأس آية ، لابن عزوز : ٣٠
الدرة البيضاء في الفرائض : ٢١
الدرة المضيَّة في عَقْد أهل الفرقة المرضية ، للسفاريني : ٤٣
الدعاء ، لعبد الله سراج الدين : ٣٥٤
الدعاء ، للطبراني : ٣٥٢
الديباج ، للسيوطي : ١٠٠
ديوان ابن عزُّوز (شعاع الأدب) ، لابن عزوز : ٣٠

(ذ)

الذخيرة المكية في الخزانة المدنية ، لابن عزوز : ٣٠

الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب الأصفهاني : ١٤٩

ذو القرنين وسد الصين ، لمحمد راغب الطباخ : ٣١٥

(ر)

رائد النجعة فيمن تعجب من قولنا السَّدْل بدعة ، لابن عزوز : ٣٠

الرَّحْبِيَّة ، للرحبي : ٢١

الرحلات ، لمحمد الخضر حسين : ٢٤،٢٧

الرحلة الجزائرية الهاملية ، لابن عزوز : ٣٠

رَدُّ الذاهب فيما يقلّد وَمَا لا يقلّد من مسائل المذاهب ، لابن عزوز : ٣٠

الرد على المنطقيين ، لابن تيمية : ٣١٤

رسائل ابن عزوز ، جمع علي رضا الحسيني : ١٩،٢٨،٢٩،٣٠،٣١

رسائل الإصلاح ، لمحمد الخضر حسين : ٢١٠

رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه : ١٤٥

الرسالة ، لأبي القاسم القشيري : ٢٨١،٢٨٩

رسالة المسترشدين ، للحارث المحاسبي : ١٥١

الرسالة الوافية ، لأبي عمرو الداني : ٨٧،١١٠،١٥٩،٣٤٥

رفع الملام عن الأئمة الأعلام ، لابن تيمية : ٢٠٨

رَفْعُ النزاع في بيان معنى التقليد ومعنى الاتِّباع ، لابن عزوز : ٣٠

الروح ، لابن القيم : ٢٦٠،٢٩٨،٣٠١،٣٥٨

روح البيان ، لإسماعيل حقي : ٢٦

روح المعاني ، للآلوسي : ١٦٨،١٨٢

الروض الباسم ، لابن الوزير : ٤٣،٢٦٤

روضة الطالبين ، للنووي : ٢٧٦

الروضة الندية ، لصديق حسن خان : ٤٢

الرياض البواسم في رواية حفصٍ عن عاصم ، لابن عزوز : ٣٠

(ز)

زاد المعاد ، لابن القيم : ٩٩،١١٣

الزاهر ، لأبي منصور الأزهري : ١١٥،٣٢٠

الزُلَف في ترجيح تفويض السلف على تأويل الخَلَف ، لابن عزوز : ٣٠

الزهد ، لأحمد : ٣٣٧

زهر الربى ، للسيوطي : ١٠٠

(س)

السعادة العظمى ، لمحمد الخضر حسين : ٢٤

السّلوى والمن في مواضع حسن الظن وسوء الظن ، لابن عزوز : ٣٠

سنن أبي داود : ١٢٧،١٣٣،١٤٢،٢٠٠،٢٩٦،٣٠٠،٣٢٠،٣٤٥

سنن الترمذي : ٢١،٩٠،١٠٣،١٣٣،١٩٠،١٩٩،٢٥٨،٣٠٠،٣٢٠،٣٢٥،٣٤٥، ٣٥٢،٣٥٣،٣٥٧

سنن الدارمي : ١٩٠،١٩٩

السنن الكبرى ، للبيهقي : ١١٠،١٧٠

سنن النسائي : ١٢٧

سير أعلام النبلاء ، للذهبي : ٨٧،٨٩،٩٤،١٢٦،١٣٠،١٣٢،١٩٥،١٩٦،٢٥٥،٢٦٣،٢٦٥، ٢٦٦،،٣٤٤،٣٤٥،٣٤٨،٣٥٢

السيف الربّاني في عُنُقِ المعترض على الجيلاني ، لابن عزوز : ٣١

السيف المسلول لمن سب الرسول ، للسبكي : ٢٧٥

(ش)

شأن الدعاء ، للخطابي : ٢٦٦

شجرة المعارف و الأحوال ، للعز بن عبد السلام : ١١١،١١٢،١٨٤،٢٥٦،٢٧٥

شجرة النور الزكية ، لابن مخلوف : ١٩

شرح أصول اعتقاد أهل السنة ،للالكائي : ٩٠

شرح الأزهري على الآجرومية ، لخالد الأزهري : ٢١

شرح "تسهيل الوصول" ، لمجد مكي : ٦

شرح حديث كميل بن زياد ، لابن عزوز : ٣١

شرح الدردير على خليل : ٢٣

شرح رسالة ابن أبي زيد ، للجزولي : ٣٠٤

شرح صحيح مسلم ، للنووي : ١٢٦،١٣٠،١٤٢،١٧٧،٢١٩،٢٥٧

شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز : ٥٨،٢٦٢

شرح ميارة على ابن عاشر : ٢١

شريعة الإسلام ، للقرضاوي : ١٢١

شعب الإيمان ، للبيهقي : ١١٣

شعب الإيمان ، للقصري : ٣٠٤

شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، لمحمد الهادي السنوسي : ٤٩

الشفا ، للقاضي عياض : ٥٨،١٧٧،١٧٨،١٨٦،١٨٧،٢٧٤،٢٧٦،٣٣٨،٣٣٩

شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لعبد الله سراج الدين : ٢٢٤،٢٣٩،٢٥٣

(ص)

الصارم المسلول ، لابن تيمية : ٢٧٤،٢٧٥

الصحاح ، للجوهري : ٩٦

صحيح ابن حبان : ١١٤، ١٧٠، ١٨١، ٣٠٠

صحيح البخاري :٢٣، ٦٤، ٧٨، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ١٠٠، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٤١، ١٦٣، ١٧٤، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ٢١٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٥١

صحيح مسلم : ٥٨، ٧٠، ٧٦، ٨٦، ٩٢، ٩٨، ١٠٣، ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٥، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٧، ١٩١، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٧، ٣٠٣، ٣١١، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٨، ، ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٥١

صحيفة الإصلاح الجزائرية : ٤٨

الصَّفْح السعيد في اختصار الأسانيد ، لابن عزوز : ٣١

صفوة البيان ،لحسنين مخلوف : ٧٧ ، ١٠٤، ١١١، ١١٦، ١١٧

الصواعق المرسلة ،لابن القيم : ٨٣، ٢٠٣

(ط)

طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي : ١٠٤، ٢٤٨، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨١

طبقات القراء ، للذهبي : ١٩٢

طبقات المحدثين ، لابن عزوز : ٣١

طريق الجنة في تحليةِ المؤمنات بالفقة والسنة ، لابن عزوز : ٣١

طريق السلامة في هيئاتِ الناس يوم القيامة ، لابن عزوز : ٣١

طريق الهجرتين ، لابن القيم : ١٠٦، ١١٤، ٢٦٨، ٣٣٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩

طلوع الثريا في إظهار ما كان خفيا ، للسيوطي : ٢٩٧، ٣٠٤

طي المسافة إلى دار الأمن من المخافة ، لابن عزوز : ٣١

(ع)

عدة الصابرين ، لابن القيم : ١٠٧، ١٢٧

العظمة ، لأبي الشيخ : ٩٢

العقيدة الإسلامية ، لابن عزوز : ٥، ١٩، ٣١، ٣٨، ٣٦١

عُمْدةُ الأثْبات في الاتصال بالفَهَارس والأثْبات، لابن عزوز : ٣١

عمدةُ الشيوخ في الناسخ والمنسوخ ، لابن عزوز : ٣٢

عنوان الأريب ، لمحمد النيفر : ١٩

العواصم من القواصم ، لابن الوزير : ٤٣

(غ)

غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، للسفاريني : ٤٣

(ف)

الفائدة في تفسير سورةِ المائدة ، لابن عزوز : ٣٢

الفتاوى ، لابن رشد : ٣٢٣،٢٧٧

الفتاوى ، للسبكي : ٢٧٥

الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية : ٢٧٨،٢٦٠،١٨٦،١٧٧،١٧١،١٧٠،١٦٩،١٤٠،٨٣

الفتاوى الموصلية ، للعز بن عبد السلام : ٣٥٣

فتح الباري ، لابن حجر :١٨٩،١٨٣،١٧٨،١٣٦،١٢٩،١٠٥،١٠١ ، ١٠٠،٩٠،٨٨،٨٢،٧٩،٦٤،
٣٥١،٣٤٨،٣٢٠،٣١٩،٣١٢،٣٠٥،٣٠٣،٢٩٨،٢٨٩،٢٦٥،٢٦٤،٢٥٨

فتح الباري ، لابن رجب الحنبلي : ٣٤٤،٣٤١،٣٢٢ ،٢٨٣،٢٨٢،٢٥٧،٢٤٩،٢٠٧،١٨٤،١٠٨،٩٥،٨٥

فتحُ الخَلاَّق في استكمال الإسلام لمحاسن الأخلاق ، لابن عزوز : ٣٢

فتحُ السَّلام في نجاةِ مَنْ لم تبلغهم دعوةُ الإسلام ، لابن عزوز : ٣٢

فتح القدير ، للشوكاني : ١٥٦

فتحُ القيُّوم في وجوب الفاتحة على المأموم ، لابن عزوز : ٣٢

الفصل في الملل والنحل ، لابن حزم : ٢٧٢،١٧٠

الفصول المستطابة في أصول الخطابة ، لمحمد إسماعيل الصفايحي : ٣٦٣

فضل علم السلف على علم الخلف ، لابن رجب : ١٤٤،٩٤

فهرس الفهارس ، للكتاني : ٤٥،٣٥،٣١،١٩

الفوائد، لابن القيم : ٢٥٤،١٥٣،١٤٧،١٢٨،١٢٣،١١٢،٨٤،٧٨،٧٣،٧١،٦٧،٦٦،
٣٥٩،٣٢٩،٣٢٣،٣٠٦،٢٦١

في ظلال القرآن ، لسيد قطب : ٢٢١

(ق)

القاعدة المراكشية ، لابن تيميه : ٨٣

القاموس المحيط ، للفيروزآبادي : ٣٠٤

القدر ، للبيهقي : ١٣٧

قصور العلم البشري ، لقيس القرطاس : ٢١٢

قوت القلوب ، لأبي طالب المكي : ٢٨٣

القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ، للسيوطي : ٩٣

القولُ القيِّم في حال ابن تيمية وابن القيم ، لابن عزوز : ٣٢

(ك)

كبرى اليقينيات الكونية ، للبوطي : ١١٨، ٢٢٠

الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، لمحمد شحرور : ٢١٠

كشفُ الباس في كلماتٍ يقولها كثيرٌ من الناس ، لابن عزوز : ٣٢

الكليات ، لأبي البقاء الكفوي: ١٤٠

كمال العناية في توجيه ما في (ليس كمثله شيء) من الكناية ،لأحمد الطهطاوي : ٦٢، ٩١، ٩٢

الكوكب الدري المنير ، لمحمد سعيد الباني : ١٩٨

كيف نتعامل مع القرآن ، ليوسف القرضاوي : ٢١٥

(ل)

اللباب في علم الكتاب ، لعمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي : ٣٢٥

لسان العرب ، لابن منظور : ٩٦

لطائف المعارف ، لابن رجب : ١٢٤، ١٣٤، ٢٥٧

لوائح الأنوار السنية ، للسفاريني : ٤٣، ٣٢٧، ٣٣٠

لوامع الأنوار ، للسفاريني : ٧٢، ٢٥٤، ٢٧٣

(م)

مجلة الحاضرة التونسية : ٣٤

مجلة الزهرة التونسية : ٣٤

مجلة الكويت : ٣٦، ٣٧، ٤١

مجلة المنار : ١٥٥، ٣١٧

مجلة الهلال : ٣٤

مجلة الوعي الإسلامي : ١٥٩، ٣٦٥

مجمع الزوائد ، للهيثمي : ١٣٥، ١٤٣

مجموع الأسانيد – وهو الثبت الكبير ، لابن عزوز : ٣٢

محاسن التأويل ، للقاسمي : ٣٢٥

المحجة في سير الدلجة ، لابن رجب : ١٢٠، ٣٣٣

المحرر الوجيز ، لابن عطية : ١٩٣، ١٩٤

محمد المكي ابن عزوز ، لعلي الرضا الحسيني : ١٩، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٤٩

مختصر السعد : ٢٢

مختصر خليل : ٢١

مدارج السالكين ، لابن القيم : ١٣١، ٢٦٠، ٢٧٣

مذكرات في التوحيد ، لمحمود أبو دقيقة : ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٩٥، ٣٣٧

مراتب الإجماع ، لابن حزم : ١٨١
مرشد الخائض في صلاة العادل والقابض ، لابن عزوز : ٣٤
مروي الظماء في قوله تعالى :{ إنما يخشى الله من عباده العلماء} ، لابن عزوز : ٣٢
مزيل الإشكال في آية : { ولو أسمعهم } في سورة الأنفال ، لابن عزوز : ٣٢
المسألة المهمة في سبب اختلاف الأئمة ، لابن عزوز : ٣٢
المستدرك على الصحيحين ، للحاكم : ٣٣٢،٣٥٢،٣٥٣،٣٥٥
المسك الأزفر في بيان الحج الأكبر ، لابن عزوز : ٣٢
المسند ، لأحمد : ١٤،٨٥،١١٤،١٢٠،١٢٤،١٣٣،١٦٥،١٨٣،١٩٧،٢٤١،٢٩٦،٣١٢، ٣٢٨،٣٣٢،٣٣٣
المسند ، للبزار : ١٨٣،٣٥٢
مسند أبي يعلى : ٣٣٢
مسند ابن منيع : ٣٣٢
المعجم الأوسط ، للطبراني : ٩٢
المعجم الكبير ، للطبراني : ١٤٣
المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم : ١٢٠
مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة ، لابن عزوز : ٣٢
مفاهيم جغرافية في القصص القرآني ، لعبد العليم خضر : ٣١٧
المفردات ، للراغب الأصفهاني : ٧٦،١١٦،١١٩،١٢٤،١٨٥،٣٠٥
المقالات العزوزية في الأدب ، لابن عزوز : ٣٢
مقالات وفتاوى ، ليوسف الدجوي : ٦٩
مقامات الحريري : ٢٢
ملحة الاعتقاد ،للعز بن عبد السلام : ١٤٨
من صحاح الأحاديث القدسية ، لمحمد عوامة : ١٤٣،٢٥٦
مناقب الشافعي ، للآبري : ١٠٤،١٠٥
المنبهات لحكم ذبائح القبور والمزارات ، لابن عزوز : ٣٢
المنتظم ، لابن الجوزي : ١٦٥
المنتقى من منهاج الاعتدال ، للذهبي : ٢٦٣
منحة رب العالمين ، لمحمد بن يوسف الكافي : ٢٨٢
المنهاج السديد شرح جوهرة التوحيد ، لمحمد الحنيفي : ٧٦
منهاج السلامة في ميزان القيامة ، لابن ناصرالدين : ٣٢٥
منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية : ١٣٥
المنهج الايماني للدراسات الكونية في القرآن الكريم ، لعبد العليم خضر : ١٧٠

الموافقات ، للشاطبي : ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦

المواهب اللدنية ، للقسطلاني : ١٧٩

مورد المحبين في أسماء سيد المرسلين ﷺ ، لابن عزوز : ٣٣

الموطأ ، لمالك : ٢٢، ٣٢٨

(ن)

النازلة التونسية ، لمحمد بن عثمان السنوسي : ٢٥

النبأ العظيم ، لمحمد عبدالله دراز : ٥٩

النبوات ، لابن تيمية : ٢٨١

نتائج الأفكار ، للسفاريني : ٣٢٣

النجدة في زجر من تهاون بأحكام العدة ، لابن عزوز : ٣٣

النسمة الحجازية في المذاكرة البنغازية ، لابن عزوز : ٣٣

نصرة السالك على من أنكر مشهورية السدل في مذهب الإمام مالك ،لمحمد يوسف الكافي : ٣٤

النصيحة في الصلاة المفروضة الصحيحة ، لابن عزوز : ٣٣

نظرية الاتصال عند الصوفية ، لسارة بنت عبد المحسن : ٢٨٥

نظرية التطور في الإسلام ، لعائشة ليمو : ٢٢٢

نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها ، لقيس القرطاس : ٢٢٢

نظم جمع الجوامع ، لابن عزوز : ٣٣

النفح المسكي في قراءة ابن كثير المكي ، لابن عزوز : ٣٣

النهاية ، لابن الأثير : ٦٢، ٦٣، ٧٦

نهضة الجزائر الحديثة ، لمحمد علي دبوز : ٤٨

نوادر الأصول ، للحكيم الترمذي : ٢٩٩

نيل الأوطار ، للشوكاني : ٤١

(هـ)

هدي الساري ، لابن حجر : ٢٦٥

هدي القرآن إلى الحجة والبرهان ، لعبد الله سراج الدين : ١٩٤

هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان ، لعبد الله سراج الدين : ١٦١، ١٦٦، ١٦٧، ٢٤٨

الهلال في بيان حركة الإقبال ، لابن عزوز : ٣٣

هيئة الناسك في أن القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك ، لابن عزوز : ٣٤

(ي)

اليواقيت والجواهر ، للشعراني : ٢٨٤

۞ ۞ ۞

٥- فهرس الأعلام

(ابن)

ابن أبي جمرة : ٣٢٠

ابن أبي حاتم : ٨٥

ابن أبي العز : ٥٨،٢٦٢

ابن الأثير : ٦٢،٦٣،٧٦،٢٩٧

ابن برهان العكبري : ٣٤٨

ابن تيمية : ٣٨، ٤٢،٤٣،٨٣، ٨٤،١٣٥، ١٤٠،١٦٩،١٧٠،١٧١،١٧٧،١٨٦،٢٠٨، ٢٦٠،٢٧٢،٢٧٤،٢٧٥،٢٧٨،٢٨١،٢٨٢، ٣١٤،٣٤٨

ابن جرير الطبري : ٨٥،٢٣٦،٢٩٤

ابن جزي : ١٦٨،٣٢١

ابن الجوزي : ١٥٠،١٦٥،١٧٠

ابن حبان : ١١٤،١٧٠،١٨١،٣٥٣

ابن حجر : ٦٤،٧٩،٨٢،٨٨،٩٠،١٠٠،١٠١، ١٠٥،١٢٩،١٣٦،١٧٨،١٨٣،١٨٩،٢٥٨، ٢٦٤،٢٦٥،٢٨٩،٢٩٨،٣٠٣،٣٠٥،٣١٢، ٣١٩،٣٢٠،٣٤٨،٣٥١

ابن حزم : ١٧٠،١٨١،٢٧٢

ابن رجب الحنبلي : ٨٥،٩٥، ٩٦،١٢٤،١٣٠، ١٣٤،١٣٧،١٤٤،١٨٤،٢٠٦،٢٠٧،٢٤٩، ٢٥٧،٢٦٢،٢٨٢،٢٨٣،٢٩٥،٣٠٨،٣٢٢، ٣٣٣،٣٤١،٣٤٤،٣٦٠

ابن رشد : ٢٧٧،٢٨٥،٣٢٣

ابن عابدين : ٢٧٦

ابن عبد البر : ٨٦،٩٠،٩٧،١٢٦،٢٩٨،٣٠٧، ٣٤٣

ابن عطية الأندلسي : ١٩٣،١٩٤

ابن القاسم : ٣٤٣

ابن القيم : ٣٩،٤٢،٤٣،٦٢،٦٣،٦٧،٧١،٧٣، ٧٨،٨٤،٩٩،١٠٦،١٠٧،١١٢،١١٣،١١٤، ١٢١،١٢٢،١٢٣،١٢٧،١٢٨،١٣١،١٣٩، ١٤٥،١٤٧،١٥٣،١٩٥،١٩٨،٢٠٣،٢٠٤، ٢٥٤،٢٦٠،٢٦١،٢٦٨،٢٧٣،٢٩٨،٣٠٦، ٣٠٤،٣٢٣،٣٢٩،٣٣٤،٣٣٥،٣٥٦،٣٥٧، ٣٥٨،٣٥٩ .

ابن كثير : ٦٧،٩٦،١٣٦،١٧٤،١٨٢،٢٠٠،٢٩٢، ٣٠١،٣١٦،٣٢٩

ابن مخلوف : ١٩

ابن ناصر الدين الدمشقي : ٣٢٥

(أبو)

أبو أمامة الباهلي : ١٢٠

أبو بكر بن العربي : ١٧٩،٢٣٣

أبو بكر الصديق : ٩٢،٢٠٦،٢٣٨،٢٦٣،٢٦٤

أبو تراب النخشبي : ٢٧٩

أبو الحسن السبتي : ١٨٠

أبو الحسن الأشعري : ٩٦،٢٦٨

أبو حنيفة : ٢٠٥،٢٦٤

أبو داود : ١٢٧،١٣٣،١٤٢،٢٠٠،٢٨٦،٣٤٥

أبو ذر الغفاري : ٧٩، ١١٤،١٧٠،١٨٣

أبو زيد الجزولي : ٣٠٤

أبو سعيد الخدري : ٣٣١،٣٣٢،٣٥١

أبو السمح : ٣٤٣

أبو الشيخ : ١٠٠

أبو طالب المكي : ٢٨٣

أبو العالية : ٢٣١
أبو علي الجبائي : ٢٦٨
أبو العلاء الهمذاني : ١٣٥، ١٣٦
أبو عمرو الداني : ٣٤٥،١٥٩،١١٠،٨٧
أبو القاسم الجنيد : ٩٢
أبو القاسم القشيري : ٢٨٩،٢٨١،٢٥٧
أبو الكلام آزاد : ٣١٧،٣١٦،٣١٣
أبو كرب شمر بن عمرو : ٣١٤
أبو منصور الأزهري : ٣٢٠،١١٥
أبو موسى الأشعري : ٢٤٤
أبو ميسرة المالكي : ٢٨٧
أبو هريرة : ٥،٩٠،١٠٠،١٦٥،١٨٠،١٨٧،٢١٨، ٢٥٥،٢٩٩،٣٣١،٣٣٢،٣٤٠،٣٥١،٣٥٥
أبو يوسف : ٢٦٤

(أ)

آدم عليه السلام : ١٠٨،١١٣،٢١٧،٢١٨،٢٢٠، ٢٣٥
الآلوسي : ١٨٢،١٦٨
إبراهيم عليه السلام : ٩٩،١١٥،١٥٧،٢٢٤،٢٣٠، ٢٨٨،٢٣١
أحمد بن جعفر المنادي : ١٧١،١٧٠
أحمد بن حنبل : ٨٨،٩٥،٢٠٢،٢٩٦،٣٠٢، ٣٣٧،٣٣٣،٣٢٨
أحمد بن الخوجة : ٢٢
أحمد بن صالح المصري : ١٩٢
أحمد حسن الباقوري : ٣١٥
أحمد رافع الطهطاوي : ٩٢،٩١
أحمد زيني دحلان : ٤٤
الأخضر السنوسي العقبي : ٤٢
أرسطو : ٣١٤
إسحاق بن راهويه : ٨٨
إسرافيل عليه السلام : ٣١٢،٩٩
الإسفراييني : ١٥٧
الإسكندر المقدوني : ٣١٤
أسماء بنت أبي بكر : ٢٩٧
إسماعيل الصفايحي : ٣٦٣،٣٦١،٢٨
إسماعيل حقي (الحفيد) : ٢٦
إسماعيل حقي (المفسر) : ٢٦
أشعث بن أسلم البصري : ١٠٠
أنس بن مالك : ٣٣٢،٢٧٢،٢٥٨،٢٣٩
الأوزاعي : ٩٠،٨٨
أيوب عليه السلام : ١٨٠،١٧٩

(ب)

بدر الدين البنغازي : ٣٣
البراء بن عازب : ٢٩٦،٢٤٩
البزار : ١٨٣
بلقيس : ٢٨٤،٢٧٩
البيضاوي : ١٦٦
البيهقي : ٣٤٤،٣٤٢،٣٣٢

(ت)

الترمذي : ٢١،٩٠،١٠٣،١٣٣،١٩٠،١٩٩،٢٥٨، ٣٥٧،٣٥٥،٣٥٣،٣٥٢،٣٤٥،٢٩٦

(ث)

الثعالبي : ٣١٣
ثوبان : ٣٥٣

(ج)

جابر بن عبد الله : ٣٣٣،٢٥٥،١٨٣،١٣٣
جبريل عليه السلام : ٩٩،١١٧،١٩٢،٢٣٣،٢٣٥، ٣٠٦،٢٣٦
جرير بن عبد الله : ٣٤٤
جعفر بن سليمان : ٨٥
جمال الدين الغزنوي : ٨٧
جمال الدين القاسمي : ٣٢٥

(ح)
حذيفة بن أُسيد : ٣١١
حرملة : ١٠٤
الحسن البصري : ٦٦،٨٥،١٠٨،١٢٥،٢٩٤،٣٣٢، ٣٣٦
حسن ظافر : ٢٥
حسنين مخلوف : ١١١
حسين والي : ١٣،١٥٢
الحكيم الترمذي : ٢٩٩
حليمة السعدية بنت مصطفى : ٢٢
حواء عليها السلام : ٢١٨،٣٣٧
(خ)
الخازن : ٥٧،٨٢،١١٠،١٦٦،١٥٧،٢٥٠،٢٦٧، ٢٩٣،٣٠٠،٣٤٨،٣٥٠
الخطابي : ٢٠٨،٢٤٢،٢٦٦
خير الدين الزركلي : ١٩
(د)
الدار قطني : ٣٤٤
داروين : ٢١٧،٢٢٠،٢٢١
داود عليه السلام : ٢٢٤،٢٤٧،٢٤٨،٢٦٠
دحية بن خليفة الكلبي : ٩٩
(ذ)
الذهبي : ٨٧،٨٩،٩٤،١٢٦،١٣٠،١٣٢، ١٩٢،١٩٥،١٩٦،٢٦٣،٢٦٥،٢٦٦،٣٤٤، ٣٤٥،٣٤٨،٣٥٢،٣٥٣
ذو القرنين : ٣١٣،٣١٤
ذو النون المصري : ٥٩
(ر)
الراغب الأصفهاني : ٧٦،١١٦،١١٩،١٢٤،١٤٩، ١٥١،٣٠٥،٣٤٢
الربيع بن سليمان : ٣٤٣
رضوان (خازن الجنة) عليه السلام : ١٠٢
(ز)
زياد النميري : ٣٣٢
زين العابدين التونسي : ١٩
(س)
سارة بنت عبد المحسن بن جلوي : ٢٨٥
سالم بو حاجب : ٢٢
سالم مولى أبي حذيفة : ٣٣٧
السبكي (تاج الدين) : ٢٤٨،٢٦٨،٢٧٩
السبكي (تقي الدين) : ١٧٩،٢٧٥،٣٤٨
السخاوي (شمس الدين) : ٢٩٠،٣٣١
السخاوي (علم الدين) : ٢٩٨
سراقة بن مالك : ١٣٣
سعد بن أبي وقاص : ١١١
السفّاريني ، محمد بن أحمد : ٤٣،٢٥٤،٢٧٣، ٣٢٣،٣٢٧،٣٣٠
سفيان الثوري : ٨٨ ، ٩٠
سفيان بن عيينة : ٩٠
السلطان عبد الحميد : ٢٦
سلمان الفارسي : ٣٠٣
سليمان عليه السلام : ٢٠٦،٢٣٢،٢٤٧،٢٧٩،٢٨٤
سيد قطب : ٢٢١
السيوطي:٩٣،١٣٨،٢٠١،٢٠٨،٢٩٦،٢٩٧،٣٠٤
سهل التستري : ٢٦٢
(ش)
الشاطبي : ٢٨٣،٢٨٥،٢٨٦،٢٨٨
الشافعي : ٨٨،١٠٤،١٠٥،١١٠،١٢٧،٢٠٢، ٢٥٦،٢٥٨،٢٦٤،٣٤٣،٣٤٤
شداد بن أوس: ٢٣٨
الشطنوفي : ٢٩٠
الشعراني : ٢٨٤
الشوكاني : ١٥٦

(ص)

صالح عليه السلام : ٢٢٨، ٢٤١، ٢٤٢

الصاوي : ٢٢٨، ٢٤٢

صعصعه بن معاوية : ٣٢٨

صلاح الدين المغربي : ٢٤٠

صهيب الرومي : ٣٤٣

(ط)

طاهر الجزائري : ١٥٠

الطَّيب العقبي : ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩

الطيبي : ٣١٢

(ض)

الضحاك : ٣٤٨

(ع)

عائشة بنت أبي بكر : ٨٦، ٩٨، ١١٣، ١٧٤، ٢٤٤، ٢٩٥، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٥٢

عائشة ليمو : ٢٢٢

عبادة بن الصامت : ١٣٣، ١٣٥، ٣٥٥

عبد الجليل بن موسى القصري : ٣٠٤

عبد الحفيظ بن عثمان القاري : ٢٨، ٤٤، ٢٠٩

عبد الحميد طهماز : ٢١٥

عبد الرحمن زين العابدين : ٥

عبد الرزاق الصنعاني : ٨٥

عبد العزيز الثعالبي : ٢٥

عبد العزيز الرشيد : ٣٦، ٤١

عبد العليم خضر : ١٧٠، ٣١٧

عبد الغني النابلسي : ٣٠٩

عبد الفتاح أبو غدة : ١٥١، ٣١٢

عبد القادر الجيلاني : ٢٨٧، ٢٩٠

عبد القادر الشلبي الطرابلسي : ٦

عبد الله بن ثابت: ١٩٧

عبد الله بن الزبير : ٢٦٣

عبد الله بن الصديق الغماري : ٣١٥، ٣١٧، ٣٤٩

عبد الله بن عباس : ٨٠، ٩٢، ٩٩، ١٠٨، ١٢٠، ١٣٥، ١٦٣، ١٧١، ١٨٣، ٢٤١، ٢٥٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣١٢، ٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥٣

عبد الله بن عمر : ٨٠، ٩٢، ٢٩٥، ٣٥٢

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٧٦، ١٣٥، ١٤٣

عبد الله بن المبارك : ٩٠، ٢٠٠، ٣٣٢

عبد الله بن مسعود : ١٠٣، ١٣٦، ١٣٧، ٣٣٢

عبد الملك بن مروان : ٢٦٣

عبد الله سراج الدين : ١٩٤، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٩، ٢٤٨، ٣٢٢، ٣٣٧، ٣٥٤

عبيد بن عمير : ٣٣٢

عثمان بن عفان : ٢٦٣، ٣٠٠

عز الدين بن عبد السلام : ١١١، ١١٢، ١٤٨، ١٨٤، ٢٥٦، ٢٧٥، ٢٧٧، ٣٥٣

عز الدين عبد القادر : ٣١٥، ٣١٧

عزرائيل (ملك الموت) عليه السلام : ١٠٠، ٢٩٢

عطية : ١٩٠

علي بن أبي طالب : ١١٠، ١٤٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٦٢

علي بن أبي طلحة : ٢٩٤

علي بن الخفاف : ٢٣

علي بن عبد العزيز الجرجاني : ٣١٣

علي الرضا الحسيني : ٥، ١٩، ٢٨

علي الطنطاوي : ١٥٢، ١٥٩

علي النيفر : ١٩

عمر بن الخطاب :١٩٧، ٢٠٦، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٥٧

عمر بن الشيخ : ٢١

عمران بن الحصين : ١٣٥، ١٤٢، ٣٤٩

عمرو بن العاص : ٢٠٧

عوف : ٨٥

عياض الجاشعي : ١٩١

عيسى عليه السلام : ١١٥، ١٥٧، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٣٤، ٣١١، ٣١٢

(غ)

الغزالي : ٣٥٣

(ف)

الفارقليط : ١٩٥

الفاضل بن عاشور : ١٩

الفخر الرازي : ٩٣، ٢٧٣

فوزي فيض الله : ٢٠٦

(ق)

قاسم الخيراني : ٢١

قتادة بن دعامة : ٢٦٥، ٢٩٤

القاضي عياض : ٥٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٧، ٣٣٨، ٣٣٩

القرطبي : ٦٥، ١٠٥، ١٠٦، ١٤٨، ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٣٣، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٩١، ٣٠٨، ٣١٦

قورش الإخميني : ٣١٣، ٣١٥، ٣١٧

قيس القرطاس : ٢١٢، ٢٢٢

(ك)

الكلاباذي : ٢٨٤

(ل)

اللالكائي : ٩٠

لوط عليه السلام : ٢٢٩

الليث بن سعد : ٨٨ ، ٩٠

(م)

مالك (خازن النار) عليه السلام : ١٠٣

مالك بن أنس : ٨٨، ٩٠، ٩١، ١٢٧، ٢٠٢، ٣٤٣

مجاهد بن جبر : ١١٠

محسن زكريا : ١٩

محمد بن إبراهيم الوزير : ٤٣، ٢٦٤

محمد بن أبي القاسم الشريف : ٢٣

محمد بن أسلم الطوسي : ٢٥٥

محمد بن عبد الرحمن التارزي : ٢١

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : ١٠٠

محمد بن عبد الله بن الحكم : ١٠٥

محمد بن يوسف الكافي : ٣٤، ٢٨٢

محمد إسماعيل الصفايحي : ٣٦٣، ٣٦٤

محمد الأمين الشنقيطي : ١٦٣، ٢٣١، ٣١٨

محمد البشير التواتي : ٢١

محمد الحنيفي الحلبي : ٧٦

محمد الخضر حسين : ٥، ٦، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣٥، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٢١٠

محمد راغب الطباخ : ٣١٥

محمد رشيد رضا : ١٥٥، ٣١٧

محمد سعيد الباني : ١٩٨

محمد سعيد رمضان البوطي : ٢٢٥

محمد الشاذلي بن صالح : ٢٢

محمد الصادق بسيس : ٢٥

محمد عبد الحي الكتاني : ١٩، ٣٥، ٤٤، ٤٥

محمد عبده : ١٥٧

محمد عوامة : ١٤٣، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢٥٦

محمد محفوظ : ١٩

محمد المدني بن عزوز : ٢١

محمد المرزوقي : ٢٨

محمد المكي بن عزوز : ٥، ٦، ٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٥٤، ١٥٥، ٢٠٩، ٢٨٨، ٣٦٢

محمد النجار : ٢٢

محمد النيفر : ١٩

محمد الهادي السنوسي الزاهري : ٤٩

محمود أبو دقيقة : ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٩٥، ٣٣٧

مختار باشا الغازي : ٣١٨

مريم عليها السلام : ٢٧٩،٢٥٩،٢٣٣
المسيح الدجال : ٣١٢،٣١١،٢٩٧،٢٧٢
مصطفى بن علي رضوان : ٢٢
مصطفى بن محمد بن عزوز : ٢٠
مصعب بن عبد الله بن الزبير : ١٥٢
معاوية بن قرة : ٣٥٧
معمر بن أحمد الأصفهاني : ٨٣
المقدام بن معد كرب : ١٩٩
المنذري : ٣٤٢
موسى عليه السلام : ١٥٧،١٢٨،١١٥،١٠٨، ٢٣٢،٢٣١،٢٢٦،١٩٥
ميكائيل عليه السلام : ٩٩

(ن)

نجم الدين الطوفي : ١٤٧،١٣٩،١٢١،١١٠، ٣٢٧،٣٢٥،١٨٨
النسفي : ٣٤٠،٢٩٣،٢٤٥،٦٣٠
نعمان الآلوسي : ٤٣
نعيم بن حماد الخزاعي : ٨٨ ، ٨٩
نوح عليه السلام : ٢٩٣،٢٥٩،٢٤١، ٢٢٨،٢٢٧
النوري بن أبي القاسم الزيدي النفطي : ٢١
النووي : ٢١٩،١٧٧،١٤٢،١٣٠،١٢٦، ٢٧٦،٢٥٧

(هـ)

هود عليه السلام : ٢٤١،٢٢٨

(و)

الواثق : ٣٠٦
الواسطي : ٥٩
وكيع بن الجراح : ٩٠
وكيع بن مسلم : ٩٠
الوليد بن المغيرة : ١٩٣
وهب بن منبه : ١٠٠

(ي)

يزيد بن ربيعه : ١٤٣
يعقوب عليه السلام : ٢٥٩
يوسف عليه السلام : ٢٥٩
يوسف الجديع : ٢٧٢
يوسف الدجوي : ٦٨
يوسف القرضاوي : ١٢١،٢١٥

❁ ❁ ❁

٦- المصادر والمراجع

١- **ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة** ، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦.

٢- **أثر الحديث الشريف في اختلاف الأئمة الفقهاء رضي الله عنهم** ، لمحمد عوامة ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٨.

٣- **الاجتهاد في الشريعة الإسلامية** ، لمحمد فوزي فيض الله ، مكتبة دار التراث ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤١٤.

٤- **الأجوبة المرضيَّة فيما سُئِل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية** ، للسخاوي ، تحقيق محمد إسحاق إبراهيم ، دار الراية بالرياض الطبعة الأولى ١٤١٨ .

٥- **الأجوبة المكيَّة عن الأسئلة الحجازية** ، لمحمد المكي بن عزوز ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٤.

٦- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، للأمير علي بن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى١٤١٢.

٧- **أحكام القرآن** ، لأبي بكر ابن العربي ، تحقيق علي البجاوي ، تصوير دار المعرفة ببيروت .

٨- **إحياء علوم الدين** ، للغزالي ، المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة.

٩- **اختيار الأَوْلى شرح حديث اختصام الملأ الأعلى** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق جاسم الفهيد الدوسري ، دار الأقصى بالكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦.

١٠- **الأدب المفرد** ، للبخاري ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩.

١١- **الأسماء والصفات** ، للبيهقي ، تصوير دار الكتاب العربي ١٤٠٥.

١٢- **أصول الدين** ، لجمال الدين الغزنوي ، تحقيق عمر الداعوق ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ .

١٣- **أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن** ، لمحمد الأمين الشنقيطي، طباعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض ١٤٠٣ .

١٤- **الأعلام** ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ببيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤ .

١٥- **أعلام الحديث شرح صحيح البخاري** ، للخطابي ، تحقيق محمد بن سعود بن عبد الرحمن ، مركز إحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ .

١٦- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** ، لابن القيم ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ببيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٧ .

١٧- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان** ، لابن القيم ، طبعة محمد حامد الفقي ، تصوير دار المعرفة ببيروت .

١٨- **أقوال الحافظ الذهبي النقدية في علوم الحديث من كتابه "سير أعلام النبلاء"** لـمَجْد أحمد مكي ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤١٠ .

١٩- **الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء** ، لابن عبد البر ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٧ .

٢٠- **الإنسان بين الأمل والأجل في سورة الحِجْر** ، لعبد الحميد طهماز ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ .

٢١- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** ، للبيضاوي ، دار الفكر ببيروت .

٢٢- **الإمام الخطابي ومنهجه في العقيدة** ، للحسن بن عبد الرحمن العلوي ، دار الوطن بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨ .

٢٣- **أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور** ، لابن رجب ، طبعة محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، ببيروت ١٤٠٥ .

٢٤- **الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة دار الفلاح بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٧ .

٢٥- **الإيمان بالملائكة عليهم السـلام** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة دار الفلاح بحلب، الطبعة الرابعة ١٤١٠ .

٢٦- **بدائع الفوائد** ، لابن القيم مكتبة القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٢ .

٢٧- **البداية والنهاية** ، لابن كثير ، مكتبة المعارف ببيروت ، الطبعة السادسة ١٤٠٥ .

٢٨- **البيان في أركان الإيمان** ، لِمَجْد مكي ، دار نور المكتبات بِجُدة، ودار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ .

٢٩- **تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول** ، للأنصاري ، شرح مجد مكي ، دار نور المكتبات بجدة ، ودار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٣٠- **تراجم المؤلفين التونسيين** ، لمحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي .

٣١- **الترغيب والترهيب للمنذري** ، ضبطه مصطفى عمارة ، مصورة دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٦ .

٣٢- **التسهيل لعلوم التنزيل** ، لابن جُزي الكلبي ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٣٩٣ .

٣٣- **التصريح بما تواتر في نزول المسيح** ، لمحمد أنور الكشميري ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤١٢ .

٣٤- **تعريف عام بدين الإسلام** ، لعلي الطنطاوي ، دار المنارة بجدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ .

٣٥- **التعيين في شرح الأربعين** ، لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطُّوفي ، تحقيق أحمد الحاج محمد عثمان ، المكتبة المكية ، الطبعة الأولى ١٤١٩ .

* **تفسير الآلوسي** = روح المعاني .

* **تفسير ابن جزي** = التسهيل .

* **تفسير ابن عطية** = المحرر الوجيز .

* **تفسير البيضاوي** = أنوار التنزيل .

* **تفسير الخازن** = لباب التأويل .

* **تفسير الرازي** = مفاتيح الغيب .

* **تفسير الطبري** = جامع البيان .

* **تفسير القاسمي** = محاسن التأويل .

* **تفسير القرطبي** = الجامع لأحكام القرآن .

٣٦- **تفسير القرآن العظيم** ، لابن كثير ، تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار القبلة بجدة ، ودار ابن حزم ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٣٧- **تفسير النسائي** ، للنسائي ، تحقيق سيد الجليمي وصبري الشافعي ، مكتبة السنة بالقاهرة ١٤١٠ .

٣٨- **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين** ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق الدكتور عبد المجيد النجار ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

٣٩- **تلبيس إبليس** ، لابن الجوزي ، المطبعة المنيرية بالقاهرة .

٤٠- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد** ، لابن عبد البر ، طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب .

٤١- **تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء** ، لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي ، تحقيق محمد رضوان داية ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤١٨.

٤٢- **تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله ﷺ من الأخبار** ، لابن جرير الطبري ، تحقيق ناصر الرشيد و عبد القيوم عبد رب النبي ، مطابع الصفا بمكة المكرمة ١٤٠٢ .

٤٣- **التوحيد** ، لحسين والي ، مطبعة الواعظ بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ .

٤٤- **التوكل** ، لابن أبي الدنيا ، تحقيق جاسم الفهيد الدوسري ، دار البشائر الإسلامية ببيروت .

٤٥- **تيسير علم أصول الفقه** ، لعبد الله الجديع ، مركز البحوث الإسلامية، مؤسسة الريان ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ .

٤٦- **ثبوت القَدَمَيْنْ في سؤال المَلَكَيْنْ** ، لعبد الغني النابلسي ، صححه ونشره محمود سكر ، مطبعة الأنوار بمصر ، الطبعة الأولى .

٤٧- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٤.

٤٨- **جامع الأصول عن أحاديث الرسول** ،لابن الأثير ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الملاح بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ .

٤٩- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، تحقيق محمود شاكر ، دار التربية والتراث بمكة المكرمة .

٥٠- **جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ .

٥١- **الجامع لأحكام القرآن** ، للقرطبي ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٣٨٧ .

٥٢- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، للبخاري ، طبعة مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، ومكتبة اليمامة ، الطبعة الخامسة ١٤١٤.

٥٣- **جزيل المواهب في اختلاف المذاهب** ، للسيوطي ، تحقيق إبراهيم باجس، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢.

* **الجواب الكافي** = الداء والدواء .

٥٤- **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** ، للسخاوي ، تحقيق إبراهيم باجس ، دار ابن حزم ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

٥٥ - **الجوهرة الوسطى** ، لطاهر الجزائري ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٢٠.

٥٦- **حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين** ، لأحمد الصَّاوي المالكي ، مصوَّرة دار الجيل ببيروت .

٥٧- **الحاوي للفتاوي** ، للسيوطي ، عني بنشره جماعة من طلاب العلم، سنة ١٣٥٢ تصوير دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٢.

٥٨- **حركة الأرض ودورانِها** ، لمحمد علي الصابوني ، دار القلم بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١١ .

٥٩- **حول تفسير سورة الفاتحة** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١٢ .

٦٠- **حول تفسير سورة الملك** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة الفلاح بحلب، الطبعة الأولى ١٤١٨ .

٦١- **خواطر الحياة** ، لمحمد الخضر حسين ، الدار الحسينية للكتاب بدمشق ، الطبعة الرابعة ١٤١٠ .

٦٢- **خواطر دينية** ، لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الإدريسي ، مكتبة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ .

٦٣- **الداء والدواء** ، لابن القيم ، مكتبة نزار الباز ، الطبعة الثانية بمكة المكرمة ١٤١٨.

٦٤- **دراسات في الشريعة الإسلامية** ، لمحمد الخضر حسين ، الطبعة الأولى بدمشق ١٣٩٥ .

٦٥- **الدعاء للطبراني** ، تحقيق محمد سعيد البخاري ، دار البشائر الإسلامية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧.

٦٦- **الدعاء** ، لعبد الله سراج الدين ، دار الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ .

٦٧- **الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، للسيوطي .

٦٨- **الذريعة إلى مكارم الشريعة** ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق أبي اليزيد العجمي ، دار الوفاء ودار الصحوة بمصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

٦٩- **ذو القرنين وسد الصين** ، لمحمد راغب الطباخ ، المكتبة العلمية بحلب .
٧٠- **الرَّحَلات** ، لمحمد الخضِر حسين ، جمع علي الرضا الحسـيني ، الطبعـة الأولى ١٣٩٦ .
٧١- **رسائل ابن عزُّوز** ، جمع علي الرضا الحسيني ، الدار الحسينية بدمشق .
٧٢- **رسائل الإصلاح** ، لمحمد الخضر حسين ، دار الإصلاح بالدمام .
٧٣- **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه** ، لابن قيِّم الجوزية ، تحقيق عبد الله المديفـر ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ .
٧٤- **رسالة إلى أهل الثغر** ، لأبي الحسن الأشعري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينـة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩.
٧٥- **رسالة المسترشدين** ، للحارث المحاسبي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غـدة ، الطبعـة الثامنة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤١٦ .
٧٦- **الرسالة الوافية لمذاهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات**،لأبي عمرو الداني ، تحقيق محمد سعيد القحطاني ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .
٧٧- **رفع الملام عن الأئمة الأعلام** ، لابن تيمية ، طبع مؤسسة مكة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٦.
٧٨- **الروح** ،لابن القيم ، تحقيق يوسف البديوي ، دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٩ .
٧٩- **روح المعاني** ، للآلوسي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، ١٤١٥.
٨٠- **الروض الباسم في الذبِّ عن سنّة أبي القاسم** ، لمحمد بن إبراهيم الوزير ، تحقيـق علي العمران ، دار عالم الفوائد بمكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٩.
٨١- **روضة الطالبين** ، للنووي ، المكتب الإسلامي ببيروت ، ١٤٠٥ .
٨٢- **زاد المعاد في هدي خير العباد** ، لابن قيِّم الجوزية ، تحقيق شعيب وعبد القـادر أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧.

٨٣- **الزاهر في غريب ألفاظ الإمـــام الشـــافعي** ، لأبـي منصـور الأزهـري، تحقيـق عبد المنعم بشناتي ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩.
٨٤- **زهر الربى** ، للسـيوطي ، بحاشـية سـنن النسـائي ، الطبعـة الأولى المفهرسـة، دار البشائر الإسلامية ببيروت ١٤٠٦.
٨٥- **سلاح المؤمن في الدعاء والذكر** ، لابن الإمام ، تحقيق محيـي الديـن مسـتو ، دار ابن كثير بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٤ .
٨٦- **سنن ابن ماجه** ، طبعة محمد فـؤاد عبـد البـاقي ، مطبعـة عيسـى البـابي الحلـبي، ١٣٧٢ .
٨٧- **سنن أبي داود** ، تحقيق محمـد عوامـة ، الـدار المكيـة ودار القبلـة ، الطبعـة الأولى ١٤١٨ .
٨٨- **سنن الترمذي** ، ابتدأ تحقيقها أحمد شاكر ، تصوير دار الكتب العلمية ببيروت .
٨٩- **سنن الدارمي** ، مطبعة الاعتدال بدمشق ، ١٣٤٩ .
٩٠- **سنن النسائي** ، الطبعة المفهرسة بعناية عبد الفتاح أبو غدة ، مكتـب المطبوعـات الإسلامية بحلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٦.
٩١- **سير أعلام النبلاء** ، للذهبي ، تحقيق شعيب أرناؤوط مع آخريـن ، مؤسسـة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠١ .
٩٢- **شأن الدعاء** ، للخطابي ، تحقيق أحمـد يوسـف الدقـاق ، دار المـأمون بدمشـق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ .
٩٣- **شجرة المعارف و الأحوال وصالح الأعمال والأقوال** ،للعز بـن عبـد السـلام ، تحقيق إياد الطباع ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨ .
٩٤- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي** ، تحقيق أحمد سعد حمـدان ، دار طيبة بالرياض ، الطبعة الأولى
٩٥- **شرح صحيح مسلم** ، للنووي ، المطبعة المصرية ، القاهرة ١٣٤٧ .

٩٦- **شرح العقيدة الطحاوية** ، لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وعبد الله التركي، مؤسسة الرسالة ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

٩٧- **شرح المواهب اللدنية** ، للزرقاني ، المطبعة الأزهرية ١٣٢٥.

٩٨- **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ، للقاضي عياض ، تحقيق علي البجاوي ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠١.

٩٩- **شهادة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ﷺ** ، لعبد الله سراج الدين ، مكتبة دار الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى .

١٠٠- **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ، لابن تيمية ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ببيروت .

١٠١- **الصحاح** ، للجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ .

* **صحيح البخاري** = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه .

* **صحيح مسلم** = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ .

١٠٢- **صفوة البيان لمعاني القرآن** ، لحسنين محمد مخلوف ، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان ١٤١٨.

١٠٣- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، لابن القيم ، تحقيق علي الدخيل الله، دار العاصمة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨.

١٠٤- **طبقات الشافعية الكبرى** ، للتاج السبكي ، تحقيق محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو ، دار هجر ، الطبعة الثانية ،١٤١٣.

١٠٥- **طريق الهجرتين وباب السعادتين** ، لابن قيم الجوزية ، تقريب صالح الشامي ، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤.

١٠٦- **طلوع الثريا بإظهار ما كان خفيا** ، للسيوطي ، تحقيق عصام الدين بن غلام حسين ، دار الثقافة العربية بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٤ .

١٠٧- **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** ، لابن القيم ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ .

١٠٨- **العظمة** ، لأبي الشيخ الأصبهاني، تحقيق رضا المباركفوري ، دار العاصمة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ .

١٠٩- **العقل والعلم في القرآن الكريم** ، ليوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٦.

١١٠- **عنوان الأريب عما نشأ في البلاد التونسية من عالم أديب** ، للشيخ محمد النيفر، وتذييل واستدراك ابن المؤلف الشيخ علي النيفر ، دار الغرب الإسلامي ببيروت .

١١١- **الفتاوى** ، للتقي السبكي ، مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٦ .

١١٢- **فتاوى ابن رشد** ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ا المالكي ، تحقيق المختار التليلي ، دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤٠٧ .

١١٣- **الفتاوى الموصلية** ، لعز الدين بن عبد السلام السلمي ، تحقيق إياد الطباع ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٩ .

١١٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، للحافظ ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى ١٤١٧.

١١٥- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، للحافظ ابن حجر ، المكتبة السلفية ، تصوير دار المعرفة ببيروت .

١١٦- **فتح القدير** ، للشوكاني ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الوفاء بالمنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ .

١١٧- **فضل علم السلف على علم الخلف** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق محمد بن ناصر العجمي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤١٦.

١١٨- **في ظلال القرآن** ، لسيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة السابعة عشرة ١٤١٢ .

١١٩- **فهرس الفهارس** ، لعبد الحي الكتاني ، تحقيق إحسان عباس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٦.

١٢٠- **الفوائد** ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق عامر ياسين ، دار ابن خزيمة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨ .

١٢١- **القاموس المحيط** ، للفيروزبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧.

١٢٢- **قصور العقل البشري** ، لقيس القرطاس ، دار الفيصل بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

١٢٣- **كبرى اليقينيات الكونية** ، لمحمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة التاسعة ١٤١١.

١٢٤- **كمال العناية بتوجيه ما في ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ من الكناية** ، لأحمد رافع الطهطاوي ، مطبعة محمد أفندي مصطفى١٣١٣ .

١٢٥- **الكوكب الدري المنير في أحكام الذهب والفضة والحرير** ، لمحمد سعيد الباني، مطبعة المفيد بدمشق ، الطبعة الأولى ١٣٤٩.

١٢٦- **كيف نتعامل مع القرآن الكريم** ، ليوسف القرضاوي ، طبعة جامعة قطر ، مركز بحوث السنة والسيرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧.

١٢٧- **لباب التأويل في معاني التنزيل** ، لعلاء الدين الخازن ، مصورة دار الفكر ببيروت ، عن طبعة المطبعة العامرة سنة ١٣٢١ .

١٢٨- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف** ، لابن رجب ، تحقيق محمد ياسين السواس ، دار ابن كثير بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٣.

١٢٩- **لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية** ، للسفاريني، تحقيق عبد الله البصيري ، مكتبة الرشد بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥.

١٣٠- **لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية** ، للسفاريني ، المكتب الإسلامي ببيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١١.

١٣١- **مجلة الأمة القطرية** .
١٣٢- **مجلة السعادة العظمى** ، مقالات الشيخ محمد الخضر حسين ، الشركة التونسية ١٤٠٥ .
١٣٣- **مجلة الكويت** ، مقالات المؤرخ عبد العزيز الرشيد البداح .
١٣٤- **مجلة المنار** ، المجلد الحادي عشر ، سنة ١٣٢٦.
١٣٥- **مجلة الوعي الإسلامي الكويتية** ، السنة الثالثة والسابعة .
١٣٦- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، للهيثمي ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠٢.
١٣٧- **مجموع الفتاوى** ، لابن تيمية ، جمع عبد الرحمن القاسم وابنه محمد ،مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٨١ .
١٣٨- **محاسن التأويل** ، لجمال الدين القاسمي ، دار الفكر ببيروت ، ١٣٩٨.
١٣٩- **المحجة في سير الدلجة** ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق يحي غزاوي، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦.
١٤٠- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، لابن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، من مطبوعات وزارة الأوقاف بالمغرب ، وطبعة قطر.
١٤١- **محمد المكي بن عزوز (حياته وآثاره)** ، لعلي الرضا الحسيني ، الدار الحسينية للكتاب بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٧.
١٤٢- **مدارج السالكين** ، لابن القيم ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٥.
١٤٣- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** ، للنسفي ، مطبوع بحاشية تفسير الخازن .
١٤٤- **مذكرات في التوحيد** ، لمحمود أبو دقيقة ، الجامع الأزهر ، كلية أصول الدين ، الطبعة الأولى ١٣٥٣.
١٤٥- **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم ، مصورة دار الفكر ببيروت ، ١٤٠٥.
١٤٦- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن رسول الله ﷺ** ، للإمام مسلم ، طبعة ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية بمصر .

١٤٧- **المسند** ، للإمام أحمد ، المطبعة الميمنية ، تصوير المكتب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٥. وطبعة بيت الأفكار الدولية ، بالرياض ١٤١٩ .

١٤٨- **معجم أسماء العرب** ، موسوعة السُّلطان قابوس ، إشراف محمد الزبير، مكتبة لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١١.

١٤٩- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، لفؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ببيروت .

١٥٠- **المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم** ، إعداد محمد بسام الزين ، دار الفكر بدمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٦ .

١٥١- **معجم المؤلفين** ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي .

١٥٢- **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، للذهبي ، تحقيق الأرناؤوط وبشار معروف وصالح عباس ، مؤسسة الرسالة .

١٥٣- **مفاتيح الغيب** ، لفخر الدين الرازي ، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة .

١٥٤- **مفاهيم جغرافية في القصص القرآني** ، لعبد العليم خضر ، دار الشروق بجدة .

١٥٥- **مفردات ألفاظ القرآن** ، للراغب الأصفهاني ، تحقيق صفوان داودي، دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٨.

١٥٦- **مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي** ، مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ، ١٤٠٢ .

١٥٧- **مِلْحة الاعتقاد** ، للعز بن عبد السلام ، ضمن مجموعة متون العقائد ، دار البشائر الإسلامية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤.

١٥٨- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥.

١٥٩- **المنتقى من منهاج الاعتدال** ، للذهبي ، تحقيق محب الدين الخطيب ، دار الفتح بالقاهرة ١٣٧٤ .

١٦٠- **منحة رب العالمين على عقيدة الإمام السيوطي جلال الدين** ، لمحمد بن يوسف الكافي ، مطبعة الأمة بمصر ، سنة ١٣٢٩ .

١٦١- **مِنْ صِحَاحِ الأحاديث القُدسيَّة** ، لمحمد عوّامة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ .

١٦٢- **المنهاج السديد شرح جوهرة التوحيد** ، لمحمد الحنيفي الحلبي ، المكتبة العلمية بحلب ، الطبعة الأولى ١٣٤١ .

١٦٣- **منهاج السلامة في ميزان القيامة** ، لابن ناصر الدين الدمشقي ، تحقيق مشعل الجبرين المطيري ، دار ابن حزم ببيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ .

١٦٤- **المنهج الإيماني للدراسات الكونيَّة في القرآن الكريم** ، لعبد العليم خضر ، دار الشروق بجدة .

١٦٥- **منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتابه "فتح الباري"**، لمحمد إسحاق كندو ، مكتبة الرشد بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٩.

١٦٦- **الموافقات في أصول الأحكام** ، لأبي إسحاق الشاطبي ، تعليق محمد الخضر حسين ، ومحمد حسنين مخلوف ، المطبعة المنيرية ، ١٣٤١ .

١٦٧- **النبأ العظيم** ، لمحمد عبد الله دراز ، دار القلم بالكويت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ .

١٦٨- **النبوات** ، لابن تيمية ، دار الكتاب العربي ببيروت ١٤٠٥ .

١٦٩- **نتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار** ، للسفّاريني ، تحقيق عبد العزيز الهبدان ، دار الصميعي بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦ .

١٧٠- **نظرية الاتصال عند الصوفية** ، لسارة بنت عبد المحسن آل سعود ، مكتبة المنارة بجدة ، الطبعة الأولى ١٤١١.

١٧١- **نظرية التطور في الإسلام** ، لعائشة ليمو ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية ، دار القرآن الكريم ببيروت ١٤٠٤.

١٧٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر** ، لابن الأثير الجـــزري ، تحقيــق محمـــود الطناحي، والطاهر الزواوي ، طبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٣ .

١٧٣- **نواقض الإيمان القولية والعملية** ، لعبد العزيز العبد اللطيـــف ، دار الوطـــن بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥ .

١٧٤- **هدي القرآن إلى الحجة والبرهان** ، لعبدا لله سراج الدين ، مكتبة دار الفــلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ .

١٧٥- **هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكُّر في الأكوان** ، لعبد الله سراج الديــن ، مكتبة دار الفلاح بحلب ، الطبعة الأولى ١٤١١.

١٧٦- **هيئة الناسك في أنَّ القبض في الصلاة هو مذهب الإمام مالك** ، لمحمد المكي ابن عزوز ، تحقيق نَفْل مطلق الحارثي ، دار طيبة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧.



٧-الموضوعات والأبحاث

التقدمة ٥

صلتي بالمؤلف ورسالته ٥-٦

تاريخ تأليف الرسالة ٧

مقصد الرسالة ٨

أهم موضوعات الرسالة ٨-١٣

منهج القرآن في تقرير العقيدة ١٣-١٥

من مزايا هذه الرسالة ١٥

ذكر المؤلف بعض المسائل التي لا صلة لها بالعقيدة ١٦

شرحي الموسع لهذه الرسالة ١٧

سبب خدمتي لهذه الرسالة ١٨

ترجمة المؤلف العلامة محمد المكي بن عزوز ١٩

مصادر ترجمته ١٩

ولادته ونشأته وطلبه للعلم ٢٠

شيوخه وقراءاته في نفطة وجامع الزيتونه ٢٠-٢١

توليه القضاء والفتوى ٢٢

رحلته إلى الجزائر ٢٣

انتقاله إلى تونس ٢٣

أشهر تلامذته ٢٤

مناهضته للاحتلال الفرنسي ٢٥

هجرته إلى دار الخلافة ٢٦

مكتبته الخاصة........................ ٢٧

أهم مؤلفاته وآثاره المطبوعة والمخطوطة ٢٧
سرد أسماء ستين مؤلفاً من مؤلفاته ٢٨-٣٤
منهجه العلمي ٣٥-٤٣
دعوته إلى السنة ومحبته للأثر ٣٦
رسالة ابن عزُّوز إلى المؤرخ عبد العزيز الرشيد ٣٦
وصفه علماء عصره وأنهم ثلاثة أقسام ٣٧
فريقان مُفْرِط ومفرِّط ٣٧
القسم الثالث : وهم الأوسطون وقليلٌ ما هم ٣٨
الفريقان المشار إليهما لا يعذران ٣٩
نشأته العلمية وأثر الرحلة في تكوينه العلمي ٤٠
إشادته بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم ٤٢
ثناء العلماء عليه ٤٤
وفاته... ٤٥
مرثية ابن أخته العلامة الشيخ محمد الخضر حسين ٤٦
مرثية العلامة المجاهد الطيِّب العقبي ٤٨
شرح العقيدة الإسلامية ٥١
مقدمة المؤلف ٥٣
مقصد هذه الرسالة ٥٤
تفسير قوله سبحانه :﴿ الله لا إله إلاَّ هو الحي القيوم ﴾ ٥٧
الله سبحانه قديم لا أول لوجوده باق لا نهاية لبقائه ٥٧
هل يجوز إطلاق لفظ "القديم" على الله ٥٧
ليس كمثله شيء ٥٨
تفسير هذه الآية ٥٨
الحكمة من ذكر حرف الكاف في قوله سبحانه:﴿كمثله﴾ ٥٩

كلام العلامة محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم" ٥٩-٦٢
الله العزيز الحكيم العفو الغفور ٦٣
الرؤوف الرحيم ٦٣
شديد العقاب ٦٤
إيجاد العالم بمشيئة الله سبحانه ٦٤
لا ينسب إلى الله سبحانه جور ٦٥
من أسماء الله الحسنى : العدل ٦٥
لا يسأل عما يفعل ٦٧
تفسير قوله تعالى : ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ٦٧
كلام العلامة المفسر يوسف الدجوي في تفسير هذه الآية ٦٨-٦٩
كل يوم هو في شأن ٦٩
غناه سبحانه وفقر عباده إليه ٧٠
يهدي من يشاء ويضل من يشاء ٧٠
أنواع الهداية الأربعة المذكورة في القرآن ٧١-٧٢
أفعاله وأحكامه كلها حكمة ٧٣
سبق علمه سبحانه ٧٥
فعال لما يريد ٧٥
مقلب القلوب ٧٥
الله سبحانه الرزاق ٧٦
معنى الرزق عند أهل السنة ٧٦-٧٧
تفسير قوله تعالى : ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ ٧٧
عالم العرش والكرسي ٧٨
تفسير قوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب ...﴾ ٨٠-٨٢
لا يقال الله كائن في كل مكان ٨٣

الله سبحانه مستو على عرشه بائن من خلقه ٨٣
قربه سبحانه من عبادة بعلمه وملائكته ٨٤
فهم السلف لمعاني القرب الإلهي ٨٥
كلام الحافظ ابن رجب وهو مما يتعين الوقوف عليه ٨٥-٨٧
الإيمان بصفاته سبحانه دون تعرض للكيفية ٨٧
تقرير مذهب السلف الصالح ٨٨-٩٠
لا يجوز التفكر في ذات الله تعالى ٩١-٩٣
لا يفسر استوى باستولى ولا بغيرها ٩٤
إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت.................................. ٩٤
نقول عن الحافظ الذهبي وابن رجب ٩٤-٩٦
الملائكة ووظائفهم ٩٨
رؤساء الملائكة ٩٩
لم يرد تسمية ملك الموت بعزرائيل في حديث مرفوع ١٠٠
الملائكة الحفظة الموكلون بالعباد ١٠٠-١٠١
خزنة الجنة وخزنة النار ١٠٢-١٠٣
عالم الجنِّ ١٠٤
الجن يروننا ولانراهم ١٠٤
كلام الإمام الشافعي فيمن زعم رؤية الجن ١٠٤
الجن مكلفون بتوحيد الله وعبادته مثل الإنس ١٠٥
الأدلة على تكليفهم ١٠٥
قوله تعالى :﴿ ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا ﴾ نصٌ في تكليفهم ١٠٦
هل هم مكلفون على الوجه الذي كلفنا أم على وجه آخر ١٠٧
الجن منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ١٠٧
الجن منهم إبليس وذريته ١٠٨

تبليغهم دعوة النبي ﷺ ١٠٨
الغاية من خلق الجن والإنس : الابتلاء ١٠٩
تفسير قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ ... ١١٠-١١١
الأعمال الدنيوية المباحة المشروعة من العبادة ١١١
كلام الإمام العز بن عبد السلام في "شجرة المعارف" ١١١
متى تعد الأعمال الدنيوية المشروعة من العبادة ١١٢
اصطفاء الرسل ١١٣
معنى الشريعة في اللغة والشرع ١١٥
ملائكة الوحي ١١٦
وصفهم بالسفرة والروح ١١٦
تسخير العوالم العلوية والسفلية لعباده ١١٧
الحكمة من ذلك التسخير ١١٨
خصائص الشريعة المحمدية ١٢٠
الشريعة المحمدية سمحاء ١٢٠
صلاحها لكل قوم وزمان ومكان ١٢١
الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع ١٢١
الإيمان شرط قبول العبادة ١٢٣
الإيمان الكامل مجموع ثلاثة أمور ١٢٤
التصديق بالجنان ١٢٤
الإقرار باللسان ١٢٥
العمل الصالح بالجوارح ١٢٦
دخول الأعمال في مسمى الإيمان والأدلة على ذلك ١٢٧
الإيمان قول وعمل ١٢٧
الإيمان له ظاهر وباطن ١٢٨

زيادة الإيمان ونقصانه ١٢٩
الدليل على تفاوت الإيمان القلبي ١٢٩
متى يسلب عن العاصي وصف المؤمن ؟ ١٣٠
معنى الشك والمراد بكفر الشك ١٣٠
الإشارة إلى بعض المكفرات القولية ١٣١-١٣٢
أركان الإيمان إجمالا ١٣٢
الإيمان بالقدر ١٣٣
كتابة المقادير شاملة للكليات والجزئيات ١٣٣
اللوح والقلم والكتابة ١٣٤
اللوح المحفوظ لم سمي محفوظا ١٣٤
أيهما خلق أولا القلم أو العرش ١٣٥
تفسير قوله تعالى : ﴿ والقلم وما يسطرون ﴾ ١٣٦
تعدد الكتابات ١٣٦
كتابة الملائكة قسمة الإنسان في بطن أمه ١٣٧
الإشارة إلى اختلاف روايات الحديث في ترتيب الكتابة والنفخ ١٣٧
للإنسان مدخل في أفعاله ١٣٨
ثبوت الاختيار شرعا وعقلا ١٣٨
مسؤولية الإنسان عن أعماله الاختيارية ١٣٨
تفسير قوله تعالى : ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ ١٤٠
التفريط في العمل اعتمادا على القدر جهل ١٤١
لا يجوز التكلف في البحث عن سر القدر ١٤٣
الرجوع إلى القدر يكون عند الطاعات وبعد المصائب لا عند الذنوب ١٤٤-١٤٧
وظيفة العقل في هذا العلم ١٤٨
منزلة العقل ومكانته ١٤٨

توافق العقل والنقل ١٤٨
نقول عن الراغب وابن الجوزي والجزائري في تظاهر العقل و الشرع ١٤٩
أبيات نفيسة في منزلة الشرع والعقل ١٥١
لا سبيل للعقل إلى الحكم في المباحث الإلهية والأمور الأخروية ١٥٢
قاعدة: التبليغات النبوية بالقرآن والحديث الصحيح كلها مطابقة للعقل ١٥٣
اعتقاد قدرة الله وإرادته ١٥٤
الخطأ الفاحش في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾
بأنه القانون الطبيعي ١٥٥
المراد بسنته في الآية : نصره لأنبيائه على من كذبهم ١٥٥
كلمة مفصلة في الرد على رشيد رضا في خطأ استدلاله بهذه الآية ١٥٥-١٥٨
السموات السبع طباق بعضها فوق بعض ١٥٩
كلمة مختصرة عن ماهية السماء لأستاذنا الطنطاوي ١٥٩
من نفى وجود السموات المفسر بلسان الشرع فقد جاهر بتكذيب
القرآن ١٦٠
الرد على من أول السموات السبع الطباق بأنها الكواكب السيارات السبع ١٦٠
خلقُ السموات والأرض ١٦١
تفسير قوله تعالى :﴿ قل أئنَّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض ﴾ ... ١٦٢
الجمع بين آية سورة فصلت التي تدلُّ على أنَّ خلق الأرض كان
قبل خلق السماء وبين آية سورة النازعات التي تدل على أن دحو
الأرض بعد خلق السماء ١٦٢-١٦٤
مقدار الأيام التي خُلقت فيها السموات والأرض ١٦٤
الدليل على أنَّ المراد بالستة أيام مقدار أيام الدنيا المعروفة ١٦٤
التوفيق بين خلق السموات والأرض في ستة أيام وحديث:"خلق الله التربة" ١٦٥
الحكمة من خلق السموات والأرض في ستة أيام ١٦٦

الأرض كرة ومسطحة ١٦٧
الأدلة على كروية الأرض ١٦٧-١٧١
الاعتقاد في حق الأنبياء عليهم السلام ١٧٢
صادقون أمناء معصومون أهل فطنة ١٧٢-١٧٣
التبليغ وعدم الكتمان ١٧٣
تأييدهم بالمعجزات الخارقة ١٧٤
بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل ١٧٤
من كذب نبيا ولو في كلمة كفر ١٧٧
حكم من أنكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر
من فعل الرسول ١٧٧
ما يجوز في حق الأنبياء عليهم السلام ١٧٨
التحذير مما يذكر في بعض كتب التفسير من الإسرائيليات ١٧٩
خصائص نبينا محمد ﷺ ١٨٠
خاتم الأنبياء ١٨٠
عموم رسالته إلى الإنس والجن ١٨٢
أميته ﷺ ١٨٤
شرح حديث "ما من الأنبياء من نبي ...." ١٨٧
القرآن أكبر معجزاته ١٨٧
القرآن كلام الله نفسه ١٩٠
كتابة القرآن وحفظه ١٩١
التحدي بالقرآن ١٩٣
تكفل الله سبحانه بحفظه ١٩٤
القول في الكتب السماوية غير القرآن ١٩٥
التحريف نوعان : لفظي ومعنوي ١٩٥

الشرع المحمدي مصدق للشرائع قبله ورافع لحكمها ١٩٦
لا شريعة بعد شريعته ﷺ ١٩٧
من خصائص الشريعة ١٩٨
الحديث النبوي محفوظ عند أهله ١٩٩
للحديث النبوي حكم القرآن في الطاعة والاتباع ١٩٩
حفظ القرآن الكريم يستلزم حفظ السنة ٢٠٠
الاختلاف بين أئمة المذاهب ٢٠١
اختلافهم من مزايا الشريعة وخصائص هذه الأمة ٢٠١
المراد بالنهي عن التفرق في قوله تعالى :﴿ولا تفرقوا﴾ ٢٠٢
كلام الإمام ابن القيم في الاختلاف المحمود ٢٠٣
الإشارة إلى بعض أسباب الاختلاف ٢٠٤
تحري الأئمة الفقهاء لاتباع السنة ٢٠٥
الحق لا يتعدد ٢٠٥
من أسباب اختلاف الفقهاء عدم بلوغ الخبر ٢٠٨
الإشارة إلى أسباب أخرى ٢٠٨
التحذير من تفسير القرآن بما يخالف النص الثابت في الكتاب والسنة ٢٠٩
حكم القرآن وحكمته وتعريفه للحقائق مستمر إلى يوم القيامة ٢١٠
لا تختص معاني القرآن بزمان أو مكان دون غيره ٢١١
التنبيه إلى شرطين مهمين من شروط التفسير العلمي المعاصر ٢١٣
الإشارة إلى تكلف بعض المفسرين المعاصرين في تفسير بعض الآيات ٢١٤
اعتقاد مذهب داروين في أن أصل البشر النشوء والارتقاء مجاهرة بـرد
كلام الله ورسله كلهم ٢١٧
خلق آدم عليه السلام ٢١٧
مراحل خلق آدم قبل نفخ الروح فيه ٢١٧

خلق حواء من جسد آدم ٢١٨

ملخص نظرية دارون وبطلانها ٢٢٠-٢٢٢

خلق الله سبحانه بعض الأشياء بلا سبب طبيعي ٢٢٣

الأسباب المبثوثة في الكون لا تأثير لها بذاتها ٢٢٣

معجزات الأنبياء عليهم السلام ٢٢٥

تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح ٢٢٥

طوفان نوح وحياته البالغة نحو ألف سنة ٢٢٧

هلاك عاد قوم هود بريح صرصر عاتية ٢٢٧

معجزة نوح وهود التي قامت بها الحجة هي عصمتهم من أقوامهم ... ٢٢٨

هلاك ثمود قوم صالح بالصيحة ٢٢٨

قلب مدائن قوم لوط ٢٢٩

أنواع العذاب التي عذب الله بها قوم لوط ٢٢٩

آية نار إبراهيم عليه السلام ٢٣٠

عجائب عصا موسى عليه السلام ٢٣١

تسخير الريح والشياطين وجميع الحيوانات لسليمان ٢٣٢

المسخ قردة وخنازير حقيقة للأجسام ٢٣٣

معجزات عيسى عليه السلام ٢٣٣

رفعه إلى السماء حيا بجسده وروحه ٢٣٤

قصة أصحاب الكهف ٢٣٥

خلق آدم بلا أبوين ٢٣٥

الإسراء والمعراج بالروح والجسد ٢٣٥-٢٣٩

انشقاق القمر ٢٣٩

مشيئة الله وقدرته تنقض حكم الطبيعة ٢٤٠

الرد على من قال أن تلك المعجزات وقعت بوجه طبيعي لا بخرق العادة ٢٤١
قدرته سبحانه لا يوجبها سبب ولا يرفعها سبب ٢٤٣
مشيئة الله سبحانه أن يجعل الزمان كله نهارا مضيئا أو ليلا مظلما ... ٢٤٤
خلقة سبحانه للعذاب أسبابا يخوف الله بها عباده ليتوبوا ويتضرعوا إليه ... ٢٤٤
إذعان المخلوقات لخالقها سبحانه ٢٤٦
معرفة العوالم خالقها سبحانه وتسبيحها وتحميدها على وجه الحقيقة ٢٤٦
تفسير قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ ٢٤٧
جميع الكائنات تعرف خالقها وتسبح له حقيقة ٢٤٨
من مظاهر قدرته سبحانه : تسخير الشمس والقمر ٢٥٠
إمساك الطير في جو السماء ٢٥٠
إمساك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ٢٥١
يخلق الله الكثير من مخلوقاته بسبب أو بلا سبب ٢٥٢
الله سبحانه خالق الأسباب والمسببات ٢٥٤
ليس للأسباب تأثير حقيقي ٢٥٤
حكم من نسب شيئا من الأفعال إلى الأسباب دون اعتقاد تأثيرها ... ٢٥٦
كلام الإمام الشافعي والعز بن عبد السلام والنووي وابن رجب وابن حجر ٢٥٨
لا يترك تعاطي الأسباب إلا جاهل ٢٥٨
سنة الرسول ﷺ القولية والعملية والتقريرية تدعو إلى الأخذ بالأسباب ٢٥٨
الأخذ بالأسباب سنة الأنبياء من قبله ٢٥٩
نقل كلمات القرطبي وابن تيمية و ابن القيم وابن رجب ٢٥٩-٢٦٢
بدعة العقيدة في هذا العلم ٢٦٣
كل عقيدة حدثت بعد الصحابة فهي مبتدعة ٢٦٣
ظهور البدع والفرق بعد مقتل عثمان ٢٦٣
كلام نفيس للحافظ ابن حجر فيما حدث من بدع في الاعتقاد ٢٦٤

تعريف المبتدع و أصناف المبتدعة ٢٦٥
لا يجوز أن يوصف الله تعالى بما لم يثبت في الشرع ٢٦٦
كلام الخطابي في هذا الأصل من أصول الأسماء والصفات ٢٦٦
مناظرة بين الإمام أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي ٢٦٨
مأخذ أسماء الله سبحانه الإذن الشرعي دون القياس اللغوي ٢٦٨
كلام طويل نفيس لابن القيم في وصفه سبحانه بأكمل الأوصاف وأعلاها ٢٦٨-٢٧٠
غلط من اشتق له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسما من أسمائه الحسنى ٢٧٠
الأدلة على هذا الغلط من ستة وجوه ٢٧١
عدم جواز قياس صفات الله بصفات خلقة بأيِّ وجهٍ من الوجوه ... ٢٧٢
يجوز أن يطلق عليه سبحانه ما لم يرد به السمع في باب الإخبار ٢٧٢
حكم من قال كلمة تحقير واستهزاء لبعض الأنبياء أو الملائكة أو الكتب ٢٧٣
الإيمان مبنيٌّ على التعظيم والإجلال ٢٧٣
كلام القاضي عياض وابن تيمية والعز بن عبد السلام والسبكي في
كفر من سب أو استهزئ ببعض الأنبياء أو الملائكة أو الكتب ... ٢٧٣-٢٧٦
كفر من قام بعمل فيه تحقير أو استهزاء ببعض الأنبياء أو الملائكة أو الكتب ٢٧٦-٢٧٧
القول في الكرامات ٢٧٧
كلام ابن رشد في صحة ووجود الكرامات........................ ٢٧٧-٢٧٨
كلام السبكي في وجوه ثبوت الكرامات ٢٧٩
الكرامة فرع المعجزات ولكنها لا ترقى إلى درجة المعجزة ٢٨١
الكرامة تنال باتباع الأنبياء وحُسْن الاقتداء ٢٨٢
الكرامة لا تتعلّق بِهَا همَّة ولي ٢٨٣-٢٨٤
شرط الكرامة أن لا تخرق حكماً شرعياً ٢٨٥
كلام نفيس للإمام الشاطبي في توضيح هذا الشرط ٢٨٥-٢٨٨
أعظم أنواع الكرامة : الاستقامة ٢٨٨

كلام ابن القيم في الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٢٨٩
تنبيه الحافظ ابن حجر إلى أن علامة الولاية التمسك بالأوامر والنواهي الشرعية ٢٩٠
ضابط ما يتميز به المقبول من المردود من الكرامات ٢٩٠
الموت بالأجل المحدود ولو مقتولا ٢٩١
ملك الموت قابض الأرواح وله ملائكة أعوان ٢٩٢
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ٢٩٢
عذاب القبر ونعيمه ٢٩٣
الأدلة على عذاب القبر ونعيمه ٢٩٣-٢٩٥
العذاب والنعيم على الروح والبدن ٢٩٥
سؤال الملكين حق ٢٩٦-٢٩٧
قول ابن عبد البر أن السؤال في القبر لا يكون إلا لمن كان منسوبا إلى
دين الإسلام و تعقب ابن القيم لابن عبد البر............................ ٢٩٨
تفسير قوله سبحانه :﴿ يثبت الله الذين آمنوا ﴾ ٢٩٩
تفسير قوله تعالى:﴿ ويفعل الله ما يشاء ﴾ ٢٩٩
نقل كلمات حسنة في معنى التثبيت وأسبابه عن العلامة الخازن ٣٠٠-٣٠١
الرد على الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ٣٠١
نقل كلام ابن القيم من كتابه " الروح " ٣٠١
أمور الآخرة من الغيب ٣٠٣
البرزخ عالم بين الدنيا و الآخرة فيه مستقر الأرواح ٣٠٤
البرزخ على ثلاثة أقسام : مكان وزمان وحال ٣٠٤
الساعة حق ولا يعلم وقتها إلا الله ٣٠٥
الحشر بالجسم والروح ٣٠٦
إنكار إعادة الجسد نفسه إنكار للمعاد ٣٠٦-٣٠٧
العوالم الأخروية لا تدرك بالعقل والقياس ٣٠٧-٣٠٨

الساعة تأتي دفعة واحدة ٣٠٩
كلام العلامة النابلسي في الإيمان بأمور الآخرة ٣٠٩-٣١٠
علامات الساعة التي تدل على قربها ٣١١
العلامات الصغرى والكبرى ٣١١
نفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق ثم نفخة البعث ٣١٢
سد ذي القرنين ثابت وإنكاره رد للقرآن ٣١٣
أرجح الأقوال في تحديد شخصية ذي القرنين ٣١٣-٣١٥
موقع السد في جهة القطب الشمالي ٣١٥
ترجيح العلامة أبو الكلام آزاد أن السد هو المقام في مضيق داريال
في جبال القوقاز و الإشارة إلى أقوال تؤيد هذا الرأي ٣١٦-٣١٧
الرد على من أنكر وجود السد بحجة عدم العثور عليه ٣١٨
الحشر بعد البعث من القبور ٣١٩
المراد بتبديل الأرض و السموات ٣١٩
الشفاعة الكبرى المحمدية ٣٢٠
معنى الشفاعة ٣٢٠
التوفيق بين الآيات التي تنفي الشفاعة والتي تثبتها ٣٢١
أنواع الشفاعة ٣٢٢
الشفاعة الكبرى هي المقام المحمود ٣٢٢
شرح السفاريني لقوله ﷺ : "أنا سيد الناس يوم القيامة" ٣٢٣
كلام ابن القيم في حاجة الخلق إلى الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة ... ٣٢٣
الحساب ٣٢٤
الميزان ٣٢٤
كلام الطوفي في إثبات الميزان في المعاد حقيقة ٣٢٥
الحكمة من وزن أعمال العباد ٣٢٥-٣٢٦

تطاير الصحف المحتوية على الحسنات والسيئات ٣٢٦
الحكمة من كتابه الصحف ٣٢٧
شهادة الأعضاء ٣٢٨
الحوض المحمدي ٣٢٩
حكم من أنكر وجود الحوض و لم يقر بإثباته ٣٣٠
الصراط جسر رقيق على جهنم ٣٣٠
ثبوت ذكر الصراط في عدة أحاديث ٣٣١
المراد بقول الصحابي : "بلغني "فيما لا مجال للرأي فيه ٣٣١
سياق طرق متعددة لحديث أبي سعيد الخدري ٣٣٢
اختلاف الناس في المرور على الصراط ٣٣٣
سبب تفاوتهم في سرعة المرور وبطئه ٣٣٣-٣٣٤
الأعراف : سور بين الجنة والنار ٣٣٤
تفسير الآيات الواردة في أصحاب الأعراف ٣٣٥
عاقبة أصحاب الأعراف دخول الجنة ٣٣٦
الجنة والنار مخلوقتان ٣٣٧
الأدلة على خلق الجنة والنار ٣٣٧-٣٣٨
النعيم والعذاب محسوسان حقيقة لا مجازا ٣٣٨
حكم من أنكر النعيم والعذاب الحسي.................................. ٣٣٨
عذاب جهنم عذاب حقيقي ٣٤٠
نعيم الجنة نعيم حقيقي ٣٤٠
تفسير قوله تعالى:﴿وأتوا به متشابها ﴾.................................. ٣٤٠
كمال النعيم ودوامه ٣٤١
بين أشياء الدنيا وأشياء الآخرة فرق كبير ٣٤٢

قول ابن عباس: ليس ما في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء ٣٤٢
تقريب اللذات الأخروية إلى الأذهان ٣٤٢
أعلى نعيم الجنة : رؤية العبد ربه بالأبصار ٣٤٣
استدلال الإمامين مالك والشافعي على ثبوت الرؤية ٣٤٣
الأحاديث الدالة على الرؤية متواترة ٣٤٤
حكم المؤمن العاصي إذا مات بلا توبة ٣٤٥
خلود أهل الجنة في الجنة ٣٤٦
خلود أهل النار إذا ماتوا كفارا ٣٤٦
الأدلة القطعية من الكتاب والسنة على بقاء أهل النار أبد الآباد
وبقاء أهلها فيها ٣٤٦-٣٤٨
المراد بالاستثناء من الخلود في الموضعين في قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء
ربك﴾ في سورة هود ٣٤٨
نقل كلام العلامة المفسر الخازن وترجيحه ٣٤٩
نقل كلام العلامة المفسر عبد الله بن الصديق ٣٤٩-٣٥٠
خروج عصاة المؤمنين من النار ٣٥٠
أدلة القرآن والسنة على ذلك ٣٥١-٣٥٢
الدعاء ينفع ويرفع البلاء ٣٥٢
كلام الإمام الغزالي في فائدة الدعاء مع أن القضاء لامرد له ٣٥٣
جواب الإمام العز بن عبد السلام لمن قال: لا حاجة بنا إلى الدعاء
لأنة لا يرد ما قدر و قضي ٣٥٣-٣٥٤
جواب العلامة الشيخ عبد الله سراج الدين فيمن أنكر تأثير الدعاء ٣٥٤-٣٥٥
نفع الدعاء لا يختص بإجابة عين ما دعى به وتنوع الإجابة ٣٥٥
ضرورة اتخاذ أسباب المنافع وتجنب أسباب المضار ٣٥٧
كلام ابن القيم في سبب تخلف أثر الدعاء ٣٥٦

جواب ابن القيم فيمن رفض الأسباب ٣٥٧-٣٥٨
التوكل عمل القلب اليد واللسان ٣٥٨
الفرق بين التوكل والعجز ٣٥٨
قول ابن القيم : التوكل علمُ القلب وعملُهُ ٣٥٩
قول ابن رجب في حقيقة التوكل وثمرته ٣٦٠
تاريخ انتهائي من خدمة هذه الرسالة وشرحها ٣٦٠
تقريظ العلامة الشيخ إسماعيل الصفايحي ٣٦١
تقريظ ابنه الشيخ محمد إسماعيل الصفايحي ٣٦٣
الفهارس ٣٦٥
١- فهرس الآيات ٣٦٧
٢- فهرس الأحاديث النبوية ٣٨٧
٣- فهرس الشعر ٣٩٣
٤- الكتب ومؤلفوها ٣٩٤
٥- الأعلام ٤٠٥
٦- المصادر والمراجع ٤١١
٧- الموضوعات و الأبحاث ٤٢٦

